



وقائع مؤتمر إمام الحسين
عليه السلام السنوي السادس عشر

الجزء الأول

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026

ISBN 9789922778327

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/٢/٢٠٢٥: كربلاء، العراق).

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين: قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/٢/٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ. ٥ مجلد؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).

يتضمن ارجاعات بيليو جرافية.

١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه - مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان. تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239,3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين: قراءة في المنهج والادوات/ مؤتمر. ط ١- كربلاء:

دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الأول، (٥٣٤ صفحة)، ٢٤ سم.

١. الإمام الحسين بن علي عليه السلام - الإمام الثالث - مؤتمرات.

م. العنوان.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (١٧٤٦) - لسنة ٢٠٢٦م

وقائع مؤتمر الأيام الحسنية
الدولي السنوي لسجاد حسين

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين عليّ القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة
بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٦/٢/٢٠٢٥)



جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة الى كتابكم ذي العدد (ع.ش.٩ / ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرقعه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين - قراءة في المنهج والادوات) والمزمع انعقاده للمدة (٢٠٢٥/٢ / ٢٠٥) ، وبالنظر لاستيفانكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٣٥٩/٢) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر اعلام.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير

٢٠٢٥/ ١ / ٢٩

نسخة منه الي//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي/ لتعمية المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مزود ١/٢٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا، وَخَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقٌ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقٌ، وَمَنْ لَزِمَهَا لِحَقٌّ، آلَهُ الطَّاهِرِينَ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ...

خلق الله تعالى أمثلة للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجته في أرضه التي لا تخلو من مثال لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثل أعلاها نبينا محمدًا ﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمّن يليه في هذه المرتبة فلا بد من الاستعانة بخطّ شروع متفق عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبي ﷺ: ((عَلَيَّْ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرک وصححه، ووافقه الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدد - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمّا في مصادر أهل البيت عليه السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متفق على صحته ونسبته إلى رسول الله ﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدم أقيم هذا المؤتمر العلمي الدولي لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العملي عبر البحث في مدونات المسلمين عن الأثر القرآني لأمر المؤمنين ﷺ، وبيان ما له من علوم قرآنية تفرّد بها؛ وصولاً إلى الإثبات العملي لدلالة الحديث المذكور آنفاً.



وقد حدّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيّة على وفق منهج أمير المؤمنين  ، والبرهنة العمليّة على كماليّة القرآن الكريم بشموله لكلّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمّ مشكلاتها في ضوء ما قدّمه أمير المؤمنين   من أثر قرآنيّ امتدّ ليشمل الحاجات الإنسانيّة على مختلف العصور، مركزاً في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشتها، ومن هنا فإنّ المؤتمر يركّز على الأثر القرآنيّ لأمر المؤمنين   تفسيراً وعلوماً، ومقاربتة على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومسارته المعرفيّة في التخصصات الإنسانيّة والعلميّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين   بوصفه حللاً لكلّ التقاطعات، والمرجعيّة الأصيلّة التي يمكن أن تنتهي إليها بمعنيّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستين بحثاً في شتّى التخصصات المعرفيّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمّ المسارات التي حدّدت بشأن إقامته، وما هذه الوقائع إلّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيّةً من لدن الباحثين والمتخصّصين والمتابعين بشكل عام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله

الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

- الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان / رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين / معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى / مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة / مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج / مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز / مدقق لغوي
أ.م.د. حامد شاكر / مدقق فني

الفهرس

الإعجاز الطَّبِّي للتمر (الرطب) لسَيِّدنا الإمام عليّ ؑ ١١

أ.د. محمد جواد النعمي

الحجاج المُدَّعم في الخطاب العلويّ قراءة استكشافية في اللسانيّات الاجتماعيّة ... ٦٥

أ.د. حازم طارش حاتم

نصُّ الدعاءِ وشعريّة تودوروف الأجناسيّة دعاءُ كميلٍ اختيارًا ٨٩

أ.د. خليل شكري هياس / أحمد علي الهادي سليمان

التربية والتّعليم في القرآن وفي تعاليم أمير المؤمنين ؑ ١٣٩

أ.د. دلال عبّاس

التوجيه اللغوي لأقوال أمير المؤمنين ؑ في المدونات القرآنيّة ١٧٧

أ.د. سليمة جبار غانم

منهجُ أمير المؤمنين ؑ في أقواله في تفسير القرآن الكريم ٢٠٧

أ.د. سمية حسن عليان



..... وَقَائِعُ مُؤْتَمَرِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام الدَّوْلِيُّ السَّنَوِيُّ السَّادِسُ / الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

الأثر القرآني ومكانة الإمام علي عليه السلام ودور أهل البيت في التفسير ٢٣٣

أ. د شاكر محمود مهدي هادي العزاوي

الشاهد القرآني مقتضى إقناعي في خطبة الديباج للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٢٥٧

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي

أثر الإمام علي عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيان التوحيدي ٢٨٥

أ.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

حليّة المطعوم وتحريمه فيما روي عن الإمام علي عليه السلام في سورة المائدة ٣١٣

أ.د. علي رحيم هادي الحلو

الأثر القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وتفريعه في قصيدة (وجوه لعلّي) ٣٣١

أ.د. علي مجيد البديري

إيثار أمير المؤمنين عليه السلام آية ليلة المبيت مصداقاً ٣٥٥

أ.د. علي نيكوکار



الثابت والمتغير في السلطة عند الإمام عليؑ في ضوء المنهج القرآني ٣٨٥

أ.د. كاظم عبد فريح

التعايش السلمى وحقوق الإنسان عند أمير المؤمنينؑ دراسة تطبيقية وميدانية ... ٤٠٧

أ.د. مصطفى محمد أمين الأتروشي / آسيا عبد الله أحمد

المشيرات القرآنية في الخطب العلوية (قراءة معرفية جديدة في الدراسات اللسانية) ... ٤٢٩

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي

عالمية الخطاب العلوي من منطق القيم القرآنية إلى منطق نشر القيم ٤٥٥

أ.د. آمال خلف علي آل حيدر

رؤية الإمام عليؑ في الوسطية والاعتدال من المنظور القرآني أداة في محاربة ٤٧٥

أ.د. حيدر كريم الجمالي / أ.د. صادق فوزي النجادي

السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالبؑ في مواجهة الفقر ٥١٣

أ.د. برزان ميسر الحامد

الإعجاز الطبي للتمر (الرطب) لسيدنا الإمام عليؑ

أ. د. محمد جواد النعمي

جامعة العين العراقية/ ذي قار/ كلية الطب

الملخص:

إنَّ سيّدنا وإمامنا عليّؑ هو ابن عمّ الرسول ﷺ، وهو أوّل من آمن برسالة سيّدنا محمد ﷺ، وتربّى في كنف رسولنا الكريم ﷺ، ونهل من علومه، إذ تعلّم القراءة والكتابة منذ نعومة صغره، وهو أوّل من كتب الوحي، إذ كان تلميذ مدرسة الوحي والرسالة.

كان عليّؑ واسع العلم، وينوعاً للحكمة و المعرفة، لقد ترامت أطراف بحر علم عليّؑ، وتلاطمت أمواجه، وإنّ ما سنذكره اليوم ما هو إلاّ قطرة من محيط علمه المترامي.

إنّ لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبؑ إشارات رياديّة في مختلف العلوم الدينيّة والدينيّة ومنها العلوم الطبيّة. ونلاحظ بأنّ حكمه وأقواله (في المجال الطيّب) التي ذكرها قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة جاءت متطابقة مع ما توصلت إليه البحوث العلميّة والطبيّة الحديثة. ويكفي أنّ الرسول ﷺ اختصّه بالقول: أنا مدينة العلم وعليّ، فمن أراد المدينة فليأت الباب.

وما سنذكره من حكم وأقوال مهمّة لسيدنا عليّؑ في العلوم الطبيّة فيما يخص التمر في محاور ثلاثة:

١- ما تأكل الحامل من شيء ولا تتداوى به أفضل من الرطب.



..... وَقَائِعُ مُؤْتَمَرِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّوْلِيُّ السَّنَوِيُّ السَّادِسُ / الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

٢- حنكوا أولادكم بالتمر فهكذا فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالحسن والحسين.

٣- كلوا التمر فإنّ فيه شفاء من الأدوية (جمع داء).

الكلمات المفتاحية: الإعجاز الطبي، التمر، الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

Abstract:

Our Master and Imam Ali (PBUH), the cousin of the Prophet (PBUH) and the first to believe in his message, was raised under the noble Prophet's care and drew deeply from his knowledge. Learning to read and write from an early age, he became the first scribe of the Divine Revelation and a distinguished student of the school of Prophethood.

Imam Ali (PBUH) was a vast fountainhead of wisdom and knowledge; his intellectual legacy is an expansive sea, of which this study presents but a single drop. He provided pioneering insights into various religious and worldly sciences, including medicine. Remarkably, his medical aphorisms and teachings from over 1,400 years ago align perfectly with the findings of modern scientific and medical research. This stature is best encapsulated by the Prophet's (PBUH) testament: "I am the city of knowledge and Ali is its gate; whoever seeks the city must enter through the gate."

This research highlights the Imam's significant medical contributions regarding Dates, organized into three thematic pillars:

"No food or medicine consumed by a pregnant woman is superior to fresh dates."

"Perform Tahnik (rubbing the palate) for your children with dates, for that is what the Messenger of Allah (PBUH) did with Al-Hassan and Al-Hussein."

"Eat dates, for they contain healing for ailments."

Keywords: Medical Miracles, Dates, Imam Ali (PBUH).



المقدمة

التمر (الرطب): هو ثمرة أشجار النخيل ذات الاسم العلمي Phoenix dactyliferous، وهو أحد الثمار الشهيرة بقيمتها الغذائية العالية وهي فاكهة صيفية تنتشر في الوطن العربي^(١).

وقد اعتمد العرب قديماً في حياتهم اليومية عليها، والتمر يأخذ شكلاً بيضوياً ويتفاوت مقاسه ما بين ٢٠ مم إلى ٦٠ مم طولاً، و٨ مم إلى ٣٠ مم قطراً. تتكوّن الثمرة الناضجة من نواة صلبة محاطة بغلاف ورقي يسمى القَطْمِير يفصل النواة عن القسم الذي يؤكل. اختلف المؤرّخون حول مكان نشأتها فأعرب بعض المؤرخين عن اعتقادهم أن تكون قد نشأت حول الخليج العرب، ومنهم من يقول: إن أقدم ما عرف عن النخل كان في بابل نحو ٤ آلاف سنة قبل الميلاد. ويعرف عن المصريين القدماء استخدام التمر في النبيذ. ويحتوي التمر على قيمة غذائية عالية ويعتبر قوتاً أساسياً للإنسان منذ القدم، وتعتبر ثمار التمور أعلى الفواكه احتواءً على السكريات، وتختلف هذه المكوّنات حسب طبيعة الثمرة سواء كانت رطبة أو نصف جافة أو جافة، وكذلك بحسب الأصناف، إذ تكون نسبة السكريات بالثمرة ما بين ٧٠ - ٧٨٪ من مكوّنات الثمرة، وتتميّز هذه السكريات بسرعة امتصاصها وانتقالها للدم مباشرة وهضمها وحرقتها. ويبلغ عدد أصناف التمر بالعالم ما يزيد عن ٢٠٠٠ صنفاً، وتؤثّر عوامل المناخ تأثيراً كبيراً على النخلة وثمارها؛ ولذلك تتغيّر صفات هذه الأصناف عندما تزرع النخلة في أماكن مختلفة عن مكان تكاثرها وتواجدها الأصلي^(٢).

(1) Taavoni S، Fathi L، Nazem Ekbatani N، Haghani H. The Effect of Oral Date Syrup on Severity of Labor Pain in Nulliparous. Shiraz E-Med J. 2018;20(1): e69207.

(٢) عبد الجبار البكر ٢٠١٣. نخلة التمر ماضيها وحاضرها، والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارتها. الدار العربية للموسوعات، بيروت الطبعة الرابعة ٢٠١٣: ٥٢٤، و.د. جاسم محمد حمد ٢٠١٠. أطلس أصناف التمور (الشجرة الطبية) في الخليج. دولة الكويت، الطبعة الرابعة أغسطس ٢٠١٠، ص ٣٤ من جزء الكتاب الأول (العناية بالنخيل).



تحتوي ثمار نخيل التمر على ٢١٪ ماء، و ٧٥٪ كربوهيدرات (٦٣٪ سكريات و ٨٪ ألياف غذائية)، و ٢٪ بروتين، وأقل من ١٪ دهون. وهو مصدر غني بالفيتامينات والمعادن. وفي كمية بحدود ١٠٠ جرام، توفر التمر ٢٨٠ سعرة حرارية من الطاقة الغذائية^(١).

المحور الأوّل: الإعجاز في مقولة سيدنا عليّ عليه السلام

[ما تأكل الحامل من شيء ولا تتداوى به أفضل من الرطب]^(٢)

وهنا نستشهد أيضاً بقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهَزِيْ اِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِّيْ وَاشْرَبِيْ وَقَرِّيْ عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٥-٢٦].
ويشمل هذا المحور فقرات عدّة:

١- إعجاز تناول التمر (الرطب) في مدّة الحمل، أي: ما قبل الولادة:

إنّ تناول التمر خلال الحمل يفيد الحامل؛ لأنّه يحتوي على سعرات حرارية عالية؛ لأنّ السكر في التمر هو الجلوكوز والفركتوز الطبيعي، سهل الهضم والامتصاص؛ لذلك فإنّ ثمرة التمر تعطي وتديم الطاقة المطلوبة للأم الحامل؛ وبذلك يمنع التمر الإجهاد والتعب خلال فترة الحمل^(٣).

(1) Tang ZX, Shi LE, Aleid SM. Date fruit: chemical composition, nutritional and medicinal values, products. J Sci Food Agr. 2013;93(10):2351-61.

Al-Farsi MA, Lee CY. Nutritional and functional properties of dates: a review. Crit Rev Food Sci Nutr. 2008;48(10):877-87.

(٢) مسند الإمام عليّ عليه السلام : ١٤٣.

(3) Karimi AB, Elmi A, Zargaran A, Mirghafourvand M, Fazljou SM, Araj-khodaie M, Navid RB. Clinical effects of date palm (Phoenix dactylifera L.): A systematic review on clinical trials. Complementary therapies in medicine. 2020;51: 102429



- للتمر أنشطة مزيلة للقلق، مهدئ ومسكن للألم، ومنشط للذهن^(١)، إذ تحفز الحلويات بصورة عامة والتمر بصورة خاصة إفراز المواد الأفيونية الداخلية (الأندورفينات) وهذه بدورها تعمل على الشعور بالسعادة والغبطة والفرح وإزالة الشعور بالقلق، بالإضافة إلى عملها كمسكن للألام خلال مدة الحمل ولاسيما الحمل الأول^(٢).

الفوائد العديدة الأخرى وكما وضحتها المصادر التالية^(٣):

- التمر غني بالألياف المفيدة لصحة جهاز الهضم ويمنع الإمساك.
- يحتوي على البوتاسيوم المفيد لجهاز الدوران والمنظم لضغط الدم.
- يحتوي على حامض الفوليك المفيد لنمو الجنين ويمنع التشوهات الولادية.
- التمر غني بالحديد المفيد للأم والجنين إذ يمنع حدوث فقر الدم.

(1) Vyawahare N, Pujari R, Rajendran R, Khsirsagar A, Ingawale D, Patil M. Neurobehavioral effects of Phoenix dactyliferain mice. JYoung Pharmacists 2009;1(3):225.

(2) Bergmann F, Lieblich I, Cohen E, Ganchrow JR. Influence of intake of sweet solutions on the analgesic effect of a low dose of morphine in randomly bred rats. Behav Neural Biol. 1985 Nov;44(3):347-53. Erlanson-Albertsson C. Socker triggjar våra belöningssystem. Sött frisätter opiat som sätter fart på sötsuget--insulin kan dämpa det [Sugar triggers our reward-system. Sweets release opiates which stimulate the appetite for sucrose--insulin can depress it]. Lakartidningen. 2005 23-29;102(21):1620-2, 1625, 1627.

(3) Tang, Z.X., Shi, L.E., Aleid, S.M. (2013). Date fruit: chemical composition, nutritional and medicinal values, products. J Sci Food Agr, 93(10), 2351-61.

Vayalil, P.K. (2014). Bioactive compounds, nutritional and functional properties of date fruit. In: Siddiq M, Aleid SM, Kader AA (eds.) Dates: postharvest science, processing technology and health benefits. Chichester, UK: John Wiley & Sons Ltd. 42. Tang, Z.X

- (المعروف عندنا: تعطي الطبيبات الحديد وحامض الفوليك للحوامل لمنع حدوث فقر الدم).

ويحتوي على فيتامين K الذي يساعد على نمو الطفل، وعلى تطوير عظام قويّة، ويمكن أن يحسّن وظيفة العضلات والأعصاب.

- يحتوي التمر على العديد من الفيتامينات (A، B1، B2، B3، B6، B9 and C) المهمة لنمو الجنين. إذ تكون مهمّة لتصنيع الدنا DNA وأيضًا السكريّات والبروتينات والدهون ومضادة للأكسدة إذ تحمي الأنسجة^(١).

- يمكن أن يؤدّي استهلاك التمر إلى زيادة اتّساع عنق الرحم لحظات دخول غرفة الولادة، وتقليل مدة المخاض في المرحلتين الأولى والثانية من الولادة^(٢).

- تشير الدراسات المدعومة سابقًا إلى أنّ استخدام التمر، يؤدّي إلى ولادة أقصر، ويمكن أن يقلّل أيضًا من استخدام عقار الأوكسيتوسين وكميّة الدم أثناء المخاض^(٣).

(1) Apri Sulistianingsih، Istikomah، Wahyu Widayati، Indah Cahyaning Sasih، Rissa Uhmul Khasanah، Anisa Lestari (2023). Effect of Consumption Dates Fruit Atterm Pregnancy to Hormone Oxytocin and Labor Outcome in Pringsewu Regency، Lampung Province، Indonesia. Journal، 11(6)، 828-837.

(2) Nasiri M، Gheibi Z، Miri A، Rahmani J، Asadi M، Sadeghi O، Maleki V، Khodadošt M. Effects of consuming date fruits (Phoenix dactylifera Linn) on gestation، labor، and delivery: An updated systematic review and meta-analysis of clinical trials. Complement Ther Med. 2019 Aug;45:71-84.

(3) Kordi M، Meybodi FA، Tara F، Fakari FR، Nemati M، Shakeri M. Effect of Dates in Late Pregnancy on the Duration of Labor in Nulliparous Women. Iran J Nurs Midwifery Res. 2017 Sep-Oct;22(5):383-387. Kuswati K، Handayani R. "Effect of Dates Consumption on Bleeding، Duration، And Types of Labor،" J Midwifery. 2019; 4(1):1-8.



- وأظهرت دراسة أخرى أنّ تناول ستّ تمرات يوميًا خلال أواخر الحمل (الأسابيع الأربعة الأخيرة) يقلّل بشكل كبير من الحاجة إلى تحفيز الولادة وبذلك يقلّل من مدّة المخاض، ويزيد من توسّع عنق الرحم، ومعدّل الولادة الطبيعيّة^(١).

- التمر ليس صحيًا فحسب، ولكنّه آمن أيضًا للأكل أثناء الحمل. لا يوجد سبب للاعتقاد بأنّ التمر له تأثير سلبي خلال الأشهر الثلاثة الأولى أو الثانية أو الثالثة من الحمل. إنّ استخدام التمر على حمل المرأة لا يظهر أي سميّة أو خطر على الجنين والأم؛ لذلك يعتبر آمنًا للعلاج في نهاية الحمل^(٢).

التمر لعلاج فقر الدم أثناء الحمل

يعدّ فقر الدم الناجم عن نقص الحديد (IDA) أحد أخطر مشكلات الصحّة العامّة في العالم. ويمكن أن تؤدّي الـ IDA أثناء الحمل إلى مضاعفات خطيرة للأم والجنين. وبما أنّ العلاج الدوائي للتعويض عن الحديد كعلاج لفقر الدم الناجم عن نقص الحديد يمكن أن يسبّب آثارًا جانبية (الغثيان والإمساك والإسهال والبراز الأسود) التي يجبّد تجنّبها من قبل النساء الحوامل بسبب إزعاجها وخطورتها؛ لذا فإنّ العلاج البديل هو الأطعمة الغنيّة بالحديد، التي ينصح بها من قبل العاملين في المجال الصحيّ. ولم تتمّ دراسة فعالية الأطعمة الغنية بالحديد مثل التمر لعلاج IDA بشكل عميق. لذا فإنّ في هذه الدراسة تمّ اختيار عيّنة من ١٧ امرأة حامل في

(1) Al-Kuran OA, Mehaisen LA, Bawadi H, et al. The effect of late pregnancy consumption of date fruit on labour and delivery. J Obstet Gynaecol 2011;31:29-31.

(2) Ahmed M, Hwang JH, Choi S, Han D. Safety classification of herbal medicines used among pregnant women in Asian countries: a systematic review. BMC Complement Altern Med. 2017 Nov 14;17(1):489.



الأشهر الثلاثة الأولى، وتمّ قياس كمية الهيموجلوبين قبل وبعد التجربة. وقد أدّى استهلاك التمر إلى زيادة معنوية في تركيز الهيموجلوبين (p-Value ٠,٠١)؛ لذا توصي هذه الدراسة ذوي المهن الصحيّة بإعطاء التمر كعلاج وكوقاية من IDA أثناء الحمل. على الرغم من أنّ كمّيّة الحديد التي يوفرّها التمر ليست بقدر مكّمّلات الحديد، إلّا أنّ التمر يمكن أن يوفرّ العناصر الغذائيّة الأخرى اللازمة لتكوين الدم، والمهم أيضاً، يعتبر التمر خالي من الآثار الضارة بالمقارنة مع مكّمّلات الحديد الأخرى التي قد تضرّ الأمّ والطفل^(١).

التمر مهم لنمو الجنين:

في دراسات سابقة وضّحت بأنّ التمر يحتوي على كمّيّة جيدة من الحديد الضروري لتكوين الهيموغلوبين الذي يحمل الأوكسجين إلى خلايا الجنين. والحديد يمنع فقر الدم سواء للأمّ أو الجنين. ويحتوي التمر على الأملاح الضرورية لتكوين العظام وأنسجة الجنين الأخرى مثل الكالسيوم والبوتاسيوم والمغنيسيوم والفسفات^(٢).

فائدة التمر في حالة تسمّم الحمل Preeclampsia:

هو المشكلة الرئيسيّة والسبب الرئيسي لوفيات الأجنّة والأمّهات في جميع أنحاء العالم. إنّ التنبؤ المبكّر بتسمّم الحمل لدى النساء الحوامل أمر ضروري

(1) Yuniarti S, Bethasari M. Influences of Dates Consumption on Hemoglobin Concentration of Pregnant Woman at BPM Siti Fatimah Cimahi. International Seminar on Global Health (ISGH) 2017. Jenderal Achmad Yani Cimahi School of Health Sciences.

(2) Nehdi I, Omri S, Khalil MI, Al-Resayes SI, Characteristics and chemical composition of date palm (Phoenix canariensis) seeds and seed oil. Industrial Crops and Products, Volume 32, Issue 3, 2010, Pages 360-365. Saryono M, Rahmawati E. Effects of dates fruit (phoenix dactylifera l.) in the female reproductive process. International Journal of Recent Advances in Multidisciplinary Research. 2016; 03(7):1630-1633



لمنع حدوث مضاعفات تسمم الحمل. العامل الرئيسي المسبب للمضاعفات هو ارتفاع الضغط الشرياني. وقد تم تقسيم أربعين امرأة حامل بشكل عشوائي إلى المجموعة الضابطة (العدد = ١٠) ومجموعة التدخل اللاتي تناولن سبع تمرات يومياً من تمر العجوة (العدد = ٣٠). وتم قياس ضغط الدم قبل وبعد فترة التدخل لمدة ثمانية أسابيع. وأظهرت مجموعة التدخل انخفاضاً معنوياً كبيراً في ضغط الدم؛ لذلك اعتبر الباحثين إن الاستهلاك اليومي لسبعة تمرور عجوة لديه إمكانات ملحوظة لتقليل معدل ضغط الدم لدى النساء الحوامل المعرضات لخطر الإصابة بتسمم الحمل، ومن ثمّ يمكن أن يساهم في منع تطور تسمم الحمل^(١).

- وثقت بعض التجارب التي أجريت على الفئران بعدم تسجيل أيّ سمية أو آثار جانبية في الفئران حتى جرعة ٢٠٠٠ ملغم/كغم من مستخلص ثمار التمر ودون حدوث أيّ وفيات^(٢).

- وما نشر قبل أيام ٢٠٢٤ يوضح بأن تناول التمر عن طريق الفم في الفترة المحيطة بالولادة له رعاية تكاملية فعالة وآمنة لتسهيل الولادة وتحسين نتائج الفترة المحيطة بالولادة^(٣).

-
- (1) Royani I, As'ad S, Mappaware NA, Hatta M, Rabia. Effect of Ajwa Dates Consumption to Inhibit the Progression of Preeclampsia Threats on Mean Arterial Pressure and Roll-Over Test. Biomed Res Int. 2019 Dec 10;2019:2917895.
- (2) Vyawahare N, Pujari R, Rajendran R, Khsirsagar A, Ingawale D, Patil M. Neurobehavioral effects of Phoenix dactylifera in mice. JYoung Pharmacists 2009;1(3):225. Al-Snafi AE, Thuwaini MM. Phoenix dactylifera: traditional uses, chemical constituents, nutritional benefit and therapeutic effects. Traditional Medicine Research 2023;8(4):20.
- (3) Salajegheh Z, Nasiri M, Imanipour M, Zamanifard M, Sadeghi O, Ghasemi Dehcheshmeh M, Asadi M. Is oral consumption of dates (Phoenix dactylifera L. fruit) in the peripartum period effective and safe integrative care to facilitate childbirth and improve perinatal outcomes: a comprehensive revised systematic review and dose-response meta-analysis. BMC Pregnancy Childbirth. 2024 Jan 2;24(1):12.



إنّ هذه البحوث وبالذات الحديثة منها أعطت دلالات على عدم وجود تأثير سلبي لتناول التمر من قبل الحامل قبل شهرين أو ما يزيد من الولادة، وإنّما على العكس له تأثير وقائي من الإصابة من بعض أمراض الحمل وأهمها تسمّم الحمل وفقر الدم.

إعجاز تناول التمر (الرطب) خلال مدة الولادة:

المخاض هو من أكثر التجارب الفيزيولوجية إيلاماً وإرهاقاً في حياة المرأة. وإحدى الأولويّات القصوى لمعظم النساء الحوامل هي الحصول على ولادة سلسة. ويمكن استخدام الطرق الصيدلانية لتقليل الألم وجعل الولادة ممتعة ولكنها دائماً تصاحبها مضاعفات للأُم وللجنين. وهناك العديد من الأشياء التي قد تساعد في سهولة الولادة، ويقال إنّ التمر يساعد بشكل كبير. فقد وضّحت هذه الدراسة السريرية بأنّ متوسط شدّة آلام المخاض عند النساء اللواتي لم يلدن سابقاً والذين تناولن شراب التمر أقل بكثير من مجموعة التحكم^(١).

وفي دراسة أخرى تمّ تقسيم النساء الحوامل إلى قسمين منذ الأسبوع السابع والثلاثين؛ مجموعة تناولت فاكهة التمر (مجموعة التجربة) والأخرى تناولت الأكل العادي من دون التمر (مجموعة السيطرة)، لوحظ عند دخول النساء الحوامل إلى مستشفى الولادة بأنّ معدل توسّع عنق الرحم أكثر معنوياً عند مجموعة التجربة بالمقارنة مع مجموعة السيطرة. وإنّ نسبة نجاح حثّ الولادة عند مجموعة التجربة كان أكثر من مجموعة السيطرة. وتوصي هذه الدراسة على حثّ النساء الحوامل على تناول التمر في الأسابيع الأخيرة من الحمل وبالذات الأُمّ الحامل لأوّل مرّة^(٢).

(1) Taavoni S, Fathi L, Nazem Ekbatani N, Haghani H. The Effect of Oral Date Syrup on Severity of Labor Pain in Nulliparous. Shiraz E-Med J. 2018;20(1): e69207.

(2) Kordi, M., Aghaei Meybodi, F., Tara, F., Nemati, M., Taghi Shakeri, M. The Effect of Late Pregnancy Consumption of Date Fruit on Cervical Ripening in Nulliparous Women. *Journal of Midwifery and Reproductive Health*, 2014; 2(3): 150-156.



ولوحظ أيضًا بأنَّ شراب التمر تسبَّب في ارتفاع معدل تقدُّم الولادة الطبيعي؛ لذا يمكن استخدامه في أثناء المخاض لمنع حدوث الولادة لمدة طويلة، أي: إنَّ تناول شراب التمر يقلِّل من مدَّة المخاض، وكذلك يقلِّل من العمليات القيصرية^(١). يُعد تناول التمر في نهاية الحمل مهمًّا؛ لأنَّه يعمل على زيادة مستويات الأوكسيتوسين، وتصنيع اللَّبأ، وزيادة تقلُّصات المخاض، وتقليل مدَّة المخاض وانخفاض آلام المخاض. هذه الدراسة تجيب على فرضية في الدراسات السابقة التي أوضحت بأنَّ التمر قد يزيد الأوكسيتوسين الطبيعي، وبذلك يزيد تقلُّصات الرحم وتوسُّع عنق الرحم في مدَّة الولادة. وإنَّ وجود الأوكسيتوسين الطبيعي في التمر يمكن أن يقلِّل من الحاجة إلى الأوكسيتوسين العلاجي في مدَّة المخاض^(٢).

إنَّ خلاصة البحث الآتي توضِّح بأنَّ تناول الطعام (التمر وعصير البرتقال والماء) أثناء المخاض يمكن أن يقلِّل من مستوى الألم والقلق أثناء المخاض^(٣)، وفي بحث آخر لوحظ بأنَّ تناول (٧) تمرات وشرب ٣٠٠ مل من الماء خلال المرحلة الأولى من المخاض يقصِّر ان بشكل كبير من مدَّة المرحلتين الثانية والثالثة من المخاض دون أيِّ ضرر على الجنين والأم والوليد أو حتَّى طريقة الولادة^(٤)،

(1) Kordi M et al (2010) The Effect of Oral Honey- Date Syrup Intake during Labor on Labor Progress of Nulliparous Women. The Iran Journal of Obstetrics, Gynecology and Infertility, 13 (2). pp. 23-30

(2) Apri Sulistianingsih, Istikomah, Wahyu Widayati, Indah Cahyaning Sahih, Rissa Uhmul Khasanah, Anisa Lestari (2023). Effect of Consumption Dates Fruit Atterm Pregnancy to Hormone Oxytocin and Labor Outcome in Pringsewu Regency, Lampung Province, Indonesia. Journal, 11(6), 828-

(3) Bilandi RR, Khakbazan Z, Bahri N, Baloochi T, Khargani R. The effect of food intake during labor on pain and anxiety in pregnant women. Zahedan J Res Med Sci. 2012;13(8):e93776.

(4) Al-Dossari A.R., Ahmad E.R., Al Qahtani N.H. Effect of eating dates and drinking water versus IV fluids during labor on labor and neonatal outcomes. IOSR J Nurs Health Sci. 2017;6(4):86-94.



ووفقاً لنتائج دراسة أخرى للعام (٢٠١٧) نفسه، فإن تناول التمر في أواخر الحمل كان فعالاً في تقليل طول عمليات المخاض وتقليل الحاجة إلى الأوكسيتوسين لتسريع المخاض؛ لذلك ننصح بتناول التمر في نهاية الحمل ومن دون أيّ تردد^(١).

ويعدّ استهلاك شراب العسل والزعفران وشراب التمر فعالين في تقليل آلام المخاض، لكن شراب التمر في المرحلة الثانية من المخاض أكثر فاعليّة من شراب العسل والزعفران ويمكن استخدامه بدلاً من التدخّلات الدوائية لتقليل آلام المخاض وبالذات النساء اللاتي حملن أوّل مرّة^(٢).

ونلاحظ من نتائج هذا البحث الحديث بأن تناول عصارة التمر يمكن أن يقلّل من طول المرحلة النشطة للولادة؛ لذا فإنّ تقصير مدّة المخاض سوف يقلّل من عدد الساعات التي تتحمّلها الأم من الألم والقلق.

فائدة التمر من الناحية الهرمونيّة الأخرى:

قبل كلّ شيء نستذكر هنا وضع سيّدتنا مريم العذراء النفسي، إذ إنّها تمنّت الموت، ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]؛ لأنّها علمت أنّ الناس سيّتهموها ولا يصدّقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها، وهنّا تأتي الآية الكريمة: ﴿فَكُلِي واشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾، أي: كلي الرطب وتناولي الماء.

وتوضّح كثير من البحوث أنّ تناول السكرّيات (كالتمر) تعمل على تحفيز إفراز المواد الأفيونيّة الداخلية (الاندورفينات) وهذه بدورها تعمل كمسكّن للآلام

(1) Kordi M, Meybodi FA, Tara F, Fakari FR, Nemati M, Shakeri M. Effect of Dates in Late Pregnancy on the Duration of Labor in Nulliparous Women. Iran J Nurs Midwifery Res. 2017 Sep-Oct;22(5):383-387.

(2) Sohrabi H, Karimeh R, Ghaderkhani G, Shahoei R. [The effect of oral consumption of honey-saffron syrup with date syrup on labor pain in nulliparous women (Persian)]. Iran J Obstet Gynecol Infertil. 2022;25(2):67-78.



خلال فترة الولادة، وكذلك تعطي شعور بالسعادة والغبطة وإزالة الشعور بالقلق، أي: إنها تعطي نوع من الراحة النفسية والثقة بالنفس؛ لذلك أصبح عندها الجراحة بأخذ ابنها سيّدنا عيسى عليه السلام والرجوع إلى أهلها وعشيرتها^(١).

ومن الكتب المنهجية لعلم وظائف الأعضاء نلاحظ بأنّ الوظائف الرئيسة لهرمون الأوكسيتوسين عند النساء إنّه يفرز هرمون الأوكسيتوسين من الفصّ الخلفي للغدّة النخامية، إذ يسهّل عملية الولادة؛ لأنّه يقبض الرحم ويوسّع عنق الرحم، ويعمل على تدفق الحليب إلى فم المولود.

فائدة التمر ما بعد الولادة:

إنّ الرطب (التمر) يحتوي على مركّبات عضويّة مشابهة لهرمون الأوكسيتوسين؛ ولذلك فإنّه يعمل على تقلّص الرحم بعد الولادة والذي بدوره يسهّل من ولادة المشيمة. ولوحظ بأنّه يقلّل كمية النزيف بشكل ملحوظ مقارنة مع تناول الأوكسيتوسين العلاجي في الساعة الأولى بعد ولادة المشيمة؛ لذلك اعتبر استخدام التمر بالتمّ بعد الولادة مقلّلاً للنزيف أكثر من الأوكسيتوسين العضلي، وهو بديل جيّد في الولادة الطبيعيّة^(٢).

(1) Bergmann F، Lieblich I، Cohen E، Ganchrow JR. Influence of intake of sweet solutions on the analgesic effect of a low dose of morphine in randomly bred rats. Behav Neural Biol. 1985 Nov;44(3):347-53.

Erlanson-Albertsson C. Socker triggjar våra belöningssystem. Sött frisätter opiatier som sätter fart på sötsuget--insulin kan dämpa det [Sugar triggers our reward-system. Sweets release opiates which stimulate the appetite for sucrose--insulin can depress it]. Lakartidningen. 2005 23-29;102(21):1620-2، 1625، 1627.

(2) Khadem N، Sharaphy A، Latifnejad R، Hammod N، Ibrahimzadeh S. Comparing the efficacy of dates and oxytocin in the management of post-partum hemorrhage. Shiraz E Med J. 2007;8:64-71



وكذلك يعجّل ويسرّع من رجوع الرحم والمهبل إلى وضعه الطبيعي ما قبل الولادة^(١).

يساعد التمر في التأم الجروح:

من المعلوم أنّ انسلاخ المشيمة وولادتها يرافقه جروح في الرحم ممّا يسبّب نزيف لأيام بعد الولادة، وقد وضّحت دراسة أجريت على جروح مفتعلة ميكانيكيًا في الفئران، إذ عملت عصارة نخيل التمر على تسريع إلتئام الجروح، بواسطة زيادة تكاثر الخلايا وتعزيز الشفاء بشكل أسرع مقارنةً مع Cicaflora. تمتلك العصارة قدرة إجمالية عالية مضادة للأكسدة وتمارس نشاطًا جذريًا ملحوظًا في الكسح (التنظيف) للأنسجة التالفة^(٢).

يساعد التمر في درّ اللبن (الحليب):

يحتوي الرطب على كمية كبيرة من المواد النشويّة والبروتينية والأملاح التي منها الحديد والكالسيوم الضروريّة لتصنيع اللبن وبنفس الوقت تحسّن من نوعيّة حليب الثدي^(٣)، وقد أوضحت النتائج الأوليّة أنّ فاكهة التمر تزيد من كمية حليب

(1) Yamamoto RT, Foulds-Mathes W, Kanarek RB. Antinociceptive actions of peripheral glucose administration. *Pharmacol Biochem Behav.* 2014 Feb;117:34-9.

Saryono M, Rahmawati E. Effects of dates fruit (phoenix dactylifera l.) in the female reproductive process. *International Journal of Recent Advances in Multidisciplinary Research.* 2016; 03(7):1630-1633

(2) Abdennabi R, Bardaa S, Mehdi M, Rateb ME, Raab A, Alenezi FN, Sahnoun Z, Gharsallah N, Belbahri L. Phoenix dactylifera L. sap enhances wound healing in Wistar rats: Phytochemical and histological assessment. *Int J Biol Macromol.* 2016 Jul;88:443-50.

(3) Saryono M, Rahmawati E. Effects of dates fruit (phoenix dactylifera l.) in the female reproductive process. *International Journal of Recent Advances in Multidisciplinary Research.* 2016; 03(7):1630-1633



الثدي وكذلك من وزن المولود خلال الأيام السبعة الأولى بعد الولادة^(١)، بالإضافة لذلك، وجد سوياتي وآخرون عام ٢٠١٦ بأن تناول فاكهة التمر تساعد في دفع الحليب بعد الولادة. وقال: قد يكون هذا بسبب وجود مادة كيميائية في ثمرة التمر تتصرّف مثل هرمون الأوكسيتوسين، التي بدورها تعمل على تقلص العضلات الملساء المحيطة بأكياس الحليب مما يساعد على دفع الحليب إلى قنوات الحليب^(٢). ويؤيّد ما جاء أعلاه في دراسة حديثة عام ٢٠٢١ التي أوضحت أن التمر يزيد من إنتاج حليب الثدي للأم بعد الولادة^(٣).

ونستنتج ممّا سبق من هذه البحوث أن ثمرة التمر لا تزيد من كمية الحليب في الثدي فقط، وإنما تسرّع أيضًا من دفع الحليب للمولود بعد الولادة.

المحور الثاني: الإعجاز في مقولة سيّدنا عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ((حنكوا أولادكم بالتمر، فهكذا فعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ))
الإعجاز الهرموني والدماعي في تحنيك المولود:

يكون مستوى السكر بدم الجنين ١٠-٢٠ ملغم/١٠٠ مل أقل من مستوى السكر بدم الأم، وهذا يؤدّي إلى انسيابية السكر من الأم إلى الجنين.

(1) Sakka AB, Salama M, Salama K. The effect of fenugreek herbal tea and palm dates on breast milk production and infant weight. *J Pediatr Sci* 2014;6:e202.

(2) Suyati S, Siti RJ, Yuyun F. The Effect of Date Palm for the Smoothness of Breast Milk on Postpartum Maternal. In: The Proceeding of 7th International Nursing Conference: Global Nursing Challenges in The Free Trade Era, Surabaya, 2016.

(3) Dewi RK, Afifi DN, Awatiszahro A, Yulianti WD. (2021). The Effect of Dates (*Phoenix dactylifera*) on Breast Milk Production in Post-Partum Mother. Day 3-9. *Journal of Global Research in Public Health*, 6(1), 52-55.



فالأم الحامل يزداد عندها مستوى السكر في الدم نتيجة لزيادة بعض الهرمونات خلال الحمل؛ لهذا يرتفع السكر عند الجنين أيضاً؛ لذا يفرز البنكرياس هرمون الأنسولين لتقليل سكر الدم إلى المستوى الطبيعي، فتظهر المشكلة عندما تصاب الأم بمرض السكري خلال الحمل Gestational Diabetes ، والذي يؤدي إلى الارتفاع المفرط بسكر الدم وبصورة مزمنة (لأشهر)، يؤدي هذا إلى الارتفاع المزمن في سكر دم الجنين إلى ضخامة البنكرياس؛ لكي يفرز كميات أكثر من الأنسولين حتى يرجع سكر الدم إلى المستوى الطبيعي^(١).

وبعد الولادة لا يأتي سكر من دم الأم للجنين، والبنكرياس متضخم ويفرز كميات كبيرة من الأنسولين الذي قد يؤدي إلى انخفاض كبير وخطر في مستوى سكر الدم عند المولود الذي قد يؤدي إلى تلف الدماغ؛ لأنّ الغذاء الرئيسي للدماغ هو السكر. ولتأييد هذا الكلام نستشهد ببحث حديث يبيّن تأثير مرض السكري عند الأم الحامل على انخفاض مستوى السكر في دم المولود بعد الولادة^(٢)، ويشير البحث السريري إلى أنّ نقص السكر في الدم عند الأطفال حديثي الولادة يشكل عاملاً خطراً كبيراً لصعوبات التعلم، ونقص الانتباه، وتأخر النمو، وفرط النشاط، والصرع، والتوحد^(٣).

وفي بحث آخر حديث للعام ٢٠٢٣ وضح أنّ تعرّض الأطفال حديثي الولادة

(1) Alnoaemi Mohammed Chyad, Mohammed Faris Shalayel. Pathophysiology of Gestational Diabetes Mellitus: The Past, the Present and the Future. Gestational Diabetes. InTech; 2011.

(2) Daniel D. (2023). The Impact of Gestational Diabetes on the Offspring. The Science Journal of the Lander College of Arts and Sciences, 17(1), 43-52.

(3) Boardman JP, Wusthoff CJ, Cowan FM. Hypoglycaemia and neonatal brain injury. Arch Dis Child Educ Pract Ed. 2013 Feb;98(1):2-6.



لأمهات مصابات بداء السكري قبل الحمل لخطر زيادة الوزن والمشاكل العصبية، مثل صعوبات الرضاعة، وطول مدة الإقامة في المستشفى، والدخول إلى وحدة العناية المركزة لحديثي الولادة، ومتلازمة الضائقة التنفسية بسبب النقص في سكر الدم^(١). وهنا يتوضّح الإعجاز في تحنيك المولود بالتمر لكي يرفع مستوى السكر في دم المولود ومنع حدوث تلف دماغي أو مضاعفات مرضية أخرى وكما أمرنا به سيّدنا عليّ عليه السلام.

ومن ناحية أخرى تتوضّح فائدة تحنيك المولود بالتمر (الرطب)، إذ يحفّز التمر إفراز هرمون الإندورفين (المورفين الداخلي) الذي بدوره يخفّف الألم عند المولود من جراء اندعاص الرأس والجسد خلال عملية الولادة. ونظرًا لكون التمر يحفّز هذا الهرمون؛ لذا فإنه يخفّف الألم أيضًا عند أخذ عينات دم من المولود؛ لغرض إجراء بعض الفحوصات الطبية من الوريد أو من كعب القدم، وكذلك مفيد لعملية الختان. وكذلك أظهرت نتائج بعض الدراسات بأنّ مستخلص التمر يقلّل من فرط التآلم الحراري في الفئران، وهذا الفعل قد يكون مفيدًا لإزالة الألم الناتج عن اعتلال الأعصاب عند المرضى المصابين بداء السكري، أي: إنّ التمر يعمل على تقليل شدة الألم^(٢).

وتصف درجة أبغار APGAR Score حالة الطفل حديث الولادة وبعد الولادة مباشرة، إذ تعدُّ أداة لتقييم حالة المولود، وجد أحمد وجماعته عام ٢٠١٨ بأنّ

(1) Bamehrez M. Hypoglycemia and associated comorbidities among newborns of mothers with diabetes in an academic tertiary care center. Front Pediatr. 2023 Oct 13;11:1267248.

(2) Ahmed IE، Mirghani HO، Mesaik MA، Ibrahim YM، Amin TQ. Effects of date fruit consumption on labour and vaginal delivery in Tabuk، KSA. J Taibah Univ Med Sci. 2018 Nov 27;13(6):557-563.



نتيجة APGAR عند ٥ دقائق بعد الولادة أفضل بين الرضع الذين تناولت أمهاتهم ثمار التمر^(١).

ومّا كتبه هاريسون عام ٢٠٠٨: ((هناك العديد من المراجع التاريخية المتعلقة بالفوائد المسكّنة للألم بواسطة المواد الحلوة التي يعود تاريخها إلى عام ٦٣٢ م، عندما أوصى النبيّ محمد ﷺ بإعطاء الأطفال حديثي الولادة تمر ممضوغ جيّداً))^(٢)، كما ورد في مقولة سيدنا عليّ ؑ.

المحور الثالث: الإعجاز في مقولة سيدنا عليّ ؑ ((كلوا التمر فإنّ فيه شفاء من الأدوية))

بالإضافة إلى احتواء التمر على المكوّنات الغذائية الأساسية فإنّه يمتلك العديد من المواد العلاجية؛ لذلك يُعدّ دواءً غذائياً وطبيعيّاً واعدّاً بسبب سلامته، ومن ذلك:

١- الفائدة الطبّيّة للتمر في تخفيف ألم الدورة الشهرية:

متلازمة ما قبل الحيض (Premenstrual syndrome)

تعاني حوالي ٨٠٪ من النساء من آلام الدورة الشهرية التي تسمّى متلازمة ما قبل الحيض، إذ تميّز الدورة الشهرية عند الإناث بالألم، وبالذات في بداية حدوثها، والأكثر عند الإناث اللّاتي لم ينجبن من قبل^(٣)، فقد تؤدّي السكرّيات (الكربوهيدرات) كالتمر إلى زيادة السيروتونين في المخ، الذي بدوره يعمل على

(1) Ahmed IE, Mirghani HO, Mesaik MA, Ibrahim YM, Amin TQ. Effects of date fruit consumption on labour and vaginal delivery in Tabuk, KSA. J Taibah Univ Med Sci. 2018 Nov 27;13(6):557-563.

(2) Harrison DM. Oral sucrose for pain management in infants: Myths and misconceptions. Journal of Neonatal Nursing. 2008; 14(2): 39-46.

(3) Naraoka Y, Hosokawa M, Minato-Inokawa S, Sato Y. Severity of Menstrual Pain Is Associated with Nutritional Intake and Lifestyle Habits. Healthcare (Basel). 2023 Apr 30;11(9):1289.



تخفيف أعراض ما قبل الحيض وآلامه^(١)، وكذلك يحفز التمر المورفينات الداخلية التي بدورها تخفف شدة الألم، ومن خصائص ثمرة التمر هو تنظيم الدورة الشهرية وتقليل ألم الحيض^(٢).

٢- الفائدة الطبية للتمر فيما يخص الضعف الجنسي والعقم:

إن محلول فاكهة التمر يحسن من عدد الحيامن وحركتها وشكلها ومن نوعية الـ (DNA) التي تحتويه. وكذلك يزيد من حجم الخصية والبربخ، لكنه لا يزيد من حجم البروستات. وهذا بدوره سوف يزيد من قابلية الخصوبة عند الذكور^(٣)، وقد وضحت البيانات أن المستخلص المائي لحبوب لقاح التمر يعزز السلوك الجنسي في ذكور الجرذان. وقد يُعزى تحسّن الشهية الجنسية لدى ذكور الجرذان إلى القلويدات، والصابونين، أو الفلافونويدات؛ لأن هذه المواد الكيميائية النباتية تؤدي إلى الاحتقان، وتعزيز الأندروجين. وتدعم النتائج التي توصلنا إليها الاستخدام التقليدي لهذا النبات باعتباره مثبّراً للشهوة الجنسية ولعلاج ما قبل القذف والعجز الجنسي^(٤)، وتعمل حبوب الطلع للنخيل على تحسّن عدد الحيامن وحركتها وأشكالها، فمسحوق حبوب اللقاح للنخيل عنده قابلية كبيرة كمضاد للأوكسدة. وإن هذه الخاصية لها فعل إيجابي على منع حدوث وكذلك علاج العقم

(1) Murakami K, Sasaki S, Takahashi Y, Uenishi K, Watanabe T, Kohri T, Yamasaki M, Watanabe R, Baba K, Shibata K, Takahashi T, Hayabuchi H, Ohki K, Suzuki J. Dietary glycemic index is associated with decreased premenstrual symptoms in young Japanese women. Nutrition. 2008 Jun;24(6):554-61.

(2) Taavoni S, Fathi L, Nazem Ekbatani N, Haghani H. The Effect of Oral Date Syrup on Severity of Labor Pain in Nulliparous. Shiraz E-Med J. 2018;20(1): e69207.

(3) Bahmanpour S, Talaei T, Vojdani Z, Ghaemini M, Panjehshahin M, Poostpasand A, Zareei S. Effect of Phoenix dactylifera pollen on sperm parameters and reproductive system of adult male rats. Iran J Med Sci. 2006;31(4):208-212

(4) Abedi A, Parviz M, Karimian SM, Sadeghipour HR. 2013. Aphrodisiac Activity of Aqueous Extract of Phoenix dactylifera Pollen in Male Rats. Advances in Sexual Medicine, 2013, 3, 28-34



عند الرجال. إضافة لذلك فهو وجود الهرمونات مثل الكونادوتروبين gonadotropic (المنمي للقند) والإستيرويدات في حبوب الطلع للنخيل التي تلعب دورًا في علاج العقم عند الرجال^(١). وفي بحثٍ آخر، أدّى طلع نخيل التمر إلى زيادة معنويّة في نسبة الخصية أو البربخ إلى وزن الجسم وعدد الحيوانات المنويّة وحركتها ومستوى الاستراديول مقارنة بمجموعة السيطرة. كذلك لوحظ زيادة في مستويات هرمون ملوتن LH وهرمون التستوستيرون بشكل ملحوظ. ختامًا، تشير النتائج التي توصلنا إليها إلى أنّ طلع نخيل التمر يمكن أن يحسّن عوامل الخصوبة^(٢).

٣- فوائد للقلب والأوعية الدمويّة:

تعدّ أمراض القلب والأوعية الدمويّة مشكلة كبيرة ومتنامية في معظم المناطق في العالم، وبالذات أصبحت النوبات القلبية شائعة بشكل متزايد هذه الأيام، وسجّلت أمراض القلب أعلى نسبة في الوفيات عالميًا بحسب إحصائيّات منظمة الصحّة العالمية.

إنّ من فوائد تمر العجوة للقلب والأوعية الدمويّة هو احتوائها على فيتامين (B) الذي يلعب دورًا مهمًا في إزالة مستويات الهوموسيستين الضارّة في الدم، إضافة إلى أفعاله القويّة المضادة للأكسدة، وخافض لشحميّات الدم، ومضادّة للالتهابات ومضادّة لموت الخلايا المبرمج ضدّ تلف عضلة القلب. وهذا يؤيّد استخدام العجوة في الطبّ العربي التقليدي ضدّ أمراض القلب والأوعية الدمويّة^(٣).

(1) Tatar T, Akdevelioğlu Y. J Am Coll Nutr. 2018;37:154-160

(2) Mehraban F, Jafari M, Akbartabar Toori M, Sadeghi H, Joodi B, Mostafazade M, Sadeghi H. Effects of date palm pollen and Astragalus ovinus on sperm parameters and sex hormones in adult male rats. Iran J Reprod Med. 2014 Oct;12(10):705-12.

(3) Al-Yahya M, Raish M, AlSaid MS, Ahmad A, Mothana RA, Al-Sohaibani M, Al-Dosari MS, Parvez MK, Rafatullah S. 2016 Oct 15;23(11):1240-8.



(٥). فالاستهلاك المنتظم لتمر العجوة يحافظ على قوّة الأوعية الدموية ويقوي القلب ويحسن وظائفه.

٤ - النشاط المضاد لمرض السكري:

يحتوي التمر على مركّبات الفلافونويد والسابونين والستيرويدات والفينول، وهذه المركّبات لها القدرة على منع نشاط مرض السكري وتسبب تحسّناً في الاعتلال العصبي السكري على معدّل الإصابة بالسكري الناجم عن الستربتوزوسين. ويعتقد معظم العلماء وعامة الناس أنّ مرضى السكري يجب أن يقلّلوا أو يتجنّبوا استخدام ثمرة التمر بسبب محتواها العالي من السكريات الأحادية مثل الجلوكوز والفركتوز. ومع ذلك، لم يتمّ العثور على أية آثار ضارّة على الجلوكوز في الدم أو يرتبط بانتشار مرض السكري من النوع الثاني^(١).

وفي الواقع يمكن لمكوّنات ثمرة التمر أن تساهم في علاج مرض السكري وتأخير تطوّر المضاعفات المرتبطة بمرض السكري^(٢)، ومن فوائد تمر العجوة لمرضى السكري أنّ المؤشّر الجلايسيمي (السكري) لديهم منخفض، ممّا يعني أنّ تناول تمر العجوة لا يسبّب ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة السكر في الدم، كما يمنع التمر امتصاص الجلوكوز ويزيد من إنتاج الأنسولين^(٣)، ويؤثّر التمر على مستقبل أنسجة البنكرياس نتيجة لزيادة إنتاج الأنسولين وتثبيط امتصاص الأمعاء للجلوكوز^(٤)؛ إذ

(1) Martín-Sánchez, A.M., Cherif, S., Ben-Abda, J. (2014). Phytochemicals in date co-products and their antioxidant activity. Food Chem, 158, 513– 520.

(2) Al-Farsi MA, Lee CY. Nutritional and functional properties of dates: a review. Crit Rev Food Sci Nutr. 2008;48(10):877-87.

(3) Al-Turki, S., Shahba, M.A., Stushnoff, C. (2010). Diversity of antioxidant properties and phenolic content of date palm (Phoenix dactylifera L.) fruits as affected by cultivar and location. J Food Agri Environ, 8, 1-2

(4) Al-Farsi, M., Alasalvar, C., Morris, A., Baron, M., Shahidi, F. (2005). Comparison of antioxidant activity, anthocyanins, carotenoids, and phenolics of three native fresh and sun-dried date (Phoenix dactylifera L.) varieties grown in Oman. J Agri Food Chem. 53(19), 7592-99.



يتكوّن تمر العجوة من سكر الفركتوز، وهو سكر يحتوي على أقلّ مؤشّر نسبة السكر في الدم بين السكر الطبيعي، ولهذا السكر دور فعّال في الحفاظ على نسبة السكر في الدم لدى مرضى السكري^(١).

٥- النشاط المضادّ للسرطان:

تمّ عزل مادة الجلوكان من التمور الليبية، وتمّ تشخيص تركيب الجلوكان المنقى باستخدام طرق الاشتقاق بما في ذلك المثيلة، وأكسدة البيريدويت، والتحليل الأسيوني. إذ تمّ العثور على مادّة الجلوكان ذات النشاط القوي المضاد للأورام، ويمكن أن يُعتبر هذا هو التقرير الأوّل عن دراسة المركبات النشطة المضادة للأورام الموجودة في التمر^(٢)، إذ تمّ تقييم النشاط المضادّ للسرطان لمستخلص التمر الهيدروإيثانولي، حيث منع المستخلص من تكاثر الخلايا السرطانية^(٣).

وسبّب مستخلص ثمرة التمر تثبيط الطفرات التي يسببها البنزين على السالمونيلا والتي تكون بصورة طردية مع ازدياد الجرعة، إضافة لذلك قام المستخلص بتثبيط تكاثر الخلايا السرطانية عن طريق إيقاف دورة الخلية cell cycle وتحرّض موت الخلايا المبرمج apoptosis^(٤).

(1) Vayalil, P.K. (2014). Bioactive compounds, nutritional and functional properties of date fruit. In: Siddiq M, Aleid SM, Kader AA (eds.) Dates: postharvest science, processing technology and health benefits. Chichester, UK: John Wiley & Sons Ltd. 42. Tang, Z.X

(2) Ishurda, O., & John, F.K. (2005). The anti-cancer activity of polysaccharide prepared from Libyan dates. Carbohydr Polymers, 59; 531- 535.

(3) El Abed H, Chakroun M, Abdelkafi-Koubaa Z, et al. Antioxidant, Anti-Inflammatory, and Antitumoral Effects of Aqueous Ethanolic Extract from Phoenix dactylifera L. Parthenocarpic Dates. BioMed Res Int 2018;2018:1-7.

(4) Khan F, Ahmed F, Pushparaj PN, et al. Ajwa Date (Phoenix dactylifera L.) Extract Inhibits Human Breast Adenocarcinoma (MCF7) Cells In Vitro by Inducing Apoptosis and Cell Cycle Arrest. PLoS One 2016;11(7):e0158963.



وكذلك لوحظ أنّ لمستخلص أوراق النخيل الكحولي المائي تأثير مضادّ لسرطان الجلد البشري إذ تمّ تثبيط نمو خطّ الخلية^(١).

وعند دراسة تحفيز موت الخلايا المبرمج بواسطة المستخلص الإيثانولي للّبّ تمر العجوة لوحظ بأنّ المستخلص تسبّب في تثبيط كبير يعتمد على الجرعة والوقت لنمو خلايا سرطان الكبد البشريّة^(٢)، وتمّت دراسة التأثير الوقائي لمستخلص نواة التمر ضدّ سرطان القولون الناجم عن الآزوكسي ميثان والإجهاد التأكسدي في الجرذان، إذ يحتوي مستخلص نواة التمر على مغذّيات نباتيّة قادرة على تثبيط الإجهاد التأكسدي المستحث كيميائيّاً في الخلايا القولونية للفئران^(٣)، وتمّ تحضير جزيئات الذهب والفضة النانوية من مستخلص طلع نخيل التمر. حيث وجد بأنّها تمتلك تأثيراً مضاداً للسرطان ضد خلايا MCF، حيث قام المستخلص بتثبيط البروتين المضادّ لموت الخلايا المبرمج Apoptosis وتحفيز البروتين المؤيّد لموت الخلايا المبرمج^(٤)، بالإضافة إلى ذلك، تُظهر مكوّنات ثمرة التمر نشاطاً مضاداً للأورام، الذي ثبت أنه مرتبط بوجود مادة الجلوكان^(٥) Glucan.

- (1) Chakroun M, Khemakhem B, Mabrouk HB, et al. Evaluation of anti-diabetic and anti-tumoral activities of bioactive compounds from Phoenix dactylifera L's leaf: In vitro and in vivo approach. Biomed Pharmacother 2016;84:415–422.
- (2) Siddiqui S, Ahmad R, Khan MA, Upadhyay S, Husain I, Srivastava AN. Cytostatic and Anti-tumor Potential of Ajwa Date Pulp against Human Hepatocellular Carcinoma HepG2 Cells. Sci Rep 2019;9(1).
- (3) Waly MI, Al-Ghafri BR, Guizani N, Rahman MS. Phytonutrient Effects of Date Pit Extract against Azoxymethane-Induced Oxidative Stress in the Rat Colon. Asian Pac J Cancer Prevent 2015;16(8):3473–3477.
- (4) Banu H, Renuka N, Faheem SM, et al. Gold and Silver Nanoparticles Biomimetically Synthesized Using Date Palm Pollen Extract-Induce Apoptosis and Regulate p53 and Bcl-2 Expression in Human Breast Adenocarcinoma Cells. Biol Trace Elem Res 2018;186(1):122–134.
- (5) Rahmani A.H., Alzohairy M., Babiker A.A.Y., Khan A.A., Aly S.M., & Rizvi M.A. (2013). Implication of androgen receptor in urinary bladder cancer: a critical mini review. Int J Mol Epidemiol Genet, 4; 150-155.



يتبيّن ممّا سبق أنّ شجرة النخيل المباركة لها تأثير مضادّ للسرطان سواء عن طريق المواد الموجودة في ثمرتها أو في نواتها أو في أوراقها أو حتّى في طلعتها.

٦- فوائد التمر الوقائيّة للأعصاب والدماغ:

توفّر ثمار نخيل التمر حماية محتملة ضدّ الالتهابات والإجهاد التأكسدي في الدماغ. ويحتوي التمر على المكوّنات الآتية: (هيدروكسي سيناميت، حمض الغاليك، حمض الفيروليك، أحماض مونوهيدروكسي بنزويك، الفلافونات وألّفا سينوكلين، والأنثوسيانين) التي تمنع تكوين السيتوكينات المسبّبة للالتهابات، وبتيدات بيتا أميلويد وألّفا سينوكلين، وتزيد من تركيزات الطاقة ATP في الدماغ، ممّا يؤدّي إلى الوقاية من الأمراض التنكّسية العصبية neurodegenerative diseases. وبما أنّ ثمرة التمر تحتوي على نشاط مضادّ للأكسدة وهذا الفعل مفيد للنشاط الوقائي الدماغية^(١).

ومن ناحية أخرى، أدّى العلاج باستخدام المستخلصات المائية لفاكهة التمر إلى تحسّن كبير في التغيّرات السلوكية العصبية بالإضافة إلى تحسّن كبير في الإجهاد التأكسدي في المخيخ والحصين. والاستنتاجات توضح بأن تناول المستخلصات المائية لفاكهة التمر يؤدّي إلى تحسّن الأعراض الشبيهة بالتوحّد الناجمة عن حمض فالبرويك valproic acid في الفئران عن طريق تخفيف الإجهاد التأكسدي^(٢).

وعند دراسة إمكانية نواة نخيل التمر في تقليل التأثير الضارّ لميثيل بريدنيزولون

(1) Essa MM, Akbar M, Khan MA. Beneficial effects of date palm fruits on neurodegenerative diseases. Neural Regen Res. 2016 Jul;11(7):1071-2.

(2) Hussein AM, Mahmoud SA, Elazab KM, Abouelnaga AF, Abass M, Mosa AAH, Hussein MAM, Elsayed MEG. Possible Mechanisms of the Neuroprotective Actions of Date Palm Fruits Aqueous Extracts against Valproic Acid-Induced Autism in Rats. Curr Issues Mol Biol. 2023 Feb 14;45(2):1627-1643.



على الناقلات العصبية في الدماغ وهرمون التستوستيرون في الجرذان، تم تسجيل أقصى ارتفاع في محتوى ناقلات حمض غاما أمينوبوتيريك والدوبامين والنورإبينفرين (الذي انخفض بواسطة ميثيل بريدينزولون) في جذع الدماغ بعد تناول نخيل التمر عن طريق الفم لمدة أسبوعين. كما أدت حفر نخيل التمر إلى رفع مستوى هرمون التستوستيرون في الدم بشكل ملحوظ^(١).

كذلك تم دراسة دور مستخلص نوى التمر في الحماية من الأضرار الدماغية الناجمة عن انسداد الشريان الدماغى الأوسط في الجرذان. إذ أدى انسداد الشريان الدماغى الأوسط إلى انخفاض ملحوظ في نشاط SOD وإجمالي أنشطة مضادات الأكسدة. كما انخفض التنسيق الحركي بسبب نقص التروية الدموية، وقد أدى العلاج بالمستخلص إلى تخفيف جميع التغيرات وتقليل تلف الخلايا العصبية الناجم عن الانسداد^(٢)، ولوحظ أيضًا أن بعض الفئران المعدلة وراثيًا فقدت الذاكرة وظهرت عليها أعراض تشبه مرض الزهايمر، بينما الفئران المعدلة وراثيًا التي تناولت مع الغذاء ثمرة التمر التي بدورها قللت من ترسب بروتين بيتا أميلويد في الدماغ المسبب لمرض الزهايمر وهذا أدى الى تأخير ظهور أو إبطاء تطوّر مرض الزهايمر، أي: كان لثمرة التمر فعالية مفيدة في تقليل المخاطر أو تأخير ظهور مرض

(1) Saddiq AA، Bawazir AE. Antimicrobial activity of date palm (*Phoenix dactylifera*) pits extracts and its role in reducing the side effect of methyl prednisolone on some neurotransmitter content in the brain، hormone testosterone in adulthood. *Acta Horti* 2010;(882):665–690.

Al-Snafi AE، Thuwaini MM. *Phoenix dactylifera*: traditional uses، chemical constituents، nutritional benefit and therapeutic effects. *Traditional Medicine Research* 2023;8(4):20.

(2) Kalantarip TP، Asadi-Shek M، Basiri M، Najar AG. Cerebroprotective Effect of Date Seed Extract in Male Rats. *J Biol Sci* 2012;12(3):180–185.



الزهايمر أو إبطاء تقدّمه، أي: إنّ التمر يحسّن الذاكرة والتعلّم والحركة المنسّقة، وخفض مستويات القلق^(١).

ويعزى هذا الفعل إلى كون ثمرة التمر غنية بالمواد المضادّة للتأكسد مثل انثوسيانين، وحمض الكافاين، وحمض الفيروول وحمض بروتوكاتيجك. والتي تحمي الجهاز العصبي.

٧- يحسّن صحّة العظام:

التمر غنيّ بالسيليونيوم والمنغنيز والنحاس والمغنيسيوم، وكلّها ضروريّة عندما يتعلّق الأمر بالحفاظ على صحّة عظامنا ومنع حالات مثل هشاشة العظام. إذ تؤدّي هشاشة العظام إلى أن تصبح العظام ضعيفة وهشة نتيجة السقوط أو حتّى الإجهاد الخفيف. وتحتوي ثمار التمر على عناصر غذائية تشمل البوتاسيوم والمغنيسيوم وحمض الفوليك والسيليونيوم والألياف وفيتامين C المفيد للعظام^(٢).

٨- يحسّن صحّة الجهاز الهضمي:

تحتوي ثمرة التمر على مادة البكتين التي تمتلك تأثيرًا وقائيًا ضدّ السموم، ويعود تأثيره الوقائي إلى قابليته للارتباط بالسموم ومنع امتصاصها؛ ولأنّه يمتصّ ويمنع امتصاص السموم البكتيرية يستخدم لعلاج الإسهال^(٣).

(1) Subash S, Essa MM, Braidy N, Awlad-Thani K, Vaishnav R, Al-Adawi S, Al-Asmi A, Guillemin GJ. Diet rich in date palm fruits improves memory, learning and reduces beta amyloid in transgenic mouse model of Alzheimer's disease. J Ayurveda Integr Med. 2015 Apr-Jun;6(2):111-20.

(2) Naureen I, Saleem A, Rana NJ, Ghafoor M, Ali FM, Murad N. Potential Health Benefit of Dates Based on Human Intervention Studies: A Brief Overview. Haya Saudi J Life Sci. Mar, 2022; 7(3): 101-111

(3) Al-Shahib W, Marshall RJ. The fruit of the date palm: its possible use as the best food for the future? Int J Food Sci Nutr. 2003 Jul;54(4):247-59.



وكذلك أظهرت نتائج هذه الدراسة أنّ المستخلص المائي لسعف النخيل يحتوي على مواد فعّالة دوائياً مع خصائص مضادّة للإسهال في الجرذان. وهذه الخصائص قد تفسّر أهميّة الاستخدام الفعّال للنبات كعامل مضادّ للإسهال في الطب التقليدي^(١).

٩- التمر لعلاج الإمساك:

من المعروف منذ القدم أنّ للتمر تأثيراً مليناً، وقد يكون تأثيره الملين بسبب محتواه من الألياف، إذ تؤدّي الألياف إلى امتصاص الماء وزيادة حجم البراز، ممّا يحفّز حركة الأمعاء. ويحتاج الإنسان البالغ إلى ٦ غرام من الألياف يومياً، ولوحظ أنّ هذه الكمية تقلّل من مدّة مرور البراز في الأمعاء بنسبة ٢٩٪ وتزيد من وزن البراز بنسبة ٢١٪^(٢)، وتشير نتائج هذا البحث إلى أنّ مستخلص لب التمر وعصير النخيل لهما تأثير محفّز على نشاط الجهاز الهضمي لدى الجرذان، وتؤكد استخدامهما في الطبّ التونسي التقليدي لعلاج الإمساك^(٣)، وقد تمّ تحديد محتوى الفلافونويد والفينول والألياف الغذائية والمعادن على أنّها العناصر الفاعلة المحتملة التي تساهم بشكل جماعي في الخصائص المليّنة لثمرة التمر^(٤).

(1) Al-Taher AY. Possible antidiarrheal effect of the date palm (*Phoenix Dactylifera* L) spathe aqueous extract in rats. *Sci J King Faisal Uni.* 2008;9(1):131-8.

(2) Burkitt DP. Dietary Fiber and Disease. *JAMA* 1974;229(8):1068.

(3) Souli A, Sebai H, Rtibi K, Chehimi L, Sakly M, Amri M, El-Benna J. Effects of dates pulp extract and palm sap (*Phoenix dactylifera* L.) on gastrointestinal transit activity in healthy rats. *J Med Food.* 2014 Jul;17(7):782-6.

(4) Camilleri E, Blundell R, Cuschieri A. Deciphering the anti-constipation characteristics of palm dates (*Phoenix dactylifera*): a review. *International Journal of Food Properties.* 2023; 26(1):65–80



١٠ - يحسّن صحّة الكبد:

العلاج بالمستخلص المائي لفاكهة التمر أو نوى التمر أدّى إلى انخفاض معنوي ملحوظ في تركيز البيليروبين في الدم وتحسين تلف الكبد التركيبي والنسيجي في الفئران التي عولجت بمادّة رباعي كلوريد الكربون CCl₄. وتشير هذه الدراسة إلى تلف الكبد الناجم عن CCl₄ في الجرذان يمكن تحسينها عن طريق العلاج بالمستخلصات من التمر أو نواته^(١).

وعلى وجه الخصوص، تمّ العثور على زيادة في أنشطة ديسموتاز الفائق أكسيد (SOD) والجلوتاثيون بيروكسيداز (GPx) بواسطة الديقيمثوات بينما انخفض نشاط الكاتالاز (CAT) بشكل ملحوظ. وقد ترافقت هذه التغيّرات البيوكيميائية مع تغيّرات نسيجية تميّزت بظهور تفرّغ ونخر واحتقان والتهاب وتضخّم الجيوب في قسم الكبد. أعادت المعالجة المسبقة بمستخلص ثمار نخيل التمر تلف الكبد الناجم عن الديقيمثوات، كما يتّضح من تثبيط بيروكسيد الدهون الكبدي، وتحسين أنشطة SOD، وGPx، وCAT، وتحسين التغيّرات التشريحية المرضيّة، وتشير النتائج الحاليّة إلى أنّ ثمار نخيل التمر في الجسم الحي قد تكون مفيدة للوقاية من التسمّم الكبدي الناجم عن الإجهاد التأكسدي^(٢).

(1) Al-Qarawi AA, Mousa HM, Ali BEH, Abdel-Rahman H, El-Mougy SA. "Protective effect of extracts from dates (*Phoenixdactylifera* L.) On carbon tetrachloride-induced hepatotoxicity in rats". *Int J Appl Res Vet Med.* 2004; 2(3): 176–180.

(2) Saafi EB, Louedi M, Elfeki A, Zakhama A, Najjar MF, Hammami M, et al. Protective effect of date palm fruit extract (*Phoenix dactylifera* L.) on dimethoate induced-oxidative stress in rat liver. *Exp Toxicol Pathol.* 2011;63:433–41.



١١ - النشاط المضاد للتسمم الرئوي:

تم دراسة التأثير الوقائي لعصارة نخيل التمر على تليّف الرئة الناجم عن البليوميسين bleomycin في الجرذان، زاد البليوميسين من بيروكسيد الدهون ومستويات ديسموتاز الفائق أكسيد SOD وانخفض نشاط الكاتالاز CAT. كما إنّه يسبّب الالتهاب وتراكم حزم الكولاجين في الرئة. وقد أعادت عصارة نخيل التمر المستويات الطبيعية لنشاط الكاتالاز ديسموتاز الفائق أكسيد، مع انخفاض مستوى الهيدروكسي بربولين، وقلة التلف النسيجي الناجمة عن البليوميسين^(١).

١٢ - النشاط المضاد للتسمم الكلوي:

كان لثمرة التمر ونواتها فعالية معنوية في تقليل الزيادات في تركيزات الكرياتينين واليوريا في البلازما الناتجة عن التسمم الكلوي بالجنتاميسين وقلل من تلف النبيبات الكلوية، وقد أدى العلاج بمستخلص ثمرة نخيل التمر (دقلة نور) وكذلك بفيتامين C بشكل ملحوظ ($P < 0.05$)، إلى عكس المؤشرات الكلوية في المصل إلى مستوياتها شبه الطبيعية عند مقارنتها بالجرذان المعالجة بالديميثوات. بالإضافة إلى ذلك، أدى مستخلص التمر من نوع (دقلة نور) وفيتامين C إلى تقليل بيروكسيد الدهون بشكل كبير، واستعادة إنزيمات الدفاع المضادة للأكسدة في الكلى، وتحسين التغيرات التشريحية المرضية. وتشير النتائج الحالية إلى أنّ ثمار نخيل التمر في الجسم الحي قد تكون مفيدة للوقاية من التسمم الكلوي الناجم عن الإجهاد التأكسدي^(٢).

(1) Bahri S, Abdennabi R, Mlika M, Neji G, Jameleddine S, Ali RB. Effect of Phoenix dactylifera L. Sap Against Bleomycin-Induced Pulmonary Fibrosis and Oxidative Stress in Rats: Phytochemical and Therapeutic Assessment. Nutr Cancer 2019;71(5):781-791.

(2) Saafi-Ben Salah EB, El Arem A, Louedi M, Saoudi M, Elfeki A, Zakhama A, Najjar MF, Hammami M, Achour L. Antioxidant-rich date palm fruit extract inhibits oxidative stress and nephrotoxicity induced by dimethoate in rat. J Physiol Biochem. 2012;68(1):47-58.



وكذلك تمّ فحص تأثير العلاج بالمستخلص المائي لحبوب لقاح نخيل التمر على الباراسيتامول الذي تسبّب في تلف الكبد والكلية في الجرذان، وقد بينت النتائج وجود تأثيرات وقائية للكبد والكلية للعلاج بواسطة حبوب اللقاح للتمر، ويعزى السبب إلى وجود مركّبات ذات خصائص قوية مضادّة للأكسدة^(١)، فقد تمّ إعطاء جرعة سميّة من المضاد الحيوي ازيثرومايسين لبعض الأرناب لتعطيل عمل الكبد والكلية، فلو حظ أن المجموعة التي أعطيت المستخلص المائي والإيثانولي لثمرة التمر حصل عندهم تحسّن معنوي في شحوم الدم وكذلك تحسّن معنوي في فحوصات وظائف الكبد والكلية بالمقارنة مع مجموعة ازيثرومايسين التي لم تعطّ مستخلص التمر^(٢).

١٣ - التأثير المضاد للأكسدة:

تلعب خصائص مضادات الأكسدة الموجودة في ثمرة التمر ومنها العجوة، دوراً مهمّاً في حماية البشر من خلال عملها كمضادّة وكمزيلة للجذور الحرّة والقضاء عليها^(٣)، والجذور الحرّة هي المكوّنات الأكثر نشاطاً حيث تؤدّي إلى الأكسدة الخلوية، ممّا يسبّب تلف الخلايا البشرية، إضافة إلى فعلها المسرطن^(٤).

(1) Al-Asmari, A.K., Al-Said, M.S., Abbasmanthiri, R. et al. Impact of date palm pollen (*Phoenix dactylifera*) treatment on paracetamol-induced hepatorenal toxicity in rats. *Clin Phytosci.* 2020; 6: 16.

(2) Ahmed M, Hwang JH, Choi S, Han D. Safety classification of herbal medicines used among pregnant women in Asian countries: a systematic review. *BMC Complement Altern Med.* 2017; 14:17(1):489.

(3) Ishurd O, Sun C, Xiao P, Ashour A, Pan, Y. A neutral beta-D-glucan from dates of the date palm, *Phoenix dactylifera* L. *Carbohydr Res.*2002; 337:1325-8

Rahmani, A.H., Alzohairy, M., Babiker, A.A.Y., Khan, A.A., Aly, S.M., & Rizvi, M.A. (2013). Implication of andro- gen receptor in urinary bladder cancer: a criti- cal mini review. *Int J Mol Epidemiol Genet*, 4; 150-155.

(4) Rahmani A, Alzohairy M, Khadri H, Mandal AK, Rizvi, MA. Expressional evaluation of vascular endothelial growth factor protein in urinary bladder carcinoma patients exposed to cigarette smoke. *Int J Clin Exp Pathol.* 2012; 5: 195202.



وتمّ تقييم التأثير المضادّ للأكسدة لمستخلص فاكهة التمر، إذ أظهرت الأصناف المختلفة للتمر تأثيرات مختلفة مضادّة للأكسدة، وتسجيل الحدّ الأقصى لنشاط مضادات الأكسدة الكلية في البسر، تليها المرحلة غير الناضجة، وقد وجد أنّ الانخفاض الحاد في نشاط مضادات الأكسدة يرتبط بنضج الثمار، وأنّ لهذه المستخلصات نشاطاً قوياً للكسح (التنظيف) إذ تنظّف جذور الاوكسيجين العالية والتي تعمل على تلف الأنسجة^(١).

١٤ - تأثيرات مضادة للالتهابات:

أظهرت المستخلصات المائية والميثانولية من لبّ ثمرة نخيل التمر والمستخلص الميثانولي لبذور نخيل التمر تأثيراً مضاداً للالتهابات في نموذج التهاب المفاصل في الجرذان. إذ إنّ مستخلص الميثانول له نشاط مضاد للالتهابات أكثر قوّة من تلك التي ينتجها المستخلص المائي. وتعمل مادة البوليفينول في شراب التمر على قمع الالتهاب وتقليل التغيّرات النسيجية الناتجة من الالتهابات كتكوين أوعية دموية جديدة وهجرة الخلايا البيضاء، ومن دون حدوث أيّ سميّة خلويّة^(٢)، وتعمل مادة البوليفينول في شراب التمر على قمع الالتهاب وتقليله لمرحل تكوين الأوعية الدموية

(1) Allaith AAA. Antioxidant activity of Bahraini date palm (*Phoenix dactylifera* L.) fruit of various cultivars. *Int J Food Sci Technol* 2008;43(6):1033–1040.

(2) Samad MA, Hashim SH, Simarani K, Yaacob JS. Antibacterial Properties and Effects of Fruit Chilling and Extract Storage on Antioxidant Activity, Total Phenolic and Anthocyanin Content of Four Date Palm (*Phoenix dactylifera*) Cultivars. *Molecules*. 2016 Mar 26;21(4):419.

El Abed H, Chakroun M, Abdelkafi-Koubaa Z, et al. Antioxidant, Anti-Inflammatory, and Antitumoral Effects of Aqueous Ethanolic Extract from *Phoenix dactylifera* L. Parthenocarpic Dates. *BioMed Res Int* 2018;2018:1–7.



المصاحبة للالتهابات، ومن دون حدوث السميّة الخلويّة^(١).

١٥ - التأثير المناعي:

حفّزت ثمار التمر المناعة الخلطيّة (إنتاج الأجسام المضادّة) بدرجة أكبر من المناعة الخلويّة. وتوفّر هذه الملاحظة أساساً علمياً لتغذية التمر للأمّهات بعد الولادة وللمعاقين ذوي الحالة المناعية الضعيفة نسبياً^(٢)، وعند فحص التأثير المضاد للحساسية لمستخلص الماء الساخن من نخيل التمر الناضج، في الفئران الحساسة للعثّ لوحظ أنّ فرك الأنف والعطس أقلّ بكثير من ذلك المسجّل في السيطرة، وكذلك النقصان في الجلوبيولين المناعي الخاصّ بمستضدّ العثّ^(٣).

١٦ - التأثيرات المضادّة للسموم:

بالإضافة إلى محتواه العالي من البكتين الذي يتميّز بقدرته على امتصاص السموم، كما أنّه يغطّي الغشاء المخاطي للأمعاء ويمنع امتصاصها^(٤)، وتتمتّع مركّبات الفلافونويد الموجودة في التمر بتقارب قويّ لأيونات المعادن الثقيلة؛

(1) Taleb H, Morris RK, Withycombe CE, Maddocks SE, Kanekanian AD. Date syrup – derived polyphenols attenuate angiogenic responses and exhibits anti-inflammatory activity mediated by vascular endothelial growth factor and cyclooxygenase-2 expression in endothelial cells. Nutr Res 2016;36(7):636–647.

(2) Puri A, Sahai R, Singh KL, Saxena RP, Tandon JS, Saxena KC. Immunostimulant activity of dry fruits and plant materials used in Indian traditional medical system for mothers after child birth and invalids. Journal of Ethnopharmacology. 2000; 71(1-2): 89-92.

(3) Karasawa K, Otani H. Anti-Allergic Properties of a Matured Fruit Extract of the Date Palm Tree (Phoenix dactylifera L.) in Mite-Sensitized Mice. J Nutr Sci Vitaminol 2012;58(4):272–277.

(4) Tyler VE, Brady LR, Robbers JE. Pharmacognosy. 9th ed. Lea and Febriger, Philadelphia;1988:54–56.



ولذلك يحتوي التمر على العديد من الجزيئات النشطة التي لها القدرة على الارتباط بالسموم وتثبيط امتصاصها، ويعمل على تبطين الأمعاء ويمنع امتصاص السموم^(١).

١٧ - النشاط المضاد للشحوم:

تم إعطاء الفئران غذاء غنياً بالكوليسترول مما أدى إلى الزيادة في وزن الجسم وتضخم الكبد وزيادة الدهون في مصل الدم والكبد، وانخفاض البروتين الدهني عالي الكثافة HDL. وعند إعطاء مستخلص البولييفينول لتمر العجوة عن طريق الفم، لوحظ انخفاض في وزن الجسم والكبد، وقلّة الدهون في الكبد وتحسين مستوى البروتين الدهني عالي الكثافة وازدياد نشاط الأنزيم المضادّ للأكسدة بشكل ملحوظ^(٢).

وفي دراسة أخرى تسببت التغذية المزمنة لمستخلصات بذور التمر (بجرعة ٢٠٠ ملغم/ كغم) للجردان التي تتغذى بشكل متزامن على نظام غذائي عالي الدهون (HFD) لمدة ثلاثة أسابيع، في انخفاض كبير ($P > 0,05$) في إجمالي الكوليسترول في الدم، والدهون الثلاثية، والبروتين الدهني منخفض الكثافة، وكذلك إلى الانخفاض في مستوى مؤشر تصلب الشرايين، في حين أنه يزيد من البروتين الدهني عالي الكثافة HDL في الدم. علاوة على ذلك، فإن مستخلص بذور التمر كانت فعالة في منع زيادة وزن الجسم. واستنتج الباحثون أن بذور التمر لها دور في الوقاية من ارتفاع نسبة الدهون في الدم وتصلب الشرايين^(٣).

(1) Soongy Y, Barlow PJ. Antioxidant activity and phenolic content of selected fruit seeds. Food Chem 2004;88:411.

(2) Alqarni MMM, Osman MA, Al-Tamimi DS, et al. Antioxidant and antihyperlipidemic effects of Ajwa date (Phoenix dactylifera L.) extracts in rats fed a cholesterol-rich diet. J Food Biochem 2019;43(8).

(3) Bouhlali E, Dine T, Hmidani A, Bourkhis B, et al. Effect of Phoenix dactylifera seeds (dates) extract in triton WR-1339 and high fat diet induced hyperlipidaemia in rats: a comparison with simvastatin. J Ethnopharm 2020;259:112961.



وكذلك لوحظ الدور التحسيني (المفيد) لمحلول التمر الذي أعطي للجرذان (٣٠٠ و ٦٠٠ ملغم/ كغم) ولمدة ١٤ يوماً في فرط شحميات الدم والكبد الدهني، كما انخفض مستوى الدهون في الدم ومستوى الجلوكوز في الدم ونشاط الإنزيمات الكبدية بشكل ملحوظ عند الجرعات المنخفضة والعالية^(١)، وفي دراسة على البشر، تمّ دراسة تأثير تناول صنفين من التمر: المجدول والحلاوي (١٠٠ جم/ يوم لمدة ٤ أسابيع) في الأشخاص الأصحاء على مستوى الجلوكوز والشحم والحالة التأكسدية في الدم. لوحظ بأن التمر يقلّل من نسبة ثلاثي الجلسرين بينما لم يرتفع جلوكوز الدم، كما قلّت الحالة التأكسدية للدم بنسبة ٣٣٪ بالمقارنة مع ما تمّ تسجيله قبل تناول التمر لنفس الأشخاص^(٢).

١٨ - تأثير الحماية من الإشعاع:

أظهرت الفئران المعالجة بشراب التمر انخفاضاً في تلف الأنسجة الناجم عن إشعاع الجسم، وتحسين حالة مضادات الأكسدة في الدم وتحسين حالة الأكسدة الكبدية وتقليل تلف الحمض النووي^(٣) DNA. وقد أدت المعالجة المسبقة للفئران قبل التشعيع بمستخلص نواة التمر إلى ارتفاع معدّل البقاء على قيد الحياة بعد التعرّض للإشعاع بجرعات مختلفة. كما أدّى المستخلص إلى تحسين حالة

(1) Ahmed S, Khan RA, Jamil S. Anti-hyperlipidemic and hepatoprotective effects of native date fruit variety. Pak J Pharm Sci 2016;29(6):1945–1950.

(2) Rock W, Rosenblat M, Borochoy-Neori H, et al. Effects of Date (Phoenix dactylifera L., Medjool or Hallawi Variety) Consumption by Healthy Subjects on Serum Glucose and Lipid Levels and on Serum Oxidative Status: A Pilot Study. J Agric Food Chem 2009;57(17):8010–8017.

(3) Abou-Zeid SM, EL-bialy BE, EL-borai NB, AbuBakr HO, Elhadary AMA. Radioprotective effect of Date syrup on radiation-induced damage in Rats. Sci Rep 2018;8(1).



الأكسدة الكبدية بشكل ملحوظ، وارتفاع ملحوظ في البروتين الدهني عالي الكثافة HDL، والتستوستيرون، والأنسولين، ونشاط نازعة هيدروجين الجلوكوز ٦ فوسفات G6PD في الكبد. وقد قام بتعديل أنشطة إنزيم الكبد بشكل إيجابي^(١). وقد تمت دراسة التأثير الوقائي الإشعاعي لمستخلص بذور نخيل التمر في الفئران بعد تشعيع الجسم بالكامل بأشعة غاما.

وأظهرت النتائج أن المستخلص الذي تم حقنه في الفئران قبل التشعيع ليس له أي سميّة ويمكن أن يحمي الفئران من التأثيرات المميّنة لتشعيع الجسم الكلي، بل زاد عدد الفئران التي بقيت على قيد الحياة عند انتهاء التجربة^(٢).

ويبدو ممّا سبق، إنّ جميع أجزاء ثمرة التمر لها فعل مضادّ للأشعة، أي: إنّها تحمي الجسم من المواد المشعّة بأنواعها.

١٩ - التأثير المضادّ للميكروبات:

أ. التأثير المضادّ للبكتريا:

تمّ دراسة مستخلص تمر البرحي لمعرفة تأثيره على نمو البكتيريا *Bacillus subtilis* و *Staphylococcus aureus* و *Salmonella typhi* و *Pseudomonas aeruginosa*، وقد لوحظ تثبيطه لنمو البكتيريا من ٨٠ إلى ٩٩٪ في المزارع المغذية لها التي تحتوي على مستخلص التمر. وتمّ تثبيط إنبات

(1) Abdel-Magied N، Ahmed AG، Abo Zid N. Possible ameliorative effect of aqueous extract of date pits in rats exposed to gamma radiation. Int J Radiat Biol 2018;94(9):815-824.

(2) Khezerloo D، Mortezaazadeh T، Farhood B، Sheikhzadeh P، Seyfzadeh N، Pezhman L. The effect of date palm seed extract as a new potential radioprotector in gamma-irradiated mice. J CanRes Ther 2019;15(3):517-521.



جراثيم *B. subtilis* بشكل كامل باستخدام تراكيز مختلفة من مستخلص التمر^(١)، وليس فقط المستخلص (المائي أو الميثانولي) لثمرة التمر لها تأثير مضادّ للبكتريا وإتّما حتّى مستخلص النواة أو أوراق النخيل لهم أيضًا تأثير مضادّ للبكتريا، كما لوحظ بأنّ مستخلص ٤-٥ تمرات لها تأثير مضادّ للعديد من الجراثيم سواء إيجابية الغرام أو سلبية الغرام^(٢) ومنها:

Salmonella enterica، *Escherichia coli*، *Enterococcus faecalis*، *Staphylococcus aureus*، *Bacillus subtilis*، and *Pseudomonas aeruginosa*.

ب. التأثير المضاد للفطريات:

أدى تركيز مستخلص التمر إلى حدوث ضرر أكبر في الفطريّات البيضاء من خلال تحلّل الخلايا والتسرّب المتزامن للمادة السيتوبلازمية مع موت الخلية في نهاية المطاف. وتشير هذه النتائج إلى أنّ مستخلص التمر قد يكون له تأثيرات متعدّدة على الفطريّات البيضاء مع زيادة إمكانيّة استخدامه لأغراض الوقاية^(٣)، كما لوحظ وجود فعل تثبيطي لنموّ الفطريّات من مستخلصات الماء والأسيتون والميثانول لأوراق شجرة النخيل وثمره البرحي ضدّ سبعة فطريّات ممرّضة^(٤)، هم:

Fusarium oxysporum، *Fusarium sp.*، *Fusarium solani*، *As-*

(1) Sallal AK، Ashkenani A. Effect of date extract on growth and spore germination of *Bacillus subtilis*. *Microbios*. 1989;59:203–10.

(2) El Sohaimy S.A.، Abdelwahab A.E.، Brennan C.S. and Aboul-enein A.M.، Phenolic Content، Antioxidant and Antimicrobial activities of Egyptian Date Palm (*Phoenix dactylifera* L.) Fruits. *Aust. J. Basic & Appl. Sci.*، 9(1): 141-148، 2015

(3) Shraideh ZA، Abu-Elteen KH، Sallal AK. Ultrastructural effects of date extract on *Candida albicans*. *Mycopathologia*. 1998;142:119–23.

(4) Bokhari NA، Perveen K. In vitro inhibition potential of *Phoenix dactylifera* L. extracts on the growth of pathogenic fungi. *J Med Plants Res*. 2012;6:1083–8.



pergillus flavus، Alternaria alternata، Alternaria sp. and Trichoderma sp.

ت. التأثير المضاد للفيروسات:

إنّ مستخلص الأسيون الخام لنواة نخيل التمر له نشاط مضاد للفيروسات، ومن المتأمل أن يعزّز هذا البحث في إمكاناته كعامل جديد ضد الفيروسات البشرية المسيّبة للأمراض^(١).

ث. التأثير المضاد للطفيليات:

تمّ دراسة التأثير المضادّ لطفيلي الليشمانيا باستعمال المستخلصات الميثانولية لنواة نخيل التمر وثمارها ضدّ طفيليات الليشمانيا الرئيسة، ولوحظ وجود فعل مضادّ لجرثومة الليشمانيا وبصورة طردية من ناحية الوقت والكمية^(٢). كذلك تمت دراسة تأثير المستخلص المائي لثمرة تمر الخضري (٤ مل/كجم) على نتيجة الإصابة بطفيلي الكوكسيديا في الفئران. إذ قلل المستخلص من إنتاج البراز للبيضات، وقلل عدد المراحل الطفيلية في الزغابات المعوية إلى حوالي ٥٢٪، ويقلل من الآفات النسيجية المرضية لأمعاء الفئران^(٣).

(1) Jassim SA، Naji MA. In vitro Evaluation of the Antiviral Activity of an Extract of Date Palm (Phoenix dactylifera L.) Pits on a Pseudomonas Phage. Evid Based Complement Alternat Med. 2010 Mar;7(1):57-62.

(2) Albakhit S، Khademvatan S، Doudi M، Foroutan-RadM. Antileishmanial Activity of Date (Phoenix dactylifera L) Fruit and Pit Extracts In Vitro. J Evid Based Complementary Altern Med. 2016;21(4):NP98–102.

(3) Metwaly MS، Dkhil MA، Al-Quraishy S. The potential role of Phoenix dactylifera on Eimeria papillata-induced infection in mice. Parasitol Res 2012;111(2):681–687.



٢٠- يحسّن صحّة الجلد (يستخدم في مستحضرات التجميل):

تحتوي مخلّفات التمر والبذور على مركّبات عضويّة مثل الفلافونويد والأحماض الفينولية، التي تلعب دورًا رئيسًا في منع إنتاج الجذور الحرّة التي تعدّ سببًا رئيسًا لتلف الجلد. إذ تمّ العثور على منتجات التجميل من المصادر الطبيعيّة تحتوي على العديد من المكوّنات النباتية، وقد نما الطلب عليها بسرعة في السنوات الأخيرة. ويعمل وجود لبّ الفينول كجهاز استشعار مهمّ لأنواع النشطة ويقلّل من بيروكسيد الدهون^(١). ومن المثير للاهتمام أنّ المشتقات الفينوليّة مهمّة في صناعة مستحضرات التجميل لتطوير منتجات صديقة للبيئة، وخاصّة المنتجات الطبيّة الغنيّة بالمكوّنات الطبيعيّة، ولمنع الشيخوخة المبكرة للجلد^(٢).

٢١- التمر لمعالجة المدمنين على المخدّرات:

في أثناء التجارب على الحيوانات، لوحظ بأنّ الفئران التي تناول السكروز عن طريق الفم عندها زيادة كبيرة في تحمّل الألم بالمقارنة مع بالفئران التي أعطيت الماء، ويمكن منع (تثبيط) هذا الفعل إذا أعطيت الفئران عقار النالوكسون المضادّ للأفيونيّات^(٣)، ومن الناحية السريرية ارتبط تناول الطعام الحلو بتسكين الألم بشكل كبير لدى البشر، وغالبًا.

(1) Pouillot, A., Polla, L., Tacchini, P., Neequaye, A., Polla, A., Polla, B. (2011). Natural Antioxidants and their Effects on the Skin chapter 13: In Formulating, Packaging, and Marketing of Natural Cosmetic Products, 3, 239–257.

(2) Kazemi M, Dadkhah A. (2012). Antioxidant activity of date seed oils of fifteen varieties from Iran. Orient J. Chem, 28, 1201–1205. 84.

(3) Blass EM, Fitzgerald E, Kehoe P. Interactions between sucrose, pain, and isolation distress. Pharmacology, Biochemistry & Behavior. 1987;26:483–489



ما يُعطى السكروز للخدج في وحدات العناية المركزة لحديثي الولادة لتسكين ألم وخز الكعب.

لأخذ عينات الدم^(١). وترتكز هذه الممارسة على أن محاليل السكروز التي يتم تناولها عن طريق الفم تقلل من البكاء ومعدل ضربات القلب عند الرضع المعرضين لوخز الكعب^(٢).

والمواد الأفيونية (المخدّرات) لها مخاطر جسيمة على الفرد والمجتمع، وبما إنَّ هناك ارتباط وعلاقة ما بين المذاق الحلو والنظام الأفيوني الداخلي، إذ تنشّط المواد الحلوة إفراز.

الأفيوني الداخلي، ممّا يؤديّ إلى تسكين (تهدئة) الشخص؛ لذا أمكن استخدامها لعلاج المدمنين على المخدّرات^(٣)، ومن المعلوم أن التمر يحتوي على تركيز عالي جدًّا من السكّريات؛ لذا يمكن إضافته لعلاج المرضى المدمنين على المخدّرات.

(1) Mitchell A، Waltman PA. Oral sucrose and pain relief for preterm infants. Pain Management Nursing. 2003;4(2):62–69.

(2) Ramenghi LA، Wood CM، Griffith GC، Levene ME. Reduction of pain response in premature infants using intraoral sucrose. Archives of Disease in Childhood. 1996;74:F126–F128.

(3) Mysels DJ، Sullivan MA. The relationship between opioid and sugar intake. J Opioid Manag. 2010 Nov-Dec;6(6):445-52.



الخاتمة:

١. سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام له العديد من الأقوال الطبيّة التي تفيد البشريّة إذا تمّ تطبيقها عمليّاً.
 ٢. أوضحنا في بحثنا هذا الأقوال التي تتعلّق بالتمر، وما يترتب عليه من فوائد عديدة، ومنها؛ إنّ تناول الأم الحامل للتمر له فائدة قبل الولادة سواء لتعزيز صحّة الأم أو الجنين. وفائدة التمر لتسهيل الولادة وتقليل فترة المخاض وتسهيل ولادة المشيمة وسرعة رجوع الجهاز التناسلي لوضعه الطبيعي ما قبل الحمل، مع التسريع في التأمّ الجروح الناتجة من أثر الولادة.
 ٣. يسرّع التمر من ضخّ الحليب (اللبن) إلى الرضيع، وتعزى هذه الفوائد الطبيّة لاحتواء التمر على مادة كيميائية تشابه تركيب هرمون الاوكسيتوسين.
 ٤. يمنع تحنيك المولود بالتمر من حصول تلف الدماغ الناتج من انخفاض السكر في دم المولود.
 ٥. إضافة لذلك هناك العديد من الفوائد الطبيّة التي يمنحها تناول التمر، ومنها؛ تخفيف الآلام عند الأم خلال عمليّة الولادة وبعدها، وتحسين صحّة القلب والعظام والجهاز الهضمي.
 ٦. للتمر فعل مضادّ للسرطانات ومرض السكري، وكذلك فعل مضادّ للالتهابات والجراثيم بأنواعها.
- ونختم بحثنا هذا بالقول: إنّ ما قاله سيدنا عليّ عليه السلام قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة يتطابق اليوم مع البحوث الطبيّة الحديثة.



المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

*القرآن الكريم.

١. أطلس أصناف التمور (الشجرة الطيبة) في الخليج، د. جاسم محمد حمد. دولة الكويت، الطبعة الرابعة، الدار العربية للموسوعات، أغسطس ٢٠١٠.
٢. تحف العقول عن آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
٣. الكافي، الشيخ الكليني (٣٢٩ هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ ش.
٤. كتاب مكارم الأخلاق: الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٦٠ هـ)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٩٧٢ م.
٥. المستدرک علی الصحیحین، أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٦. نخلة التمر ماضيها وحاضرها، والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارها، عبد الجبار البكر، ٢٠١٣.

المصادر الأجنبية:

1. Abdel-Magied N، Ahmed AG، Abo Zid N. Possible ameliorative effect of aqueous extract of date pits in rats exposed to gamma radiation. Int J Radiat Biol 2018.
2. Abdennabi R، Bardaa S، Mehdi M، Rateb ME، Raab A، Alezni FN، Sahnoun Z، Gharsallah N، Belbahri L. Phoenix dactylifera L. sap enhances wound healing in Wistar rats: Phytochemical and histological assessment. Int J Biol Macromol. 2016.



3. Abedi A, Parviz M, Karimian SM, Sadeghipour HR. 2013. Aphrodisiac Activity of Aqueous Extract of Phoenix dactylifera Pollen in Male Rats. *Advances in Sexual Medicine*. 2013.
4. Abou-Zeid SM, EL-bialy BE, EL-borai NB, AbuBakr HO, Elhadary AMA. Radioprotective effect of Date syrup on radiation-induced damage in Rats. *Sci Rep* 2018.
5. Ahmed IE, Mirghani HO, Mesaik MA, Ibrahim YM, Amin TQ. Effects of date fruit consumption on labour and vaginal delivery in Tabuk, KSA. *J Taibah Univ Med Sci*. 2018 .
6. Ahmed M, Hwang JH, Choi S, Han D. Safety classification of herbal medicines used among pregnant women in Asian countries: a systematic review. *BMC Complement Altern Med*. 2017 .
7. Ahmed S, Khan RA, Jamil S. Anti-hyperlipidemic and hepatoprotective effects of native date fruit variety. *Pak J Pharm Sci* 2016.
8. Al-Asmari, A.K., Al-Said, M.S., Abbasmanthiri, R. et al. Impact of date palm pollen (*Phoenix dactylifera*) treatment on paracetamol-induced hepatorenal toxicity in rats. *Clin Phytosci*. 2020.
9. Albakhit S, Khademvatan S, Doudi M, Foroutan-RadM. Antileishmanial Activity of Date (*Phoenix dactylifera* L) Fruit and Pit Extracts In Vitro. *J Evid Based Complementary Altern Med*. 2016.
10. Al-Dossari A.R., Ahmad E.R., Al Qahtani N.H. Effect of eating dates and drinking water versus IV fluids during labor on labor and neonatal outcomes. *IOSR J Nurs Health Sci*. 2017.
11. Al-Farsi MA, Lee CY. Nutritional and functional properties of dates: a review. *Crit Rev Food Sci Nutr*. 2008.
12. Al-Farsi, M., Alasalvar, C., Morris, A., Baron, M., Shahidi, F. (2005). Comparison of antioxidant activity, anthocyanins, carotenoids, and phenolics of three native fresh and sun-dried date (*Phoenix dactylifera* L.) varieties grown in Oman. *J Agri Food Chem*.



13. Al-Kuran OA, Mehaisen LA, Bawadi H, et al. The effect of late pregnancy consumption of date fruit on labour and delivery. *J Obstet Gynaecol* 2011.
14. Allaith AAA. Antioxidant activity of Bahraini date palm (*Phoenix dactylifera* L.) fruit of various cultivars. *Int J Food Sci Technol* 2008.
15. Alnoaemi Mohammed Chyad, Mohammed Faris Shalayel. Pathophysiology of Gestational Diabetes Mellitus: The Past, the Present and the Future. *Gestational Diabetes*. InTech; 2011.
16. Al-Qarawi AA, Mousa HM, Ali BEH, Abdel-Rahman H, El-Mougy SA. "Protective effect of extracts from dates (*Phoenix dactylifera* L.) On carbon tetrachloride-induced hepatotoxicity in rats". *Int J Appl Res Vet Med*. 2004.
17. Alqarni MMM, Osman MA, Al-Tamimi DS, et al. Antioxidant and antihyperlipidemic effects of Ajwa date (*Phoenix dactylifera* L.) extracts in rats fed a cholesterol-rich diet. *J Food Biochem* 2019.
18. Al-Shahib W, Marshall RJ. The fruit of the date palm: its possible use as the best food for the future? *Int J Food Sci Nutr*. 2003.
19. Al-Taher AY. Possible antidiarrheal effect of the date palm (*Phoenix Dactylifera* L) spathe aqueous extract in rats. *Sci J King Faisal Uni*. 2008.
20. Al-Turki, S., Shahba, M.A., Stushnoff, C. (2010). Diversity of antioxidant properties and phenolic content of date palm (*Phoenix dactylifera* L.) fruits as affected by cultivar and location. *J Food AgriEnviron*.
21. Al-Yahya M, Raish M, AlSaid MS, Ahmad A, Mothana RA, Al-Sohaibani M, Al-Dosari MS, Parvez MK, Rafatullah S. 2016 .
22. Apri Sulistianingsih, Istikomah, Wahyu Widayati, Indah Cahyaning Sasih, Rissa Uhmul Khasanah, Anisa Lestari (2023). Effect



of Consumption Dates Fruit Atterm Pregnancy to Hormone Oxytocin and Labor Outcome in Pringsewu Regency, Lampung Province, Indonesia. Journal.

23. Apri Sulistianingsih, Istikomah, Wahyu Widayati, Indah Cahyaning Sasih, Rissa Uhmul Khasanah, Anisa Lestari (2023). Effect of Consumption Dates Fruit Atterm Pregnancy to Hormone Oxytocin and Labor Outcome in Pringsewu Regency, Lampung Province, Indonesia. Journal.

24. Bahmanpour S, Talaei T, Vojdani Z, Ghaemina M, Panjehshahin M, Poostpasand A, Zareei S. Effect of Phoenix dactylifera pollen on sperm parameters and reproductive system of adult male rats. Iran J Med Sci. 2006.

25. Bahri S, Abdennabi R, Mlika M, Neji G, Jameleddine S, Ali RB. Effect of Phoenix dactylifera L. Sap Against Bleomycin-Induced Pulmonary Fibrosis and Oxidative Stress in Rats: Phytochemical and Therapeutic Assessment. Nutr Cancer 2019.

26. Bamehrez M. Hypoglycemia and associated comorbidities among newborns of mothers with diabetes in an academic tertiary care center. Front Pediatr. 2023.

27. Banu H, Renuka N, Faheem SM, et al. Gold and Silver Nanoparticles Biomimetically Synthesized Using Date Palm Pollen Extract-Induce Apoptosis and Regulate p53 and Bcl-2 Expression in Human Breast Adenocarcinoma Cells. Biol Trace Elem Res 2018.

28. Bergmann F, Lieblich I, Cohen E, Ganchrow JR. Influence of intake of sweet solutions on the analgesic effect of a low dose of morphine in randomly bred rats. Behav Neural Biol. 1985.

29. Bilandi RR, Khakbazan Z, Bahri N, Baloochi T, Khargani R. The effect of food intake during labor on pain and anxiety in pregnant women. Zahedan J Res Med Sci. 2012.

30. Blass EM, Fitzgerald E, Kehoe P. Interactions between sucrose, pain, and isolation distress. Pharmacology, Biochemistry & Behavior. 1987.



31. Boardman JP, Wusthoff CJ, Cowan FM. Hypoglycaemia and neonatal brain injury. Arch Dis Child Educ Pract Ed. 2013.
32. Bokhari NA, Perveen K. In vitro inhibition potential of Phoenix dactylifera L. extracts on the growth of pathogenic fungi. J Med Plants Res. 2012.
33. Bouhlali E, Dine T, Hmidani A, Bourkhis B, et al. Effect of Phoenix dactylifera seeds (dates) extract in triton WR-1339 and high fat diet induced hyperlipidaemia in rats: a comparison with simvastatin. J Ethnopharm 2020.
34. Burkitt DP. Dietary Fiber and Disease. JAMA 1974.
35. Camilleri E, Blundell R, Cuschieri A. Deciphering the anti-constipation characteristics of palm dates (Phoenix dactylifera): a review. International Journal of Food Properties. 2023.
36. Chakroun M, Khemakhem B, Mabrouk HB, et al. Evaluation of anti-diabetic and anti-tumoral activities of bioactive compounds from Phoenix dactylifera L's leaf: In vitro and in vivo approach. Biomed Pharmacother 2016.
37. Daniel D. (2023). The Impact of Gestational Diabetes on the Offspring. The Science Journal of the Lander College of Arts and Sciences.
38. Dewi RK, Afifi DN, Awatiszahro A, Yulianti WD. (2021). The Effect of Dates (Phoenix dactylifera) on Breast Milk Production in Post-Partum Mother. Day 3-9. Journal of Global Research in Public Health.
39. Erlanson-Albertsson C. Socker trigger våra belöningssystem. Sött frisätter opiat som sätter fart på sötsuget--insulin kan dämpa det [Sugar triggers our reward-system. Sweets release opiates which stimulate the appetite for sucrose--insulin can depress it]. Lakartidningen. 2005.



40. El Abed H, Chakroun M, Abdelkafi-Koubaa Z, et al. Anti-oxidant, Anti-Inflammatory, and Antitumoral Effects of Aqueous-Ethanol Extract from Phoenix dactylifera L. Parthenocarpic Dates. *BioMed Res Int* 2018.
41. El Sohaimy S.A., Abdelwahab A.E., Brennan C.S. and Aboul-enein A.M., Phenolic Content, Antioxidant and Antimicrobial activities of Egyptian Date Palm (Phoenix dactylifera L.) Fruits. *Aust. J. Basic & Appl. Sci*, 2015.
42. Essa MM, Akbar M, Khan MA. Beneficial effects of date palm fruits on neurodegenerative diseases. *Neural Regen Res*. 2016.
43. Harrison DM. Oral sucrose for pain management in infants: Myths and misconceptions. *Journal of Neonatal Nursing*. 2008.
44. Hussein AM, Mahmoud SA, Elazab KM, Abouelnaga AF, Abass M, Mosa AAH, Hussein MAM, Elsayed MEG. Possible Mechanisms of the Neuroprotective Actions of Date Palm Fruits Aqueous Extracts against Valproic Acid-Induced Autism in Rats. *Curr Issues Mol Biol*. 2023.
45. Ishurd O, Sun C, Xiao P, Ashour A, Pan, Y. A neutral beta-D-glucan from dates of the date palm, Phoenix dactylifera L. *Carbohydr Res*. 2002.
46. Ishurda, O., & John, F.K. (2005). The anti-cancer activity of polysaccharide prepared from Libyan dates. *Carbohydr Polymers*.
47. Jassim SA, Naji MA. In vitro Evaluation of the Antiviral Activity of an Extract of Date Palm (Phoenix dactylifera L.) Pits on a Pseudomonas Phage. *Evid Based Complement Alternat Med*. 2010.
48. Kalantarip TP, Asadi-Shek M, Basiri M, Najar AG. Cerebro-protective Effect of Date Seed Extract in Male Rats. *J Biol Sci* 2012.
49. Karasawa K, Otani H. Anti-Allergic Properties of a Matured Fruit Extract of the Date Palm Tree (Phoenix dactylifera L.) in Mite-Sensitized Mice. *J Nutr Sci Vitaminol* 2012.

50. (Karimi AB, Elmi A, Zargaran A, Mirghafourvand M, Fa-
zljou SM, Araj-khodaei M, Navid RB. Clinical effects of date palm
(Phoenix dactylifera L.): A systematic review on clinical trials. Com-
plementary therapies in medicine. 2020.

51. Kazemi M, Dadkhah A. (2012). Antioxidant activity of date
seed oils of fifteen varieties from Iran. Orient J. Chem.

52. Khadem N, Sharaphy A, Latifnejad R, Hammoud N, Ibra-
himzadeh S. Comparing the efficacy of dates and oxytocin in the
management of postpartum hemorrhage. Shiraz E Med J. 2007.

53. Khan F, Ahmed F, Pushparaj PN, et al. Ajwa Date (Phoe-
nixdactylifera L.) Extract Inhibits Human Breast Adenocarcinoma
(MCF7) Cells In Vitro by Inducing Apoptosis and Cell Cycle Arrest.
PLoS One 2016.

54. Khezerloo D, Mortezaazadeh T, Farhood B, Sheikhzadeh P,
Seyfizadeh N, Pezhman L. The effect of date palm seed extract as
a new potential radioprotector in gamma-irradiated mice. J CanRes
Ther 2019.

55. Kuswati K, Handayani R. "Effect of Dates Consumption on
Bleeding, Duration, And Types of Labor," J Midwifery. 2019.

56. Kordi M et al (2010) The Effect of Oral Honey- Date Syrup
Intake during Labor on Labor Progress of Nulliparous Women. The
Iran Journal of Obstetrics, Gynecology and Infertility, pp.

57. Kordi M, Meybodi FA, Tara F, Fakari FR, Nemati M, Shak-
eri M. Effect of Dates in Late Pregnancy on the Duration of Labor in
Nulliparous Women. Iran J Nurs Midwifery Res. 2017.

58. Kordi, M., Aghaei Meybodi, F., Tara, F., Nemati, M., Taghi
Shakeri, M. The Effect of Late Pregnancy Consumption of Date Fruit
on Cervical Ripening in Nulliparous Women. *Journal of Midwifery
and Reproductive Health*, 2014.



59. Martín-Sánchez, A.M., Cherif, S., Ben-Abda, J. (2014). Phytochemicals in date co-products and their antioxidant activity. *Food Chem.*
60. Mehraban F, Jafari M, Akbartabar Toori M, Sadeghi H, Joodi B, Moštafazade M, Sadeghi H. Effects of date palm pollen and *As-tragalus ovinus* on sperm parameters and sex hormones in adult male rats. *Iran J Reprod Med.* 2014.
61. Metwaly MS, Dkhil MA, Al-Quraishy S. The potential role of *Phoenix dactylifera* on *Eimeria papillata*-induced infection in mice. *Parasitol Res* 2012.
62. Mitchell A, Waltman PA. Oral sucrose and pain relief for pre-term infants. *Pain Management Nursing.* 2003.
63. Murakami K, Sasaki S, Takahashi Y, Uenishi K, Watanabe T, Kohri T, Yamasaki M, Watanabe R, Baba K, Shibata K, Takahashi T, Hayabuchi H, Ohki K, Suzuki J. Dietary glycemic index is associated with decreased premenstrual symptoms in young Japanese women. *Nutrition.* 2008.
64. Mysels DJ, Sullivan MA. The relationship between opioid and sugar intake. *J Opioid Manag.* 2010.
65. Naraoka Y, Hosokawa M, Minato-Inokawa S, Sato Y. Severity of Menstrual Pain Is Associated with Nutritional Intake and Lifestyle Habits. *Healthcare (Basel).* 2023.
66. Nasiri M, Gheibi Z, Miri A, Rahmani J, Asadi M, Sadeghi O, Maleki V, Khodadošt M. Effects of consuming date fruits (*Phoenix dactylifera* Linn) on gestation, labor, and delivery: An updated systematic review and meta-analysis of clinical trials. *Complement Ther Med.* 2019.
67. Naureen I, Saleem A, Rana NJ, Ghafoor M, Ali FM, Murad N. Potential Health Benefit of Dates Based on Human Intervention Studies: A Brief Overview. *Haya Saudi J Life Sci,* Mar, 2022.

68. Nehdi I, Omri S, Khalil MI, Al-Resayes SI, Characteristics and chemical composition of date palm (*Phoenix canariensis*) seeds and seed oil. *Industrial Crops and Products*.

69. Saryono M, Rahmawati E. Effects of dates fruit (*Phoenix dactylifera* L.) in the female reproductive process. *International Journal of Recent Advances in Multidisciplinary Research*. 2016.

70. Pouillot, A., Polla, L., Tacchini, P., Neequaye, A., Polla, A., Polla, B. (2011). Natural Antioxidants and their Effects on the Skin chapter 13: In *Formulating, Packaging, and Marketing of Natural Cosmetic Products*.

71. Puri A, Sahai R, Singh KL, Saxena RP, Tandon JS, Saxena KC. Immunostimulant activity of dry fruits and plant materials used in Indian traditional medical system for mothers after child birth and invalids. *Journal of Ethnopharmacology*. 2000.

72. Rahmani A, Alzohairy M, Khadri H, Mandal AK, Rizvi, MA. Expressional evaluation of vascular endothelial growth factor protein in urinary bladder carcinoma patients exposed to cigarette smoke. *Int J Clin Exp Pathol*. 2012.

73. Rahmani, A.H., Alzohairy, M., Babiker, A.A.Y., Khan, A.A., Aly, S.M., & Rizvi, M.A. (2013). Implication of androgen receptor in urinary bladder cancer: a critical mini review. *Int J Mol Epidemiol Genet*.

74. Ramenghi LA, Wood CM, Griffith GC, Levene ME. Reduction of pain response in premature infants using intraoral sucrose. *Archives of Disease in Childhood*. 1996.

75. Rock W, Rosenblat M, Borochoy-Neori H, et al. Effects of Date (*Phoenix dactylifera* L., Medjool or Hallawi Variety) Consumption by Healthy Subjects on Serum Glucose and Lipid Levels and on Serum Oxidative Status: A Pilot Study. *J Agric Food Chem* 2009.

76. Royani I, As'ad S, Mappaware NA, Hatta M, Rabia. Effect of Ajwa Dates Consumption to Inhibit the Progression of Preeclampsia Threats on Mean Arterial Pressure and Roll-Over Test. *Biomed Res Int*. 2019.

77. Saafi EB, Louedi M, Elfeki A, Zakhama A, Najjar MF, Hammami M, et al. Protective effect of date palm fruit extract (*Phoenix dactylifera* L.) on dimethoate induced-oxidative stress in rat liver. *Exp Toxicol Pathol*. 2011.

78. Saafi-Ben Salah EB, El Arem A, Louedi M, Saoudi M, Elfeki A, Zakhama A, Najjar MF, Hammami M, Achour L. Antioxidant-rich date palm fruit extract inhibits oxidative stress and nephrotoxicity induced by dimethoate in rat. *J Physiol Biochem*. 2012.

79. Saddiq AA, Bawazir AE. Antimicrobial activity of date palm (*Phoenix dactylifera*) pits extracts and its role in reducing the side effect of methyl prednisolone on some neurotransmitter content in the brain, hormone testosterone in adulthood. *Acta Horti* 2010.

80. Sakka AB, Salama M, Salama K. The effect of fenugreek herbal tea and palm dates on breast milk production and infant weight. *J Pediatr Sci* 2014.

81. Salajegheh Z, Nasiri M, Imanipour M, Zamanifard M, Sadeghi O, Ghasemi Dehcheshmeh M, Asadi M, a comprehensive revised systematic review and dose-response meta-analysis. *BMC Pregnancy Childbirth*. 2024.

82. Sallal AK, Ashkenani A. Effect of date extract on growth and spore germination of *Bacillus subtilis*. *Microbios*. 1989.

83. Samad MA, Hashim SH, Simarani K, Yaacob JS. Antibacterial Properties and Effects of Fruit Chilling and Extract Storage on Antioxidant Activity, Total Phenolic and Anthocyanin Content of Four Date Palm (*Phoenix dactylifera*) Cultivars. *Molecules*. 2016.

84. Shraideh ZA, Abu-Elteen KH, Sallal AK. Ultrastructural effects of date extract on *Candida albicans*. *Mycopathologia*. 1998.



85. Siddiqui S, Ahmad R, Khan MA, Upadhyay S, Husain I, Srivastava AN. Cytostatic and Anti-tumor Potential of Ajwa Date Pulp against Human Hepatocellular Carcinoma HepG2 Cells. *Sci Rep* 2019.

86. Sohrabi H, Karimeh R, Ghaderkhani G, Shahoei R. [The effect of oral consumption of honey-saffron syrup with date syrup on labor pain in nulliparous women (Persian)]. *Iran J Obstet Gynecol Infertil.* 2022.

87. Soongy Y, Barlow PJ. Antioxidant activity and phenolic content of selected fruit seeds. *Food Chem* 2004.

88. Souli A, Sebai H, Rtibi K, Chehimi L, Sakly M, Amri M, El-Benna J. Effects of dates pulp extract and palm sap (*Phoenix dactylifera* L.) on gastrointestinal transit activity in healthy rats. *J Med Food.* 2014.

89. Subash S, Essa MM, Braidy N, Awlad-Thani K, Vaishnav R, Al-Adawi S, Al-Asmi A, Guillemain GJ. Diet rich in date palm fruits improves memory, learning and reduces beta amyloid in transgenic mouse model of Alzheimer's disease. *J Ayurveda Integr Med.* 2015.

90. Suyati S, Siti RJ, Yuyun F. The Effect of Date Palm for the Smoothness of Breast Milk on Postpartum Maternal. In: *The Proceeding of 7th International Nursing Conference: Global Nursing Challenges in The Free Trade Era*, Surabaya, 2016.

91. Taavoni S, Fathi L, Nazem Ekbatani N, Haghani H. The Effect of Oral Date Syrup on Severity of Labor Pain in Nulliparous. *Shiraz E-Med J.* 2018.

92. Taleb H, Morris RK, Withycombe CE, Maddocks SE, Kanekanian AD. Date syrup – derived polyphenols attenuate angiogenic responses and exhibits anti-inflammatory activity mediated by vascular endothelial growth factor and cyclooxygenase-2 expression in endothelial cells. *Nutr Res* 2016.

93. Tang ZX, Shi LE, Aleid SM. Date fruit: chemical composition, nutritional and medicinal values, products. *J Sci Food Agr.* 2013.



94. Tatar T, Akdevelioğlu Y. *J Am Coll Nutr.* 2018.
95. Tyler VE, Brady LR, Robbers JE. *Pharmacognosy.* 9th ed. Lea and Febriger, Philadelphia;1988.
96. Vayalil, P.K. (2014). Bioactive compounds, nutritional and functional properties of date fruit. In: Siddiq M, Aleid SM, KaderAA (eds.) *Dates: postharvest science, processing technology and health benefits.* Chichester, UK: John Wiley & Sons Ltd. 42. Tang, Z.X
97. Vyawahare N, Pujari R, Rajendran R, Khsirsagar A, Inga-waleD, Patil M. Neurobehavioral effects of Phoenix dactyliferain mice. *JYoung Pharmacists* 2009.
98. Al-Snafi AE, Thuwaini MM. Phoenix dactylifera: traditional uses, chemical constituents, nutritional benefit and therapeutic effects. *Traditional Medicine Research* 2023.
99. Waly MI, Al-Ghafri BR, Guizani N, Rahman MS. Phytonutrient Effects of Date Pit Extract against Azoxymethane-Induced Oxidative Stress in the Rat Colon. *Asian Pac J Cancer Prevent* 2015.
100. Yamamoto RT, Foulds-Mathes W, Kanarek RB. Antinociceptive actions of peripheral glucose administration. *Pharmacol Biochem Behav.* 2014.
101. Yuniarti S, Bethasari M. Influences of Dates Consumption on Hemoglobin Concentration of Pregnant Woman at BPM Siti Fatimah Cimahi. *International Seminar on Global Health (ISGH) 2017.* Jenderal Achmad Yani Cimahi School of Health Sciences.
102. Saryono M, Rahmawati E. Effects of dates fruit (phoenix dactylifera l.) in the female reproductive process. *International Journal of Recent Advances in Multidisciplinary Research.* 2016.
103. Al-Farsi MA, Lee CY. Nutritional and functional properties of dates: a review. *Crit Rev Food Sci Nutr.* 2008.
104. Al-Snafi AE, Thuwaini MM. Phoenix dactylifera: traditional



uses, chemical constituents, nutritional benefit and therapeutic effects. *Traditional Medicine Research* 2023.

105. El Abed H, Chakroun M, Abdelkafi-Koubaa Z, et al. Antioxidant, Anti-Inflammatory, and Antitumoral Effects of Aqueous-Ethanollic Extract from Phoenix dactylifera L. Parthenocarpic Dates. *BioMed Res Int* 2018.

106. Erlanson-Albertsson C. Socker triggjar våra belöningssystem. Sött frisätter opiaterna som sätter fart på sötsuget--insulin kan dämpa det [Sugar triggers our reward-system. Sweets release opiates which stimulate the appetite for sucrose--insulin can depress it]. *Lakartidningen*. 2005.

107. Rahmani, A.H., Alzohairy, M., Babiker, A.A.Y., Khan, A.A., Aly, S.M., & Rizvi, M.A. (2013). Implication of androgen receptor in urinary bladder cancer: a critical mini review. *Int J Mol Epidemiol Genet*.

108. Saryono M, Rahmawati E. Effects of dates fruit (Phoenix dactylifera L.) in the female reproductive process. *International Journal of Recent Advances in Multidisciplinary Research*. 2016.

109. Vayalil, P.K. (2014). Bioactive compounds, nutritional and functional properties of date fruit. In: Siddiq M, Aleid SM, Kader AA (eds.) *Dates: postharvest science, processing technology and health benefits*. Chichester, UK: John Wiley & Sons Ltd. 42. Tang, Z.X

الحجاج المدعم في الخطاب العلوي

قراءة استكشافية في اللسانيات الاجتماعية

أ.د. حازم طارش حاتم

كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة

الملخص :

انبثقت فكرة هذا البحث من أهداف المدونة العلوية ذات التوظيفات القرآنية التي تدعم وتؤيد وتحث على إيجاد السلوك الإنساني الأمثل في الواقع الاجتماعي مع غص النظر عن تغير الواقع وتبدل المصالح، وهذا الاستعداد بالثبات على المبدأ يؤسس إلى رسم صورة الإنسان الكامل في الخطاب العلوي، وهي نفسها في الخطاب القرآني، ومن أجل استظهارها عمد البحث إلى استعمال المناهج الحديثة ذات الاختصاصات المتداخلة العاكسة للأهداف والقاصدة إيجاد مجتمع مثالي؛ لكون الخطاب العلوي خطاب كوني يقصد (المبادئ، والقيم) القرآنية التي هي جوهر الإنسان .

لقد تمظهرت الأبعاد الحجاجية، واستمدت أنساقها وأصولها من الخطاب القرآني، فتمثلت في سيرورة الخطاب العلوي بمحاجة أوليائه مقنعا، وأدائه رادعا وزاجرا، فنراه يورد آراءهم ويحاججهم بالاحتكام إلى المفاهيم القرآنية بوصفها منطلقا جامعا وموسوماً باتفاق يقيني في مسلمات الحوار، وبهذا فإنه يحمل بعدا تأثيريا في



المخاطب ويغيّر بنيته المعرفيّة نحو القصد القرآنيّة، فتمثّلت أفعالاً إنجازيّة ذات بعد توجيهيّ أو جدليّ نقضيّ، هي مسارات تدعّم الخطاب، وتقوّي مقاصده عن طريق الكشف عن مبانيه المعرفيّة، ولاسيما (المباني القرآنيّة)، التي شكّلت (الحجاج المدعّم)؛ لأنّ الخطاب العلويّ تضمّن في طيّاته الكثير من النصوص القرآنيّة ذات المفاهيم الحجاجيّة التي تحكي مواقفًا، وتقصّ لنا أحداثًا لها أبعادًا اجتماعيّة اقتضتها الصلة بين النصّين في بعدها المعرفيّ التداويّ الحجاجيّ، وهذا النوع من التوظيفات والتناصّات للنصوص يعكس خصائص الخطاب العلويّ، ويبيّن مقاصده، بأنّه خطاب ذات سمات (إرشاديّة)؛ لأنّه لم يبتعد عن الاشتغالات التي شغلها الخطاب القرآنيّ في حيّز المفاهيم والمصاديق، فضلا عن ذلك يستظهر صفات وخصال القوم المخاطبين؛ لأنّ الخطاب القرآنيّ حاضر في نفوسهم، وفي ذلك نوع من الاحتجاج (المدعّم) على المفاهيم غير القرآنيّة التي تمثّلت بالسلوك الحياتيّ الاجتماعيّ اليوميّ عند القوم، وهذه الصلة بين المفاهيم بحركتها المتعاكسة، تسوّغ لنا الأداءات القوليّة من الإمام عليّ عليه السلام، التي تستند إلى مفاهيم قرآنيّة في تدعيم الحجج ومآل النتائج التي تشكّل وحدات داعمة لحركة الخطاب الحجاجيّ .

ومنطق فهم النصّ وتحليله يقتضي فهم منطق موجّهات الخطاب التي تدعّم وتطعّم الخطاب بالحجج ذات الاتّفاق بين طرفي الخطاب، التي تشكّل البديهيّات في التحوار الحجاجيّ؛ من أجل سدّ الذرائع أمام المخاطب، والتسليم والإذعان بالحمولات الإخباريّة التي يحملها المخاطب في أقواله الأدائيّة؛ ولاسيما الحمولات الإخباريّة القرآنيّة التي أوضحت (المقدمة الكبرى) في الاستدلال الطبيعيّ الحجاجيّ؛ لأنّ مقاصد الخطاب في أبعادها الاجتماعيّة تدعو إلى تقويم السلوك عن طريق استحضار القيم التي يجب على الإنسان أن يتحلّى بها، التي أقرّها وجدانًا، وخالفها سلوكًا وعملاً .



وهذا التكثيف للحمولات الدلاليّة عبر التناصّ القرآنيّ أضحى يدعّم الأبعاد الإقناعيّة في المعرفة القيميّة، التي يخطّها الخطاب، فأضحت سمته، وهذه المحاكاة شكّلت (الحجاج المدعّم)؛ لأنّها تلزم المخاطب في ضوء البديهيّة التي يستقدمها المخاطب - الإمام (ﷺ) - من النصوص القرآنيّة التي وُظِّفت (كمحجّة) أولى في البناء الهرميّ للمنطق الاستدلاليّ، التي شكّلت المنطلق الأوّل في بناء الاستدلال الذي يولّد القناعات في حركة الحجاج المدعّم .

الكلمات المفتاحية: الحجاج المُدَّعم، الخطاب العلويّ، اللسانيّات

الاجتماعيّة.

Abstract:

The idea of this research emerged from the objectives of the Alawite Code with its Quranic employments that support, endorse and urge the creation of the optimal human behavior in social reality, regardless of the diversity of reality and the change of interests. This readiness to adhere to the principle establishes the drawing of the image of the perfect human being in the Alawite discourse, which is the same in the Quranic discourse. In order to demonstrate it, the research sought to use modern methods with overlapping specializations that reflect the objectives and aim to create an ideal society; because the Alawite discourse is a universal discourse that aims at the Quranic (principles and values) that are the essence of man.

The argumentative dimensions have appeared, and their systems and origins have been derived from the Qur'anic discourse, and they were represented in the process of the Alawite discourse by convincingly arguing with his friends, and deterring and deterring his enemies. We see him presenting their opinions



and arguing with them by resorting to the Qur’anic concepts as a comprehensive starting point and marked by a certain agreement in the axioms of the dialogue. Thus, it carries an influential dimension in the addressee and changes his cognitive structure towards the Qur’anic intentions. They were represented as accomplishing actions with a directive or argumentative dimension that refute, which are paths that support the discourse and strengthen its intentions by revealing its cognitive foundations, especially (the Qur’anic foundations), which formed the “supported argument”; because the Alawite discourse (peace be upon him) included within its folds many Qur’anic texts with argumentative concepts that narrate situations and tell us events that have social dimensions necessitated by the connection between the two texts in their cognitive, communicative, argumentative dimension. This type of This is a kind of “supported” protest against non-Quranic concepts that were represented by the daily social life behavior of the people, and this connection between the concepts with their opposite movement justifies for us the verbal performance of Imam Ali (peace be upon him), which is based on Quranic concepts in supporting the arguments and the outcome of the results that form supportive units for the movement of the argumentative discourse. The logic of understanding and analyzing the text requires understanding the logic of the discourse guidelines that support and feed the discourse with arguments that are agreed upon by the two parties of the discourse that constitute the axioms in the argumentative dialogue; in order to block the pretexts before the addressee, and to submit and acquiesce to the news loads that the addressee carries in his performance statements; especially the Quranic news loads that have become the “major premise” in natural argumentative reasoning; because the



objectives of the discourse in its social dimensions call for correcting behavior by recalling the values that a person must be adorned with, which he has acknowledged in conscience, and has contradicted in behavior and action.

This intensification of semantic loads through Quranic intertextuality has come to support the persuasive dimensions in the value-based knowledge that the discourse outlines and has become its characteristic. This imitation has formed the “supported argument” because it obliges the addressee in light of the axiom that the addressee – the Imam (peace be upon him) – brings forward from the Quranic texts that were employed as the first “argument” in the hierarchical structure of deductive logic, which formed the first starting point in building the reasoning that generates convictions in the movement of supported argumentation.

Keywords: Supported Argumentation, Alid Discourse, Sociolinguistics,

المقدّمة:

أضحت أصول الخطاب العلويّ في ضوء نظريّة التلقّي عن أصول نظريّة التواصل التي يحقّقها الخطاب في ضوء ملابسات السياق الثقافيّ الخارجيّ منسجمة وذات صلة تتناغم مع مقاصد الخطاب، الذي تتغيّر به أصول المخاطبات؛ لأنّ مقتضيات الخطاب تستدعي ذلك، فظروف الخطاب ونشأته تحكي أهداف الخطاب، والغايات التي يرمي إليها، ولاسيما أنّ الخطابات وظيفتها الأساسيّة التأثير في المتلقّي، وهنا نشير إلى نقطة الخلاف بين طرفي الخطاب في القضية المطروحة؛ ولاسيما أنّ الخطاب العلويّ خطاب كونيّ، وأنّ تمثّل بشكله الخاصّ في مخاطباته، إلّا أنّ حملاته الإنسانيّة ذات الأبعاد الإرشاديّة والتوجيهيّة - وفضلا



عن الأساليب الإقناعية الحجاجية- كشفت عن جدلية الذوات المعبأة بالقيم الإنسانية غير أن هذه المفاهيم الإنسانية تتغير بالمفهوم، فضلا عن المنطلقات التي تؤسس هذه المفاهيم وبواعثها التطبيقية التي تشكلت في الخطاب العلوي .

فالبحث يسعى إلى الكشف عن هذه المفاهيم الإنسانية بشقيها المتولدة من طرفي الخطاب، التي تمثل التناقض في الحد والمفهوم؛ لأن التغير بتغير بالمرجيات الثقافية والأصول التخاطبية، فضلا عن الإجراءات التطبيقية، وهذه المنطلقات الإنسانية التي يدفع بها الإمام علي عليه السلام هي منطلقات أساسها قرآنيّ تنشد التكامل والرقى للإنسان، وتسعى إلى تجنبه المهالك، وبهذا الوعي تشكل الخطاب العلويّ، وهو بذلك يجادل المفاهيم الإنسانية الواطئة والمنحدرة التي تشكلت في المتلقي نفسه، وحكت سلوكها، فالخطاب العلويّ يحكي عملية الجذب والتعارض والتقابل بين المفاهيم الايجابية والسلبية وحالة النزاع التي يعيشها الإنسان، على هذا الأساس استعرض الإمام علي عليه السلام هذه المفاهيم على وفق المنطق الاستدلاليّ الكاشف عن مواقف أطراف الخطاب التي شكّلت الخطّ البيانيّ الصاعد في استظهار القيم النبيلة التي تستدعيها الأحداث، التي يعرضها ويقابلها الخطّ البيانيّ الهابط التي تشكل قيم التضاد، وهذا التقابل الجدليّ القيميّ مثل الصور الانتزاعية للإنسان المتغيرة في المواقف والأحداث، التي تحكي التغير في المفاهيم القائمة على أساس حركة الإنسان بين جلب المصلحة ودفع المفسدة الدنيوية أو الأخروية، وعلى هذا الأساس سعى البحث إلى الكشف عن مسوغات حركة الإنسان إزاء الأحداث والمواقف التي تشكلت خلفياتها المعرفية وأصولها القيمية، التي أضحت مفاهيم يدافع عنها، لا بل إلى شرعتها أمام الذوات المتحاوره.

لذا عمد البحث إلى الحجاج (Argumentation) الذي عرفه بعضهم بأنه: ((تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من

الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغويّة، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها^(١)، فهو جملة من الحجج التي يُؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها، في توليد الاستدلالات . وفي هذا النسق المعرفيّ حقيقتان:

- الأولى: الحجاج يُمثل مجموعة من الحجج يُؤتى بها؛ لإسناد فكرة معيّنة، أو دحضها.
- الثانية: طريقة ترتيب الحجج، وكيفية عرضها على المتلقّي.

المطلب الأوّل: مرجعيّة الذوات المتجادلة في الحجاج المُدعم : مقاربات

ساسيو لسانيّة

المنظور الإنسانيّ منظور قيميّ، وهذه القيم متنوّعة تُسهم في بناء إنسانيّة الإنسان، وعلى هذا الأساس فإنّ التجادل والتحاوّر بين الذوات ذو أبعاد قيمية، بواعثه وركائزه المنظومة المعرفيّة التي تستند إليها الذات المتجادلة، وهذا ما عكسه الخطاب العلويّ القائم على الدعوة الإنسانيّة، في محاولة تجذير المُثل وإشاعتها، قال أمير المؤمنين عليه السلام : ((أما بعد، فإنّ معصية الناصح الشفيق الالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندامة، قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرّي، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر! فأبيتُم عليّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة، حتّى ارتاب الناصح بنصحه، وضمنّ الزند بقده، فكنْتُ أنا وإيّاكم كما قال أخو هوازن :

أمرتكم أمرّي بمنعرج اللوى

فلم تستيحووا النصح إلاّ ضحى^(٢)

(١) الحجاج واللغة، أبو بكر العزّاويّ : ١٦ .

(٢) الخطبة: ٣٥ .



يستهلّ أمير المؤمنين عليه السلام خطابه بمقدّمة (كليّة كبرى)، يبني عليها استدلاله الحجاجيّ الإقناعيّ من أجل إيقاع الأثر في السامع، فضلا عن ذلك توليد قوّة إنجازيّة تمثّل فعلا غير مباشر إزاء (الناصح)، وهو القبول والرضا، فقوله عليه السلام إِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْإِلْمِ الْمَجْرَّبِ تَوْرَثَ الْحَسْرَةَ وَتَعَقَّبَ النَّدَامَةَ (مقدّمة كبرى) ثمّ ينتقل من هذه الكبرى إلى (المقدّمة الصغرى):

١. كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري.

٢. ونخلت لكم مخزون رأيي.

٣. لو كان يطاع لقصير أمر.

وهنا يستظهر الخطاب العلويّ القيم الإنسانيّة التي تمثّلت في (النصح)، الذي يستبطن الخير والحبّ للآخرين، ولاسيما أنّ (الناصح) عالمٌ ومجربٌ ومشفقٌ، ويستلزم قبول قوله، والعمل بنصيحته، غير أنّ جدليّة القيم تظهر في المخالفة (المنصوحين)؛ لأنّهم مخالفيين وجفاة، ومنابذين وعصاة، فصار حاله حال (قصير بن سعد اللخميّ) مولى جذيمة الأبرش ملك على شاطئ الفرات، وكانت الزبّاء ملكة الجزيرة، وكانت من أهل باجرمي، وكانت تتكلّم العربيّة، وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها، فكتبت إليه أنّها لم تجد ملك النساء إلّا قبيحا في السماع وضعيفا في السلطان، وأنّها لم تجد لملكها موضعا ولا لنفسها كفؤا غيرك فأقبل إليّ لأجمع ملكي إلى ملكك، وأصل بلادي ببلادك وتقلّد أمري مع أمرك تريد بذلك الغدر، فلما أتى كتابها، عرض عليهم ما دعتهم إليه، فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولي على ملكها، وكان فيهم قصير فخالفهم فيما أشاروا به، وقال: رأيي فاطر وغدر حاضر،



فلم يوافق جذيمة، فهلك^(١)، واستحضار الذاكرة التاريخيّة في ذهن المتلقّي يولّد تكثيفا في الدلالات، فضلا عن القيم المتقابلة التي شكّلت جدليّة في المنظومة المعرفيّة لطرفي الخطاب، والإمام عليّ عليه السلام يستظهر حاله مع القوم، فكنتُ أنا وإياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى
فلم تستيحو النصح إلاّ ضحى

وهذا الاستظهار هو استظهار للقيم التي استدعاها المقام، ومظاهر هذا الاستدعاء (أنا) و (إياكم) فيه بعد إشاريّ يَأشُرُ المقابلة بين القيم التي شكّلت صراعا بين المتخاطبين، وهذا ما كان واضحا في الاستشهاد الشعريّ.

وقال عليه السلام في ذمّ المتقاسين عن الجهاد: ((يا أشباه الرجال ولا رجال ! حُلُوم الأطفال، وقول ربّات الحجال لو وددتُ أنّي لم أركم، ولم أعرفكم معرفةً، والله جرّت ندما، وأقبت سدما قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا وشحتتم صدري غيظا، وجرّعتموني نغب التّهمام أنفاسا، وأفسدتم لي رأيي بالعصيان والخذلان، حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب))^(٢).

يستفتح أمير المؤمنين عليه السلام خطابه بالنداء، ويستعمل أداة (يا) التي تستعمل للقريب والبعيد، ودلالاتها في الخطاب للبعيد، لغاية حجاجية يريد الكشف عن حالة التذمّر وعدم القبول على القوم ثم يأخذ بالتعريف بهم:

١- أشباه الرجال ولا رجال !

٢- حُلُوم الأطفال.

(١) ينظر: معجم الأمثال: ٢٣٤ .

(٢) الخطبة: ٢٧ .



٣- وقول ربّات الحجال.

والقيمة التي يظهرها الخطاب العلويّ (فساد الرأي) و(الصيان) و(الخدلان)، التي هي نتاج عدم الدراية والمعرفة، التي جادلت قيم المعرفة والدراية بشؤون الحرب التي تكفل للإنسان إنسانيّته وتحافظ عليها، وقد تمثّلت بالقيم التي عرضها أمير المؤمنين (ع)، التي تبيّن ما على الإنسان القيام به، إلّا أنّ قيم (الخوف) و (حب الدنيا) أذهبت بالإنسان على خلاف ما يقتضيه العقل والعلم والمعرفة، ممّا أفقده إنسانيّته، وهذا الصراع القيميّ يتّضح بعبارة الخطاب العلويّ (وددتُ أنّي لم أركم، ولم أعرفكم معرفةً، والله...، قاتلكم الله!)، وهو ينأى بنفسه عن هؤلاء القوم الذين فقدوا إنسانيّتهم بفقدانهم القيم التي أكّدها بقول قريش: (إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب).

وقال (ع) لأصحابه عندما عزم على المسير إلى الخوارج: ((أيها الناس، إيّاكم وتعلّم النجوم إلّا ما يُهدى به في برّ أو بحر، فإنّها تدعو إلى الكهانة، والمنجمّ، كالكاهن، والكاهن كالسّاحر، والسّاحر كالكافر، والكافر في النار سيروا على اسم الله))^(١).

استدعت مقتضيات الخطاب من المتكلّم التنبيه (أيها)، فضلا عن التحذير (إيّاكم)؛ لأنّ القيمة التي يعرضها الخطاب قيمة توحيدية أساسية تمثّل ركيزة أساسية في معتقد الإنسان ألا وهي (التوكّل على الله)، وهذا ما أثبتته الخطاب في قوله (سيروا على اسم الله)، وهو بذلك يثبّت قيمة للإنسان وأبعادها التكامليّة هي التي تتشكّل في بناء الجانب الروحيّ؛ لهذا جاء التنبيه والتحذير من فقدان هذه القيمة باتّباع (تعلّم النجوم) التي هي باب إلى (الكهانة)، وهذه القيمة تحطّ من قيمة الإنسان؛ لهذا نجد أنّ الخطاب تشكّل بنحو استدلائيّ منطقيّ طبيعيّ:



الكاهن كالمساحر (مقدمة كبرى).

المساحر كافر (مقدمة صغرى).

الكافر في النار (النتيجة).

وهذا التقابل القيمي بين (مدّي الغيب) الذي (يتوكّل على الله)، يولّد بعدا إنجازيا (اتركوا الكهانة)، وهنا تقع جدليّة القيم التي تمثّل الأبعاد المعرفيّة لطرفي الخطاب.

وفي خطبته ﷺ التي يستنفر الناس فيها لمحاربة أهل الشام قوله: ((أفّ لكم! لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا؟ وبالذلّ من العزّ خلفا؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكمهم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة، يرتجّ عليكم حوارى فتعمهون، وكأنّ قلوبكم مأنوسة فأنتم لا تعقلون))^(١).

في هذا النصّ توبيخ وضجر من أعمالهم وأفعالهم، فقوله ﷺ و ((أفّ لكم!) أي تبا، واللام في (لكم) لبيان المتضجّر لأجله^(٢)، ثمّ يعوّل على طاقة الاستفهام الإقناعيّة التي في الغالب على الضمنيّ لا على الصريح، وهذا الأمر أهتمّ به (ميشال ماير) في (نظرية المساءلة) إذ بيّن أنّ الافتراضات الضمنيّة هي التي تجعل منه أسلوبا حجاجيا؛ لأنّ الإجابة مهما كان نوعها لا بدّ من أن تسلّم بتلك الافتراضات^(٣)، فالافتراض في الخطاب يقتضي (الإنكار)، وهذا يمثلّ الحجّة؛ لأنّ الاستفهام خرج من دلالته الأصليّة (طلب الجواب) إلى دلالته المجازيّة.

(١) الخطبة: ٣٤.

(٢) ينظر: معجم البيان في تفسير القرآن: ٧: ٨٠.

(٣) ينظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة: ٣٩٤.



أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟.

وبالذلل من العز خلفاً؟.

وهنا تتضح القيم المتضادة المتجادلة بين (الحياة الدنيا) و(الحياة الآخرة)، وبين (الذل) و (العز)، التي ترسم الخطّ التكامليّ في بناء الدائرة الإنسانيّة للإنسان المؤمن، بخلاف الذين اتّخذوا القيم المذمومة التي ترسم مستوى هبوط الإنسانيّة؛ لذا شبّههم تشبيهاً مركّباً، فمرة بأنّ أعينهم تدور حيرة وتردّداً وخوفاً من أحد أمرين: إمّا مخالفة دعوته للجهاد، أو الإقدام على الموت، وفي كلا الأمرين خطر، ثمّ شبّه حالتهم تلك في دوران أعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت، الساهي فيها عن حاضر أحواله المشغول بما يجده من الألم، وهذا التشبيه التمثيليّ مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٦].

ويمكن بناء المنطق الاستدلالي الطبيعي الشرطي على وفق المقدمات الاستفهاميّة:

بما أنّكم رضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً، وبالذلل من العزّ خلفاً

أذن أنتم لا تعقلون

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ في توبيخ أصحابه من أهل الكوفة على التباطؤ عن نصره الحقّ: ((يا أهل الكوفة...، يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلّما جمعت من جانب تفرقت من آخر...، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها، إنّ لعلّي بينة من ربّي، ومنهاج من نبّي، وإنّي لعلّي الطريق الواضح الطُّقُّه لقطاً))^(١).

استلزم المقتضى القوليّ من المخاطب استعمال النداء، لغرض حجاجي لتبنيه المخاطب ولفت انتباهه بما يجب عليه، فالمضمون القضويّ للفعل القوليّ بأنّ المخاطبين (ليسوا رجالاً)، فالخطاب يحمل دلالة النفي والتقرير بحسب تصنيف (سيرل) تكمن قوّته الإنجازيّة في إعلان الحجّة على المخاطب^(١)، بعدما استعمل الاسم الصريح، ثمّ غير بعد ذلك بقوله: (يا أشباه الرجال)، وهذا التغير ما هو إلّا تغير في القيمة، التي تمثّل في سلوكها الخارجيّ (التجمّع) و(التفرّق)، وهذه الجدليّة في القيم مثلت (مقدمة أولى)؛ لتقديم الحجّة على المخاطب، وإلزامه بها مستعينا بالصورة التشبيهيّة بعد بيان انفراج الصحابة عن ابن أبي طالب في المعركة، بانفراج المرأة عند الولادة، وفي ذلك كناية عن العجز والدناءة في العمل^(٢)، وهذا ممّا ولد فعلاً إنجازياً توبيخياً، ثمّ استعمل الضمير الإشاريّ في موضعين:

١- إنيّ لعلّ بينة من ربّي، ومنهاج من نبّي.

٢- وانيّ لعلّ الطريق الواضح ألطّقه لقطا.

وهنا تظهر جدليّة القيم من جديد في استعمال البعد الإشاريّ الذي يحيل إلى ذات أخرى تقابلها، وتتقاطع معها في القيم^(٣)، وهذا القول يرمي إلى إلزام المخاطب بالحجّة العقلية التي تمّ الاستدلال عليها على وفق المنطق الطبيعيّ الاستدلاليّ التي مفادها: بما أنّي لعلّ بينة من ربّي، ومنهاج من نبّي، وأنّي على الطريق يجب أن لا تفرّقوا عنيّ وهذه الحجّة حجّة تبريريّة؛ لأنّ في ذلك خسرانا؛ لأنّهم فقدوا عقلاً مدبراً ورئيساً بارزاً، فشبّههم بالانفراج، وبما أنّ التمثيل يقوم على أساس المشابهة بين

(١) ينظر: نظريّة الفعل الكلاميّ: ١٢٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ضبط نصه د. صبحي الصالح: ١٧٨. (الهامش).

(٣) ينظر: عن الذاتيّة في اللغة: ١١٠.



علاقة المتخاطبين من المسلمين، وعلاقة جمهور المسلمين بالإمام علي عليه السلام القائمة على أساس (علاقة تتسم بالخوف من الجهاد)^(١).

وقوله عليه السلام في ذم المتقاسين عن القتال: ((دعوتكم إلى نصر إخوانكم، فجر جرتم جرجرة الجمل الأعسر، وتناقلتم تناقل النضو الأدبر، ثم خرج إلي منكم جنيد، متدائب ضعيف ﴿﴾ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴿﴾ [الأنفال: ٦])^(٢).

تقابل القيم في الصورة التشبيهية بين الدعوة إلى (النصرة) و(التخاذل) من قبل القوم، تمثلت في حالهم بحال الجمل المصاب بالقرعة الذي يردد صوتا قبيحا، وبحال البعير الهزيل المعقور عندما ينهض متثاقلا، ويسير متثاقلا، ثم يوظف النص القرآني في بيان حال القلة التي خرجوا بها إلى الحرب، وفي هذا دليل على الضعف والتخاذل، وهذا التجاذب بين القيم أخذ يشكل ملامح الإنسانية لدى طرفي الخطاب في ضوء المباني المعرفية التي يركز عليها كلا الطرفين، ولاسيما أن المتكلم مبانيه قرآنية.

ولجوء المتكلم إلى (قانون الإخبار) من المكوّنات الأساسية في عملية التواصل، وعملية تزويد المتلقي بالمعلومات التي تجعل هذه المعلومات حجة على المتلقي^(٣):

فجر جرتم جرجرة الجمل الأعسر.

وتناقلتم تناقل النضو الأدبر.

ثم خرج إلي منكم جنيد، متدائب ضعيف.

(١) ينظر: حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي - خطب الإمام علي - أنموذجا: ٩٤.

(٢) الخطبة: ٣٩.

(٣) ينظر: الحجاج في الشعر بنيتة وأساليبه: ١٥٠.



وفي قوله (إخوانكم) ترغيباً لهم على القتال، وبثّ الحميّة في نفوسهم، ومن فعاليّة الخطاب العلويّ تضمين الخطاب القرآنيّ، وهذه أسلوبية للإمام عليه السلام ^(١).

المطلب الثاني: الحجاج المُدعم وجدليّة التقابل القيميّ في الخطاب العلويّ
السياق الخارجيّ هو الحاكم في رسم أسلوبية الخطاب، ولاسيما إذا كان غرض المخاطب إيقاع الأثر، فضلاً عن سرعة الإنجاز، وحتىّ يكون ذلك اتّخذ المخاطب (التقابل) مسلكاً لتوليد التفاعل المعرفيّ الإنسانيّ؛ لأنّ التقابل (تضادّ) في المعاني ^(٢)، قال ابن الأثير: ((واعلم أنّ في تقابل المعاني باباً عجيب الأمر، يحتاج إلى فضل تأمل، وزيادة نظر وتدبّر...، وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر نفعاً منه، ولا أعظم فائدة)) ^(٣).

وأسلوبية الخطاب العلويّ وظّفت هذا التقابل في استظهار القيم الإنسانيّة المتقابلة التي تحكي الأبعاد المعرفيّة للدوات المتحوّرة التي شكّلها أمير المؤمنين عليه السلام في خطابه، فقله: ((ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها، وقلائدها ورعشها...، فلو أنّ امرأً مُسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عنديّ جديراً، فيا عجباً! عجباً والله يُميت القلب، ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفترّقكم عن حقّكم! فقبّحوا لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يُرمى، يُغار عليكم ولا تغفرون، وتُغزّون ولا تغزّون، ويُعصى الله وترضون!!)) ^(٤).

(١) ينظر: الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة: ٢٠٧.

(٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ: ١٧٧.

(٣) المثل السائر: ٢: ٢٦٥.

(٤) الخطبة: ٢٧.



أضحى الإخبار في ضوء (مبدأ التعاون) وظيفه أساسية في تقليل المسافة بين المتخاطبين للوصول، ولاسيما أنه ضمن وقائع وأحداث واقعية تثبت صدق مضمون الخبر:

الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة.
فيتز حجلها وقُلبها، وقلائدها ورُعْثها.

واستعمال هذه التقنيّة (الوقائع والأحداث التاريخية)؛ لبيان فضاغة الفعل، ووضاعة القيم ودناءتها، التي يحملونها، ثم يرتب الإمام عليه السلام على هذه الإحداث والوقائع حدثا يمثل مقدار القبح (فلو أن امرأةً مُسلمًا مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان عندي جديرا)، وهذه المواجهة بين القيم ولدت صورة عن الهيئة التي كان عليها القوم، وبشاعة هذه الصورة، ومع بشاعة هذه الصورة وقباحة منظرها، التي تجسدت بأصل فعلهم التطبيقي نجد (اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم!)، والحق يقتضي عكس ذلك الفعل، وهذا ما يفسّر وجه التعجّب من قبل الإمام عليه السلام (فيا عجبا! عجبا والله يُميت القلب)، و(يجلب الهم)، لا بل توجيه القول مباشرة، وفضحهم، وفي ذلك حجة عليهم، وقطع الطريق عنهم:

حين صرتم غرضا يرمى، يُغار عليكم ولا تغيرون.

وتغزون ولا تغزون.

ويُعصى الله وترضون.

وهذه نتيجة في الوقت نفسه صدرها الإمام في خطابه إلى المتلقّي الحاضر، والغائب الكوني، وهي دعوة إلى الابتعاد عن قبائح الأفعال ولاسيما التي تنافي الإنسانية؛ لأنّ الخاسر في ذلك هو الذي قام بالفعل، وليس الذي وقع عليه الفعل.

وقال عليه السلام في الخوارج: ((كلمة حق يُراد بها باطل! نعم إنه لا حُكم إلا لله

ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بدّ للنّاس من أمير برٍّ أو فاجرٍ يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر))^(١).

ارتدادات الحقّ على لسان المدّعين، يراد منه إيهاّم الأُمَّة، فضلا عن تحسين الصورة الخارجيّة لهم، بمعنى الحفاظ على الصورة الإنسانيّة الطالبة للحقّ، وهذه القيمة الإنسانيّة ثبّتها الإمام عليه السلام بقوله (نعم إنّه لا حُكْم إلا لله)، ولكن هذه الدعوة من قبل المدّعين كانت باطلة؛ لأنّهم لا يعملون بها، ولا يسيرون عليها، وهنا جاءت الإشكاليّة القيميّة بين (الادّعاء)، و (الواقع)، وهذا يخلق تناقضا وصراعا داخليّا، يكشف عنه السلوك التطبيقيّ العمليّ الذي هو خارج (الادّعاء)، والمسوّغ لهذه الدعوة (لا بدّ للنّاس من أمير برٍّ أو فاجرٍ)، وهم بذلك يريدون أن يقولوا بحسب القول المضمّر لا يشترط إمامة الإمام علي؛ لكونه عادلا، فتداخل القيم عكس حجم الصراع فيما بين الحقيقتين الواقعيّة وخلافها، علما أنّ نتاج هذا الصراع الداخليّ في المواقف المختلفة جعل القيم تناقض السلوك، الذي يمثّل المنطلقات المعرفيّة للأشخاص التي تشكّل جوهر القناعات، التي في ضوئها يتشكّل السلوك الخارجيّ الذي يتعد عن دائرة الإنسانيّة، والخطاب في طيّاته يستلزم فعلا إنجازيا (التنبه والحثّ على الإمساك بالحقّ قولا وفعلا).

وقال عليه السلام: ((ما أنتم لي بثقّة سجيس الليلي، وما أنتم بركنٍ يُمال بكم، ولا زوافر عزٍّ يفترق إليكم، ما أنتم إلا كإبل ضلّ عنها رُعاتها، فكُلّمّا جُمعت من جانب انتشرت من آخر))^(٢).

يكشف النفي في بعده التداوليّ عن الجوانب الإثباتيّة التي تحملها المحمولات

(١) الخطبة: ٤٠.

(٢) م: ٣٤.



الخبرية في صياغاتها المنفية، ويمكن بيان ذلك:

ما أنتم لي بثقةٍ سَجِيسِ اللَّيَالِي أنا لا أثقُ بكم، وأنتم لستم أهلاً للثقة.
وما أنتم بركنٍ يُمال بكم أنا لا اعتمد عليكم، وأنتم لستم أهلاً لأن يُعتمد عليكم
ولا زوافر عزٍ يفترق إليكم

ما أنتم إلا كإبل ضلَّ عنها رُعاتها أنتم قوم لا تملكون عقلاً، فتفرّقتم عن الحقِّ
كشف القناع عن القيم في الخطاب العلويّ، ولاسيما الخطاب الموجه إلى
الناس بنصحهم إلى الطريق السديد، الذي يرسم في بعده الإجماليّ دعوة إلى هذه
القيم؛ لكونها تشكّل قيماً إنسانيةً، فضلاً عن أنّها تكشف عن المضادات لهذه القيم
التي شكّلت وجهها لوجه جدلاً قيمياً، وهذا الجدل له أبعاد حجاجية تريد تصدير
خطاب إعلاميّ يعلن فيه عن (القيم الإنسانية)، التي تحفظ هوية الإنسان، وترسم
الملامح الحقيقية له.

وقال عليه السلام: ((والله لا أكونُ كالضَّب: تنام على طول اللدم، حتّى يصل إليها
طالبها، ويختلها راصدها، ولكنّي أضرب بالمُقبل إلى الحقّ المدبر عنه، وبالسامع
المُطيع العاصي المُريب أبداً، حتّى يأتي عليّ يومي))^(١).

افتتاح الخطاب بالتوكيد بالقسم أعطى طاقة حجاجية عالية، وأنتج مفهوماً
دلاليّاً هدم فيه الأفكار والآراء التي تشكّل عالم خطاب الخصوم في صيغته: (ليس
ق «قضية» ب «صادقة») ^(٢)، والمفهوم الذي هدمه الخطاب (لا أكونُ كالضَّب)، التي
(تنام على طول اللدم، حتّى يصل إليها طالبها، ويختلها راصدها)، وفي ذلك فعلٌ
إنجازيّ يتمثّل في (أنتم كالضَّب)، وهذا يستلزم منها صفاتها (تنام على طول اللدم)،

(١) الخطبة: ٦.

(٢) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية: ٢٧٠.



و (يصل إليها طالبها)، و(يختلها راصدها)، وفي ذلك حجّة على متلقّي الخطاب، الذي تمثّل بهذه القيم التي تحطّ من قدره، وتبتعد عن الإنسانيّة؛ لهذا كانت محلّ النفي والاعتراض من الإمام (عليه السلام)، واستدرك مؤشرا في البعد الذاتيّ إلى القيم التي مثلها في (الحقّ) و(السامع المطيع)، وقد لجأ المتكلّم إلى استعمال العامل الحجاجيّ (لكن) من أجل تقييد الإمكانيّات الحجاجيّة^(١)، فالقيمة الحجاجيّة في هذا القول تخدم نتيجة واحدة (أني ملازم للحقّ، وتابع له) حتّى يأتي يومي، وهذا العامل الحجاجيّ أصبح عنصر توجيه، وتعزيز للخطاب^(٢)، وبذلك تنكشف القيم الحقيقيّة الإنسانيّة التي أضحت تقابل القيم الهابطة، التي بدورها أخذت تتجادل معها، فتولّد الجدل المبنيّ على القيم المعرفيّة التي تملكت الإنسان، وبرز في الجانب السلوك العمليّ الخارجيّ الذي يمثّل المرآة العاكسة للمعطيات الداخليّة للفرد الإنسانيّ .

وقال (عليه السلام): ((يزعم أنّه قد بايع بيده، ولم يُبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة، وادّعى الوليعة، فليأت عليها بأمر يُعرف، وإلاّ فليدخل فيما خرج منه))^(٣).

يستند المتكلّم على تقنيّة (طرائق الفصل أو الانفصال)، وهي من التقنيات الحجاجيّة القائمة ((على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض، مردّه إلى زوج الظاهر/ الواقع أو الحقيقة))^(٤)، ولا يتسنّى هذا الفصل إلاّ في العناصر التي تؤلّف وحدة واحدة يتمّ فصلها لغايات حجاجيّة، وهدف هذا

(١) ينظر: الحجاج في درس الفلسفة: ٥٤ .

(٢) ينظر: العوامل الحجاجيّة في اللغة العربيّة: ٢٥ .

(٣) الخطبة: ٨ .

(٤) الحجاج أُطره ومنطلقاته وتقنياته، (بحث): ٣٤٣، وينظر: حجاجيّة الصورة في الخطابة السياسيّة

لدى الإمام عليّ (عليه السلام): ١٢٥ .



الوصل استبعاد أحد العنصرين، ثم تأكيد العنصر المتبقي منها^(١)، فالزعم: ادعاء العلم، والعلم يقتضي مطابقة الواقع، وهو أنه لم يبايع بقلبه، بل بايع بيده، وهذا غير مطابق للحقيقة وانفصال عنها، والحقيقة أنه بايع، وفي ذلك جدل بين الذات الواحدة التي خالفت المفهوم من أجل الإيهام، وهي بفعلها هذا ناصرت الباطل، وتركت الحق، فالجدل الإنساني في القيم هو الذي يشكّل المظهر السلوكي الخارجي، وهذا ما نجده في البيعة التي شكّلت الجانب السلوكي للمفاهيم الداخلية التي على أساسها يفسّر ذلك السلوك.

وقال عليه السلام: ((والله لا يزالون حتّى لا يدّعوا لله محرماً إلاّ استحلّوا، ولا عقداً إلاّ حلّوه، وحتّى لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ، إلاّ دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتّى يقوم الباكيان يبكيان، باكٍ لدينه، وباكٍ يبكي لديناه))^(٢).

يعطي التوكيد بالقسم طاقة حجاجية عالية، وينتج مفهوماً دلاليّاً يهدم فيه الأفكار والآراء التي تشكّل عالم خطاب الخصوم في صيغته: (ليس ق «قضية» ب «صادقة»)^(٣)، وهو يريد به أثبات:

لا يدّعوا لله محرماً إلاّ استحلّوا.

ولا عقداً إلاّ حلّوه.

والخطاب يريد تقرير نتيجة سلوكية من هذه المقدمات ألا وهي:

١- وحتّى لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ، إلاّ دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم.

٢- وحتّى يقوم الباكيان يبكيان، باكٍ لدينه، وباكٍ يبكي لديناه.

(١) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في النقد المعاصر: ١٣٢-١٣٣.

(٢) الخطبة: ٩٨.

(٣) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية: ٢٧٠.



فالتقابل القيميّ في الخطاب العلويّ يكشف عن حجم الصراع الداخليّ، المبنيّ في الأصل على الجوانب المعرفيّة التي تملكت الإنسان، إذ شكّلت في صورتين (باكٍ لدينه، وباكٍ يبكي لديناه)، وهذا يمثل طرفي نقيض في الجوانب القيميّة الإنسانيّة، وفلسفة الخطاب ترمي إلى بيان أحوال الناس ومسالكها إزاء المواقف الحيّاتيّة، وفيه دعوة إلى تبنيّ القيم التي لا تناقض الإنسانيّة، بل التي تحقّق فعلاً إنسانياً.

فالمنجز اللفظيّ في الخطاب العلويّ يستند إلى مرتكزات أساسيّة لها علاقة وثيقة ببنية التكوين الفكريّ لذهنيّة الإمام عليه السلام، التي لا يمكن فصلها عن المضمون القرآنيّ^(١)، وكان فيها الإمام عليه السلام ((يصدر عن رؤية كونيّة شاملة محاورها ثلاثة موضوعات لا انفصال بينها هي: الله والعالم والإنسان))^(٢).

الخاتمة:

تسمية الخطاب بأنّه إنسانيّ، أو توصيفه بالحجاجيّ قائم على أساس القيم التي يحكيها الخطاب في تضاييف نصوصه؛ لأنّ القيم هي التي تحفظ كنه الإنسان وجوهره، والخطاب العلويّ يحمل الكثير من القيم؛ لأنّ بواعثه إرشاديّة توجيهيّة تسعى إلى الحفاظ على الإنسان، لهذا يحتاج هذا الخطاب لمفاهيم قرآنيّة؛ لكون الإنسان قيمة عليا، وهو المخاطب في أصل الخطاب؛ لذا وقف البحث على نتائج منها:

١ - أوضحت المضامين المعرفيّة في الخطاب العلويّ أبعادا حجاجيّة إقناعيّة، تستلزم الفعل الإنجازيّ من قبل المخاطب.

(١) ينظر: الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة: ٣٥٠.

(٢) عبقرية الإمام عليّ عليه السلام: ٤٢.



٢- شكّلت القيمة القرآنيّة في الخطاب العلويّ حجّةً على متلقّي الخطاب، ولاسيما أنّ المخاطب تمثّلت فيه قيم (العجب، والخوف، والرفض من الجهاد) ممّا ولد جدلاً بين القيم.

٣- كشف الخطاب عن الصراع الداخليّ في الذات الواحدة، وهذا الصراع الجدليّ يتّضح وبيان بفعل المواقف التي يتعرّض لها الإنسان.

٤- التجأ الخطاب العلويّ إلى تبني استراتيجيّات متعدّد تمثّلت في أساليب متنوعة أظهرت الحجاج المُدعّم القيم، ولاسيما في السلوك الخارجيّ الكاشف عن الجوانب المعرفيّة المتبنّاة من قبل طرفي الخطاب.

٥- بيّن الخطاب العلويّ المقاصد الخطابيّة في ضوء القيم الإنسانيّة التي يعرضها، وتقابل القيم التي تعارضها وتناقضها، ولاسيما في المواقف المحرّجة، وهي دعوات الجهاد والنصرة، والدفاع عن الدين.

٦- قرّب الخطاب العلويّ الحجاجيّ المُدعّم عن طريق الصور التشبيهيّة الكثير من الوقائع والأحداث التاريخيّة التي كان لها مساس في الحاضرة العربيّة.

٧- تضمّن الحجاج المُدعّم في الخطاب العلويّ الكثير من الأفعال غير المباشرة، من أجل توليد أفعال إنجازيّة تمثّل دعوة صريحة من المتكلّم من أجل التأثير بالمخاطب.

٨- لم يتعد الخطاب العلويّ عن دائرة الخطاب القرآنيّ في الجوانب الإنسانيّة، والقيميّة، بل كان النصّ القرآنيّ المعصّد، والساند والحاضر في أصل الخطاب، بل لا ينفك عنه.



ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم مصدر العربيّة الأوّل.

الكتب المطبوعة

- ١- الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة "دراسة في الشكل والمضمون"، د. عباس علي حسين، منشورات الفجر، بيروت، ط ١، ٢٠١٠ م.
- ٢- بلاغة الخطاب وعلم النصّ، د. صلاح فضل، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، ط ٢٠٠٤، ١ م.
- ٣- الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في النقد المعاصر، د. محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ٤- الحجاج في درس الفلسفة، إعداد وإنجاز خلية البحث التربويّ لمادة الفلسفة بأكاديمية أنفا، دار البيضاء، أفريقيا الشرق - المغرب، (د- ط)، ٢٠٠٦ م.
- ٥- الحجاج في الشعر بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ٢، ٢٠١٢ م.
- ٦- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، دار الفارابي - بيروت، كلية الآداب والفنون والإنسانيّات منوّبة، ودار المعرفة للنشر - تونس، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
- ٧- حجاجيّة الصورة الفنيّة في الخطاب الحربيّ "خطب الإمام عليّ" إنموذجاً، د. علي عمران، مطبعة دار نينوى، دمشق، (د- ط)، ٢٠٠٩ م.
- ٨- حجاجيّة الصورة في الخطابة السياسيّة لدى الإمام عليّ (ع)، د. كمال الزماتيّ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط ١، ١٠١٢ م.
- ٩- عبقرية الإمام عليّ (ع)، عباس محمود العقاد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د- ط) .



- ١٠- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط ١، ٢٠١١م.
- ١١- عن الذاتية في اللغة، إميل بنفنست، دار البيضاء، أفريقيا الشرق - المغرب، ط ١، ٢٠١٠م.
- ١٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار القارئ دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.
- ١٣- مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (ط - د).
- ١٤- نهج البلاغة، الشريف الرضي، ضبطه نصّه وابتكر فهارسه العلمية، د. صبحي الصالح، مطبعة الرسول، قم المقدّسة، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- ١٥- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، الأستاذ هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.

البحوث في الدوريات العلمية:

- ١- البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة، لميشال ماير (بحث): ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب - منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس (د - ت).
- ٢- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته (بحث): ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب - منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس (د - ت).

نص الدعاءِ وشعرية تودوروف الأجناسية

دعاء كميل اختياراً

أ.د. خليل شكري هياس أحمد علي الهادي سليمان

جامعة الحمدانية / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

يمثل الدعاءُ نصّاً أدبياً مهماً يحملُ في مضامينه دلالاتٍ أدبيةً ولغويةً، وقد حثَّ القرآنُ الكريمُ على الدعاءِ، وخصّته الشريعةُ الإسلاميةُ بمكانةٍ عاليةٍ، إذ يُعدُّ سلاحَ المؤمنِ، وقد ذكرَ عزَّ وجلَّ في القرآنِ الكريمِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فكان الدعاءُ حاضرًا في نهج أهل البيت عليهم السلام وكانوا يعلمونه في مجالسهم، ويحثُّون أصحابهم على التَّقَرُّبِ مِنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ بالدُّعاءِ، ولم يقتصرُوا في أدعيتهم على وظيفةٍ معيَّنة؛ بل سعوا من خلالها إلى وظائفٍ وغاياتٍ عدَّةٍ، واستثمروها للتعبير عن الكثير من الأفكار والمشاكل التي كان يُعاني منها المجتمع آنذاك، إلى جانب هذه الأهميَّةِ الدنيَّةِ للدعاء نرى أنَّ له أهميَّةً أجناسيةً تتطلَّبُ منَّا دراسته بوصفه نوعاً أدبياً نثرياً، وعليه فإنَّ البحثَ في هذا الموضوع له أهميَّته وفوائده الجمَّة؛ ومنها: ١. السعيُّ إلى جعل الدعاءِ نصّاً خطابياً، فيه خصائصٌ ومميَّزاتٌ ما يجعله يستحقُّ أن يكون فنّاً مستقلاً من فنون النثر.



٢. بيان ما يتضمّنه الدعاء من مضامين أدبيّة ولغويّة تناسب مقام الأئمّة عليهم السلام.
 ٣. العمل على إيجاد آلياتٍ عربيّةٍ لتحليل الخطاب تناسبُ الخطاب الديني.
 ٤. الكشفُ عن الثراء المعرفي واللغوي في أدعية آل البيت عليهم السلام.
 ٥. إزاحة الستار عن مواطن الإبداع في الأدعية المدروسة.
- من هذا المنطلقِ جاءت دراستنا للدعاء بعد اختيارِ نصِّ دعائيٍّ ماثور، له وقع في نفوس المؤمنين، كيف لا وهو مصاغٌ من أمير البلاغة العربيّة وسيّد البلغاء إمامنا عليّ بن أبي طالبٍ (عليه وعلى أهل بيته الصلاة والسلام)، وهو دعاءٌ كميل الذي عُرفَ بسنده وروايته الصحيحة الموثوقة، كما سنبين في البحث.
- الكلمات المفتاحية: دعاء كميل، شعريّة تودوروف الأجناسيّة.

Abstract:

Supplication represents a significant literary text carrying profound literary and linguistic connotations. The Holy Qur'an has urged the act of supplication, and Islamic Sharia has accorded it a high status, as it is considered the "weapon of the believer." Allah Almighty states in the Holy Qur'an: "And when My servants ask you, [O Muhammad], concerning Me - indeed I am near. I respond to the invocation of the supplicant when he calls upon Me. So let them respond to Me [by obedience] and believe in Me that they may be led aright." [Al-Baqarah: 186].

Supplication was ever-present in the approach of the Ahl al-Bayt (PBUT); they taught it in their gatherings and encouraged their companions to draw closer to Allah through it. Their supplications were not limited to a single function; rather, they sought multiple purposes and goals, utilizing them to express numerous ideas and societal issues of that era. Alongside this



religious importance, supplication holds a generic (genological) importance that requires us to study it as a prose literary genre. Consequently, researching this topic is of great significance and benefit, including:

Striving to establish supplication as a discursive text with characteristics that qualify it as an independent art among prose arts.

Demonstrating the literary and linguistic content within supplications that befits the status of the Imams (PBUT).

Working toward developing Arabic mechanisms for discourse analysis suited for religious discourse.

Revealing the cognitive and linguistic richness in the supplications of the Ahl al-Bayt (PBUT).

Unveiling the aspects of creativity within the studied supplications.

From this standpoint, our study of supplication follows the selection of a traditional text that resonates deeply with believers, authored by the Master of Arabic Eloquence, Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH). This is Dua Kumayl, renowned for its authentic and reliable chain of transmission, as will be demonstrated in the research.

Keywords: Dua Kumayl, Todorov's Generic Poetics.



التعريفُ بدعاءِ كميلٍ ووثاقتهُ روايتهُ وسندهُ:

يبقى الدعاءُ نصًّا تراثيًّا وردَ إلينا مرويًا من زمنٍ معيّنٍ عن زمنٍ آخر، وصولًا وامتدادًا للأزمنةِ المقبلةِ بتتابعِ الرواة، وقد وضع علماءُ الإسلامِ معاييرَ للتثبتِ من صحّةِ ما ورد في التراثِ منسوبًا للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأئمةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتتغيّرُ هذه المعاييرُ بتغيّرِ المنظومةِ التراثيةِ ((فهناك معاييرٌ مختلفةٌ منها؛ العقائديّةُ، والفقهيةُ، والتاريخيةُ، والأخلاقيةُ، وما يتّصل بها من مندوباتٍ في الشريعة، ومنها التوثيقيةُ التي تتمثّل بـ:

١ - صحّةُ الكتاب: يشترطُ أن تكون المادّةُ التراثيةُ واردةً في كتابٍ معتبرٍ معلومٍ المؤلّفِ ثابتةٍ نسبتهِ إليه))^(١).

٢ - سلامةُ السند: وهو شرطٌ مهمٌّ في قبول النصِّ التراثيِّ، فيشترطُ أن تكون سلسلةُ السندِ سليمةً من الخدوش المزبور تفصيلها في علم الدراية.

٣ - سلامةُ المتن: قد يكون السند صحيحًا لكن لا يعني أنّ النصَّ قد صحَّ صدوره من المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ((وإنّما يلجأ إلى دراسةِ المتن دراسةً مستفيضةً، للتأكّد من سلامتهِ ممّا يُخالفُ الثّوابتَ القرآنيّةَ، وما ورد في السنّةِ مشهورًا، والثّوابتَ العقليّةَ))^(٢).

ويعدُّ دعاءُ كميلٍ من الأدعيةِ الصحيحةِ سندًا وروايةً، إذ روي هذا الدعاءُ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ علّمه تلميذه، وصاحبه كميل بن زياد النخعي (٨٢هـ)، وقد عرّف بدعاء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويُمكننا التّثبتُ من وثاقتهِ بدراسة ذلك وفق المعايير التي ذُكرت:

صحّةُ الكتاب المرويِّ فيه الدعاء: ((رُويَ الدعاءُ في كتاب (مصباح المتهدّج)

(١) شرح البداية في علم الدراية: ١١٣.

(٢) مرآة العقول في شرح أحاديث آل الرسول: ٤٢.



للشيخ الطوسي، وهذا الكتاب من أوثق كتب الأدعية، وأصحها، ومؤلفه شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) المعروف بالعلم، والفضل، والتحقيق^(١).

سند الدعاء: قال السيد عز الدين بحر العلوم: ((إن هذا الدعاء يتمتع بثقة عالية من حيث السند، فلا يشك أحد من الخاصة والعامة بصدوره عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتعليمه لكميل بن زياد، والذي سمي الدعاء باسمه^(٢)).

متن الدعاء: ((يتميز هذا الدعاء كغيره من أدعية أهل البيت عليهم السلام بلغة عالية المضامين، راعة النسخ، متقنة السبك، ولا يُخالف في مضامينه ثابتاً شرعياً، أو مسلماً عقلياً، فهو يحمل معاني سامية تجعله محاطاً بهالة من الوثاقة بصدوره من الإمام علي عليه السلام)^(٣).

شعرية تودوروف الأجناسية:

يُعدُّ الناقد تودوروف (TodorovTzvetan) من النقاد الذين أولوا الشعرية أهمية كبيرة، وهو فيلسوف وناقد فرنسي بلغاري، اهتمَّ بالنظرية الأدبية، وتاريخ الفكر، وبالقضايا النقدية والثقافية، ومن مؤلفاته؛ شعرية النشر (١٩٧١)، ومقدمة الشاعرية (١٩٨١)، والشعرية (١٩٦٨)^(٤)، وقد توسَّع في مفهوم الشعرية وقارب في ذلك ما توصل إليه (فاليري)، بعد أن اعتمد على منطلقاته، إذ إنَّ الشعرية لديه: هي اسمٌ لكلِّ ما له صلةٌ بالإبداع عامةً ((إذ يرى أنَّها ترتبطُ بكلِّ الأدب؛ منظومه ومنتوره،

(١) كتاب مصباح المتعجب: ٢٥.

(٢) أضواء على دعاء كميل: ٧٩.

(٣) م. ن: ٨٠.

(٤) ينظر: الشعرية والنقد الأدبي عند العرب مدخل نظري ودراسة تطبيقية، أطروحة: ٨٦.



تهتمُّ بالبنياتِ المجرّدة للأدب، وهي لا تعمل بمفردها بل تستعين بالعلوم الأخرى التي تتقاطع معها في مجال الكلام، وهذا مستلهمٌ من المفهوم الفاليري للشعرية^(١). وإذا تأملنا في شعرية (تودوروف) فسنجدها تعتمداً بشكلٍ وبآخر على البنيوية، وهذا ما يشير إليه (عثماني ميلود) إذ يقول: ((إنَّ الشعرية عند تودوروف تريد أن تكون بنيوية، مادام أنَّ الشعرية لا تهتمُّ بالوقائع التجريبية، ولكن بالبنى المجرّدة (الأدب)، إلا أنَّ الأدب هو موضوعٌ لكثيرٍ من العلوم المشتغلة عليه، والموظفة له في حقول اشتغالها، إنَّ شعرية (تودوروف) ترى في هذه العلوم عوناً لها مادامت هذه الأخيرة تجلُّ الكلام جزءاً من اهتماماتها))^(٢)، والشعرية عنده لا تهتمُّ بوظيفة الأدب، بل إنَّها تهتمُّ بشقِّ هامٍّ من شقِّي الأدب ألا وهي البنية، إذ يقول: ((إنَّ الاهتمام بالأجناس الأدبية قد يبدو في أيامنا هذه تزجية للوقت لا نفع فيه إن لم يكن مغلوطاً تاريخياً))^(٣)، لقد عمل (تودوروف) إلى تحديد مفهوم الشعرية استناداً إلى الفرق بين ((الأثر الأدبي المُنتج من خلال المؤلف الحقيقي، وبين النَّص الذي يُنتجهُ القارئ، وينفي أن يكون الأثر الأدبي موضوع الشعرية؛ لأنَّه عملٌ موجود، في حين أنَّ الشعرية حسب رأيه موضوعها عملٌ محتملٌ، وعلى صعيد النَّص فهو يُفرِّق بين النَّص بوصفه بنية معرفية متكاملة تكون قابلةً للشرح والتفسير؛ وبين النَّص بوصفه بناءً مجرداً))^(٤)، كما أنَّ الشعرية في مسألة تأويل النَّص لا تسعى إلى تسمية معنى الشعرية، وإنَّما إلى معرفة القوانين العامة التي تعتمداً في ولادة كلِّ عملٍ^(٥)، وهذا يعني أن تودوروف

(١) شعرية تودوروف: ١٦.

(٢) م.ن: ١٦.

(٣) الشعرية: ٢٣.

(٤) الشعرية والنقد الأدبي عند العرب مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ٨٧.

(٥) رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية الغربية: ٢٣٤.



يركز في موضوع الشعرية على البحث ((عن قوانين الخطاب الأدبي في كل من الشعر والنثر، فالأدب كلامٌ يبعثُ اللذة أو يثير الاهتمام لدى سامعه أو قارئه، ويكونُ الخلودُ مصيره أكثر صناعة من الكلام العادي))^(١)، وقد عمل تودوروف على ربط الشعرية بالخطاب الأدبي لكي يُثير اهتمام سامعه أو قارئه، وهذا يعني: أن الشعرية لديه ليست لها علاقة بنتائج العمل الأدبي، وإنما تنحصر علاقتها بالخطاب الأدبي وخصائصه.

وقد اعتمد (تودوروف) في دراسته وتحليله للخطاب على المنهج اللساني ((فاللسانيات تعمل على دراسة اللغة من حيث بُنياتها (الصوتية والنحوية والدلالية) والشعرية كذلك، إلا أنها أعم وأشمل فهي تضم اللسانيات))^(٢)، وقد عمل (تودوروف) على الربط ((بين مفهوم الشعرية ومفهوم الأدبية الذي يرتبط في أصوله بنظرية الأدب، وبهذا حاول إقامة علم للأدب، ووصل إلى أن النظرية الأدبية في ثوبها الجديد لم تعد تولي اهتماماً بالعوامل الخارجية بتشعباتها وتعقداتها، بل أصبحت تهتم بالميزات الخاصة بالأدب ومقوماتها الجمالية، ومن هذا المنطلق توثقت العلاقة بين الأدبية وبين نظريات الفنون وعلم الجمال بصفة عامة))^(٣)، ومن هنا ((ينطلق (تودوروف) من فكرة أن الشعرية جاءت لتُفصل أو تضع حدًا للتوازي القائم بين التأويل والعلم في حقل الدراسات الأدبية، ومن ثم فإن الشعرية كما عرّفها آنفاً؛ هي دراسة منهجية للأدب تعتمد على عنصرين أو عاملين متقابلين يعملان بطريقة متناغمة يكشف كل واحد من هذين العاملين عن جمالية الآخر، وهما:

(١) الشعرية والنقد الأدبي عند العرب مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ٨٨.

(٢) م. ن: ٨٨.

(٣) الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية: ١٣.



١- التجريد: يقوم بحسب (تودوروف) على الصياغة والكشف موضوعياً عن قوانين مجردة استناداً إلى أن العمل الأدبي ليس هو موضوع الشعريّة، بل ما يستخلص من خصائص تحديد الخطاب النوعي (الأدبي)، وكلّ عمل هو تجلّ لبنية محدّدة وعمامة ليس العمل واحداً من إنجازاتها الممكنة، ومن ثمّ فإنّ هذا العلم لا يُعنى بالأدب بل الأدب الممكن، أي: الخصائص المجرّدة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي: الأدبيّة.

٢- التوجيه الباطني: لا يمكن ملاحظة أثر هذه القوانين على سطح الخطاب الأدبيّ كما لا يمكنها أن تغيب عن البنية الداخليّة، وهذا التوجيه الباطني يتحكّم في سيرورة الخطاب وانتقاله من الحالة العاديّة إلى الخطاب النوعي، ويمنح هذا التوجيه أيضاً للقارئ مجالاً أرحب للحركة داخل النّصّ وبين ثناياه^(١).

في الحقيقة أنّ (تودوروف) لا يغفل ما يعترى شعريّته من نقص، فيلمح إلى ((أنّ شعريّته لا يمكنها أن تحلّ كلّ معضلات النّصّ الأدبيّ، بقدر ما هي مقارنة من منظور لسانيّ يجعل أولى أولويّاته المظهر الدلالي للإجابة عن الإشكالات التي تُطرح ذاتها في النّصّ الأدبيّ، والتي هي من قبيل: ماهي الكيفيّة التي يدلّ بها النّصّ؟ وعلام يدلّ؟ مع أنّ المقاربة اللسانية تهتمّ بالدلالة الحصريّة السطحيّة، وتغفل المعاني الخفيّة، والانتظام الدالّ للخطاب^(٢)))، فنظرة (تودوروف) إلى هذا النوع الأدبيّ على أنّه ((يشكّل في مجتمع ما، تردّداً لبعض الخصائص الخطابية، وأنّ النصوص الفرديّة تنتج وتدرّك على أساس معيار قبلي، شكّله المجتمع حسب ترميزه الخاص، والمقصود بالخصائص الخطابيّة هو تحويل أيّ مظهر خطابيّ إلى مظهر إلزاميّ

(١) التواصل اللساني والشعرية: ٥٤.

(٢) شعرية تودوروف: ٢٧.



(صوتياً، فونولوجياً، أوتوماتيكياً، أو لفظياً))^(١)، وقد صنّفَ (تودوروف) علاقةَ الشعريّة بالخطابِ الأدبيِّ إلى صنفينِ أساسينِ:

١ - علاقاتٌ حضوريةٌ بين عناصرٍ حاضرة.

٢ - علاقاتٌ غيابيةٌ بين عناصرٍ غائبة.^(٢)

ويرى (تودوروف) محدودية هذا التقسيم، ((الذي لا يمكن أن يكون مطلقاً؛ ذلك أن الحضور والغياب يشكّلان ثنائيةً ضديّةً يمكنُ تجسيدها بعدّةٍ أوجه:

١ - عناصرٌ حاضرةٌ تجسّدُ علاقاتٍ حضورية.

٢ - عناصرٌ حاضرةٌ تجسّدُ علاقاتٍ غيابية (تناص).

٣ - عناصرٌ غائبةٌ تجسّدُ علاقاتٍ غيابية.

٤ - عناصرٌ غائبةٌ تجسّدُ علاقاتٍ حضورية (حضور في الذاكرة الجماعية))^(٣).

هذه العلاقات كلّها يجسدها (تودوروف) في مستوياتِ النّصيّة الأسلوبية الثلاثة (المستوى اللفظي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي)، إذ يقول: ((هذه المظاهر الثلاثة للأثر الأدبي، تتمظهرُ في تداخلٍ علائقي مُعقّد، وأنها لا توجد منعزلةً إلّا في تحليلنا، وهي قابلةٌ للملاحظة من خلال عالمِ الأدب، بوصفه تمظهرات لبني مجردة، على الشعريّة أن تبحثَ على مستوياتٍ تداخلها وانتظامها داخل النّص))^(٤).

إنّ المستوى الدلالي يُعمّقُ النظرة لمواضعِ الكلمِ في النّصّ الخطابي، أي: بصرفِ النظر عن المفردة كمفردة، والاهتمام بها داخل النسيجِ المركّبِ للخطابِ.

(١) الشعريّة من منظور غربيٍ حديثي: ٥.

(٢) م. ن: ٦.

(٣) م. ن: ٦.

(٤) شعريّة تودوروف: ٢٧.



وقد اقترح (تودوروف) مظاهرَ عدّةٍ للمظهرِ الدلالي:

- ١- المظهرُ المرجعي: وهو ارتباط الملفوظ بواقع خارجي.
 - ٢- المظهرُ الحرفي: وهو الذي يتمظهر في الحالة التي نستحضر فيها الملفوظ دون الرجوع إلى مرجعه، وهذا لا يعني أنّها تراكم غير واضح للأصوات، إذ تؤخذ الكلمة ككلمة وليس بوصفه شيئاً.
 - ٣- المظهرُ المادّي: وهو أشبه ما يكون بالموضوع المستقلّ أكثر من كونه متتالية متجانسة من الكلمات، وهو ما يمنح القدرة على تغييب الدلالة الكليّة للملفوظ، ويُميّزه عن غيره من الخطابات.
 - ٤- المظهرُ التركيبي: التركيب (التأليف) وهو مظهرٌ أكثرُ صوريّةً، شأنه شأن المظهر اللفظي، الأمر الذي يسمح بوصفه من دون حاجةٍ للمعنى، وهنا الأمر يعني التأليف، أي: العناية بالعلاقات فيما بين الجمل داخل أجزاء النصّ، على نحوٍ يختصّر الخطاب في قضايا بسيطةٍ منطقيّة، تتشكّل من عاملٍ (موضوع) أو محمولٍ^(١).
- ومنه يمكنُ أن نؤوّل الحديث إلى أنّ الشعريّة عند (تودوروف): هي البحثُ في القوانين الداخليّة للخطابات الأدبيّة برمتها شعريّة أو نثريّة، والقصد منه هو استخلاص القوانين أو المقولات التي تُؤسّسها، وليست النصوص في حدّ ذاتها، فضلاً عن المظهر الدلالي للخطاب، فإنّ شعريّة (تودوروف) تشغلُ على مظهرٍ آخر وهو المظهر اللفظي للخطاب الأدبيّ ((الذي يتمظهر في الجمل الملموسة المكوّنة للنصّ، وما يتعلّق به من عناصر نحويّة وصوتيّة، وهذا المظهر يطرح لدى (تودوروف) مشكلتين اثنتين:

(١) شعريّة تودوروف: ٢٩-٣١.



الأولى: تتعلّق بالملفوظِ (الأسلوب بالمفهوم الضيق).
الثانية: تتعلّق بالتلفظِ (عملية بثّ النصّ وتلقيه) ((^(١)).

والأسلوب عند (تودوروف) يتحدّد بوصفه الاختيار ((الذي يجريه النصّ على عدد معيّن من مضامين لغويّة، والأسلوب بهذا المفهوم يوازي سجلّات اللغة وترميزاتها الصغرى، وهذا ما تحيلُ عليه تعابير من مثل الأسلوب المجازي والخطاب الانفعالي، هو ما يسمّيه تودوروف الخطابَ المحمولَ المنجزَ عن طريق تحويلاتٍ نحوية بالأسلوب المباشر وغير المباشر)) ((^(٢) ومن أهم جوانبه:

١- الرؤى (وجهات النظر): وهي كلُّ ما يعكس العلاقة الموجودة بين ضمير الغائب (ذات الملفوظ)، وبين ضمير المتكلّم (موضوع التلفظ)، وبين الشخصية والسارد، ويتعلّق هذا بشعريّة السرد عند (تودوروف).

٢- الأسلوبُ المباشر: إذ يكون الخطاب منقولاً والعالم ثابتاً، ويرى (تودوروف) في شعريّة النثر أنّ حديث الراوي يمكن أن يتغيّر أيضاً أسلوباً مباشراً على الرغم من بعض الفروق الأساسية.

٣- الأسلوبُ غيرُ المباشر: الخطاب المحكي ويقع بينهما الأسلوب غير المباشر الحر.

٤- الخطابُ المروي: ويكتفي بتسجيل محتوى الكلام من دون الإبقاء على لفظ من ألفاظه الحقيقيّة.

٥- مقولةُ الزمنِ أو التمثّلُ الزمني: أن تحكي معنى الخطاب، وأن تتمثّل زمناً ما غير زمنه الحقيقي، إذ إنّ حملَ النصّ المحكي لا يخضع أبداً لنظام الزمن المعدّ تعاقبياً للعالم المتخيّل^(٣).

(١) الشعريّة من منظور غربي حديثي: ٧.

(٢) م. ن: ٨.

(٣) ينظر: م. ن: ٧.



ومن خلالِ كلِّ ما سلف التطرَّق إليه حول شعريَّة (تودوروف)، يتبيَّن أنَّها شعريَّة سرديَّة، اهتَمَّ فيها بالمقولة السردية من دون النظر إلى الوقائع، التي تركها للقراءات النقدية المحايثة للنص.

من هذه المنطلقات القرائية تحاول دراستنا تسليط الضوء على القوانين التي تحكم نصَّ الدعاءِ مُثَلَّةً بدعاءِ كُميل، والمرتكزات التي يقوم عليها، في مسعى منَّا لبيان شعريَّة نصِّ الدعاءِ بوصفه نوعاً أدبيّاً نثريّاً له مقوماته النوعية القائمة على بنيات ثلاث هي: بنية الاستهلال، وبنية المناجاة، وبنية الخاتمة.

أولاً: بنية الاستهلال:

اهتَمَّ المؤلفون كثيراً بمقدمات مؤلفاتهم، وأولوا الاستهلال اهتماماً كبيراً؛ لما له من أهمية في الوصول إلى مضامين المتون، فالاستهلال يؤدي وظيفة الشويق والإثارة لدى المتلقّي، وعُدَّت هذه العتبة أكثر العتبات النَّصِيَّة التي لها دلالات توجيهية؛ إذ تسعى إلى بيان مضمون المتن وسياقاته، وعُدَّت هذه البنية ((إحدى أهمّ النقط النَّصِيَّة الاستراتيجية المسؤولة عن تأمين رحلة القارئ في عالم الحكاية التخيلي، والإبقاء على حبل التواصل، بين الكاتب والقارئ موصولاً غير مقطوع، من دون ملل ولا سأم من شأنها توقيف عملية القراءة في آية لحظة))^(١)، ومصطلح الاستهلال يعود إلى الجذر المعجمي (هَلَل)؛ إذ يُشير ابن فارس إلى هذا المعنى فيقول: ((قولهم: استهلَّ الصبيُّ، إذا صرَّخ عند الولادة، وهي بداية حياته، ويعبَّر عن بداية الشهر أيضاً فيسمَّى الهلال؛ وقد سمِّي بذلك لأنَّ الناس يرفعون أصواتهم بالذكر حين رؤيته، وهو أوَّل ليلةٍ والثانية والثالثة، ثمَّ هو قمرٌ بعد ذلك ويقال: أهلَّ القومُ بالحجِّ، إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية))^(٢)،

(١) مساهمة في نمذجة الاستهلالات الروائية: ٢٨-٢٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ١١.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩]،
 فالدلالة المعجمية للآية الكريمة تشير إلى أن الاستهلال يعني: بداية كل شيء.

أما دلالة الاصطلاحية فقد جاءت بمعنى: بداية الحديث، ولا سيما في فنّ
 الخطب؛ إذ يقدم الخطيب خطبته بمقدمة عن موضوعه، ومن ثمّ ينطلق إلى النصّ،
 فهو ((الجزء الأول من الكلام يقدم فيه المتكلم جملة من الألفاظ والعبارات يُشير بها
 إشارة لطيفة إلى موضوع الكلام وكيفية الشرح فيه، ويقصد جذب الانتباه لدى
 جمهور السامعين))^(١) وفي ذلك إشارة واضحة لاشتغاله العتباتي بوصفه بنية افتتاحية
 يمكن أن يوجه القارئ وجهة قرائية معينة.

لقد أورد النقّاد والبلاغيون القدماء مصطلحات ومفاهيم عدّة تداخلت مع
 مفهوم الاستهلال منها: (الافتتاح) و (الابتداء)، وجعلوهما في أوّل الحديث من غير
 أن يضعوا لها حدوداً، وكلّ هذه المفاهيم متداخلة مع مفهوم الاستهلال، لكن لم
 يرسم لها النقّاد الأوائل حدوداً معينة؛ وكان ((مصطلح (المقدمة) هو أقرب
 المصطلحات المعاصرة دلالة على مصطلح الاستهلال))^(٢)، مع أنّ هناك فارقاً
 كبيراً بين الاثنين.

ويُعدّ الاستهلال نواة النصّ الأدبيّ في السرد؛ لأنّه: ((ما من شيء يحدث في
 النصّ إلّا وله نواة، فالاستهلال هو بدء الكلام، وهو بدء التأسيس))^(٣)، وزد على
 ذلك؛ أنّه مفتاح النصّ والممهّد للوصول إلى أسرار المحكي وله: ((قدرة على
 التركيز والإيجاء والتأويل، ولا يضعك الاستهلال دفعة واحدة في صلب العمل، ولا

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٣٣.

(٢) شعرية الاستهلال عند أبي نواس: ١٦-١٧.

(٣) الاستهلال فن البدايات في النصّ الأدبي: ١٦.



يجوم كذلك حول العمل، وإنما يُمهّدُ لك الطريق إلى أسرار العمل الداخليّة. إنّه أشبهُ بمفتاح البيت الكبير، إلا أنّ الاستهلالَ يمتلك خصوصيّةً أنّه يوجد في كلّ بناءٍ فنّيّ كبير))^(١).

أمّا في النّصّ الدعائي فهو ((يسعى إلى تهيئة ذهن المتلقّي بأسرع ما يمكن اعتماداً على تقنيّات أدبيّة خاصّة من ضمنها الاختزال والكثافة العالية للأخذ به إلى النّصّ الأساسي، والغاية الرئيسة في النّصّ))^(٢).

وبما أنّ وظيفة الاستهلال هو التشويق وإثارة المتلقّي، والتلميحُ بالقول لما يتضمّنه النّصّ، فحجم الاستهلال في النّصّ الدعائي يجب أن يكون صغيراً نسبياً مقارنة ببقية النصوص الأدبيّة؛ وذلك من أجل السيطرة عليه مع ملاحظة انعدام اكتمال المعنى، إشارة إلى عدم اكتمال الاستهلال؛ لأنّه يعدُّ العنصر الأوّل للنّصّ، والمعنى المكتمل قد يمتدُّ ملفوظه إلى سطرٍ أو مقطعٍ بأكمله^(٣)، وقد أشار إلى ذلك عبد الخالق بلعابد ((إنّ حجم الجملة الاستهلاكيّة تكون بجملةٍ أو جملتين، وفي الأغلب تكون من جملةٍ واحدة، وفي الرواية تكون فقرةً أو فقرتين، بهذه القراءة التنظيريّة للاستهلال نصل إلى أهمّيته الكبيرة في التحليل كونه يعمل على ضبط آليّات فهم النّصّ، وتوجيه قراءته، ناسجاً بذلك علاقة تفاعليّة وتواصلية بين الكاتب والمتلقّي (القارئ الضمني)، ويعمل على نسج جملة من الوظائف تتوحّد في خطوطها العريضة، وتختلف في تفاصيلها الدقيقة حسب طبيعة النّصّ التي يترأسه من حيث النوع أو الجنس الأدبي من جهة، ومن حيث خصوصيّة النّصّ النابعة من كيانه

(١) الاستهلال فن البدايات في النصّ الأدبي: ١٦.

(٢) الاستهلال في القصة القصيرة المعاصرة في العراق ٢٠٠٣-٢٠١٥: ٢٧.

(٣) ينظر: بنية الاستهلال والخاتمة في القرآن الكريم: ٢٣.

المستقلّ المعبر عن كينونته من جهةٍ أخرى^(١)، ومن هذه المنطلقات القرآنية سنحاول الوقوف في القراءة التطبيقية على أنواع البنيات النصّية الاستهلاكية في دعاء كميل:

١ - البنيات الندائية:

توافرت الأدلة على تعدّد بنيات النصوص الطليبية في استهلال الخطابات ولاسيما الدعائية، وفي هذا المبحث سنعمد إلى بيان البنية الشكلية لإحدى الظواهر اللغوية المتجسّدة في مستهلّ الأدعية ألا وهي بنية النداء، فالوصفيون (الشكلائيون) الذين يهتمون في حركتهم بالشكل الظاهر إلى حدّ كبير ويقفون في دراستهم للغة على البنية، وصفوها على حسب مظهرها، ووصّفوها من ضمن أشباه الجمل آخذين بنظر الاعتبار مكوناتها الظاهرة^(٢)، فمن الجملة يتكوّن الكلام ويتشكّل، وعلى هذا فإنّ دارس اللسانية الحديثة اتّخذ الجملة وحدة لغويةً بحدّ ذاتها للدراسة ولم يتعدّها إلى غيرها^(٣)، وبشكل عامّ فإنّ للخطاب عدّة وسائل للتعبير في اللغة العربية، ولعلّ من أبرزها النداء الذي يُعدّ من أساليب الطلب المهمّة في الكلام، فالنداء: هو أسلوبٌ إنشائيٌّ طليبيٌّ في لغة العرب وأحد أساليب نقل الكلام بين المخاطب والمخاطب للتواصل والتقارب والتفاهم، وقد اعتمده الأئمّة عليهم السلام في الدعاء للتقرّب إلى الله (عزّ وجلّ)؛ وليبان مقاصده التي من ضمنها طلب حاجاتهم من الله تعالى وبيان ضعفهم أمام قدرة الباري عزّ وجلّ^(٤). والنداء في اللغة هو: ((الصوت، وهو مشتقّ

(١) عتبات (جيرار جينيت من النصّ إلى المناس): ١١٦ - ١٢٣. وينظر: وظيفة البداية في الرواية العربية:

٩ - ٢٠، والاستهلال الروائي، منتديات ستوب، www.stoob.com.

(٢) ينظر: النداء في القرآن الكريم: ١٢٥.

(٣) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ٢٨٦.

(٤) ينظر: بنية الاستهلال والخاتمة في القرآن الكريم: ٤٣.



من (الندى) الذي هو بُعْدُ الصوت... و(النداء) هو الدعاء بأرفع صوت^(١)، وفلانٌ أُنْدَى صوتًا من فلانٍ، أي: أبعُدُ مذهبًا وأرفع صوتًا^(٢)، ومن هنا يتبيّنُ أنَّ بين الدعاء وبين النداءِ علاقةٌ لها جذورٌ متداخلةٌ؛ لأنَّ أصلَ الدعاءِ في اللغةِ النداءُ^(٣).

أمَّا في الاصطلاح فإنَّه أسلوبٌ يتكوّن من أداة نداءٍ ومنادى، ويُعتمد لإبلاغ المنادى حاجة، أو لدعوته لإغاثةٍ أو نصرةٍ أو غير ذلك^(٤)، ونظرًا لما له من دلالاتٍ متعدّدةٍ، ولما له من أهميّةٍ نجد لهذا الكائن اللغوي حضورًا لافتًا في مختلف الخطابات الأدبيّة وغير الأدبيّة، ومنها الدعاء؛ إذ إنَّ مجسّاته امتدّت إلى جميع مفاصل النصوص المختارة من الأدعية، فتخلّلت النصوصُ بفقراته، سواءً أكان الحديث طلبًا أم إخبارًا، ولذا يرى بعضهم أنَّ الدعاء هو نداءٌ قد يقترنُ بطلبٍ أو لا يقترن^(٥).

ووردَ هذا الأسلوبُ بأكثرٍ من صورةٍ في دعاءٍ كميلٍ؛ إذ ورد بصورة (أداة النداء + المنادى)، وذكر المختصّون أنَّ القيمة الصوتيّة لحرف النداء (يا) تتسّع لدلالاتٍ عديدة بحسبِ استعمالها، فقالوا: ((يَتَّصِفُ ياءُ بِسَمْتِهِ الصوتيّةِ الحاوية على مدٍّ طويلٍ يسمحُ برفعِ الصوتِ معه تبيينًا للمخاطبِ، فإن حُذِفَتِ الأداة فتكون لدواعٍ بلاغيّةٍ في مواطن جوازِ الحذفِ مع تضمّنِ المنادى معنى الخطابِ، وقد حُذِفَتِ الأداةُ فيفهمُ المعنى من السياق))^(٦).

وأمَّا الصيغة الثانية للنداء فهو لفظ (اللهم)؛ (حذفُ أداة النداء + المنادى

(١) لسان العرب: ١٥ / ٣١٥.

(٢) ينظر: م. ن: ١٥ / ٣١٦.

(٣) ينظر: ما وراء الفقه: ١٠ / ١٣٦.

(٤) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣٠١ - ٣٠٢.

(٥) ينظر: ما وراء الفقه: ١٠ / ١٣٦.

(٦) بنية الاستهلال والخاتمة في القرآن الكريم: ٦٥.



المذكور)، إلا أن الصورة الأكثر وروداً في النصوص المختارة هي الصيغة الثانية، وقد يكون ذلك متعلقاً بطبيعة النص الديني؛ إذ قالوا: ((دائماً يكون مُنشئ النص الديني على مستوى عالٍ من الانقطاع والتوجه الحقيقي الصادق؛ لذا نجد ألفاظه وأساليبه معبرة؛ لأنه ينتقي منها ما يناسب وضعه))^(١)، ولعل كثرة النداء وتعدد صيغته يكون حسب طبيعة الانقطاع إلى الله تعالى؛ إذ يرى الزمخشري أن ذلك دلالة على التضرع واللجوء إلى الله تعالى^(٢).

والحديث عن صيغة النداء بـ(اللهم) يستدعي ملاحظة ترتيبها، فقد قال عبد القادر البغدادي في معرض حديثه عن صيغة (اللهم) إثمها: ((كثرت في الكلام حتى حُففت ميمها في بعض اللغات))^(٣)، واختلَفَ في أصلها؛ فيرى البصريون أن أصلها (يا الله) وحذفت (يا) النداء، وعوّض عنها (الميم) المشددة^(٤)، ويرى الكوفيون أن الميم ليست عوضاً عن (يا) النداء^(٥)، وعلى الرغم من اختلافهم في ذلك لكنهم اتفقوا على أنها من الأسماء الخاصة، والملاحظ أن أغلب المواضع التي جاءت فيها هذه الصيغة كانت طلبية، أي: إثمها مسائل يريد المنادي من المنادي (سبحانه) أن يحققها له لافتقاره إليها، أو للاستزادة منها، وهكذا يحسن للداعي بأن يفتح دعاءه بمناجاة ربه وبصيغة طلبية - يا الله -، ومن شواهد هذه الصيغة قول الإمام علي عليه السلام في أول مقطع من دعاء كميل بن زياد (رض):

(١) أدعية أهل البيت عليه السلام (كميل-عرفة - أبي حمزة الثمالي-الافتتاح) دراسة في تحليل الخطاب، أطروحة: ٧٥.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢ / ٥٢٥.

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٢ / ٢٦٨.

(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ١ / ٣٤١.

(٥) ينظر: م. ن: ١ / ٣٤٢.



((اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبِقُوَّتِكَ التي قَهَرْتَ بها كلَّ شيءٍ، وَخَضَعَ لها كلُّ شيءٍ، وَذَلَّ لها كلُّ شيءٍ، وَبَجَبْرُوتِكَ التي غَلَبْتَ بها كلَّ شيءٍ، وَبِعِزَّتِكَ التي لا يُقُومُ لها شيءٌ، وَبِعِظَمَتِكَ التي مَلَأَتْ كلَّ شيءٍ، وَبِسُلْطَانِكَ الذي عَلَا كلُّ شيءٍ، وَبِوَجْهِكَ الباقي بَعْدَ فَنَاءِ كلِّ شيءٍ، وَبِأَسْمَائِكَ التي مَلَأَتْ أركانَ كلِّ شيءٍ، وَبِعِلْمِكَ الذي أَحاطَ بِكلِّ شيءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الذي أَضَاءَ لَهُ كلُّ شيءٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تَهْتِكُ العِصْمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تُنَزِلُ النِّقَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تُحْسِبُ الدُّعَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تَقَطِّعُ الرَّجَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تُنَزِلُ البَلَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي كلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا))^(١).

ابتدأ الإمام عليه السلام دعاءه بأحد أبرز الظواهر البلاغية والصيغ الندائية ألا وهي صيغة حرف النداء (اللهم) من خلال سؤاله من رب العالمين بصيغة التوسل، ولم يكن سؤاله بصيغة الطلب، فلم يقل ربي أطلب منك، بل جاء بنبرة خاشعة مستخدماً أسلوب التوسل والاعتراف بالضعف والخشوع لله تعالى، وأقسم على الله تعالى بصفاته، ومنها رحمته التي وسعت كل شيء (برحمتك التي وسعت كل شيء)، ومعناه في اللغة: ((رقة القلب، وانعطاف يقتضي الفضل والإحسان والمغفرة))^(٢)، واستمر الإمام عليه السلام بمناجاة ربه مُقسِّماً عليه بقوته وطاقته، فقوة الله ليست كقوة العبد؛ بل هي قدرة غير متناهية لا يقف في قبالها شيء؛ لأن الله على كل شيء قدير، وهكذا يواصل الإمام عليه السلام بالقسم على الله بصفاته الكريمة، فيذكر (جبروته وعزته وعظمته وسلطانه ووجهه وأسماءه وعلمه ونوره)، وهي كلها تعمل على بيان حال الداعي

(١) مفاتيح الجنان: ٨٦.

(٢) أضواء على دعاء كميل: ١٢٤.



عند تدرّجِه بالتضرّعِ لله سبحانه وتعالى، ويُقسّمُ عليه بصفاته بأنّه صادقٌ بهذا التوسّلِ وأنّه مفتقرٌ إلى رحمةِ الله تعالى، وبعد هذا كلّهُ ينتهي الإمامُ عليه السلام من هذا العرضِ المتوالي من القسّمِ عليه بصفاته سبحانه وتعالى، ويبدأُ بمرحلةٍ جديدةٍ من إظهارِ الحالةِ النفسيّةِ للداعي، وهي مرحلةُ النداءِ والتوسّلِ والاستغاثةِ بأجملِ صفاتِ الله، وهو النورُ الذي هو مصدرُ الحياةِ، والقدوسُ المنزهُ عن كلّ عيبٍ، ويصفه بأنّه أوّلُ كلّ شيءٍ، وآخرُ بعد كلّ شيءٍ.

من الواضح أن اختيارَ صيغةِ النداءِ (اللهم) كان مقصودًا من قبل الداعي؛ لأنّ وجودها في النصّ تُوصِلُ رسالةً بوجودِ مُنادي، ومن أجل الحفاظِ على الشعورِ الذي يمتلكه الداعي نلاحظُ تكرارَ استعمالِ هذه الصيغةِ أكثرَ من صيغِ النداءِ الأخرى.

وعندما نحاولُ أن نتعرفَ على فكرةِ ربطِ بنيةِ الاستهلالِ بالمتنِ في دعاءِ كميلٍ نجد أنّها بدأت بالتوسّلِ، وهذا ما يمكن أن نسمّيه بمثابةِ مدخلٍ إلى الدعاءِ يحاولُ من خلاله الإمامُ عليه السلام تهيئةَ الداعي للوقوفِ بين يدي سيده وإعداده للسؤالِ والتضرّعِ، وقد تجسّدَ ذلك في جملِ كثيرةٍ: ((اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيءٍ، وبِقُوَّتِكَ التي قَهَرْتَ بها كلّ شيءٍ، وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَبِجَبْرُوتِكَ التي غَلَبْتَ بها كلّ شيءٍ، وَبِعِزَّتِكَ التي لا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ، وَبِعِظَمَتِكَ التي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِسُلْطَانِكَ الذي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِوَجْهِكَ الباقي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِأَسْمَائِكَ التي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِعِلْمِكَ الذي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الذي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تَهْتِكُ العِصْمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تُنَزِلُ النِّقَمَ)) استعطفَ بها رحمةُ الله تعالى ليصلَ بعد ذلك إلى مبتغاه وطلبه من هذا الاستهلالِ ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تَهْتِكُ العِصْمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تُنَزِلُ النِّقَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ التي



تَحْسِبُ الدُّعَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَقَطَّعَ الرَّجَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنَزِّلُ الْبَلَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا))، فالإمام عليه السلام قدَّم هذا المستهمل ليطلب المغفرة ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، تُنَزِّلُ النَّقْمَ، تُغَيِّرُ النَّعْمَ، تَحْسِبُ الدُّعَاءَ، تَقَطَّعَ الرَّجَاءَ، تُنَزِّلُ الْبَلَاءَ)).

ففي هذا المشهد الدعائي يقف بين يدي الله ليطلب الرحمة والمغفرة أولاً، ثم يطلب من الله (عزَّ وجلَّ) أن يزيل عن قلبه الحجب والغشاوات ثم بعد ذلك يأذن له بالدنو منه ويوزعه شكره ويُلهمه ذكره، ثم أن الداعي يبرِّز هذا العرض للاستهلال ويذكر بأن هناك أمراً دعاه أن يطلب من الله (عزَّ وجلَّ) الرحمة والمغفرة، فنجده يقول عليه السلام: ((فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَجُوبَ عَنْكَ دُعَائِي سُوءَ عَمَلِي وَفِعَالِي، وَلَا تَفْضَحْنِي بِخَفِيِّ مَا أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي، وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَا عَمِلْتُهُ فِي خَلَوَاتِي مِنْ سُوءٍ فِعْلِي وَإِسَاءَتِي))^(١)، وهذا تأكيد من الإمام عليه السلام على أنه لا ملجأ للعبد في ضرِّه وبؤسِه إلا لله (عزَّ وجلَّ) ولذا يلجأ إليه.

ومن المواضع الأخرى التي ورد فيها النداء بحرف (يا) ما تضمَّنه المقطع الأخير لمستهلَّ دعاء كميل في قوله عليه السلام: ((يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ، يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ))^(٢)، نلاحظ ظهور خصوصية أخرى للنداء في هذا المقطع، إذ تضمَّن هذا المقطع الطلب بأسلوبٍ إصراريٍّ وإلحاحيٍّ، وجاء هذا الطلب متوافقاً مع طبيعة الموقف، فالإمام عليه السلام في هذا الدعاء يُعبِّر عن افتقاره إلى رحمة الله تعالى ومغفرته، ساعياً من خلال هذا الإلحاح والطلب إيصال نداءٍ يعبِّر عن حاجاته إلى ربِّه لكي يحقِّق الاستجابة.

(١) مفاتيح الجنان: ٨٧.

(٢) م. ن: ٨٦.



وقد يستشكل المتلقّي على المرسل أن صيغة (الياء) تستعمل للدعاء البعيد فكيف استعمل الإمام عليه السلام هنا النداء، ويريد منه التقرب إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ الأساس في (ياء) النداء في النحو العربي هو لنداء البعيد فكيف يتوافق مع قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمَ مَا تُسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: ١٦]، فيمكن أن تكون الإجابة عن ذلك من خلال البعد المعنوي للبعد من ربّه، فالبعد يكون بعيداً عن ربّه نظراً لكثرة ذنوبه؛ لذا نلاحظ أنّ الإمام استعمل صيغة النداء بحرف الياء لبيّن أنّ العبد المذنب بعيد عن طريق ربّه، وهذا يعبر أيضاً عن اعتراف العبد بتقصيره وابتعاده عن ربّه، وهو بذلك إنّما يضرب لنا نوعاً من التعالق الروحي العالي مع الباري عزّ وجلّ.

وتحقيقاً لمعرفة الوظيفة الفكرية والنفسية للدعاء يستدعي ضرورة النظر إلى ملاحظة ما بعد أداة النداء، أي: (المنادي)، قال إدريس طارق: ((فالملاحظ أنّ هناك علاقة متنامية بين المنادي والمنادى تتمثل في سؤلة المنادي والإجابة المأمولة من جهة - فقد بُنيت أو جاءت صفات المنادى بما يقابل ويوافق نوع المسألة - وبين ثيمة الفقرة أو المقطع والفكرة العامة للنص من جهة أخرى. زيادة على ما حقّقته أداة النداء التي أخذت دور (المنبه الأسلوبي) بحسب تعبير ريفاتير الموظف فكرياً ونفسياً وفق مقتضيات السياق والمشاركة الدلالية لعنوان النص))^(١)، وهذا ما يتجسّد عندنا في الأدعية المختارة في هذه الدراسة.

وهنا نشير إلى نقطة مهمّة، وهي أنّ كثيراً من الأدعية تشتمل على قاع وقمّة، أي: على بنية استهلاكية، وبنية أخرى يمكن أن نعبر عنها ببنية المتن، فأما البنية الاستهلاكية فهي تمثل طموح الداعي وأمله في الله سبحانه وتعالى، وهو الذي لا حدّ

(١) المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين عليه السلام دراسة أسلوبية، رسالة: ٦٩.



لكرمه وجوده وخزائن رحمته وقد بدأت أغلب الأوعية بهذه المقدمة الاستهلاكية عندما يطلب الداعي ويتوسلُ بربه ويحمده على نعمه، ويناديه ويتوسلُ إليه بصفاته وأسمائه فكلها هذه تعدُّ مقدمةً استهلاكيةً للوصولِ إلى الغرضِ الأساسِ الذي على أثره بدأ الإمامُ بالمناجاةِ والدعاءِ، وأما بنية المتنِ أو ما سميناها ببنيةِ القمّةِ ففي هذه المرحلةِ يعرضُ الداعي حاجاته ومطالبه على الله الواحدة بعد الأخرى، ويتوسلُ إليه لتحقيق حاجاته بلطفه وكرمه.

٢ - جمالية التكرار:

جمالية تكرار (اللهم)

لتكرارِ البنياتِ الاستهلاكيةِ وظيفّةٌ ذاتُ أهميّةٍ كبيرةٍ في النّصِّ الدعائي؛ إذ تعملُ هذه البنيات على إيجادِ الترابطِ بين الفقراتِ، فهي عمليّةٌ تكرارٍ لبعضِ الصيغِ الندائيةِ، تعمل على ربط أجزاء النّصِّ بشكلٍ لوحاتٍ موسيقيّةٍ نغميّةٍ وجماليّةٍ واحدةٍ، فالتكرارُ يمثّلُ وظيفّةً عضويّةً بوصفه عاملُ ربطٍ بين الوحدات؛ إذ يرتبطُ بالتقسيمِ الفضائي للكتلِ النحويّةِ^(١)، فيجعلُ من النّصِّ وحدةً عضويّةً مشتركةً ذاتِ لوحةٍ ايقاعيّةٍ متماسكةٍ وجماليّةٍ متناسقةٍ، يساعدُ على إيجادِ الترابطِ بين النصوص؛ إذ إنّ كلّ تكرارٍ من هذا النوعِ قادر على التسلسلِ والتتابعِ، وهذا التتابعِ الشكلي يُعِينُ في إثارةِ التوقُّعِ لدى السامعِ، ومن شأن ذلك أن يجعلَ السامعَ أكثرَ تحفيزًا لسماعِ المبدعِ والانتباهِ إليه^(٢).

ويمكنُ أن نقف على بعضِ الصيغِ الندائيةِ التي وردت في مستهلِّ دعاءِ كميل، فقد وردَ التكرارُ الاستهلاكيّ للبنيةِ (اللهم)؛ إذ تكررت أيضًا في استهلالِ الفقراتِ

(١) ينظر: اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد: ١٢٥.

(٢) ينظر: جماليات النّصِّ الأدبي (دراسة في البنية والدلالة): ٨١.

الدعائيّة في قول الإمام (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النَّقَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النَّعَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَقَطِّعُ الرَّجَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا))^(١)، إن تكرار هذه العبارة في مستهلّ الدعاء عملت على ربط أجزاء الدعاء وتلاحمه فضلاً عن النغمة الموسيقيّة التي زادته قوّة وتأثيراً، فهي تعطي للنصّ الدعائي إيقاعاً وتوكيداً في الذهن؛ فمثل هذا التكرار يلجأ إليه الداعي ((لما له من وقع على الأذن وأثره في النفوس ولا ارتباطه بالحالة الانفعاليّة والتجربة الشعوريّة التي يمرّ بها، كما يكشف عمّا يشغل فكره))^(٢)، فالتكرار إلحاح على اللفظة من أجل ترسيخها في النفس، وهنا ركز الإمام (عليه السلام) على بنية (اللهم)؛ لما لها من معنى التقرب والتضرّع لربّ العالمين.

ثانياً: بنية المناجاة:

هي إحدى أنماط الحوار الداخلي، ويكون الكلام فيها على شكل فردي ويشترط وجود سامع، فهي ((تكنيكٌ يقدّم المحتوى الذهني والعمليّات الذهنيّة للشخصيّة مباشرةً من الشخصيّة إلى القارئ))^(٣) مع إمكانيّة وجود سامع صامت، وأهمّ ما يميّز هذا الأسلوب من الحوار هو ((زيادة الترابط، ذلك أنّ غرضه توصيل المشاعر والأفكار))^(٤)، فالشخصيّة هنا نشاط فردي أحادي تقوم ((بالتفكير بصوت

(١) مفاتيح الجنان: ٨٦.

(٢) القيم الخلقية في شعر الشريف المرتضى: ١٥٠.

(٣) الحوار في القصة القرآنيّة - قصة موسى أنموذجاً، بحث: ١٣١.

(٤) تيار الوعي في الرواية الحديثة: ٥٦.



عالٍ، وفي المونولوج تقوم بالتفكير وحدها في الداخل^(١)، فالكاتب في حوار المناجاة يُرَزُّ لغته الأسلوبية الخاصة؛ لتعكس افتراضه بوجود متلقٍ أو سامع؛ لأنه في هذه المناجاة يحاول أن يجد الراحة النفسية والتعويض عن كل ما يحسُّ إزاء الظروف المحيطة^(٢)، ولإيصال مناجاة ناجحة يُفترض من الداعي اختيار شخصية مفترضة تناسبها وتتواءم مع الفكرة المرادة من الدعاء؛ ليحصل التطابق؛ وقد شاع استخدام المناجاة في الأدعية بشكل عام - ولاسيما في الأدعية موضع البحث - لأنها أقرب إلى الذات الداعية؛ إذ يكشف الداعي عن حاجاته بهواجسه وأحاسيسه، وبيِّن ما يدور في مخيلته من أنين ووجع يعيشه، زيادة عن ذلك اختياره لألفاظ دقيقة مؤثرة ليكون نظامه أقرب إلى الذات الإنسانية.

وبعد عملية استقصاء لطبيعة الحوار في الأدعية قيد الدرس والتحليل رأينا أنَّ الحوار الخارجي لم يكن له حضورٌ في أدعية مفاتيح الجنان، مع سيطرة واضحة للمناجاة على مستوى الأدعية المختارة، وهذا ما سجَّلته الدكتورة سهى يونس على عموم الحوارات في الأدعية بقولها: ((وقد شكَّل الحوار الخارجي أقلَّ نسبة من الحوار) أحادي الجانب) الذي هو أقرب إلى المناجاة، وقد يعودُ السبب في ذلك إلى شعور الأئمة عليهم السلام بالمسؤولية الإرشادية وتقديم النصح، فضلاً عن الإفصاح عن كوامن نفسه الداخلية المتأزمة من الواقع الذي يعيشه، لهذا لجأوا إلى الإكثار منه في أدعيتهم^(٣)، ويبدو لنا أنَّ الأمر يعودُ إلى طبيعة هذا النوع الأدبي، ونقصد الدعاء الذي يصعب بل يستحيل معه حضور الذات الإلهية حضوراً فعلياً كما في الحوار الخارجي، ويتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك حين يتجسَّد في الدعاء نوعاً واحداً من

(١) الحوار في الخطاب المسرحي، بحث: ٥٢.

(٢) ينظر: الحوار في شعر عبدالله البردوني، رسالة: ٤٧.

(٣) ابن الشبل البغدادي - حياته وشعره: ٢٠٩.



الحوار الداخلي وهو المناجاة التي تنسجم وطبيعة الاستحضار التوسّلي والعاطفي والتخييلي للذات الإلهية؛ لذا سنقوم بتحليل الأدعية المختارة بحسب هذا النمط الداخلي، وهو أسلوب يتناغم مع تلك العلاقة الحميمة بين العبد وبين الله عزّ وجلّ التي ترجو وتتأمل القرب منه، والاستغاثّة والتوسّل إليه، وغفرانه لذنوب العبد، وهدايته إلى طريق الحقّ، وإبعاده عن سلوك طريق الضلالة.

وسنقف عند دعاء كميل بن زياد المرويّ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي

طالب عليه السلام في بيان المناجاة كما في المقطع أدناه:

((الهي وربيّ من لي غيرك أسأله كشف ضري، والنظر في أمري، إلهي ومولاي أجريت عليّ حكماً اتبعت فيه هوى نفسي، ولم أحرص فيه من تزوين عدوي، فغرني بما أهوى وأسعده على ذلك القضاء، فتجاوزت بما جرى عليّ من ذلك بعض حدودك، وخالفت بعض أوامرك، فللك الحمد عليّ في جميع ذلك، ولا حجة لي فيما جرى عليّ فيه قضاؤك، والزمني حكّمك وبلاؤك. وقد آتيتك يا إلهي بعد تقصيري وإسرافي على نفسي معتذراً نادماً منكسراً مستقيلاً مستغفراً منيباً مقرراً مدعناً معترفاً، لا أجد مفرّاً مما كان مني، ولا مفرعاً أتوجه إليه في أمري، غير قبولك عذري، وإدخالك إياي في سعة رحمتك. اللهم فاقبل عذري، وارحم شدة ضري، وفكني من شدّ وثاقي))^(١).

يجسد هذا الحوار الأحادي الذي يُقيمه الإمام عليه السلام بينه وبين ربه، مناجاة عميقة يخاطبُ به ربه بعد استهلال تمهيدي خاشع في مقدّمة الدعاء يطلب فيه الغفران والتوبة من الله (عزّ وجلّ)، يستحضر فيها عظمة الخالق ويعترف بأنّه عبدٌ ذليلٌ مقصّرٌ تجاه خالقه، يتبع هوى نفسه، ويتوسّل إلى الله أن لا يأخذه بما ارتكب من

(١) مفاتيح الجنان: ٨٦.



تقصيرٍ وذنْبٍ؛ إذ يبدأ بقوله: (الهي وَرَبِّي مَنْ لِي غَيْرُكَ) ليظهرَ هنا عجزَ الداعي عن كشفِ الكربِ عن نفسه، ولا سبيلَ إلى النجاةِ إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) له، ويرحمه برحمتهِ الواسعةِ، فهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، ويعترفُ الداعي بتقصيره فيتوسَّلُ (الهي وَمَوْلَايَ اجْرِيَتْ عَلَيَّ حُكْمًا اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَى نَفْسِي، وَلَمْ أَحْتَرِسْ فِيهِ مِنْ تَرْيِينِ عَدُوِّي، فَغَرَّنِي بِمَا أَهْوَى وَأَسْعَدَهُ عَلَيَّ ذَلِكَ الْقَضَاءُ، فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ حُدُودِكَ، وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوْامِرِكَ)، ثمَّ يأتي بعد ذلك الاعترافُ والاستسلامُ في مشهدِ اعتذارِيٍّ من العبدِ لله تبارك وتعالى: (وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَيَّ نَفْسِي مُعْتَذِرًا نَادِمًا مُنْكَسِرًا مُسْتَقِيلًا مُسْتَغْفِرًا مُنِيبًا مُقْرَأً مُذْعِنًا مُعْتَرِفًا، لَا أَجِدُ مَفْرَأً مِمَّا كَانَ مِنِّي، وَلَا مَفْرَعًا اتَّوَجَّهُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِي، غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي)، لعلَّ اللهُ يقبلُ بعد هذا المكوثِ والاستسلامِ الاعترافَ بين يديه دعاءه، فيُدخِلُهُ في رحمته التي وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ؛ فهو أرحمُ الرَّاحِمِينَ، ثمَّ يأتي مشهدُ تسليمِ أمره إلى الله (عزَّ وجلَّ) وحده (اللَّهُمَّ فَاقْبَلْ عُذْرِي، وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي، وَفُكِّنِي مِنْ شَدِّ وَثَاقِي) فالداعي هنا يُسَلِّمُ أمره إلى الله (عزَّ وجلَّ)؛ لأنَّه يعترفُ بأنَّ لا ملجأَ منَ اللهِ إِلَّا إلى اللهِ؛ لذلك يتوسَّلُ خاشعًا أن يفكَّ اللهُ كربَه الذي ألحقَ به الضَّرَرَ الجسيمَ، ويفكَّ شَدَّ وثاقِ الذنوبِ والمعاصي الذي يطوِّقُ عنقه.

والداعي هنا لثقتَه بأنَّ الله لا يردُّه خائبًا وأنَّه ربُّ رحيمٍ غفورٌ يلبي نداءً من يدعوه، يلجأُ إلى مثلِ هذا الأسلوبِ المناجاتي الذي نلمسُ فيه ذلك التقاربِ الحميمي بينَ العبدِ وربِّه، وهذه الحرية في التعبيرِ عن الدواخلِ والأفكارِ، على نحوِ يُمكنُ الداعي من استحضارِ الصورِ التي يُريدها لكي يوصلَ رسالته إلى الخالقِ بأنَّ لا سبيلَ إلى النجاةِ إِلَّا عن طريقه.

ومن أمثلةِ مناجاةِ النفسِ ما ورد في قول الإمامِ عليٍّ عليه السلام في المقطعِ الآتي من



دعاء كميل: ((اللَّهُمَّ عَظْمَ بِلَائِي، وَأَفْرَطَ بِي سُوءَ حَالِي، وَقَصَّرْتَ بِي أَعْمَالِي، وَقَعَدْتَ بِي أَغْلَالِي، وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بُعْدَ أَمَلِي، وَخَدَعْتَنِي الدُّنْيَا بِغُرُورِهَا، وَنَفْسِي بِحِنَائِيهَا، وَمَطَالِي يَا سَيِّدِي فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَجُوبَ عَنْكَ دُعَائِي سُوءَ عَمَلِي وَفِعَالِي))^(١).

وهذا الحوارُ الأحادي (المناجاتي) يُبيِّن لنا الحالة النفسية للداعي، فهو يعاني صراعاً داخلياً يصورُ فيه نفسه مُحَمَّلاً بالذنوبِ والخطايا، فيكون بهذا قد صَعَبَ نفسه عليه؛ نتيجة هذا التصوير؛ لكثرة الذنوب والمعصية لربِّه وابتعاده عن طريقِ الحقِّ، فيحاولُ أن يكشفَ في هذا الحوارِ المناجاتي بأنَّ الدنيا هي التي غرَّتَه واتبَعَ فيها هوى النفسِ فيخشى الداعي أن تكون أعماله القبيحةُ هي التي تحجبُ دعاءه من أن يصلَ إلى الله، فيقسِّمُ على الخالقِ بعزَّته بأن لا يكونَ ما صدر منه من قبيحِ الأعمالِ حاجباً ومانعاً عن وصولِ صوتهِ إليه، فيطلبُ من الله أن لا يعامله على قبيحِ ما عنده، بل يعامله بجميلٍ ما عنده^(٢)، وكذلك يريدُ الإمامُ عليه السلام بهذا الأسلوب أن يجسِّدَ حالة الضياع، التي يعيشها الداعي وهو غارقٌ في ذنوبه السابقة، ويتنقلُ بعد هذا ليُنَاجي ربَّه ويتوسَّلُ به بأن لا يحاسبه على أعماله السابقة التي سبقَ وأن فعلها بينه وبين نفسه؛ لهذا إن لم يسامحه ربُّه ويغفر ذنوبه فلن يستطيعَ أن يواجهه بهذه الذنوبِ ولم يشفِ أوجاعه، فابتدأَ بالنداءِ (اللهم) ويريدُ به التقربَ إلى الله ممَّا يجعلنا أمامَ حوارِ مناجاتي يأملُ منه رحمةَ الله (عزَّ وجلَّ) بالمغفرة والنجاة، ولعلَّ هذا التصويرَ وهذه الكيفية التي جاءت في الدعاءِ إمَّا جسَّدهُ الإمامُ عليه السلام ليكونَ حالةً عامَّةً لشخصِ المذنبِ أيًّا كان، فخرج بالدعاءِ هنا من ذاتيته إلى جماعيته ليكونَ لسانِ حالِ المؤمنِ وهو يتقربُ إلى الله بالدعاءِ، وإلا فهو إمامٌ معصومٌ متنزَّهٌ عن الذنوبِ والخطايا.

(١) مفاتيح الجنان: ٨٦.

(٢) ينظر: أضواء على دعاء كميل: ١٩٦.



وقد ((سَجَّلَ أسلوبُ النداءِ لدى الإمامِ عليه السلام حضوراً على مساحةِ نصِّه الدعائي، وأعطى انطباعاً بحاجةِ الداعي إلى الله لقضاءِ حاجته))^(١)، ولكي نكونَ على مقربةٍ من نداءِته أكثرَ يمكنُ التمثيلُ لذلك بقولِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام في دعاءِ كُميل:

((يا كَرِيمُ يا رَبِّ وَأَنْتَ تَعَلَّمْ ضَعْفِي عَن قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا، وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ الْمَكَارِهِ عَلَى أَهْلِهَا، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَلِيلٌ مَكْنُهُ، يَسِيرٌ بِقَاوُهُ، قَصِيرٌ مُدَّتُهُ، فَكَيْفَ احْتِمَالِي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ، وَجَلِيلٌ وَقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا، وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ، وَلَا يُحْفَفُ عَن أَهْلِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَن غَضَبِكَ وَأَنْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ، وَهَذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ لِي وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الدَّلِيلُ الْحَقِيرُ الْمُسْكِينُ الْمُسْتَكِينِيَا إِلَهِي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ لِأَيِّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلَمَّا مِنْهَا أَضِجُّ وَأَبْكِي، لِأَلِيمِ الْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ، أَمْ لَطُولِ الْبَلَاءِ وَمُدَّتِهِ))^(٢)، إذ يبيِّنُ الإمامُ عليه السلام في هذا المقطعِ من الدعاءِ حالَ الداعي الضعيفِ أمامَ قدرةِ الله (عزَّ وجلَّ) فالداعي الغارقُ في الذنوبِ والعاجزُ عن الوقوفِ بصمودٍ أمامَ معاصيه يكونُ ضعيفاً، ويلجأُ الإمامُ عليه السلام إلى استعمالِ صيغةِ النداءِ بالحرفِ (يا) الذي يُستعملُ للندائينِ (القريبِ والبعيدِ)، وهو هنا يفيدُ دلالةَ القربِ؛ لأنَّ المناجاةَ تحوي ضمناً معنى الألفةِ والقربةِ، والإمامُ هنا يتَّخذُه وسيلةً للتوسُّلِ برَّبِّه، كما يلجأُ إلى ضميرِ ياءِ المتكلمِ في نهايةِ كلمةِ (ضعفي، احتمالي، سيدي، إلهي، ربي، مولاي)؛ لبيانِ ضعفِ الطالبِ أمامَ المطلوبِ، فيصوِّرُ هنا حالَ الداعي الضعيفِ، فيتدرَّجُ في بيانِ هيأته وهو يلتمسُ رحمةَ ربِّه؛ لأنَّ هذا البدنَ الفقيرَ الضعيفَ غيرَ قادرٍ على تحمُّلِ

(١) ابن السبل البغدادي - حياته وشعره: ١٠.

(٢) مفاتيح الجنان: ٨٦.



بلاء الدنيا، وكيف له أن يتحمّل بلاء الآخرة؟ فالإمام عليه السلام ينقل لنا في هذا المشهد المناجاتي حالة وجدانيّة مفعمةً بالإيمان، يتجسّد في مخافة العبد من الربّ على نحوٍ يخلتُ صراعاً داخليّاً، وفي صورة الضياع الذاتي أمام قدرة الله (عزّ وجلّ)، فهو لا يملك من نفسه شيئاً، وكلُّ ما فيه هو من فضل الله عليه، ويصلُّ به الخوف والضياع إلى حالة من الأرق والإحساس من عذابٍ شديدٍ وبلاءٍ طويلٍ الأمدٍ ينتظره (يا الهي وربّي وسَيِّدي ومَوْلَيّ لأبيّ الأمور إليك أشكو، ولما منها أضجّ وأبكي، لأليم العذابِ وشدّته، أم لطولِ البلاءِ ومُدّته) فهو هنا يشكو لربّه من الأوجاع التي ستصيبه سواءً من شدّة العذاب الذي سيلاقيه أو من طولِ مدّة البلاء الذي سيرافقه، ظناً منه أنّه سيُزيلُ أحزانه وألمه وسيخفّف عنه العذاب؛ لهذا لم يستطع أن يشفي أوجاعه بكثرة الشكوى، وإنّما لجأ إلى أسلوب البكاء والنحيب على ما ألمّ به من أوجاع، فنداؤه لربّه هنا ليس إلّا مخاطبةً لذاتِ الله (عزّ وجلّ) يفترضها الإمام عليه السلام لكنّها ليست خارجةً عن ذاتِ الداعي الطالبِ رحمة الله (عزّ وجلّ) وغفرانه.

ونرى الإمام عليه السلام ينتقل في دعائه من موضوعٍ لآخر، ومن فكرةٍ إلى أخرى من دون أيّ توقّفٍ كما في قوله:

((فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ، وَهَبْنِي صَبْرَتْ عَلَى حَرِّ نَارِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى كَرَامَتِكَ، أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النَّارِ وَرَجَائِي عَفْوِكَ، فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَفِئْسَمُ صَادِقًا لئنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقًا لَأَضْحَنَ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْأَمْلِينَ، وَلَا أَصْرُحَنَّ إِلَيْكَ صُرَاخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَلَا أَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكَاءَ الْفَاقِدِينَ، وَلَا نَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ (كُنْتُ) يَا وَليَّ الْمُؤْمِنِينَ، يَا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَعِيثِينَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ، يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ))^(١)، ففي هذا المقطع من دعاء كميلٍ نرى أنّ الداعي



يُخْرِجُ فِيهِ مِنْ هَدُوئِهِ وَاتِّزَانِهِ، لِيُعلنَ لِرَبِّهِ بِأَنَّهُ سَيَنْزِعُ عَنْ كَتْفِيهِ لِبَاسَ الْمَسْكَنَةِ، وَيُخْرِجُ عَنْ طُورِهِ، فَيَجْعَلُ مِنَ النَّارِ مَنْبَرًا لِإِظْهَارِ جِزَعِهِ، مُسْتَعْمَلًا لِذَلِكَ كُلِّ عَوَامِلِ الضَّجِيجِ وَالْفَزَعِ، صَارِخًا تَارَةً وَبَاكِيًا مُسْتَغِيثًا تَارَةً أُخْرَى، لِيَجْلِبَ بِهِذِهِ الطَّرِيقَةَ عَطْفَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَلِيُؤَكِّدَ لَهُ بِأَنَّ آمَالَهُ فِي التَّجَاوِزِ عَنْهُ لَمْ تَنْقَطِعْ حَتَّىٰ لَوْ أَدْخَلَهُ النَّارَ، وَحَكَمَ عَلَيْهِ فِيهَا بِالْبَقَاءِ مَقْدَارَ الْمُدَّةِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ، فَيَتَّجِهَ الدَّاعِي إِلَى حَوَارِ غَيْرِ مُلْتَزِمٍ مُنطَقِيًّا، بِأَسْلُوبٍ مُخْتَلَفٍ لِإِظْهَارِ مَا فِي دَاخِلِهِ مِنْ بُعْدِ نَفْسِي، فَتَارَةً نَجْدُهُ يَصْرُخُ وَيَبْكِي، وَتَارَةً يَطْلُبُ الْاسْتِغَاثَةَ وَالْاسْتِعَانَةَ مِنْ رَبِّ غَفُورٍ حَلِيمٍ^(١).

إِنَّ اسْتِعْمَالَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام لِمِثْلِ هَذَا النَّمطِ يَعْكَسُ لَنَا رُؤْيَتَهُ التَّعَبُّدِيَّةَ الَّتِي يَرِيدُهَا أَنْ تَكُونَ مَسَارًا وَمُنْهَجًا لِلنَّاسِ يَسِيرُونَ عَلَيْهِ فِي تَقَرُّبِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَنَرَاهُ يُخَلِّقُ هُنَا الْأَجْوَاءَ النَّفْسِيَّةَ الَّتِي يَعِيشُهَا الْعَبْدُ الْمَذْنُوبُ، وَكَأَنَّهُ يَعِيشُ بَعِيدًا عَنْ رَبِّهِ وَعَنِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهَا اللَّهُ عِبَادَهُ.

ثالثًا: بنية الخاتمة:

الكلامُ في الخاتمةِ الحسنُ ((ينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله، وأرقه وأسلسه، وأحسنه نظمًا وسبكًا، وأوضحه معنًى، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس))^(٢)، فالخاتمةُ في أيِّ نصٍّ أدبيٍّ تمثلُ النهايةَ والملخَّصَ والنتيجةَ الحتميةَ للنصِّ، وقد أشار النقادُ القدماءُ إلى هذه البنية، وسمَّوها بحسنِ الانتهاءِ أو (الخاتمة)، ومنهم ابن منظور (ت ٧١١ هـ) إذ يقولُ في الخاتمة: ((ختم الشيء يخرجه ختمًا: بلغ آخره، واختتمت الشيء: نقيض أفتتحته، وخاتمة السور: آخرها، وفي التنزيل العزيز: ﴿خَتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]، أي: آخره؛ لأنَّ آخرَ ما يجدونه

(١) ينظر: أضواء على دعاء كميل: ٣٦٠.

(٢) بنية الاستهلال والخاتمة في القرآن الكريم: ٢٦.



رائحة المسك))^(١)، فالخاتمة تردُّ بعدة مصطلحاتٍ، منها؛ حُسْنُ الختام، وحُسْنُ الانتهاء، فكلُّها تعني آخرَ الشيءِ أو نهايةَ الحديثِ، وقد تحدّث ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) عن هذه البنية قائلاً: ((وأما الانتهاء: فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً لا تكمن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه؛ وإذا كان أوّل الشعر مفتاحاً له، وجب أن يكون آخره قفلاً عليه، ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلّقة، وفيها راغبة))^(٢)، وجاء في كتاب خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ): ((إن حَسَنَ الختام هو الكلام الذي يقفُّ عليه المرسل أو الخطيب أو الشاعر مُستعدباً حسناً))^(٣)، إنها تحرك النفس في القصيدة ويبقى أثرها عالماً بالنفوس^(٤)، ويشرط في الخاتمة أن يكون الكلام فيها عذباً ومسبوگاً بشكل حسنٍ، ويؤدّي إلى معنى صحيح، يُشعر القارئ بتمامه؛ لأنّه آخر ما يبقى منه في الأسماع، وربما حفظ من بين سائر الكلام؛ لقرب العهد به^(٥).

ومن هنا تأتي النهاية على نوعين: نهاية مغلقة، ونهاية مفتوحة:

-النهاية المغلقة: هي التي تبلغ الأحداث نهايتها، على نحو يصل القارئ إلى جذور نهاية القصة، وتنتهي خيوط الأحداث، وهذه النهايات تكون بشكل تقليديّ يستولي على أكثر الكتابات، وهي ((التي اعتمدها بعض الكتاب للتعبير عن موقفهم ووجهة نظرهم الفكرية والدرامية والجمالية إزاء القضية المعالجة دراسياً، ومحاولة إصدار حكم فاصل بين الأطراف المتصارعة داخل العمل الدراسي))^(٦).

(١) لسان العرب: ١٢ / ١٦٣.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٤٦٠.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٢٦.

(٥) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: ٤١٩ - ٤٢٠.

(٦) م. ن: ٣٨.



-النهاية المفتوحة: من المؤكّد أنّ فتح النهاية في العمل الأدبي لا يأتي عشوائياً من قبل الكاتب بل يعدُّ جزءاً عضوياً من الوحدات التي تربط النصّ الأدبي، فالنهاية المفتوحة كما أشار إليها الباحث أحمد صباح على أنّها: ((إشراك الممتلقي وتوريطه في وضع الحلول واتخاذ موقف إزاء ما يشاهد، وهنا يتعمّد المؤلف إلى تحميل الممتلقي المسؤولية في رسم شكل النهاية ومصادر الشخصيات الدرامية، وهذا يتطلب حتماً تبصراً عميقاً وواعياً للممتلقي في عملية الصراع الدرامي بين الشخصيات في النصّ الدرامي))^(١)، وما ينطبق على النصّ الدرامي يُمكن أن نراه في النصوص الأدبية الأخرى.

ومن هذه المنطلقات تلعب الخاتمة دوراً أساسياً في النصّ الأدبي، فبنية الخاتمة تصل بالعمل الأدبي إلى ذروته، ويعمّد الكاتب المبدع منذ بداية السطر الأول إلى تشويق القارئ للوصول إلى نهاية عمله الأدبي، وتعدّ هي الجزء الأخير من النصّ الأدبي متضمنةً أهمّ الأغراض التي وصل إليه البحث، جديرٌ بالذكر أنّ ((هناك خواتيم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبدايات التي أفلح الراوي في الإمساك بخيوطها الأولى، فالخواتيم التي يتمُّ من خلالها إقفال البناء الحداثي للنصّ ماهي إلا انتقال من عالم المتخيّل إلى عالم الواقع، وهكذا لا بدّ من عتبة للدخول إلى النصّ متمثلةً بالبداية الأدبية وعتبة للخروج من متاهته متمثلةً بالخاتمة الأدبية))^(٢)، وتعددت التسميات المصطلحية التي تحيل على الخاتمة؛ ومن هنا فقد أشار بعض من النقاد إلى وجوب ((التعامل مع خطاب النهاية لا بوصفه بنية نصّية منتهية، ومكتملة الحدود والتخوم؛ بل مفهومًا إجرائيًا، بواسطته يمكنُ تعيين بعض مستويات اشتغال مؤشرات وعلامات

(١) بنية الاستهلال والخاتمة في القرآن الكريم: ٣٨.

(٢) رواية ما بعد الحداثة (قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله): ٥١-٥٢.



النهاية، سواءً على المستوى المادي الملموس أو على المستوى التأويلي الخدمي غير المباشر^(١)، ولأنّ الخاتمة تعدُّ الجزء الأخير من النصّ الأدبي، وآخر ما يقرعُ على السمع؛ لذا يجبُ أن يحمّل في طيّاته فكرةَ النهاية، وعلى نحوٍ يعيها المتلقّي، وإلاّ يعرضُ عنه^(٢)؛ لذا فإنّ الغاية والهدفَ الأساسي من استحضار النهاية في العمل الأدبي بشكل عام، هي ((ضرورة نصّيّة لا فكاك منها، ويتجسّد ذلك بجلاءٍ في حرص المؤلف الحثيث على تركيز كلّ الأحداث في اتّجاه محطّة النهاية، ومن ثمّ تغدو النهاية استراتيجية نصّيّة تُلقَى بكلّ ثقلها على النصّ من بدايته إلى نهايته))^(٣)، هكذا تتمثّل الخاتمة في النصوص الأدبيّة، ذلك الموضوع الذي يفترضُ أن تكتمل فيه الدورة الحديثيّة من منظور كلّ من الكاتب والمتلقّي على حدّ سواء، ففي هذا الموضوع بالذات يُسدل الستارُ على مجريات الأحداث، ويُغلّق النظامُ الإشاري وتكتمل الرسالة، إذ يضعُ الكاتبُ قلمه بعد أن يشعر أنّ انتهى ممّا يودُّ قوله^(٤)، ولهذا السبب تكمن أهمّيّتها لدى القارئ، فهي ((تبدو جليّة في السرود التي تُبنى على عنصر الحدث، مع أنّه ينبغي ألا تُفهم النهاية على أنّها ذروة أو حتّى لحظة تنوير حسب؛ بل إنّها فضلاً عن هذا وذاك - محورٌ أو بؤرةٌ تتجمّع حولها أو فيها معظم عناصر العمل الأدبي))^(٥).

ويتضحُ ممّا سبق أنّ الخاتمة ليست هي بنيةً مستقلّةً عن الأحداث؛ بل تكتملُ عناصرُ الحدثِ بوجودها، وتصلُ المادّة الأدبيّة إلى ذروتها عندما يمرّ القارئ عليها،

(١) البداية والنهاية في الرواية العربية: ٢٣٦.

(٢) ينظر: بنية الاستهلال والخاتمة في القرآن الكريم: ٢٦.

(٣) البداية والنهاية في الرواية العربية: ٢٣٧.

(٤) ينظر: م.ن: ٢٤٠.

(٥) م.ن: ٢٤١.



وعن طريقها يفهم القارئ النص الأدبي، ويقف على النتائج التي كتب من أجلها النص الأدبي.

وتكثر هذه النهايات في نصوص الدعاء، عندما يتهيأ الداعي لختم دعائه من خلال ربط الخاتمة بكلمات ابتدأ بها في الاستهلال^(١)، وسنحاول أن نقف عند أبرز البنيات الختامية التي ختمت بها الأدعية المختارة، من مثل:

أولاً: البنى المضمونيّة:

توافرت الأدلة على أن الرسالة السماوية لكل ديانة تهدف إلى بناء مجتمع متكامل من خلال بناء إنسان متكامل؛ وأن ((أول أسس هذا البناء هو علاقة الفرد بربه، ومن ثم علاقته بالمجتمع المحيط به، لذا نراه ركز على تحويل المفاهيم المادية إلى مفاهيم تجريدية، وقد عملت الرسالة المحمدية على جعل الطاعة والعبودية صورة مثالية يصبو إليها كل مسلم، تتحبب إليها النفس لتستكين إلى المناجاة والاستنجاد بالخالق العظيم، فجعل للدعاء أدباً جميلاً؛ غايته تواسج العلاقة بين الخالق والمخلوق، وبين المنجد والمُستنجد))^(٢).

ومن هنا نستطيع القول: إن الأئمة عليهم السلام وهم ربيبو الرسالة المحمدية حاولوا رسم صورة إيمانية للداعي؛ تجسد الآداب التي ((دعت إليها الرسالة الإسلامية الظاهرية والباطنية مبنياً فيها شكل الداعي المتمثل بالخشوع والتذلل بين يدي الله (عز وجل) شاكرًا له، داعياً إياه بصفاته وأسمائه، راسماً طريقاً واضحاً معبداً لمن يريد بدعائه العروج إلى مراتب القبول والاستجابة الإلهية، وهم بذلك أعطوا صورة تُبين جمال القرب من الخالق، كاشفة عن لذة العاشق عندما يكون مع معشوقه،

(١) ينظر: بنية الاستهلال والخاتمة في القرآن الكريم: ٣٠.

(٢) الأصول المعرفية لنظرية التلقي: ١٣٢.



ليتجرّد من هذا العالم الفاني الذي يعيش فيه، مُتفردًا مع خالق الكون العظيم، متخذًا من الدعاء طريقًا للعروج إلى الذات الإلهيّة، ليهيم في أجواء إيمانيّة، فيكون دائم الاتّصال بالله ودائم العيش في هذا الجمال الروحاني^(١)، وهذا ما نتلمّسه من خلال مضامين دعاء كميل وعلى النحو الآتي:

١- التذلل والإقرار بالذنب:

حينما يختم العبدُ دعاءه بالتذلل والإقرار بذنوبه فهو يُعطي صورة ختامية عن الوصول إلى أعلى مراتب التوسّل بالله (عزّ وجلّ)، ويتحقّق ذلك عندما يلبس الداعي لباس الخشوع والتوسّل وهو لباس يقرب المخلوق من خالقه، فالإقرار بالذنب هو نوعٌ من الاعتراف بالتقصير أمام عظمة الباري (عزّ وجلّ)، وهو (يمثّل وقفة تأمليّة للداعي؛ ليعيد النظر فيما اقترفت جوارحه من آثام، وإذا تكرّرت هذه الوقفة كلّ يوم مع كلّ دعاء صار كثير النظر في عمله، وكثير التأمل في نفسه، ومن ثمّ مع مرور الأيام لا يبقى عنده ذنب إلا تاب منه توبةً نصوحًا؛ لأنّه جاء في لحظة إقبال على الله واستحضار لعظمته، فالعبد في هذه اللحظات يكون في حالة عروج إلى الله مُستلهمًا جماليّات اللقاء ولذّة السير نحو المعشوق^(٢)). ومن مواضع الختام التي ظهر فيها تذلل العبد قول الإمام عليّ عليه السلام في نهاية دعاء كميل بن زياد:

((يا سريّ الرضا اغفر لمن لا يملك إلاّ الدعاء، فإنك فعّال لما تشاء، يا من اسمُه دواءٌ وذكرُه شفاءٌ وطاعته غنى، أرحم من رأس ماله الرجاء، وسلاحه البكاء، يا سابع النعم، يا دافع النقم، يا نور المُستوحشين في الظلم، يا عالمًا لا يُعلم، صلّ

(١) أدعية الصحيفة الصادقية (دراسة جمالية)، رسالة: ٤٤.

(٢) م. ن: ٤٨.



عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ»^(١)، إذ نلاحظ هنا أن الإمام عليه السلام قد استهلَّ دعاءه بإحدى أدوات النداء (اللهم) التي تفيّد التقرب، وختمه بحرف النداء (يا) التي تستخدم للمنادى القريب أيضًا، ليساوي بين مستهلّ الدعاء وخاتمته، وبين الإمام عليه السلام صورة الداعي المتدكّل والمتوسّل الغارق بالذنوب؛ وليكون العبد قريبًا من معشوقه يجب أن ينال رضاه، ولا يتم ذلك إلا بالتوبة من ذنوبه والإقرار بها في حضرته، ((فأصبح _ الإمام _ لسانَ حالِ العبدِ المسكينِ البسيطِ الغارقِ بالذنوبِ، فكلّ إنسانٍ عندما يقرأ دعاء الإمام يشعر كأنه هو _ أي: العبد _ الذي يدعو وليس الإمام))^(٢)، وإذا تأملنا الدعاء في الفقرة الأخيرة (وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ) نرى أن الإمام بدأ في دعائه مستغفّرًا خاضعًا متضرّعًا، وقد كشف حاله أمام ربه، وبين نواياه، وطلب منه فتح صفحة جديدة من حياته يخلص له فيها التوبة، ويعاهده على أن يكون إنسانًا على نحو ماتريده الشريعة الإسلامية المقدّسة لكلّ البشر الخيّرين، ويعترف الداعي بأنّه لا يملك إلا الدعاء، وهي مهمّة عند الله (عزّ وجلّ)؛ لأنّ الله يحبّ العبد الداعي ويعطيه ما يطلب، وإذا تتبّعنا فكرة دعاء كميل نرى أنّها أكّدت على آداب توحيدية وعرفانية وأخلاقية، فبدأت بالخضوع بين يديّ الله (عزّ وجلّ)، والقسم عليه برحمته ونوره، ثمّ انتقل إلى قضاء حاجته باستخدام أداة النداء، وطلب الغفران والعفو عن الأخطاء التي يرتكبها العبد (اللهم اغفر لي كلّ ذنب أذنبته)، وهكذا بدأ إلى أن وصل إلى الفكرة الأساس للدعاء عندما يقرّ العبد أنّه واقف بين يديّ الله (عزّ وجلّ) معترف ومعتذرّ ونادمٌ عمّا جنّى من تقصيره وإسرافه على نفسه (وقد أتيتك يا إلهي بعد تقصيري وإسرافي على نفسي مُعتذرًا نادمًا)، ثمّ يتوسّل إلى ربه بأحسن الخطاب، ويختم تضرّعه بطلب الإجابة (فإليك يا ربّ نصبت وجهي، وإليك يا ربّ

(١) مفاتيح الجنان: ٨٦.

(٢) أدعية الصحيفة الصادقية (دراسة جمالية): ٥٢.



مَدَدْتُ يَدِي، فَبِعَزَّتِكَ اسْتَجِبْ لِي دُعَائِي)، ثُمَّ يُنْهِي الدَّعَاءَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ، وَيَسَلِّمُ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِمِصَالِحِ عَبْدِهِ.

٢- الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ:

أغلبُ الأدعيةِ والمناجاةِ نجدها مقترنةً بذكرِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ) فِي خَتَامِ الدَّعَاءِ، وَهَذِهِ الْمَوَاقِبَةُ وَالْمَدَاوِمَةُ عَلَى الصَّلَاةِ لِلنَّبِيِّ وَآلِهِ هِيَ عَمَلِيَّةٌ جَذِبَ انْتِبَاهُ الدَّاعِي إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ يَقُومَ بِاسْتِحْضَارِ قَلْبِهِ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَهَذَا الشَّيْءُ رَكَّزَ عَلَيْهِ الْأُئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِشَكْلِ عَامٍّ فِي أَدْعِيَتِهِمْ وَأَوْلُوهُ اِهْتِمَامًا وَاضِحًا، وَهَنَّاكَ رَوَايَاتٍ عَلَى لِسَانِ الْأُئِمَّةِ الْأَطْهَارِ بِفَضْلِ ذِكْرِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي مُسْتَهَلِّ وَخَتَامِ كُلِّ دَعَاءٍ؛ إِذْ يُنْقَلُ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ ﷺ قَوْلُهُ: ((لَا يَزَالُ الدَّعَاءُ مَحْجُوبًا حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ))^(١).

فَذَكَرُ الصَّلَاةِ فِي خَتَامِ الدَّعَاءِ يَعُدُّ مِنْ أَهَمِّ السَّنَنِ الَّتِي وَاطَبَ عَلَيْهَا الْأُئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي خَتَامِ أَدْعِيَتِهِمْ وَعَدُّوهُ مِنْ إِحْدَى الْمَسَبِّبَاتِ لِاسْتِجَابَةِ الدَّعَاءِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الصَّادِقُ ﷺ أَيضًا: ((مَنْ دَعَا وَلَمْ يَذْكُرِ النَّبِيَّ ﷺ رَفَرَفَ الدُّعَاءُ عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ رُفِعَ الدُّعَاءُ))^(٢)، وَلَعَلَّ هَذِهِ الصُّورَةَ فِي بَيَانِ أَهْمِيَّةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ تَظْهَرُ أَهْمِيَّتُهَا فِي الدَّعَاءِ، وَبِذِكْرِهَا تَرْفَعُ كُلَّ قِيُودِ الدَّعَاءِ، فَلَفِظَةُ (يَرْفَرُ) كِنَايَةٌ عَنِ الطَّيْرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الطَّيْرَانُ أَوْ الَّذِي قُبِدَ، فَمَا أَنْ يَزُولَ عَنْهُ الْقَيْدُ بِذِكْرِ النَّبِيِّ وَآلِهِ حَتَّى يَعْجَرَ إِلَى السَّمَاءِ^(٣).

(١) أصول الكافي: ٢ / ٣٥٦، رقم الحديث: ١.

(٢) الصحيفة الصادقية: ٢٨.

(٣) ينظر: أدعية الصحيفة الصادقية (دراسة جمالية): ٥٣.



ومن شواهد ذكر الصلاة على النبي وآله في ختام الأدعية قول الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاء كميل بن زياد:

((يا سابع النعم، يا دافع النقم، يا نور المستوحشين في الظلم، يا عالماً لا يعلم، صل على محمد وآل محمد، وأفعل بي ما أنت أهله، وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله، وسلّم تسليماً كثيراً))^(١)، هكذا نرى مجيء الفقرة الأخيرة من الدعاء مطرزة بذكر محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لتكون مفهوماً راسخاً في ذهن الداعي على استجابة دعائه، وأن اقتران الدعاء بذكر النبي وآله هو لبيان العطاء الإلهي السريع والثواب الجزيل الصادر من ربّ رؤوفٍ بعباده وهو الكريم الجواد ومصدر الفيض، فضلاً عن بيان اظهار المودة للنبي وآله في كل صباح ومساءً والذي يعدّ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، فالصلاة على النبي وآله في نهاية الدعاء هو اظهار المودة للنبي وآل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فالمودة صبغة إنسانية تقابله المحبة للنبي وآله.

وزيادة على ذلك فإن الصلاة على النبي وآله تمثل قيمة إيمانية عند نهاية كل مقطع دعائي، وكذلك هو ردّ الجميل لرسول الإنسانية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله رحمة للعالمين؛ لكي يُجرحَ الناس من الظلمات إلى النور.

ثانياً: البنى الايقاعية:

إن لموسيقى الدعاء أهمية كبيرة في إبراز قدرة الداعي في التعبير عن هواجسه وخلجاته التي تشكل تأثيراً واضحاً على المتلقي وشدّ انتباهه، إذ يجعله يعيش في فضاء دعائي يحرك مشاعره ويسيطر على عواطفه مؤلداً ارتياحاً نفسياً وإقبالاً قلبياً؛

(١) مفاتيح الجنان: ٨٦.



لذا وظّف الإمام عليه السلام صوراً إبداعية عدّة مانحاً بذلك الدعاء أشكالاً إيقاعية مختلفة^(١)، يمكن أن نشير إلى أبرزها والمتمثلة بالسجع والتكرار والتجنيس والتوازي، وسنكتفي بالحديث في هذا المقام عن السجع الذي يكثر وروده في خواتيم الأدعية المختارة.

السَّجْعُ:

يعدّ السجع أولّ التنغيمات النصّية الذي يشدّ انتباه السامع، فالسجع له تأثير واضح في الكتابات الدينية؛ وذلك لسهولة الحفظ، وكذلك من أجل اتزان الكلام وضبطه فضلاً عن ((كونه يمثل دلالات إيجابية للنصّ الديني، والسجع يجري على ألسنة البشرية في أكثر اللغات بصورة فطرية، ولا يُنكر دوره في التأثير على العقول والقلوب، وقد شُبه بالقافية في الشعر، إلا أنّ القافية ملزمة في كلّ أبيات القصيدة لكنّ إيقاع السجع يميل إلى التنوع، وكلاهما ظاهرة تكرارية إيقاعية تحدث ألوّناً من الموسيقى اللفظية التي نقصدها قصداً))^(٢)، ويُعرّف السجع لغةً بالاستواء والاستقامة، وأشار إليه ابن منظور (ت ٧١١هـ) قائلاً: ((سجع يسجع سجعاً: استوى واستقام، وأشبه بعضه بعضاً))^(٣)، وتطرّق ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) إليه قائلاً: ((سمّي سجعاً لاشتباهه أو آخره، وتناسب فواصله، وكسره على سجوع، فلا أدري أرواه أم ارتجله، وحكي أيضاً: سجع الكلام فهو مسجوع، وسجع بالشيء: نطق به على هذه الهيئة))^(٤)، ويفهم من التعريفين اللغويين لابن منظور وابن جنّي أنّ السجع يقوم على المشابهة والانسجام والاستقامة.

(١) ينظر: أدعية الصحيفة الصادقية (دراسة جمالية): ١٠٤.

(٢) بنية الاستهلال والخاتمة في القرآن الكريم: ٢٢٠.

(٣) لسان العرب: ٨ / ١٥٠.

(٤) السجع في العصر الجاهلي، أطروحة: ٣.



أما مفهوم السجع في الاصطلاح فإن الترجمة الانجليزية الشائعة لهذا المصطلح هي (rhymed prose) وتعني: نثر ذو قوافي^(١)، وعرفه الناقد مجدي وهبة قائلاً إنه: ((اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير، والفاصلة: هي الكلمة الأخيرة من كل فقرة، مثل قول الثعالبي: الحقدُ صدى القلوب، واللجاجُ سببُ الحروب))^(٢)، ويكون السجعُ ذا تأثير واضح في نفس القارئ، وقدرة كاملة على الحفظ السريع للكلمات والعبارات، وهذا ما يؤكدُه الجاحظُ الذي يرى أن السجعَ له سهولة الحفظ وسهولة الروي، من خلال جواب عبد الصمد الرقاشي لما سُئِلَ: ((لِمَ تُؤَثِّرُ السَّجْعُ عَلَى الْمُنْثَوْر، وَتُلْزِمُ نَفْسَكَ الْقَوَافِي وَإِقَامَةَ الْوِزْنِ؟ فَقَالَ: إِنَّ كَلَامِي لَوْ كُنْتُ لَا أَمَلُ فِيهِ إِلَّا سَمَاعَ الشَّاهِدِ لَقَلَّ خِلَافِي عَلَيْكَ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ الْغَائِبَ وَالْحَاضِرَ، وَالرَّاهِنَ وَالْغَائِبَ، فَالْحَفِظْ إِلَيْهِ أَسْرَعُ، وَالْأَذَانَ لِسَمَاعِهِ أَنْشَطُ، وَهُوَ أَحَقُّ بِالتَّقْيِيدِ وَبِقَلَّةِ التَّفَلُّتِ، وَمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ الْعَرَبُ مِنْ جَيِّدِ الْمُنْثَوْرِ أَكْثَرَ مِمَّا تَكَلَّمْتُ بِهِ مِنْ جَيِّدِ الْمَوْزُونِ، فَلَمْ يُحْفَظْ مِنَ الْمُنْثَوْرِ عَشْرُهُ، وَلَا ضَاعَ مِنَ الْمَوْزُونِ عَشْرُهُ))^(٣)، وقد كثر السجعُ في الخطبِ والأدعيةِ لما لها من أثر كبير في النفوس، واحتفاظ الذاكرة به، واعتماده على قصرِ جملة، إذ ((يُحَقِّقُ فائدتين في آنٍ واحدٍ: المتعةَ البيانيةَ الناشئةَ عن التكرارِ الإيقاعي، وتميئةَ الذاكرةَ للاحتفاظ بالنصِّ في بيئةٍ شفاهيةٍ تعتمدُ على الذاكرةَ اعتماداً كاملاً))^(٤)، فالسجعُ لكثرتِه في النصوصِ القديمةِ شكَّلَ فناً من فنونِ القولِ^(٥)، والدعاءِ فنٌّ من هذه الفنونِ، لما فيه من قوةٍ موسيقيةٍ مؤثرةٍ في الوجدانِ

(١) ينظر: السجع في القرآن الكريم: ٩.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ١٩٧.

(٣) أدعية الصحيفة الصادقية (دراسة جمالية): ١٠٤.

(٤) فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية: ٣١.

(٥) الجامع في تاريخ الأدب العربي: ١٢.



وفي قلوبِ المبتلين^(١). ومن أقسامه:

١- السجعُ المطرفُ: يكونُ فاصلُ هذا النوع من السجعِ مختلفاً في الوزن، ومتفقاً في الحرف الأخير من الكلمة، ويُعرفه الباحثُ حسن هادي قائلاً: ((هو ما اختلفت فاصلتاهُ في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير))^(٢)، ومن أمثلة هذا النوع ما جاء في نهاية المقطع الأخير من دعاء كميل بن زياد:

((فَالْيَكْ يَا رَبَّ نَصَبْتُ وَجْهِي، وَالْيَكْ يَا رَبَّ مَدَدْتُ يَدِي، فَبِعِزَّتِكَ اسْتَحْبُ لِي دُعَائِي، وَبَلَّغْنِي مُنَايَ، وَلَا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجَائِي، وَاكْفِنِي شَرَّ الْحِنِّ وَالْإِنْسِ مِنْ أَعْدَائِي))^(٣)، إذ يحضُر في النصِّ الدعائي قيد الرصد عنصر الإيقاع بشكل واضح، وورد الإيقاعُ في ألفاظِ (وجهي، يدي، دعائي، مناي، رجائي، أعدائي)، فاتفاقُ صوت (الياء) في نهاية المفردة خلق جرساً موسيقياً وإيقاعياً منتظماً، جعل من السامعِ يأنس بهذا التسلسلِ النغمي لهذا الصوت؛ لأنه من الأصواتِ الشجرية يخرج من وسطِ اللسان مع ما يجاذيه من الحنك الأعلى^(٤)، علماً أنَّ مقاطع الدعاء غير منتظمة من حيث عدد الكلمات والأحرف، وتبدو قدرة الإمام عليه السلام جليّة في اختياره لألفاظٍ وكلماتٍ مسجوعة في كلامه، وتوظيف هذه الألفاظ في النصِّ الدعائي؛ لتعزيز الدلالة النصّية من خلال إيقاعٍ مُصوّر، يطرُق على الأسماع ويشدُّ النفوس، ويجرِّكُ الذهن في متابعة الكلام للوصول إلى المعنى، وبهذا شكّل النصِّ الدعائي ظاهرة تلفت انتباه وعناية الآخرين إليها.

٢- السجعُ المرصعُ: وهو ما كان فيه ألفاظٌ إحدى الفقرتين كلّها أو أكثرها

(١) ينظر: الشعرية في كلام السجاد عليه السلام: ٨١.

(٢) الذات والآخر في الصحيفة السجادية، أطروحة: ٩٨.

(٣) مفاتيح الجنان: ٨٦.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧١.



مثل مايقابلها من الفقرة الأخرى وزناً وتقفية، أي: الفقرتان تكونان متفتحتان في عدد الأحرف، والألفاظ تكون متماثلةً في جانبي العقد، ومتناسقةً في موقعها على نحو تكون لفظة الفقرة الأولى مساويةً للفظة الفقرة الثانية في الوزن والتقفية^(١).

ومن شواهد هذا النوع ما ورد على لسان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في ختام دعاء كميل:

((اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا الدُّعَاءُ، فَإِنَّكَ فَعَالٌ لِمَا تَشَاءُ، يَا مَنْ اسْمُهُ دَوَاءٌ وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ وَطَاعَتُهُ غِنَى، ارْحَمْ مَنْ رَأْسُ مَالِهِ الرَّجَاءُ، وَسِلَاحُهُ الْبُكَاءُ))^(٢)، إذ نلاحظ توافر السجع في هذا المقطع من الدعاء، وقد جاء بعبارات قصيرة؛ مما جعلها قريبة على الأذن والذهن للدلالة على سهولة الحفظ، إذ استعان الإمام بمفردات وعبارات متجاورة، أو متفقتة في الوزن أو القافية، أو الوزن والقافية معاً، على نحو خلق تناسقاً إيقاعياً واضحاً يطرب له السمع وترتاح له النفس؛ لأن الوزن والقافية من شأنهما تكثيف الإيقاع وتنويعه ومنحه قوةً ورنيناً، كما أنهما يجملان دلالة شعورية تترك لدى المتلقي إحساساً بالانسجام والوحدة بين العبارات، ما يعمل على خلق موسيقى النص الذي يُعدُّ واحداً من دعومات جماليات هذا النص ودلالاته.

ومن شواهد السجع المرصع ما جاء في قوله عليه السلام في هذا الدعاء أيضاً:

((يا سَابِعَ النِّعَمِ، يا دَافِعَ النِّقَمِ، يا نُورَ الْمُسْتَوْحِشِينَ فِي الظُّلْمِ، يا عَالِمًا لَا يُعَلِّمُ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَفْعَلَ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَالْأُمَّةِ الْمَيَامِينَ مِنْ آلِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا))^(٣)، فقد جاء السجع المرصع في عبارتي:

(١) الذات والآخر في الصحيفة السجادية: ١٠٨.

(٢) مفاتيح الجنان: ٨٦.

(٣) مفاتيح الجنان: ٨٦.

(ياسابغ النعم، ويا دافع النقم)؛ فنلاحظ أنّ العبارتين وافقتا بعضها البعض في اللفظتين (سابغ، دافع) وزناً وتقفيةً، وهذا التعادل بين الأجزاء هو من الأنواع المفضّلة في السجع؛ لأنّه يُحدِّد الأعصاب بالنسق المنتظم، والتتابع الصوتي الإيقاعي، وبالقرع المستمر، وزيادة التوقعات وإشباعها^(١).

نتائج البحث

١- إنّ دعاء كميل يشتمل على قاع وقمة، أي: على بنية استهلاكيّة، وبنية أخرى يمكن أن نعبّر عنها ببنية المتن، فأما البنية الاستهلاكيّة فتمثّل طموح الداعي وأمله في الله سبحانه وتعالى، وهو الذي لا حدّ لكرمه وجوده وخزائنه رحمته، وقد بدأ دعاء كميل بهذه المقدمة الاستهلاكيّة عندما يطلب الداعي ويتوسّل بربه ويحمده على نعمه ويناديه ويتوسّل إليه بصفاته وأسمائه، فكلّها تعدّ مقدمة استهلاكيّة للوصول إلى الغرض الأساس الذي على أثره بدأ الإمام بالمناجاة والدعاء، وأما بنية المتن أو ما سمّيناها ببنية القمة ففي هذه المرحلة يعرض الداعي حاجاته ومطالبه على الله الواحدة بعد الأخرى، ويتوسّل إليه لتحقيق حاجاته بلطفه وكرمه.

٢- ظهر النداء بوصفه بنية أسلوبية بكثرة في استهلاكات الأدعية، لما لهذا الأسلوب من دور محوري في نصّ الأدعية القائمة على استدعاء المرسل إليه ومخاطبته تمهيداً لاستعطافه بقبول الدعاء من المرسل / الداعي.

٣- وظيفة الاستهلال هي التلميح بما يحتويه مضمون النصّ فيكون المقطع الأوّل أو المقاطع الأولى أو الكلمة الافتتاحية للدعاء تشكّل وحدة بنائية لكلّ النصّ ثمّ تلتقي خيوط هذه الوحدة في الخاتمة لتشكّل بذلك نصّاً مكتملاً، أي: أنّنا نجد ترابطاً وصلة واضحة بين استهلال الدعاء ومتنه.

(١) ينظر: التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل: ١٨٨.



٤- جاء الحوار الداخلي بنسبة وروودٍ عاليةٍ في أدعية الاثمة تحديداً المناجاة، والسبب يعود إلى طبيعة المقام بين الداعي والمدعو، وهي سمة خاصة بالدعاء، فضلاً عن شعورهم بالتقصير مع الباري في العبادة أو ارتكاب المعصية، وكذلك شعورهم بالغرابة الاجتماعية أحياناً، أو الاضطهاد والظلم من قبل حكام السلطة فاحتاجوا إلى التنفيس عن مكبوتاتهم من دون الاصطدام بهم؛ فكان اللجوء إلى الله عزَّ وجلَّ ومناجاته نوعاً من التنفيس عن النفس وبث الشكوى.

٥- شكَّلت الخاتمة في الدعاء تنوعاً تشكيليّاً ومضمونياً فضلاً عن دورها المحوري في إبراز قدرة الداعي على لملمة أطراف الدعاء بأسلوبٍ تدريجي، فضلاً عن قدرته في التعبير عن هواجسه وخلجاته التي تشكّل تأثيراً واضحاً على المتلقّي وشدّ انتباهه، من خلال جملة من الصور البلاغية، وأشكال إيقاعية مختلفة.

٦- كشفت القراءة التحليلية لنصوص الأدعية عن شعريتها التشكيلية القائمة على بنى مركزية ثلاث؛ هي البنية الاستهلالية بأنواعها المختلفة، والحوار المناجاتي الذي شكّل صلب متون الأدعية، وخاتمة تنوّعت في تشكيلاتها ومضامينها؛ لتقارب بذلك بين مستوى الفنّ الدعائي، وبين باقي فنون الأدب من حيث التشكيل النصّي، ومن حيث المسعى لوحدة الموضوع وتنامي الفكرة. فهي مثلاً تقارب الفنّ الشعري من حيث الإيقاع والانزياح وتقارب النصّ السردي ومن حيث توافر بعض عناصرها، ومن أهمها الحوار المناجاتي والشخصية التي تمثلها حضور الداعي في النصّ.

مكتبة البحث:

*القرآن الكريم.

أولاً: المصادر والمراجع:

١. الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٣.
٢. الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، مسعود بودوخة، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط١، ٢٠١١.
٣. ابن الشبل البغدادي: حياته وشعره، د. سهى يونس سلمان الجبوري، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١.
٤. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة انجلو المصرية، مصر، ط٥، ١٩٧٥.
٥. أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، صححه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.
٦. الأصول المعرفية لنظرية التلقي: ناظم عودة خضر، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧م.
٧. أضواء على دعاء كميل، السيد عز الدين بحر العلوم، دار الزهراء، ط١، ١٩٨٣.
٨. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبي البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد الانباري، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢.
٩. البداية والنهاية في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون، الرؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٣.



١٠. التصوير الفنّي في شعر محمود حسن إسماعيل: د. مصطفى السعدني، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط ١، ١٩٩٨.
١١. التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر، مقارنة تحليلية لنظرية ياكبسون، منشورات دار الاختلاف، ط ١.
٢١. تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: د. محمود الربيعي، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٩.
١٣. الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، حنا فاخوري، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٨٦.
١٤. جماليّات النصّ الأدبي (دراسة في البنية والدلالة)، د. مسلم حسب حسين، دار السيّاب للطباعة والنشر، لندن، ط ١، ٢٠٠٧.
١٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩.
١٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٧ - ١٩٦٧.
١٧. رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية الغربية، بشير إبرير، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط ١، ٢٠٠٩.
١٨. رواية ما بعد الحداثة (قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله)، د. محمد صابر عبيد، د سوسن البياتي، منشورات ضفاف، بيروت، ط ١، ٢٠١٣.
١٩. السجع في القرآن الكريم، ديفين ج ستورات، ترجمة: الدكتور إبراهيم عوض، شركة الأهرام للدعاية والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥.



٢٠. شرح البداية في علم الدراية، زين الدين العاملي، تح السيد محمد رضا الحسيني، منشورات الفيروز آبادي، قم، ط١، ١٩٦٠.
٢١. الشعرية، تودوروف، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٧.
٢٢. شعرية الاستهلال عند أبي نؤاس، حسن إسماعيل، دار فرحة للنشر والتوزيع، مصر، د. ط، ٢٠٠٣.
٢٣. شعرية تودوروف، عثمانى ميلود، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠.
٢٤. الشعرية من منظور غربي حديثي، محمد مصباح، مقالات أدب وفن، دار الناشري للنشر الالكتروني، ٢٠٠٩.
٢٥. الصحيفة الصادقية: باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف، قم المقدسة، إيران، ط٥، ٢٠١١.
٢٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١.
٢٧. فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، دكتور السيد خضر، مكتبة الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٩.
٢٨. في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.
٢٩. القيم الخلقية في شعر الشريف المرتضى، د. عبد الكريم النفاخ، دار تمّوز للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦.



٣٠. كتاب مصباح المتهجد، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مركز بحوث الحج والعمرة، ط ١، ١٩٩١.
٣١. الكشّاف عن حقائق غوامض التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦.
٣٢. لسان العرب، ابن منظور، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥.
٣٣. اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد، محمد كنوني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٧.
٤٣. ما وراء الفقه: السيد محمد صادق الصدر، دار الاضواء للطباعة والنشر، قم، ط ١، ١٩٩٠.
٣٥. مرآة العقول في شرح أحاديث آل الرسول، العلامة محمد تقي المجلسي، دار الكتب الاسلامية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.
٣٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط ١، ١٩٨٣.
٣٧. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤.
٣٨. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١، ١٩٧٩ م.

ثانياً: المجلات والدوريات:

١. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٩، ج ١، ١٩٧٩.
٢. الحوار في الخطاب المسرحي، محمود عبد الوهاب، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، عدد ١٠، ١٩٩٧.
٣. الحوار في القصة القرآنية - قصة موسى أنموذجاً، نبهان حسون السعدون، يوسف سليمان الطحان، جامعة الموصل كلية العلوم الإسلامية، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، المجلد ٧، العدد ٤، ٢٠٠٨.
٤. مساهمة في نمذجة الاستهلالات الروائية، عبد العلي بوطيب، مجلة مقدمات، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، الجدة، عدد ٢١، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

١. أدعية أهل البيت عليهم السلام (كميل - عرفة - أبي حمزة الثمالي - الافتتاح) دراسة في تحليل الخطاب، عباس عبد السادة شريف، أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور حسين عودة هاشم، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٢٠.
٢. أدعية الصحيفة الصادقية (دراسة جمالية)، حيدر عبد الكاظم النفاخ، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الكريم جديع النفاخ، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، ٢٠١٩.
٣. الاستهلال في القصة القصيرة المعاصرة في العراق ٢٠٠٣-٢٠١٥، هبة قاسم بلجي، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور نائر عبد المجيد العذارى، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٧.
٤. بنية الاستهلال والخاتمة في القران الكريم، احمد صاحب غالي حمادة، أطروحة



- دكتوراه، إشراف الدكتورة ايمان عبد دخيل، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٢٠.
٥. الحوار في شعر عبد الله البردوني، نوفل حمد خضر الجبوري، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور فائق مصطفى احمد، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٢.
٦. السجع في العصر الجاهلي، مالك محمد جمال بني عطا، أطروحة دكتوراه، إشراف أنور أبو سويلم، جامعة مؤتة، ٢٠١١.
٧. الشعرية في كلام السجادة (ع) عبد المحسن جاسم محمد الجابري، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠٠٦.
٨. الشعرية والنقد الأدبي عند العرب مدخل نظري ودراسة تطبيقية، بغداد يوسف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، إشراف أ.د. فرعون خالد، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، ٢٠١٧-٢٠١٨.
٩. المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين (ع) دراسة أسلوبية، إدريس طارق حسين، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور قيس حمزة الخفاجي، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٦.
١٠. النداء في القرآن الكريم، مبارك التريكي، أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور محمد الحباس، جامعة ابن يوسف بن خدة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٧.

رابعاً: شبكة الأنترنت:

- ١ - عتبات (جيرار جينيت من النصّ إلى المناص)، عبد الحق بلعباد، دار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨: ١١٦-١٢٣. وينظر: وظيفة البداية في الرواية العربية، شعيب حليفي، مج: الكرمل، عدد: ٦١، ١٩٩٩: ٩-٢٠، والاستهلال الروائي، جميل الحمداوي، منتديات ستوب، www.stoob.com.

التربية والتعليم في القرآن وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام

أ.د. دلال عباس

الجامعة اللبنانية

الملخص:

ترتبط التربية والتعليم ترابطاً عضوياً، بل هما متلازمان تلازماً شرطياً، وأتّهما قضية واحدة لا قضيّتين. أمّا تقديم مصطلح التربية على مصطلح التعليم، فعلى الرّغم من أنّ التربية لا تتحصّل إلّا من خلال عمليّة التعليم، تبقى عمليّة التعليم قاصرة ما لم تتحقّق من ورائها عمليّة التربية، فالتربية هي الهدف النهائيّ للتعليم.

ففي التعليم يؤخذ في الحسبان بعدد واحد هو البعد المعرفيّ والعلميّ، ولكنّ التربية شاملة ومتعدّدة الجوانب، ولها بعد أخلاقيّ وسلوكيّ.

لقد أكّد القرآن الكريم على قابليّة الإنسان للتربية، والقرآن نفسه الذي هو بحدّ ذاته كتابٌ تربويّ، يبيّن من خلال الأمثال والحكم والقصص والتعاليم الأخلاقيّة والفرائض والأحكام أنّ لدى البشر قابليّات الوعي وتلقّي العلوم وإصلاح السلوك والمنطق، وقد سبق القرآن الكريم علماء النفس وعلماء التربية الغربيين في تأكيده على أهميّة التعليم من خلال التمثيل والقصص.

وكذلك فإنّ أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام تؤكّد على أهميّة الأخذ في الحسبان مستوى المخاطبين العقلي وقدرة كلّ منهم على استيعاب ما يُلقنه، كبيراً كان أم



صغيراً، والصغير حتماً أولى بالعناية، والاهتمام به فرداً مستقلاً عن الآخرين: إنسانياً ومزاجياً وذكاءً، وإعداد الظروف الملائمة لتنمية عقله ومواهبه، ولا يجوز للأهل على الإطلاق مثلاً فرضَ نمطٍ تعليميٍّ أو تخصصيٍّ - كانوا هم يحملون به - على ولد غير مؤهلٍ له؛ وفي الوقت نفسه لا يعني هذا الكلام أن يُترك له الحبلُ على غاربه.

الكلمات المفتاحية: التربية والتعليم، النص القرآني، تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام.

Abstract:

Education and teaching are organically linked; in fact, they are conditionally inseparable, representing a single issue rather than two. As for prioritizing the term "Education" (Tarbiyah) over "Teaching" (Ta'lim), although education is only attained through the teaching process, teaching remains deficient unless the educational process is achieved through it. Thus, education is the ultimate goal of teaching.

While teaching focuses on a single dimension—the cognitive and scientific—education is comprehensive and multifaceted, encompassing ethical and behavioral dimensions.

The Holy Qur'an has emphasized human educability. The Qur'an itself, being an educational book, demonstrates through parables, wisdom, stories, moral teachings, and religious obligations that humans possess the capacity for awareness, acquiring knowledge, and reforming behavior and logic. In this regard, the Holy Qur'an preceded Western psychologists and educators in emphasizing the importance of teaching through analogies and storytelling.

Similarly, the traditions of Imam Ali (PBUH) stress the importance of considering the intellectual level of the audience and



their individual capacity to comprehend what is being taught, whether they are old or young. Children, certainly, deserve the utmost care, being treated as independent individuals—humanly, temperamentally, and intellectually. This involves creating suitable conditions to develop their minds and talents. For instance, parents must never impose a specific educational path or specialization—one they perhaps dreamed of for themselves—upon a child who is not qualified for it. At the same time, this does not mean leaving the child without guidance or supervision.

Keywords: Education and Teaching, Qur’anic Text, Teachings of Imam Ali (PBUH).

المقدمة:

حين نستقرئ تعاليم القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وما ورد عن الإمام عليٍّ وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، نستنتج أن عملية التربية والتعليم في الإسلام عملية مستمرة من المهد إلى اللحد، وهذه العملية تبدأ قبل الولادة وبعدها وفي مختلف مراحل العمر، وتقع على عاتق الأهل والمعلمين والعلماء والمصلحين. وقد وصف إمام المتقين عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام الإسلام بأنه دينُ الله الذي اصطفاه لنفسه، ثم جعله لا انفصامَ لعزوته، والله عزَّ وجلَّ وصف القرآن بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠]؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٨] وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: أنا والله خاتم النبیین والمرسلین والحجَّة على جميع المخلوقين من أهل السموات والأرضين؛ وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارًا فاتمَّها وأكملها إلا موضعَ لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس



يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: لولا موضع اللَّبَنَةِ!

ويسعى البحث إلى تسليط الضوء على قضية التربية والتعليم وعناصرها ووسائلها في ضوء النصِّ القرآنيِّ وتعاليم أمير المؤمنين (ع) اعتماداً على المنهجين الوصفي والتحليلي.

ويهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية، وما يتفرَّع عنها وصولاً إلى النتيجة المتبتغة.

* هل التعليم والتربية عمليتان منفصلتان أم مترابطتان، ولماذا قُدمت لفظة التربية على لفظة التعليم؟

* ما هي قيمة العلم والمعرفة والتوجيه والإرشاد والتزكية في النصِّ القرآنيِّ وفي تعاليم أمير المؤمنين (ع).

* متى تبدأ عملية التربية، وما عناصرها ووسائلها؟

* ما الأبعاد الفردية لعملية التربية والتعليم عقلياً وعاطفياً وسلوكياً، وما أبعادها الأسرية والاجتماعية في النصِّ القرآنيِّ، وفي تعاليم أمير المؤمنين (ع)؟

* ما هو دور الأهل والمؤسسات التعليمية في عملية التربية، وما هي أهمية القدوة والرموز في عملية التربية والتعليم؟

وقد قُسم إلى مقدمةٍ ثمَّ عرض لمحاور البحث، تليها خاتمة تضمَّنت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، ثمَّ قائمة بالمصادر والمراجع.



ما التربية والتعليم؟

هل التربية والتعليم مفهومان مستقلان عن بعضهما أم متلازمان؟ إن ورود لفظي التربية والتعليم معاً كأنهما مصطلح واحد، يعني أنهما متلازمان تلازماً شرطياً، ومترابطان ترابطاً عضوياً، وأنهما قضية واحدة لا قضيتين. أما تقديم مصطلح التربية على مصطلح التعليم، فعلى الرغم من أن التربية لا تتحصّل إلا من خلال عمليّة التعليم، تبقى عمليّة التعليم قاصرة ما لم تتحقّق من ورائها عمليّة التربية، فالتربيّة هي الهدف النهائي للتعليم.

التربية:

لُغَةً: مشتقةٌ بحسب معجم مقاييس اللغة ((من الجذرين (أَرَبَ) و (رَبَ أ) اللذين يدلّان على أصل واحد وهو الزيادة والنماء والعلو، ويُقال رَبَيْتُهُ إِذَا غَدَوْتُهُ، وهذا ممكنٌ على معنيين أحدهما أنه إِذَا رُبِّيَ نَمَا وَزَكَا وَزَادَ، والآخر من التريب، ويجوز أن تكون إحدى الباءات ياءً والوجهان جيّدان))^(١)؛ والتربية بحسب المصباح المنير: ((من (ر ب و)، والرّبا: الفضل والزيادة، وهو مقصورٌ على الأشهر، وربّي الصغيرٌ من باب تعب، و ربا يربو من باب علا: إِذَا نَشَأَ، ويتعدّى بالتّضعيف، فيقال: رَبَيْتُهُ فَرَبِي))^(٢)، وفي تاج العروس: ((ر ب و - ربا الشيءُ رُبُوًا، أو رِبَاءً: زاد ونما وعلا؛ وأرْبَيْتُهُ: نَمَيْتُهُ وهو الصواب، ورَبَيْتُهُ تربيةً، أي: غَدَوْتُهُ))^(٣).

أما التربية كما عرفها المُحدّثون فهي ((تنمية الوظائف النفسيّة بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً، تقول: رَبَيْتُ الْوَلَدَ إِذَا قَوَيْتَ مَلَكَاتِهِ وَنَمَيْتَ قَدْرَاتِهِ، وهذّبت

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢ / ٤٨٣.

(٢) المصباح المنير: ٢ / ٢١٧.

(٣) تاج العروس: ١٩ / ٤٤٣.



سلوكه، حتى يصبح صالحًا للحياة في بيئة معيَّنة، وتقول: تربى الرجل إذا أحكمته التجاربُ ونشأ نفسه بنفسه))^(١).

لم ترد كلمة التربية بصيغتها المصدرية في القرآن الكريم، وإنما ورد الفعل ربى بالمعنى المادي في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]، وعن الوالدين: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وعن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ لِيرَبِّي لِأَحْدَكُمُ الصَّدَقَةَ كَمَا يُرَبِّي أَحْدَكُمُ وَلَدَهُ، حَتَّى يَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مِثْلُ أُحُدٍ))^(٢)، وعن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَتَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ... فَإِنَّ اللَّهَ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا - كَمَا يُرَبِّي أَحْدَكُمُ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلُهُ... حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ))^(٣)، وعن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في مدح الأنصار: ((هُمْ وَاللَّهُ رَبُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُوءَ...))^(٤).

أما مصطلح التربية فنجده فيما بعد في كلام الإمام زين العابدين والأئمة من بعده عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إذ يقول الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه لأبويه: ((اللَّهُمَّ اشْكُرْ لِهَمَا تَرَبَّيْتِي... أَيْنَ إِذَا يَا إِلَهِي طَوَّلَ شُغْلِهِمَا بِتَرَبَّيْتِي؟))^(٥)؛ وفي دعائه لأولاده: ((وَأَعْنِي عَلَى تَرَبَّيْتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبِرِّهِمْ))^(٦). وعن موسى الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((ثَمَانِيَةُ أَشْيَاءَ مِنْ كُنَّ فِيهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَنَشَرَ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ: مِنْ أَوْى الْيَتِيمِ وَبَرِّ وَالِدِيهِ، وَأَحْسَنَ تَرَبِيَةَ

(١) المعجم الفلسفي: ١ / ٢٦٦.

(٢) تفسير العياشي: ١ / ١٥٣.

(٣) تهذيب الأحكام: ٤٥٨.

(٤) نهج البلاغة: ٥٥٧.

(٥) الصحيفة السجادية: ١٥٢، والدعاء: ٢٤.

(٦) م. ن: ١٥٦، والدعاء: ٢٥.



وُلِدَهُ، وَرَفَّقَ بِمَمْلُوكِهِ...))^(١)، وعن الحسن العسكري عليه السلام: ((ومن رحمته (أي: الله عز وجل)... أنه جعل القوّة في أمّه (أي: أمّ الإنسان) ورقّقها عليه لتقوم بتربيته وحضّانته، فإنّ قسا قلب أمّ من الأمّهات، أوجب تربية هذا الطّفل وحضّانته على سائر المؤمنين))^(٢).

وكذلك ثمة كلمات أخرى في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين عليهم السلام مثل: إرشاد وتأديب وتزكية ودلالة وهداية، يقارب معناها إلى حدّ كبير معنى كلمة تربية، لا مجال في هذا البحث للتوسّع فيها.

أمّا في علم النفس فتعرّف التربية بـ((أتمها عمليّة منتظمة أو مستمرّة تهدف إلى توجيه النموّ البدني والعقلي والنفسي أو بشكل عام لتوجيه التنمية الكاملة لشخصيّة الأفراد في اكتساب العلوم البشريّة وفهمها وفهم المجتمع للمعايير، فضلاً عن المساهمة بازدهار مواهبهم))^(٣).

التعليم:

لغةً: بحسب الفراهيدي من ((عَ لِ مَ يَعْلَمُ عِلْمًا، نَقِيضُ جَهْلٍ ... وَأَعْلَمْتُهُ بِكَذَا، أَي: أَشْعَرْتُهُ، وَعَلَّمْتُهُ تَعْلِيمًا))^(٤)، وبحسب ابن منظور من: ((عَ لِ مَ ... الْعِلْمُ نَقِيضُ الْجَهْلِ ... وَعَلِمْتُ الشَّيْءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا: عَرَفْتُهُ ... وَعَلَّمَهُ الْعِلْمَ وَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَتَعَلَّمَهُ ... وَعَلَّمْتُهُ الشَّيْءَ فَتَعَلَّمَ ... وَالتَّشْدِيدُ هُنَا لَيْسَ لِلتَّكْثِيرِ))^(٥)، وفي القرآن وصفَ الله عزّ وجلّ نفسه على أنّه المعلّم، وهذا تأكيد على أهميّة التعلّم والتعليم:

(١) معدن الجواهر: ٦٤.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤.

(٣) علم النفس التعلّم والتعليم: ٣٧.

(٤) كتاب العين: ٢ / ١٥٢.

(٥) لسان العرب: ٢ / ٨٧٠.



﴿اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥]؛
 و﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]؛
 و﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى
 هَلْ آتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَنِي رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٥-٦٦]. ووصف القرآن
 النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَعْلَمُ النَّاسِ الْحَكِيمَةَ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا
 وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾
 [البقرة: ١٥١]، ومدح العلماء ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وفي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ مَعْلَمَ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ دَوَابُّ
 الْأَرْضِ وَحَيْتَانِ الْبَحْرِ، وَكُلُّ ذِي رُوحٍ فِي الْهَوَاءِ، وَجَمِيعُ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ))^(١)،
 وَقَالَ: ((مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَّبَهَا وَأَحْسَنَ أَدَبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، كَانَتْ لَهُ
 مَنَعَةٌ وَسِتْرًا مِنَ النَّارِ))^(٢)، وَهَذَا تَأْكِيدٌ عَلَىٰ وَجُوبِ تَعْلِيمِ الْبَنَاتِ فِي عَصْرِ كَانَ أَهْلُهُ
 يَتَدَوَّنَ بَنَاتُهُمْ؛ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ فَأَدَّبَهَا، فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ
 تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ))^(٣).

ويرى الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَاكِمِ الْعَادِلِ، (وَتَالِيًا
 مَسْئُولِيَّةِ الدَّوْلَةِ) إِخْرَاجَ النَّاسِ مِنْ جَهْلِهِمْ بِتَعْلِيمِهِمْ، وَتَعْلِيمُهُمْ يَكُونُ هَدْفُهُ
 الْمَعْرِفَةُ: ((أَيُّهَا النَّاسُ ... أَمَّا حَقِّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيَّ،
 وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْ لَا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا))^(٤)، وَقَالَ فِي خُطْبَةِ الْهَمَامِ: ((مَذْكَرٌ

(١) بحار الأنوار: ١٧ / ٢.

(٢) كنز العمال: ٤٥٢ / ١٦.

(٣) المسند: ٤ / ٤١٤، والسنن: ١ / ٢٢٩.

(٤) نهج البلاغة: ٧٩.



للعالم، معلّم للجاهل^(١))، وقال: ((من نَصَبَ نفسه للناسِ إمامًا فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقُّ بالإجلال من معلّم الناسِ ومؤدّبهم))^(٢)، وهذا تأكيدٌ على أنّ المعلّم يجب أن يكون من الناحية السلوكية قدوة للمتعلّمين، وعلى أن التعلّم عمليةٌ مستمرة طيلة الحياة، والعاقِل من يعلّم نفسه باستمرار.

وعن العلاقة بين التربية والتعليم يمكن القول: في التعليم يؤخذ في الحسبان بعدد واحد هو البعد المعرفي والعلمي، ولكن التربية شاملة ومتعددة الجوانب، ولها بعد أخلاقي وسلوكي، والتعليم يقوم به عادة معلّم في مكان معيّن مثل المدرسة وقاعات التدريس، ويتحقّق التعليم عندما تزداد معرفة الفرد؛ ولكن التربية تتحقّق عندما تتجلّى التعاليم في سلوك الفرد؛ وفي الثقافة الدينية تعادل كلمة التزكية كلمة التربية، أي: أن من تزكى فقد طوى درجات الكمال، ولكن امتلاك التعليم والوعي غير مساوٍ للكمال، وربما كان عقبة خطيرة أمام الكمال البشري في ما يتعلّق ببعض العلوم (التي تنتج سلاح الدمار الشامل مثلاً).

إنّ التربية والتعليم مترابطان مفهوميًا ترابط العلة والمعلول، ترابطًا وتواصلًا بينيًا، أي: أنّهما ليسا عاملين منفصلين، وإنّما يجتمعان في مواقع الممارسة والتطبيق ويتكاملان، فالتربية لا يمكن أن تتحقّق من دون التعليم، والتعليم لا يمكن أن يكتمل من دون التربية؛ وفي القرآن استخدم مفهوم التزكية الأقرب إلى التربية أربع مرّات مع كلمة التعليم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، جاءت كلمة

(١) الكافي: ٥ / ٢٢٩.

(٢) منية المرید: ١٦ / ١٥٠.



التعليم في دعاء إبراهيم (ع) هذا قبل التزكية، إشارة إلى أن التعليم مقدّمة لازمة للتزكية، لكن في الآيات الثلاث الأخرى جاءت كلمة التزكية قبل التعليم للدلالة على أن الهدف الأساسي هو التزكية:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

إذا التربية والتعليم عملية واحدة لا عمليتان منفصلتان، والتربية عملياً مقدّمة على التعليم قدرًا وأهميّة، وهي الهدف الأساسي من التعليم.



ما هي العوامل والعناصر المؤثرة في التربية؟

أكد العلم الحديث على أهمية العامل الوراثي مقابل عوامل البيئة والتعلم والتربية والوالدية والنمو، وهناك أدلة على أن أبعاد شخصية الإنسان موروثه، لكنّ الجدل بين علماء التربية ينصبّ على مدى تأثير العناصر الوراثية في خيارات الإنسان؛ كما أن هنالك كلامًا كثيرًا على تأثير البيئة البيئية انطلاقًا من ترتيب الموالي، والموقع في الأسرة، واختلاف البيئات الاجتماعية، وتنوعها، ومستوى التعليم ونوعيته، والقيم التي يحملها المعلمون، وثقافة المجتمع، والأحداث الاجتماعية الواسعة النطاق والعميقة التأثير، كالحروب والركود الاقتصادي، والخلفية العرقية، وأخيرًا الحقب الزمنية التي يتربى فيها الفرد؛ لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا تُفسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم))^(١).

متى تبدأ عملية التربية في الإسلام؟

تبدأ عملية التربية قبل الولادة، بمعنى أن الطفل يجب أن يولد من علاقة شرعية بين الأبوين، ولذلك جاء تحريم الزنى في القرآن تحريمًا قاطعًا منذ بداية الدعوة، ولم يأت تحريمه متدرجًا كما هي الحال في تحريم الخمر والرق، وعن ذلك قال الإمام الصادق عليه السلام: ((خلق الله الجنة طاهرة مطهرة لا يدخلها إلا من طابت ولادته))^(٢)؛ ورؤي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: ((تخيروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين))^(٣)، وقال: ((تخيروا لنطفكم وانتخبوا المناكح))^(٤)، وقال: ((انظر في

(١) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٥٣٦.

(٢) المحاسن: ١ / ١٣٩.

(٣) قرب الإسناد: ١ / ٢٥٩.

(٤) كنز العمال: ٣٠٢.



أَيَّ نَصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ))^(١)، وقال: ((انكحوا الأكفَاءَ واختاروا لِنُطْفِكُمْ))^(٢)، وقال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((تزوَّجوا في الحُجْبِرِ الصَّالِحِ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ))^(٣)؛ ومن حكمة الله البالغة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُنْجَبْ من بعض زوجاته، ولم يعيش له من الأولاد إِلَّا الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ التي ولَّدتها السيِّدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ وتطالعنا في سيرة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كيفية اختياره لأُمَّهَاتِ أولاده بعد وفاة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، ونعرف من خلال قراءتنا للتاريخ الإسلاميّ الإساءات التي ألحقها أولئك الذين لم تطبُّ ولادتهم بالدين وأهلِهِ وبعامة الناس.

وكذلك فقد وردت أحاديث للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن الاهتمام بالحوامل والاحتفاء بالولادة وإقامة وليمة، ومن غُسل المولود والآذان والإقامة في أذنه، وعن حُسن اختيار اسمه، والعقيقة والختان، وحلق رأس الطفل والتصدق بما يوازي الشعر من وزن؛ كما أَنَّ الْقُرْآنَ قد حدّد مدّة الرضاعة، ورُوي عن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((لَيْسَ لِلصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنْ لَبَنِ أُمِّهِ))^(٤)؛ وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((تَخْيِرُوا الرِّضَاعَ كَمَا تَخْيِرُونَ لِلنِّكَاحِ، فَإِنَّ الرِّضَاعَ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ))^(٥).

التربية والتعليم والتعلّم عملية مستمرة من المهد إلى اللحد:

تبدأ عملية التربية كما ذكرنا قبل مرحلة الولادة، إذا أحسن الإنسان اختيار الشريك، وبعد الولادة يأتي دور الأسرة في مرحلة الطفولة الأولى، ومن ثمّ يتشارك الأهل والمدرسة والبيئة عملية التربية والتعليم؛ وإن تربي الطفل والغلام على القيم

(١) شهاب الأخبار: ٣٠٩.

(٢) الكافي: ٥ / ٣٣٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ١٩٧.

(٤) نور الثقلين: ١ / ٢٢٨.

(٥) قرب الإسناد: ٩٣.



السليمة، حرّاً قادراً على التمييز بين الصّحّ والخطأ، وبين الخير والشرّ، سيتمكّن بعد ذلك من تهذيب نفسه بنفسه، وإعادة تقويم سلوكه، إن هو أحسن اختيار الذين يقتدي بهم، وعرف أهميّة المسؤوليّة الملقاة على عاتقه في هذه الدنيا، بعد أن يضع نصب عينيه أنها ليست إلاّ دار امتحان وممرّاً إلى الحياة الحقيقيّة.

إنّ القرآن الكريم يؤكّد على قابليّة الإنسان للتربية، والقرآن نفسه الذي هو بحدّ ذاته كتابٌ تربويٌّ، يبيّن من خلال الأمثال والحكم والقصص والتعاليم الأخلاقيّة والفرائض والأحكام أنّ لدى البشر قابليّات الوعي وتلقّي العلوم وإصلاح السلوك والمنطق، فالله عزّ وجلّ خلق الإنسان وخلق له القابليّة التدريجيّة للتربية، وما نزول القرآن منجّماً على مدى ثلاث وعشرين سنة إلاّ لِيتمكّن المؤمنون من الالتزام بتعاليمه تدريجيّاً؛ والله عزّ وجلّ قد بعث الأنبياء والرسل والأوصياء لتهذيب البشر وهدايتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

يمرّ الأطفال منذ يومهم الأوّل في هذه الدنيا إلى حين بلوغهم سنّ الرشد عبر مراحل متوالية متّصلة، يمكن عدّها فصولاً محدّدة لتاريخ واحد.

كلُّ مرحلةٍ منها لها بناؤها الخاص، وينبغي للتربية أن تتطابق قدر الإمكان مع هذه المراحل النفسية، فهذا هو السبيل الأوحد الذي يُبرز استعدادات المتربي ويظهرها. ويمكن الادّعاء أنّ مفهوم المرحلة غدا جزءاً من نظريّة التربية والتعليم الحديثين.

وتأكيداً على ذلك وعلى أنّ عمليّة التربية عمليّةٌ مستمرّةٌ وغير مرتبطة بعمرٍ معيّن يقول أمير المؤمنين عليه السلام الذي سبق كلّ النظريات التربويّة الحديثة: ((يُرَبِّي الصَّبِيَّ سَبْعًا، وَيُؤَدِّبُ سَبْعًا، وَيُسْتَحْدَمُ سَبْعًا وَمُنْتَهَى طَوْلِهِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً



وعقله في خمسٍ وثلاثين سنة، وما كان بعد ذلك فبالتجارب^(١)، ومعنى ذلك وجوب التدرّج في عمليّة التربية خطوةً خطوةً، من المهمّ إلى الأكثر أهميّةً، ومن البديهيّ والأسهل إلى الأصعب، ومن المرحليّ إلى طويل الأمد، والله عزّ وجلّ أنزل القرآن المجيد الذي فيه تفصيلٌ كلُّ شيءٍ على مدى ثلاثٍ وعشرين سنةً، قال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ورُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حديثٌ يقارب مضمون حديث جدّه أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: ((الغلام يلعبُ سبع سنين ويتعلّم الكتاب (في الكتاب) سبع سنين، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين))^(٢)، ورُوي الحديث نفسه على نحوٍ آخر: ((دع ابنك يلعبُ سبع سنين، ويؤدّبُ سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإلا فإنه من لا خير فيه))^(٣).

وفي هذين الحديثين أوصى الإمام عليه السلام بالنشاط والرياضة في السنوات السبع الأولى بعنوان (اللعب)، وفي السبع الثانية يتعلّم الآداب والعلوم وفنون الحياة ومهاراتها، وذلك في المدرسة خارج المنزل، وفي السبع الثالثة يجب أن يُعلّم ما يجب وما لا يجب من الأقوال والأفعال: فإن قام الوالدان والمعلمون والمربّون في هذه السنوات العشرين وواحدة بما عليهم من وظائف، ولم يبلغ المتربي ما يُرجى منه من الفلاح والنجاح، فلا لومَ عليهم.

وفي ضوء مبدأ التدرّج في رعاية الأولويّات، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((العلمُ أكثرُ من أن يُحاطَ به، فخذوا من كلّ علمٍ أحسنه))^(٤)، ويقول: ((خذوا من كلّ علمٍ

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٤٩٣.

(٢) الكافي: ٦ / ٤٧، وتهذيب الأحكام: ٨ / ١١١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣ / ٤٩٢.

(٤) غرر الحكم: ٩٨.



أحسنه، فإنَّ النحلَ يأكلُ من كلِّ زهرٍ أزيئته، فيتولد منه جوهران نفيسان: أحدهما فيه شفاءٌ للناس، والآخرُ يستضاء به^(١)، إنَّ التمثيلَ بالنحل في جمع العسل ورحيق الأزهار وإنتاج الشمع والعسل، يهون على المربيين الطريقَ الشاقَّ في الحصول على أجودِّ الملاحظات العلميَّة والتربويَّة، والعملية أكثر من غيرها.

لتدريب الطفل على أنماط السلوك الحسنه، يمكن أن نعطي مثلاً واحداً للأهل وللمربيين وللكبار بشكل عام، يكونون من خلاله قدوةً للأطفال الصغار وللفتية، هو موضوع التحية والسلام، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ الإنسان أن يُسلم على غيره لتوثق العلاقات الاجتماعيَّة: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]، و﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وفي الحديث النبوي: ((أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام؛ السلام تطوعٌ والردُّ فريضة))^(٢)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: ((ابدأوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تحبوه))^(٣)، إنَّ تعليمَ الأطفالِ السلام والتحية، وتوقع ذلك منهم وفاق العادة الاجتماعيَّة المحموده، أو رده عليهم مصحوباً بابتسامه حنون؛ يؤثر تأثيراً شديداً في بناء شخصياتهم. إنَّ التحية والسلام لبنة صغيرة مؤثرة في بناء علاقة الطفل بأقرانه وبالكبار. وتصبح هذه اللبنة أشدَّ صلابةً إن دُرِّب الصغار على التسابق لإلقاء التحية، بأن يحيي الكبير الصغير، فيقلده، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يسبق الصغار في السلام عليهم، ليكون عمله هذا سنةً من بعده: روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله مرَّ على صبيان فسلم عليهم، قال: لا أدعُ حتى الممات التسليم على الصبيان لتكون سنة من

(١) غرر الحكم: ٣٤٦.

(٢) الكافي: ٢ / ٦٤٤.

(٣) م. ن: ٢ / ٦٤٤.



بعدي))^(١). كيف يُربى الطفل ليصبح إنساناً مختاراً لأفعاله؟

فضلاً عن تدريب الطفل على حسن السلوك منذ الصغر، من خلال تقليد الكبير (المفترض أنه قدوة له)، يجب تدريبه وتربيته على نحوٍ يكون فيه حرّاً مختاراً إذا إرادة، يمكنه أن يميّز بين ما يجب فعله وما يجب تركه. إنّ عمل الأهل والمربين في الطفولة الأولى على تنمية العقل والإرادة لدى الأطفال، هو أهمّ عملٍ يقومون به: فمبدأ الإرادة الحرّة فطرةً لجميع البشر، وهي عطيةٌ كريمةٌ من الخالق جلّ وعلا، وسلبُ هذه الإرادة (إن استُخدمت أساليبُ تربيويةً قمعيةً في المنزل أو في المدرسة في مرحلة الطفولة) سيؤدّي حتماً إلى مسخ هويّة الإنسان أشرف المخلوقات: فالله عزّ وجلّ لا يُحاسبُ إلاّ الإنسان العاقل الحرّ المختار؛ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، ﴿مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١].

يجب أن يكون الإنسان عاقلاً حرّاً ليميّز بين الخير والشرّ، فيختار الأعمال الصالحة الخيرة، ويمتنع عن الشرّ وكلّ ما فيه ضررٌ ماديٌّ ومعنويٌّ عليه وعلى الآخرين؛ ذلك لأنّ الله عادلٌ وعدله مطلق؛ يثيبُ من أثاب عن بينة، ويعاقبُ من عاقب عن بينة.

يتوجّب على الوالدين ومن ثمّ المربين، أولاً وقبل كلّ شيء تنمية الإرادة لدى الأطفال منذ السنين الأولى، أن يُدرّب الطفل على التمييز بين ما يضرّه وما ينفعه، من

(١) بحار الأنوار: ١٦ / ٩٩.



دون قمع أو تعنيف في السنوات السبع الأولى، وحتى التأديب في السنوات السبع التالية يجب أن يكون بأساليب بعيدة عن التحقير والتعنيف والإذلال؛ لأن توفير الأجواء المناسبة لرشد الاطفال وتطورهم يمكنه أن يحد من ظهور العناء النفسي والاضطرابات العصبية؛ ولأن الطبيعة البشرية مرنة، والإنسان حصيلته عملية التعلم التي تتأثر بالمتغيرات الخارجية، والتي يمكنها أن تعدل إلى حد ما من العوامل الوراثية: فإن استطاع الأهل والمربون أن يجعلوا من أنفسهم قدوة للأطفال يمكنهم أن يؤثروا في تعديل سلوكهم، وقد أكدت الروايات والأحاديث على ضرورة ممارسة العدالة في الأسرة، وتعزيز العلاقة القائمة على المحبة المتبادلة والتعاطف والتراحم بين أفراد العائلة: إن علاقة الوالدين وكيفية معاملتهما للآخر تؤثر في نفسية الأولاد؛ والتجربة أثبتت أن سوء معاملته الزوج لزوجته، تؤدي إلى الاضطرابات العصبية لدى الأطفال لشعورهم الدائم بالخوف، وقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((أحسنُ الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله، وأنا ألطفكم بأهلي))^(١)، وقال: ((اعدلوا بين أولادكم في السر، كما تحبون أن يعدلوا بينكم بالبر واللطف))^(٢)، ورؤي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: ((أنه نظر إلى رجل له ابنان، فقبل أحدهما وترك الآخر، فقال النبي: هلا ساويت بينهما))^(٣)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((عليك بلزوم الحلال وحسن البر بالعيال، وذكر الله في كل حال))^(٤).

وتأكيداً على أن قواعد السلوك من المفترض أن يكتسبها الإنسان تلقائياً من المنزل، أي: من الأبوين أو من يقوم مقامهما قول الإمام الرضا عليه السلام: ((ومر الصبي

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٣٨.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٢٠.

(٣) م. ن: ٢٢٠.

(٤) غرر الحكم: ٤٤٦.



فليتصدق بالكسرة والقبضة...^(١)، وهكذا تصبح الصدقة عادةً لديه، قبل أن تكون فريضةً.

يجب أن يكون الأبوان (والمربون عامةً) قدوةً لأبنائهم، وهذا واجبهم، لكن إن لم يكونا قدوةً، وتبين للولد بعد أن نما عقله، ووجد له قدوةً غيرهما: نبيًا أو إمامًا أو معلمًا، أنهما غيرُ جديرين بالطاعة، توجبَّ عليه أن يختطَّ لنفسه طريقًا غيرَ طريقهما، وفي هذه الحال وصاه الله عزَّ وجلَّ بوالديه إنسانيًّا أن لا ينسأهما كما تنسى البهائم والديها، وأن يرعاهما ولا يقول لهما إلا قولاً حسنًا ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلًى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

إن السنوات الأربعة عشرة الأولى مرحلةٌ أساسيةٌ ومفصليةٌ في تربية الإنسان، فهي تتضمن الكثير من المقدمات التحضيرية التي يتخذ فيها الإنسان شخصيةً أوليةً تكون العامل المؤثر في النمو الحياتي المستقبلي، لذلك يجب حسابها مرحلة التمهيدي للتربية النهائية، ويجب أن تكون مقدمةً لمرحلة ما بعد البلوغ؛ فالتدريب على العبادات من دون فرضٍ قبل عمر التكليف، يهون التزام البالغ بها، ونحن نلاحظ بيننا أشخاصًا متدينين لكن أخلاقهم سيئة، لماذا؟ لأن أنماط السلوك وحسن الخلق تُكتسب في مرحلة الطفولة؛ وقليلون الذين تمكّنوا من التخلّي عن العادات وأنماط

(١) الكافي: ٤ / ٣٠.



السلوك التي وسمهم بها آبائهم وأمهاتهم، ولا معنى للتدين إن لم يقترن بمكارم الأخلاق.

ما هي أبعاد العملية التربوية؟

إن التربية يجب أن تركز على تنمية الجسم والروح والعقل، وأي تقصير أو إخلال في تهذيب أحد هذه الأبعاد الثلاثة، سيخلّ حتماً بتوازن شخصية الإنسان؛ وقد وردت أحاديث ووصايا تتعلق بالتغذية والرعاية وكل ما يساهم في حفظ الجسم وسلامته؛ وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل))^(١)، وفُرضت أعمالٌ تهدف إلى تقوية النفس والتغلب على الشهوات، وقد روي عن الإمام الحسين وعن الإمام الصادق (عليهما السلام) القول: ((الصبرُ: الصومُ / الصيام))^(٢)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إن الله عزّ وجلّ حرس عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضة تسكيناً لأطرافهم وتخفيفاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيفاً لقلوبهم))^(٣)؛ فالصومُ ليس اجتناب الطعام والشراب فحسب؛ إنّما هو الابتعاد عن المحرّمات كافةً، ممّا يدعم الإنسان في مواجهته لنفسه، ويجعله قادراً على السيطرة على شهواته، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الصيام: اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل عن الطعام والشراب))^(٤)، وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنّ الصوم له وجاء))^(٥)، وعن

(١) الكافي: ٦ / ٤٧.

(٢) م. ن: ٤ / ٦٣، ووسائل الشيعة: ١٠ / ٤٠٧.

(٣) نهج البلاغة: ٢٤٩.

(٤) بحار الأنوار: ٢٩٤.

(٥) قرب الإسناد: ٣ / ٢٩٠.



الرضا عليه السلام: ((... علّة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش؛ ليكون ذليلاً مستكيناً، محتسباً، صابراً... مع ما فيه له من الانكسار عن الشهوات))^(١)، وثمة توصيات كثيرة بخصوص تذكية العقل وتقويته، بعضها له جوانب ماديّة، وبعضها له جوانب معنويّة، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((أدب العلماء زيادةً في العقل...))^(٢)، أي أنّ مجالسة العلماء وتعلّم آدابهم، والنظر إلى أفعالهم وأخلاقهم موجبةٌ لزيادة العقل، وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: (ذكّ عقلك بأدبٍ كما تُذكي النار بالحطب)^(٣)، وقال عليه السلام: ((إذا كان الآباء هم السبب في الحياة، فمعلّمو الحكمة والدين هم السبب في جودتها))^(٤).

مراعاة الفروق الفرديّة:

لقد راعت وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ووصايا الأئمة عليهم السلام من بعده أمراً مهمّاً في عمليّة التربية والتعليم هو ما يسمّيه علماء النفس التربويّون اليوم (مراعاة الفوارق الفرديّة وقدرات المتريّين واستعداداتهم).

في مرحلة الطفولة الأولى أو السنوات السبع بحسب وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام يكون الوالدان هما المسؤولان عن تربية الطفل وتوجيهه وتعليمه، يساعده في مجتمعاتنا نحن الجدّان والأخوة الكبار والأقارب والمربّون في دور الحضانة (غير المؤهّلين لهذه المهمّة الصعبة في معظم الأحيان) هذه السنوات هي التي تحدّد شخصيّة الطفل كثيراً؛ لذلك فإنّ المحبّة الصادقة والحقيقيّة للأطفال وهدايتهم وتوجيههم برفقٍ، من دون تعنيف، ومن دون إجراء مقارنات بينهم وبين غيرهم من

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ١٧٣.

(٢) بحار الأنوار: ١ / ١٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤ / ٥٣٨.

(٤) م. ن: ٤ / ٥٣٢.



الأطفال أمرٌ شديد الأهمية يساعد على تنمية ثقتهم بأنفسهم.

وفي مرحلة الطفولة الثانية (من السابعة حتى الرابعة عشرة) يتوجب على المربين (الأهل والمعلمين) الانتباه إلى الجوانب والصفات التي تميّز طفلاً من آخر، مثل؛ وضع البدن وشكله، القبح والجمال، والسلامة والاعتلال؛ وكذلك الحالة الذهنية والفكرية: مستوى الذكاء والقدرة على التحليل والاستدلال، وقوة الحافظة أو النسيان، وتشتت الحواس، والقدرة على التركيز، ومستوى العلاقة بأقرانه، والإحساس بآلام الآخرين، أو إظهار اللامبالاة...

وكلام الإمام الصادق عليه السلام حول ضرورة ملاحظة قدرة المتربي واستعداده، لا يدع مجالاً للشك أو التشكيك حول ضرورة مراعاة الفوارق الفردية؛ لأنّ حظوظ الناس ومستوياتهم مختلفة، وأنّ تكليف ذي الحظّ الأوفر لا ينبغي أن يُلقى على من هو أدنى منه، وعن مستويات الذكاء والقدرة على الاستيعاب عند الأفراد، يقول عليه السلام: ((إنّ من المسلمين من له سهمٌ ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهمٍ ومنهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يُحمّل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة، ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة... - وبعد ذلك روى لمخاطبيه قصّة ذلك الرجل الذي كان له جارٌ نصرانيٌّ -، فدعاه إلى الإسلام وزيّنه له، فأجابته، فأثاه سُحَيْرًا فقرع عليه الباب، ودعاه إلى مرافقته إلى المسجد لصلاة الفجر، ومكثا في المسجد حتى الصباح، ومنعه من العودة إلى منزله بانتظار الصبح فالعصر، فالمغرب، فالعشاء.



في اليوم الثاني، حين قرع بابه ليدعوه إلى الصلاة: قال له: أطلب لهذا الدين من هو أفرغ منِّي وأنا إنسان مسكين، وعليّ عيال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدخله في شيءٍ أخرج منه))^(١).

إنَّ بقاء المجتمع متوقَّفٌ على وجود أفرادٍ مختلفين، ذوي تنوعٍ رجالاً ونساءً يكمل بعضهم بعضاً من حيث القدرات الجسديّة والعقليّة والفكريّة، والماديّة والمعنويّة، والروحيّة والعاطفيّة، والعريقيّة... ولولا ذلك لتوقفت عجلة المجتمع، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استوتوا هلكوا))^(٢)، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: ((إنَّ الإيمان عشرٌ درجاتٍ بمنزلة السلم، يُصعد منه مرقاةً بعد مرقاة، فلا يقولنَّ صاحبُ الاثنين لصاحبِ الواحد، لستَ على شيءٍ، حتّى ينتهي إلى العاشر، فلا تُسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيتَ من هو أسفل منك بدرجةٍ فارفعه إليك برفقٍ، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيقُ فتكسره، فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جُزه))^(٣)، ما من كلام أدلُّ من هذا الكلام على ضرورة مراعاة قدرات الأشخاص والرفق بهم في مسار تعليمهم وإرشادهم وتربيتهم وتعديل سلوكهم.

إنَّ مردّ تفرّد شخصية الإنسان يعود إلى عوامل عديدة: جسديّة ونفسيّة وعقليّة، فلا ينبغي أن تكون أمور تعليمهم وتربيتهم في مستوى واحد وسرعةٍ واحدة ومقدار واحد، ولدى معلّم واحد، هذا ما تنبّه له المرّبون في القرن العشرين في الغرب، لكنّ في بلداننا لا الأهل متنبّهون إلى هذا الأمر ولا المدارس.

(١) الكافي: ٢ / ٤٤.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٨٠.

(٣) الكافي: ٢ / ٤٥.



في هذا السياق يحدثنا القرآن الكريم في سورة الكهف عن قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح أحد أصحاب المعارف والعلوم، والعالم بالأسرار، يطلب موسى عليه السلام إليه أن يرافقه ليتعلم منه، لكن العبد الصالح يقول له: إنه لن يستطيع معه صبراً، فیتعهد له موسى أن يصبر ولا يعصي له أمراً، لكنه في المواقف المختلفة ينتقد معلمه؛ لأنه لم يحتمل الحقائق المخفية والمعقدة واكتفى بظواهرها، ولم ينتظر تأويلها؛ فإذا كانت هذه حال أحد الأنبياء، فكيف بسائر الناس؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((ما كلم رسول الله العباد بكنه عقله قط... وقال صلى الله عليه وآله:
إننا - معاشر الأنبياء - أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم))^(١)، وهذا الحديث تأكيد على أهمية الأخذ في الحسبان مستوى المخاطبين العقلي وقدرة كل منهم على استيعاب ما يُلقنه، كبيراً كان أم صغيراً، والصغير حتماً أولى بالعناية، والاهتمام به فرداً مستقلاً عن الآخرين: إنسانياً ومزاجياً وذكاءً، وإعداد الظروف الملائمة لتنمية عقله ومواهبه، ولا يجوز للأهل على الإطلاق مثلاً فرض نمط تعليمي أو تخصصي كانوا هم يملكون به، على ولد غير مؤهل له؛ وفي الوقت نفسه لا يعني أن يُترك له الحبل على غاربه.

الثواب والعقاب في التربية:

إن الإسلام كما ورد في النص القرآني وفي أحاديث المعصومين عليهم السلام يرى أن الإنسان كائن حرٌّ مختارٌ، وهبه الله تعالى نعمة الوجود والحياة والعقل، كما وهبه صفة الحرية الفطرية والوجدانية، التي تمثل بالنسبة إليه الرسول الباطن، ومن يفقد هذا الميزان الفطري والمعياري الإلهي، يخرج من دائرة التشريع والتكليف وهناك قاعدة عقلية قرآنية تنص على تقدّم البيان والموعظة على التكليف ليستحق الإنسان



الثواب والعقاب على أعماله الاختيارية، وهو ما يُعبر عنه بما اصطاح العلماء على تسميته بـ(قبح العقاب بلا بيان)، فضلاً عن أن القرآن قد صرح برعاية هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ *اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦-٢٥٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصُوى وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيُحْيِيَ مَن حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

إذا يُحاسبُ الإنسان على أساس الفطرة السليمة، وعلى أساس ما وهبه الله من عقل؛ ويُنسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((العقل شرعٌ من داخل، والشرع عقلٌ من خارج))^(١)؛ وهذا ما يُسمى في علم أصول الفقه (قاعدة الملازمة) التي يُقصد بها أن: ((كلُّ ما حكم به العقل حكم به الشرع))^(٢)، وعلى أساس ما أوحى الله به إلى أنبيائه

(١) مجمع البحرين: ٥ / ٤٢٥.

(٢) مطارح الأنظار: ٢ / ٣٤٤.



وبلغوه هم للناس. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((أيها الناس إن آدم لم يلد عبداً ولا أمةً، وإن الناس كلهم أحرار))^(١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((العمل الصالح من العبد بفعله والله به أمره، والعمل الشر من العبد بفعله والله عنه نهاه))^(٢)، إن الإنسان الحرّ هو الذي يختار ملذات الدنيا ونعيمها أو رضوان الآخرة وسعادتها؛ لذلك لا بدّ في عمليّة التربية للإنسان منذ طفولته أن يُربّى على أنّه حرٌّ في اختياره، وأنّه قادرٌ على ذلك، وأنّ بإمكانه أن يحدّد مصيره بنفسه وقدرته وإرادته، وذلك بواسطة القصص والأمثال والإشارات اللطيفة؛ فالله جلّ وعلا لم يشأ إجبار الناس على الإيمان والعبادة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((فأنزل الله تبارك وتعالى: يا محمد، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا... ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا مني ثواباً ولا مدحاً، لكنّي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطّرين، ليستحقّوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنّة الخلد))^(٣).

إذا الواجب تنمية عقل الإنسان، منذ مرحلة الطفولة كما ذكرنا من قبل، والتدرّج في التعاليم الموحى بها إلى نبيّه صلى الله عليه وآله، ليسلك بكامل اختياره الطريق الذي يستهويه، إمّا الصراط المستقيم، وإمّا المليء بالحفر المؤدّي إلى الضلالة والغواية؛ فإمّا أن يرتفع إلى مصافّ الملائكة أو يهبط إلى مصافّ الوحوش والشياطين.

إنّ الله تعالى قد خيّر عباده بين قبول الهداية أو الإعراض عنها، وعلى المرّبين أيضاً، أن يؤدّوا ضمن عمليّة تعليم الأطفال والفتيان وتربيتهم دور من يمهد الطريق

(١) الكافي: ٨ / ٦٩.

(٢) الآداب الدينية: ٣٤١ / ٢.

(٣) التوحيد: ٣٤٢.



للسالكين فيه، لا من يُجبر الناس على سلوكه، ومن يرشدهم بما لا بد منه من البيان والمساعدة؛ لتكون المسؤولية تالياً على المترين أنفسهم ليختاروا الطريق الصحيح.

التربية غير المباشرة قبل التأديب المباشر:

هنالك طريقتان للتربية والهداية جرّهما المربون (الأهل والمعلمون) هما: التربية المباشرة والتربية غير المباشرة؛ أما نظام التربية الإسلامية كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين عليهم السلام فهي أسلوب التربية غير المباشرة لأغلب المتعلمين، وذلك بتوجيه الخطاب إلى غير المخاطب الأصلي.

تندر في القرآن الكريم طريقة التذكير والتنبيه التي تتوجه مباشرة إلى فردٍ مخاطبٍ حيٍّ أو معاصرٍ وتذكر اسمه، والغالب أنه عند توبيخ بعض الأمة أو الثناء عليهم، إما أن يسوق خطابه بنحوٍ عام ناظرًا إلى صنفٍ أو طائفةٍ من تلك الجماعة كالمؤمنين أو المشركين أو المنافقين؛ ليقى المخطئ مجهولاً وفي الوقت نفسه يطلع على خطئه، وقد عبّر عن هذا الأسلوب في الأمثال العربية بالكلمة المشهورة: ((إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة))، وهذا المثل يُضرب لمن يتكلم بكلام وهو يريد غيره^(١)، وقد ورد الحديث عن هذا الأسلوب غير المباشر في النص القرآني في قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة))^(٢)؛ وفي قول الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: ((قال المأمون، فأخبرني عن قولِ الله عزّ وجلّ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ؟﴾ قال الرضا عليه السلام: هذا مما نُزِلَ بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله عزّ وجلّ بذلك نبيّه وأراد به أمته، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ

(١) ينظر: مجمع الأمثال: ١ / ٤٩.

(٢) الوافي: ٢ / ٦٣١.



كِدْتَ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿١﴾، وفي هذا السياق تأتي أهمية الأمثال والحكايات والقصص في العملية التربوية، فالقرآن نفسه يفخر بجماله وكماله بالقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، ويقول: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]، و ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

إن الله عز وجل يريد من عباده أن يفكروا فيما ضرب من أمثال، وأن يعملوا عقولهم ليتذكروا موروثات فطرتهم، فنظرة عميقة في بعض الأمثال القرآنية توضح هذا المبدأ؛ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، وفي سورة لقمان نشهد قمة التعاليم والإرشادات القرآنية في مجال تربية الأبناء؛ وقد كان للرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام تمثيلات مبدعة من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قول الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله: ((مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء))^(٢)، وقول الإمام الباقر عليه السلام: ((مثل الحريص

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ٢٠٢.

(٢) منية المرید: ٢٢٥.



على الدنيا مثل دودة القز، كلما ازدادت من القز على نفسها لفا، كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمًا^(١)، وقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((مثل الدنيا كمثل البحر المالح، كلما شرب العطشان منه ازداد عطشًا حتى يقتله))^(٢).

من أساليب التربية غير المباشرة التي اهتم بها القرآن الكريم والرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مسألة التأديب والهداية بأسلوب القصص لأخذ العبرة: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه: ٩٩-١٠٠]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْضِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إن القصص القرآني حين تُعاد كتابته بأساليب مختلفة وتُصنع منه أفلام وتمثيلات تناسب الصغار، وتناسب الكبار، وكذلك اعتماد القصص المصوّرة والأفلام والمسرحيات لمختلف الدروس والمواضيع التي يريد المعلمون والمربون أن يوصلوها إلى الصغار والكبار، مع ضرورة الالتزام بالقواعد والضوابط العقلية والعلمية والدينية والأخلاقية، للتعريف بأي من الشخصيات التي يمكن أن

(١) الكافي: ٢ / ٣١٦.

(٢) الزهد: ٤٨.



تكون قدوةً للناس من مختلف الأعمار، الشخصيات الأفضل والأعلم من الماضي والحاضر، والتعريف كذلك بالشخصيات الأسوأ لتبيان ما أصابهم بسوء عملهم، ولتجنب اتباع الطرق التي يمكن أن تؤدّي بالإنسان ليصبح مثلهم.

[محضرني في هذا السياق أن أذكر أننا نحن الكبار في السنّ الذين تعلّمنا بطرق متخلّفة جدًّا، لم نستفد مما لقنناه في دروس التاريخ في المدرسة، في حين أنّ ما قرأناه صغارًا في الروايات التاريخية ما يزال ماثلاً في أذهاننا].

تربويًا، سبق القرآن الكريم علماء النفس وعلماء التربية الغربيين في تأكيده على أهمية التعليم من خلال التمثيل والقصص؛ وفي تجربتنا في تعليم الأطفال من خلال القصص، وجدنا أنّ القصة توصل ما نريد إلى الأطفال بشكل مؤثر ومسلّ، ومن خلال القصص يمكننا أن نوصل إلى الصغار والكبار الإرث الثقافيّ بأكمله على شكل حكايات تهب الحياة معناها الأمثل. إنّ الحكايات والأساطير هي الأكثر جاذبيّة، فالطفل يرى نفسه في كلّ المعارك التي يخوضها البطل كأنّه يواجه معه المشاكل والمتاعب، ويحقّق معه النصر، فيؤمن أنّ الفضيلة هي المنتصرة دائمًا، وهذا ما يهب الطفل ثقةً بالنفس، وهو يستعيد في داخله كيفية مواجهة البطل للمشاكل التي واجهته. إنّ القصة تعلّم الطفل أنّ مواجهة المشاكل في الحياة أمرٌ لا بدّ منه، وهو جزءٌ طبيعيٌّ من حياة الإنسان، وأنّ الإنسان إن لم يتراجع ويتخاذل وبقي ثابتًا على موقفه، وأصرّ على مواجهة المشاكل وتحطّي الصعاب والمتاعب غير المتوقّعة والظالمة في معظمها فإنّه لا بدّ منتصرٌ في النهاية.



الخاتمة:

١. حين نستقرئ تعاليم القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وما ورد عن الإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، نستنتج أن عملية التربية والتعليم في الإسلام عملية مستمرة من المهد إلى اللحد، وأن التربية والتعليم مترابطان مفهوميًا ترابط العلة والمعلول، فالتربية لا يمكن أن تتحقق من دون التعليم، والتعليم لا يمكن أن يكتمل من دون التربية؛ وهذه العملية تبدأ قبل الولادة، لأهمية العامل الوراثي؛ لذلك جرى التأكيد على تحريم العلاقات غير الشرعية تحريمًا قاطعًا، وكذلك التأكيد على اختيار الأكفاء في الزواج؛ وعملية التربية والتعليم عملية مستمرة لا انقطاع لها في مختلف مراحل العمر، وتقع على عاتق الأهل والمعلمين والعلماء والمصلحين، كما أنها تقع على عاتق الفرد العاقل، الذي يحثه القرآن على تعديل سلوكه بنفسه.

٢. من خلال وصايا أمير المؤمنين عليه السلام نستنتج أهمية دور الأهل في السنوات الأربعة عشر الأولى من عمر الولد؛ فالسنوات الأربعة عشر الأولى مرحلة أساسية ومفصلية في تربية الإنسان، فهي تتضمن كثيرًا من المقدمات التحضيرية التي يتخذ فيها الإنسان شخصية أولية تكون العامل المؤثر في النمو الحياتي المستقبلي؛ لذلك يجب حسابها مرحلة التمهيد للتربية النهائية، ويجب أن تكون مقدمة لمرحلة ما بعد البلوغ، فالتدريب على العبادات من دون فرض قبل عمر التكليف، يهون التزام البالغ بها.

٣. من واجب الأهل في تدريب الطفل على حسن السلوك منذ الصغر، أي: تربيته أخلاقيًا ودينيًا، بتقليل المواعظ والأوامر والنواهي، وبالكثير من الحب والعطف والممارسة، وبأن يكونوا قدوة له في كل ممارساتهم، من أبسط التعاليم إلى أصعبها.

٤. من الواجب تربية الطفل وتدريبه على نحو يكون فيه حرًا مختارًا إذا إرادته، يمكنه



أن يميّز بين ما يجب فعله، وما يجب تركه. إنّ عمل الأهل والمربّين في الطفولة الأولى على تنمية العقل والإرادة لدى الأطفال، هو أهمّ عمل يقومون به: فمبدأ الإرادة الحرّة فطرةً لجميع البشر، وهي عطيةٌ كريمةٌ من الخالق جلّ وعلا، وسلبُ هذه الإرادة (إن استُخدمت أساليب تربويّة قمعيّة في المنزل أو في المدرسة في مرحلة الطفولة) سيؤدّي حتمًا إلى مسخ هويّة الإنسان أشرف المخلوقات: فالله عزّ وجلّ لا يُحاسب إلاّ الإنسان العاقل الحرّ المختار: إنّ الإنسان الحرّ هو الذي يختار ملذات الدنيا ونعيمها أو رضوان الآخرة وسعادتها، لذلك لا بدّ في عمليّة التربية للإنسان منذ طفولته أن يُربّى على أنه حرٌّ في اختياره، وأنه قادرٌ على ذلك، وأن بإمكانه أن يحدّد مصيره بنفسه وقدرته وإرادته، وذلك بواسطة القصص والأمثال والإشارات اللطيفة؛ فالله جلّ وعلا لم يشأ إجبار الناس على الإيمان والعبادة.

٥. لقد سبق القرآن الكريم تربويًا علماء النفس وعلماء التربية الغربيين في تأكيده على أهميّة التعليم من خلال التمثيل والقصص، وفي تجربتنا في تعليم الأطفال من خلال القصص، وجدنا أنّ القصّة توصل ما نريد إلى الأطفال بشكل مؤثر ومسلّ، ومن خلال القصص يمكننا أن نوصل إلى الصغار والكبار الإرث الثقافيّ بأكمله على شكل حكايات تهب الحياة معناها الأمثل.

٦. راعت وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ووصايا الأئمة عليهم السلام من بعده أمرًا مهمًّا في عمليّة التربية والتعليم هو ما يسمّيه علماء النفس التربويّون اليوم (مراعاة الفوارق الفرديّة وقدرات المتربّين واستعداداتهم).

٧. إنّ الأحاديث لاسيما أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام تؤكد على أهميّة الأخذ في الحسبان مستوى المخاطبين العقلي وقدره كلّ منهم على استيعاب ما يُلقّنه، كبيرًا كان أم صغيرًا، والصغير حتمًا أولى بالعناية، والاهتمام به فردًا مستقلًّا عن الآخرين:



إنسانياً ومزاجياً وذكاءً، وإعداد الظروف الملائمة لتنمية عقله ومواهبه، ولا يجوز للأهل على الإطلاق مثلاً فرض نمطٍ تعليميٍّ أو تخصصيٍّ على ولد غير مؤهلٍ له، وفي الوقت نفسه لا يعني هذا الكلام أن يُترك له الحبلُ على غاربه.

٨. إنَّ الهدف النهائيَّ للتربية إن نحن اتبعنا تعاليم القرآن وتعاليم المعصومين عليهم السلام هو خلق مواطنين صالحين وأشخاصاً أسوياء؛ ولأجل ذلك يجب اعتماد كلِّ طريقةٍ أو وسيلةٍ تجعل الطفل إنساناً قادراً على التمييز بين الخير والشرِّ، بين الصحيح وغير الصحيح، من أبسط الأمور إلى أشدها تعقيداً، وذلك بأن لا نلجأ إلى عقابه على أعمال لا يعرف نتائجها، أو أن ندخله مدرسةً أو حضانةً تكون سجنًا له، يعامل فيها كالراشد، يُقمع ويُعاقب فيتحوّل في ما بعد إلى إنسانٍ ضعيفٍ مسلوب الإرادة، يعيش خوفاً دائماً من عقاب الأبوين أو من عقاب المعلمين، أو من عقاب الله عزّ وجلّ كما يفعل بعض معلّمي التربية الدينيّة، أو يتحوّل إلى إنسانٍ متمردٍ متحدّدٍ للقيم.

٩. إنَّ الطفلَ المحبوبَ غيرَ المعنّف لا يكذب، وإن نحن ربّينا طفلاً لا يكذب، نكون قد صنعنا رجلاً أو امرأةً مثاليين، لأنّ الكذب هو أساسُ كلِّ رذيلة.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

١. الأمالي، محمد بن محمد المفيد، تح: حسين استاد ولي وعلي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤١٣ هـ.
٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٣. بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، القاهرة، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تح: علي هلالي وعلي سيدي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.
٥. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، طهران، ط ١، ١٣٨٠ هـ.
٦. التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الحسن بن علي العسكري عليه السلام، تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٩ هـ.
٧. تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، بيروت، ط ٣، ١٣٣٩ هـ.
٨. تفسير نور الثقلين، عبد علي العروسي الحويزي، تصحيح: السيد هاشم رسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم، ١٤١٥ هـ.
٩. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٩ هـ.
١٠. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تح: حسن الموسوي خرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ هـ.



١١. التوحيد، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، تح: هاشم الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٣٩٨ هـ.
١٢. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، دار الشريف الرضي للنشر، قم، ١٤٠٦ هـ.
١٣. الخصال، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، تح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣ هـ.
١٤. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
١٥. دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٣، ١٣٨٣ هـ.
١٦. الزهد، حسين بن سعيد الكوفي الأهوازي، محقق/ مصحح: غلام رضا عرفانيان يزدي، المطبعة العلمية، قم، ١٤٠٢ هـ.
١٧. سنن ابن ماجة، ابن ماجة القزويني، (لات)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١٨. شرح مصباح الشريعة، زين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني، المترجم: عبد الرزاق الكيلاني، تح: محمد بن حسين آقا جمال الخوانساري، بيام حق للنشر، طهران، ١٣٧٧ ش، ١٩٩٨ م.
١٩. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤ هـ.
٢٠. شهاب الأخيار، محمد بن سلامة القضاعي، تح: جلال الدين الحسيني الأرموي (المحدث)، المركز العلمي والثقافي للنشر، طهران، ١٣٦١ ش.

٢١. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١ م.
٢٢. الصحيفة السجادية، زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، دار الهادي للنشر، قم، ١٤٣٤ هـ.
٢٣. الطبقات الكبرى، أبو عبدالله محمد بن سعد، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.
٢٤. العُدَّة القوية لدفع المخاوف اليومية، علي بن يوسف الحلي، مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٨ هـ.
٢٥. عوالي اللئالي العزيفية في الأحاديث الدينية، محمد بن زين الدين بن أبي جمهور، تح: مجتبی عراقی، دار سيد الشهداء للنشر، قم، ١٤٠٥ هـ.
٢٦. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط ٢، ١٤٠٩ هـ.
٢٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، تح: مهدي لاجوردی، دار الجهان للنشر، طهران، ١٣٧٨ هـ.
٢٨. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي، تح: سيد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلامية، قم، ١٤١٠ هـ.
٢٩. قرب الإسناد، عبدالله بن جعفر الحميري، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤١٣ هـ.
٣٠. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تح: علي أكبر غفاري ومحمد آخوندی، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ هـ.
٣١. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوی، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦ م.



٣٢. كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.
٣٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، تح: جمال الدين ميردامادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
٣٤. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تح: جلال الدين محدث، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٧١ هـ.
٣٥. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمد تقي النوري، تح: مؤسسة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قم، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
٣٦. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مطبعة الميمنة، مصر، ١٣١٣ هـ.
٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ١٩٨٢ م.
٣٨. مطارح الأنظار، مرتضى الأنصاري، مقرر: أبو القاسم بن محمد بن علي كلانتری نوري، تح: لجنة التحقيق تراث الشيخ الأعظم، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٣٣٨ ش.
٣٩. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، شركة العالمية، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٤٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن زكريا بن فارس الرازي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤ هـ.
٤١. معدن الجواهر ورياضة الخواطر، محمد بن علي الكراجكي الطرابلسي، تح: أحمد حسيني، المكتبة المرتضوية، طهران، ط ٢، ١٣٩٤ هـ.
٤٢. مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، دار الشريف الرضي للنشر، قم، ط ٤، ١٤١٢ هـ.



٤٣. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، محقق ومصحح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤١٣ هـ.
٤٤. منية المرید في أدب المفید والمستفيد، الشهيد الثاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٩ هـ.
٤٥. نهج البلاغة، محمد بن حسين الشريف الرضي، تح: صبحي الصالح، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط ١، ١٤١٤ هـ.

التوجيه اللغوي لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام في المدونات القرآنية

أ.د. سليمة جبار غانم

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

إذا كان نهج البلاغة لأمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد تجلّى فيه الأثر القرآني على المستويات اللغوية المختلفة، فإنّ أقوال الإمام المنقولة عنه نصّاً أو معنى كانت حاضرة في المدونات القرآنية للعلماء العرب، ككتب التفسير، وكتب إعراب القرآن وقراءاته ومعانيه، وكتب ألفاظ القرآن وغريبه، وغيرها، فقد وظّف هؤلاء العلماء تلك الأقوال بحسب ما يتناسب وسياق ما هم بصدد بحثه وبيانه من الآيات القرآنية، وسيُعنى البحث ببيان آليات التوجيه اللغويّ لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام في طائفة من المدونات القرآنية، وقد اعتمدت خطة البحث على ما رصدناه من الأقوال أوّلاً، ثمّ طبيعة التوجيه اللغوي؛ تعصيماً للمعنى وتقوية، وتأويلاً، ودلالةً سواء أكانت معجمية أم فروقاً دلالية، أم نقدًا لدلالة لفظة ما، أم مسائل لغوية أخرى متفرقة. وقد استبعدنا أقواله عليه السلام التي كان توجيهها ليس لغويًا، كأن يكون في علوم القرآن الكريم، كأسباب النزول، وجمع القرآن الكريم، وما إلى ذلك ...

الكلمات المفتاحية: التوجيه اللغوي، أقوال أمير المؤمنين عليه السلام، المدونات

القرآنية.

Abstract:

If the Nahj al-Balagha of the Commander of the Faithful, Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH), manifests the Qur'anic influence across various linguistic levels, then the Imam's sayings—transmitted either verbatim or by meaning—have been inherently present in the Qur'anic corpora compiled by Arab scholars. These include works of exegesis (Tafsir), Qur'anic parsing (I'rab), recitations (Qira'at), meanings (Ma'ani), as well as lexicons of Qur'anic vocabulary and rare terms (Gharib). These scholars employed those sayings in accordance with the context of the Qur'anic verses they were investigating and clarifying.

This research focuses on identifying the mechanisms of linguistic orientation (direction) of Imam Ali's (PBUH) sayings within a selection of Qur'anic corpora. The research plan is based, firstly, on the sayings we have tracked, and secondly, on the nature of their linguistic orientation—whether for supporting and strengthening meanings, interpretation (Ta'wil), or semantic indications (be they lexical, semantic nuances, or the critique of a specific term's significance), as well as other scattered linguistic issues. We have excluded sayings whose orientation was not linguistic, such as those pertaining to the Sciences of the Qur'an (Ulum al-Qur'an), like the reasons for revelation (Asbab al-Nuzul), the compilation of the Qur'an, and similar topics.

Keywords: Linguistic Orientation, Sayings of Imam Ali (PBUH), Qur'anic Corpora.



المقدمة:

ليس غريباً أن تكون لأمر المؤمنين عليهم السلام المكانة المرموقة، والخطوة الكبيرة، وعلى المستويات كلها، فضائله ثابتة لا تُنكر، وسماته تتجلى عبر الأزمان، وتظهر بدءاً بمولده الشريف، إذ ((لم يولد في البيت الحرام أحد سواه قبله ولا بعده، وهي فضيلة خصه الله بها إجلالاً له، وإعلاماً لرُتبته، وإظهاراً لتكريمته))^(١)، وهو عليه السلام أقرب الناس إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأحبهم إليه، وفي ذلك روايات كثيرة، وأخبار ثابتة، وأقوال صحيحة^(٢).

إنّ المتبّع للمدونات القرآنية يجد أنّ مدار الاهتمام فيها القرآن الكريم، فالتفسير تنطلق من العلم الذي به تتضح به الآيات القرآنية وأحكامها، وما يتصل بها تأويلاً، وبياناً، فعلم التفسير يرتكز على كلام الله سبحانه وتعالى، ولكلّ مُفسّرٍ منهج معيّن يسير عليه في تفسير القرآن الكريم، إضافة إلى امتلاكه مجموعة من الأدوات التي يكشف بها عن مقاصد الآيات، فضلاً عن الإحاطة بعلمٍ مختلفة، أمّا الشواهد التي يستعين بها المفسّرون فهي متنوعة، تعكس فهمهم وثقافتهم، ورؤاهم، وإطلاعهم، فقد تكون شواهد قرآنية، أو قراءة من القراءات، أو تكون شعراً أو نثراً كالأقوال والأمثال، وغيرها، والأمر نفسه نجده في المدونات القرآنية الأخرى، فكُتِبَ معاني القرآن وإعرابه، ومفرداته، وغريبه إنّما تبدأ من القرآن، وهو ميدانها العمليّ التطبيقيّ، ولكلّ منها منهج واتّجاه يتناسب وهدفها، إن كان بياناً لمعاني القرآن، أو إعراباً لآياته المباركة، أو كشفاً عن أبنيتها واشتقاقاتها، وصيغها، وشواهدِها، أو ما فيه من الغريب أو المعرب والدخيل، فقد كان كتاب الله تعالى

(١) كشف الغمّة: ١ / ٧٨.

(٢) ينظر: م. ن: ١ / ١١٧ - ١٢٠، و ١ / ٢٨٠ - ٢٩٠.



المنطلق لدراسات العلماء، واهتماماتهم على مرّ العصور والأزمان.

وسيكون بحثنا هذا في مجالات التوجيه اللغوي لأقوال الإمام عليه السلام في المدونات القرآنية، وكانت العينات من هذه المدونات متنوّعة، كالتفاسير، وكتب إعراب القرآن، وكتب القراءات القرآنية، وكتب معاني القرآن، ومفرداته، وقد أفاد البحث من مصادر ومراجع متعدّدة تُفصِّحُ عنها الإحالات، وما تضمّنته قائمة المصادر والمراجع، فضلاً عمّا استقى البحث منه مادّته وأقصد المدونات القرآنية.

وبعد قراءة فاحصة، متأنية لبعض هذه المدونات وبحسب ما يُكوّن مادّة البحث ويُغنيها، تبيّن مجال التوجيه اللغوي فيها الذي يُفصِّحُ عن ثقافة المؤلّف، وعلمه، واهتمامه، ومرجعياته، ومصادره، وسنضع ما رصدناه من مجالات التوجيه في محاور عدّة، يتضمّن كلُّ محور منها المسألة اللغوية، وما يذكره المؤلّف من قول للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مع بيان ما يتعلّق بالقول، وربطه بالآية القرآنية التي ورد بشأنها، وبحسب ما يأتي به المؤلّف، وكما يأتي:

المحور الأول: تعضيد المعنى وتأبيده:

إنّ المفردات والتراكيب تحمل دلالات معيّنة، وتعبر عن مقاصد المتكلّم مهما كان علمه أو غايته وهدفه، ومكانته، وهذه الفقرة من البحث لا تقف عند أسلوب التوكيد بمفهومه، وآلياته في العربية فحسب، فهذا بابٌ معروف في النحو العربي، ولا تقفُ عند وسائل تقوية المعنى فهذا بحث له مساراته، وأنماطه، وإنّما المقصود توكيد ما يرد من معانٍ أو دلالاتٍ لآيات القرآن الكريم بشواهد تناظرها وتوافقها نوعاً ما دلاليّاً، فقد يلجأ المفسّر أو اللّغويّ إلى الاستعانة بشواهد أخرى تلتقي مع المعنى الذي حدّده لما هو بصددِ بيانه وتوضيحه، فقد يستعينُ بآيات قرآنية، أو قراءات قرآنية، أو بأحاديث نبوية شريفة، أو بشواهد شعرية أو نثرية؛

لغرض تثبيت المعنى عن طريق المجيء بما يناظره من استعمالات، وشواهد مختلفة، وكان لهذا الإجراء حضوراً لافت في المدونات القرآنية عينة البحث. إذ نجد قولاً لأمير المؤمنين عليه السلام جيء به تأييداً، وتعصيماً، وتقويةً لما ذكر من توجيه لآية قرآنية كريمة، وسنعرض طائفةً من الأقوال يتحقق فيها موضوع هذا المحور وعنوانه، وكما يأتي:

١- بعد أن أعرب ابن خالويه (٣٧٠ هـ) قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] ذكر مسائل صرفية للفعل (أفْلَحَ) مُستشهداً بأبياتٍ شعرية للإمام علي عليه السلام، فقال: ((وأفْلَحَ: فعل ماضٍ، والمصدر: أَفْلَحَ يُفْلِحُ إِفْلَاحًا، فهو مُفْلِحٌ، ويُروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصِرَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً))^(١)

فقد عمد ابن خالويه أن يأتي بنصوص شعرية ورد فيها الفعل الماضي (أفْلَحَ)، ومن تلك الأبيات بيتان للإمام علي عليه السلام ذكرنا واحداً منهما.

٢- وقف المفسرون عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقد ذكرت دلالات متعددة، وآراء مختلفة، منها ((أن تكملة العِدَّة في شهر رمضان تتحقق بالصيام بين الهلالين، أي: هلال رمضان، وهلال شوال، ومع الخفاء فثلاثين

(١) إعراب ثلاثين سورة: ١١١، ولم أجده في ديوان الإمام عليه السلام، وهو في مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٧٧، والقَوْصِرَةُ بالفتح وتشديد الراء، وقد تخفف: وعاء من القصب يُكْتَنَزُ فيه التمر، ولا يسمّى بذلك إلا مادام فيها التمر. ينظر: جمهرة اللغة: ٢ / ٧٤٣ (قصر)، والطرز الأول: ٩ / ١٥٥ (قصر).



يوماً... و عن علي عليه السلام: صُمَّ للرؤية، وافطر للرؤية، فَإِنَّ خَفِي عَلَيْكُمْ فَأَتَمُّوا الشَّهْرَ الْأَوَّلَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا^(١)، ومن الجدير بالملاحظة أَنَّ آيَةَ الصَّوْمِ عِنْدَمَا وَقَفَ عِنْدَهَا الْمَفْسَّرُونَ لِبَيَانِ مَقَاصِدِهَا وَأَحْكَامِهَا وَجَدْنَا أَكْثَرَ مِنْ قَوْلٍ لِلْإِمَامِ عليه السلام، وَقَدْ أورد نظامُ الدين النيسابوري (٨٥٠هـ) قولين؛ مؤيِّداً ومعضِّداً^(٢)، وسنذكر أحدهما: يقول نظام الدين النيسابوري: ((وَلَمَّا رُوي أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام شَهِدَ عِنْدَهُ رَجُلٌ عَلَى رُؤْيَا هَلالِ رَمَضَانَ فَصَامَ، وَقَالَ: صِيَامُ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ))^(٣).

٣- تنوعتِ القراءاتُ القرآنيَّةُ، فأصبحَ لها قُرْأؤها، و مؤلَّفاتها، وظواهرها، ومن تلك القراءات؛ القراءاتُ السبع، التي كتبَ فيها عددٌ كبيرٌ من العلماء كابن جاهد (٣٢٤ هـ) في كتابه (السبعة)، وابن خالويه في كتابه (إعراب القراءات السبع وعللها)، وأبي طاهر الأنصاري الاندلسي (٤٥٥ هـ) في كتابه (العنوان في القراءات السبع)، وغير ذلك، ولكلٌّ من هذه المدونات القرآنيَّة منهج خاص في العرَض، والتوجيه، والشواهد، ومما يتَّصلُ ببحثنا ما يرد في هذه المدونات من أقوالٍ لِأَميرِ الْمُؤمِنين عليه السلام يوجِّهها العلماء لغويًّا، و من ذلك ما ورد في كتاب ابن خالويه من بيانِ لقراءة قرآنيَّة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فقد ذكر ابن خالويه القراءة قائلًا: ((قرأ حمزة، والكسائي: (فارقوا) بالالف، ذهباً إلى قراءة عليِّ بن أبي طالب قرأها كذلك، وقال: فارقوه))^(٤)، وكما نلاحظ أنَّ تحويلاً في الصيغة الصرفيَّة قد حدث من (فَرَّقُوا) إلى (فَارَّقُوا)، أي: من صيغة (فَعَّل) إلى صيغة (فَاعَلَ)،

(١) تفسير القرآن العظيم (مواهب الرحمن): ٣ / ٣٥.

(٢) ينظر: غرائب القرآن: ١ / ٥٠٢ - ٥٠٣.

(٣) م. ن: ١ / ٥٠٣.

(٤) إعراب القراءات السبع وعللها: ١ / ١٧٣.



وتُعدّ قراءة الإمام عليه السلام هذه من الظواهر الصرفية في قراءته^(١)، ويرى بعض اللغويين أن الصيغتين بمعنى واحد^(٢)، ولا نرى ذلك مناسباً لإعجاز كتاب الله، فما جاء في كتاب الله من الصيغ له دلالاته التي لا تحقّقها صيغة أخرى، فكيف تكون الصيغتان بمعنى واحدٍ؟.

وقد وردت سبع قراءات^(٣) لقوله تعالى: ﴿وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، منها قراءتان للإمام عليه السلام، قال ابن خالويه: ((وقد روي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: (ها أنا لك) (ها) تنبيه، روي عنه: (هَيْتَ لَكَ))^(٤).

ومما لا شكّ فيه أن الإحاطة بالقراءات القرآنية تستدعي بيان كل منها وقارئها، وقد تبين أن الاستشهاد لقراءات الآية الكريمة تضمّن قراءتين لأمير المؤمنين عليه السلام.

٤- في موضع ورد فيه حديث عن مسألة الناس، أي: سؤالهم واستعطائهم، قال ابن خالويه مستشهداً، ومُعصداً لآثار ذلك في الدنيا والآخرة بقول أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ((وقيل: من سأل الناس جاء يوم القيامة لا مِرْعَةَ على وجهه، أي: قطعة لحم، قال عليّ عليه السلام: إِيَّاكَ أَنْ تَقَطَّرَ مَاءٌ وَجْهَكَ بِالمَسْأَلَةِ، إِلَّا عِنْدَ أَهْلِهِ))^(٥).

٥- من الألفاظ القرآنية التي اتّفقت في جذريها (حروفها الأصول)، واختلفت حركة فائها حرفها الأوّل) لفظة (شُرْب)، بضم فسكون. وقد وردت أيضاً في القرآن

(١) ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الإمام علي عليه السلام للقرآن: ٩٣.

(٢) ينظر: معاني القراءات: ١٧٤.

(٣) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ١ / ٣٠٩.

(٤) م. ن: ١ / ٣٠٨.

(٥) م. ن: ١ / ٣٣٢.



الكريم بضبطٍ آخر، هو الكسر، ووردت الصيغتان في القرآن الكريم^(١)، ومما احتج له قول أمير المؤمنين عليه السلام ما ذَكَرَ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ [الواقعة: ٥٥]، بضم فسكون، وهذه الصيغة لهذه اللفظة تعني: تناول كلِّ مائع، ماء كان أو غيره، أمَّا الدلالة فقيل: إنه مصدرٌ، وقيل: أنه اسمٌ، وعند استعمال هذه اللفظة بكسرٍ فائها تدلُّ على الحظُّ أو النصيب من الماء، أو تدلُّ على وقت الشرب، أو مورده^(٢). وقد قرأت بفتح الفاء (شرب)^(٣)، وقيل: ((إن مُنادي الرسول عليه السلام نادى أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إِنَّمَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ وَبِعَالٍ، قالوا: فاللفظُ لرسول رسول الله صلى الله عليه وآله، وليست اللفظ للنبي صلى الله عليه وآله، فيكون حجة))^(٤)، فالشرب بالضم لم يقلها رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما قالها رسوله المنادي بين الناس. وفي خيرٍ آخر أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث رجلاً يُنادي: ((إنَّهَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ))^(٥)، قال ابن خالويه: ((وفي غير هذا الحديث أن عليًّا هو الذي نادى بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان هكذا، فلاختيارُ الفتح؛ لأنَّ لفظَ عليٍّ (كرم الله وجهه) حجة))^(٦)، وليس عجبا أن يكون كلامه عليه السلام حجة، فكلامه أعلى من كلام البشر، وأدنى من كلام الله سبحانه.

٦- وقد يردُّ قولٌ لأمير المؤمنين عليه السلام في أثناء الإشارة إلى قراءات قرآنية متعدّدة لآية قرآنية كريمة، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] ولهذه الآية الكريمة قراءات، منها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد اتفق القراء

(١) ينظر: الواقعة: ٥٥، والشعراء: ١٥٥.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٤٨ (شرب)، والطراز الأوّل: ٢ / ١٦٥ (شرب)، والقاموس المحيط: ١٠٦ (شرب).

(٣) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٣٤٥، والعنوان في القراءات السبع: ١٨٥.

(٤) إعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٥) م. ن: ٢ / ٣٤٦، وينظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ١٢٧.

(٦) إعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٣٤٦.



على إسكان التاء في (خَلَقْتُ) وما بعدها من الأفعال بعد هذه الآية الكريمة، وذكر ابن خالويه علة الإشارة إلى إسكانِ التاء هنا فقال: ((إتّما ذكرته؛ لأنَّ عليّاً عليه السلام رُوي عنه: [أفلا ينظرون إلى الإبل كيفَ خَلَقْتُ]... الله تعالى يُخبر عن نفسه))^(١)، وهذه القراءة أعني ضمّ التاء في خَلَقْتُ وما بعدها من القراءاتِ الشاذّة، وقد قرأ بها فضلاً عن أمير المؤمنين بعضُ القراء، كأبي حيوة وغيره ((بضمّ التاء فيهنَّ))^(٢).

وقد استحسن ابن جنّي (٣٩٢ هـ) حذف المفعول به في قراءة أمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً: ((حسُنَ حذفُ المفعول به، وإنّ ذلك أقوى دليل على قوّة عربيّة الناطق به))^(٣)، وكيف لا تكون قوّة عربيّته عليه السلام وقد ترعرعَ في بيت الرسالة المحمديّة، واستحفظ كتاب الله تعالى، وأشهر كُتاب القرآن الكريم، ممّا أسهم في المعرفة العميقة والدقيقة لآياته المباركة حفظاً، وتفسيراً.

٧- من المفردات التي ضمّنها الراغب الأصفهاني (٤٢٥ هـ) في كتابه مفردات ألفاظ القرآن (عقل)، يقول: ((العقل: يقالُ للقوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقالُ للعلم الذي يستفيدُه الإنسانُ بتلك القوّة عقلٌ، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام):

رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلِينَ
فمَطْبوعٌ وَمَسْموعٌ

ولا يَنْفَعُ مَسْموعٌ
إذا لم يَكُ مَطْبوعٌ

كما لا يَنْفَعُ الشَّمْسُ
وَصَوءُ العَيْنِ مَمْنوعٌ^(٤)

(١) إعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٤٧١.

(٢) مختصر في شواذ القراءات: ١٧٢.

(٣) المحتسب: ٢ / ٣٥٦.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٧٧ - ٥٧٨ (عقل)، وديوان الإمام علي: ١٢١.



وكما يبدو أنّ الأصفهانيّ بعد أن ذكر معنى (العقل) عضده بما يناظره في المعنى، فجاء بشعرٍ للإمام عليّ عليه السلام، والجدير بالذكر أنّ هذا الشعر نجده منشوراً في حكمةٍ للإمام عليه السلام، إذ جاء في نهج البلاغة: ((العِلْمُ علْمَان: مَطْبُوعٌ، وَمَسْمُوعٌ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مَطْبُوعٌ))^(١)، وعلّق الشيخ محمّد عبده قائلاً: ((مطبوعٌ العلم ما رسخ في النفس، وظهر أثره في أعمالها، ومسموعه: منقوله، ومحفوظه، فالأوّل هو العلمُ حقاً))^(٢).

٨- أورد السيّد عبد الأعلى الموسويّ السبزواريّ قولاً للإمام يتوافق مع دلالة لفظة قرآنيّة، في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ [البقرة: ١٥١]، فقال: ((مادّة [رَسَل] تأتي بمعنى الانبعاث، والابتعاث مع اللين والسهولة والسكون، والطمأنينة... كذا قول عليّ عليه السلام: لا تثقنّ بأخيك كلّ الثقة فإن سرعة الاسترسال لن تستقال))^(٣).

٩- إنّ من سمات العربيّة الإيجاز، وهو قلة الكلام من دون أن يتخلّف المعنى، وهو ممّا يُستحسن عند الناس، ويتحقّق الإيجاز على وجهين: أحدهما المجيء بالمعنى بأقلّ عبارة^(٤).

وقد جاء ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم في رسالة الرّمانيّ (٣٨٦هـ): (النُّكْت في إعجاز القرآن)، وفي موضوع الإيجاز المُستحسن، وصحّة معناه، أورد قولاً لأمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: ((لا يكونُ باجتماع أمور يظهر بها للنفس أنّ الكلام من البلاغة في أعلى طبقة، وإن كان قد يلتبس فيما قلّ بما حسنَ

(١) نهج البلاغة: ٤٨٥.

(٢) م. ن: ٤٨٥.

(٣) مواهب الرحمن: ٢ / ١٦١.

(٤) ينظر: ثلاث رسائل في اعجاز القرآن: ٧٦-٧٩.



جدًّا لإيجازه، وحسنَ رونقه، وعضوبة لفظه، وصحة معناه، كقول علي عليه السلام: [قيمة كل امرئ ما يحسن] فهذا كلامٌ عجيبٌ، يُغني ظهورُ حسنه عن وصفه^(١).

المحور الثاني: في مسائل دلالية:

مما لاشك فيه أنّ اللغات ومنها لغتنا العربية تتنظم في مستويات متداخلة، وبينها تلازمٌ وثيقٌ: أصواتاً، وأبنية، وتراكيب، ومعجمًا، ... وتسعى إلى غرضٍ مشتركٍ، لأجله توظف عناصرها لتحقيقه وهو الدلالة (علم دراسة المعنى)^(٢)، والكشف عن مقصدية التعبير، وتختلف مجالات الدلالة بحسب ما تعتمد عليه، وما يتصل بها، والدلالة اللغوية تبحث في علوم اللغة، وهي ميدانها، والدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية ...، أمّا الدلالة السياقية فإن اعتمادها على السياق اللغوي، أو غير اللغوي^(٣).

وإنّ الكشف عن الدلالة يتطلّب معرفةً، وتأملاً، وإحاطةً بعلوم اللغة، وغير ذلك، ونجدُ المدونات القرآنية لها وسائلها في توجيه دلالة الآيات القرآنية، فمنها من يلجأ في موضع ما إلى القرآن الكريم، فبيّن دلالة الآية بآية أخرى، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض))^(٤)، وطائفة أخرى من المدونات القرآنية تستعين بالمعطيات اللغوية، أو غير اللغوية لبيان الدلالة القرآنية، وتوجيه الآيات بما يستجلي مقاصدها، وفي مدونات أخرى توظف الشواهد الشعرية أو النثرية (قولاً أو مثلاً)، ونحن في هذه التقسيمات لا نعني

(١) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن: ٧٨، و١٤٠، وينظر: نهج البلاغة: ٤٤٣، وفيه: يُحسَنُه.

(٢) ينظر: علم الدلالة العربي: ١٩ - ٢١، ودلالة الألفاظ: ٤٦ - ٤٨.

(٣) ينظر: دلالة الألفاظ: ٤٦ - ٤٧، والدلالة اللغوية عند العرب: ١٦٥ - ١٦٦، ودور الكلمة في اللغة:

٥٤، وعلم الدلالة العربي: ٢١ - ٢٢.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٢



الاكتفاء بوسيلة واحدة لأجل توجيه دلالة النصّ القرآني، فقد تجتمع أكثر من وسيلة من هذه الوسائل في توجيه آية واحدة، وهذا التنوع المنهجي يعكس علمية المؤلف، وثقافته، وما يقتضيه سياق الآيات القرآنية. وسنقف عند بعض أقوال أمير المؤمنين عليه السلام التي وُظِّفَتْ لتوجيه دلالة الآيات القرآنية، وبحسب مسار التوجيه ونوعه، كالدلالة المعجمية، والنقد الدلالي، والفروق الدلالية.

الدلالة المعجمية:

وتعدُّ الدلالة الأساسية والمركزية للكلمات العربية، وتسمُّ بالثبات، وتمثّل الأصل اللغوي الذي تولّد منه أبنية متعدّدة^(١)، ولهذه الدلالة أهمية كبيرة، ولا سيّما في بيان الدلالة القرآنية، وعليها تعتمد الأحكام المختلفة: لغويًا، وبلاغيًا، وشرعيًا، وتربويًا، ومن هنا جاءت أهميتها، وسنبيّن بعضًا من شواهدها في المدونات القرآنية، وما ذكر فيها من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام:

١- (سرف) لهذه المفردة دلالة معجمية، فالإسراف نقيض الاقتصاد، أو ما أنفق في غير طاعة^(٢)، وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]^(٣)، ولهذه الآية الكريمة قراءات قرآنية ذكرها ابن خالويه، ثم بيّن معنى (السرف) قائلاً: ((واختلف الناس في السرف في النفقة، فقال قوم: الإسراف: كل ما أنفق في غير طاعة الله، وقال علي عليه السلام: ((ليس في المأكول والمشروب سرف وإن كان كثيرًا))^(٤) فكما نلاحظ أنّ قول الإمام عليه السلام وظفه ابن خالويه في الدلالة المعجمية لهذه اللفظة،

(١) ينظر: دلالة الألفاظ: ٢٠٦-٢٠٧، وعلم الدلالة العربي: ١٩.

(٢) ينظر: العين ٣/ ١٤١ (سرف)، والقاموس المحيط: ٧٥٥ (سرف).

(٣) ينظر: النساء: ٦، والأنعام: ١٤١، وغافر: ٤٣.

(٤) إعراب القراءات السبع وعللها: ٢/ ١٢٥.



وقول الإمام توجيه لدلالة هذه اللفظة بأن الإسراف ليس الإكثار من الطعام أو الشراب، وإنما المقصود ما كان إسرافاً وتبذيراً في الإنفاق، قال الراغب الأصفهاني: ((السرفُ تجاوزُ الحدِّ في كلِّ فعلٍ يفعلُهُ الإنسانُ، وإن كان ذلك في الإنفاقِ أشهراً))^(١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وللإمام قولٌ آخر ولكن في صفة المُسْرِفِ، إذ يقول عليه السلام: ((ويحُّ للمُسرِفِ ما أبعدُهُ عن صلاحِ نفسه، واستدراكِ أمرِهِ))^(٢).

٢- سَلَمَ (الإسلام): ورد هذا الجذر اللغوي في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، والدلالة المعجمية لهذا الجذر تعني: السلامة من الآفاتِ ظاهرها وباطنِها، والانقياد، والرضا، ومن حيث الدلالة الصرفية ف(الاسلام) مصدرٌ للفعل الثلاثي المزيد بالهمزة (أسلمَ إسلاماً) وهو الدخول في السلم^(٣)، وللإمام عليٌّ قولٌ في هذا المعنى احتجَّ به ابن خالويه قائلاً: ((وعن عليٍّ عليه السلام قال: الإسلامُ هو التسليمُ، والتسليمُ هو اليقينُ))^(٤)، وهذا المعنى اللغوي، أمّا الإسلامُ في الشرع فهو على قسمين: اعترافٌ باللسان دون الإيمان، واعترافٌ يصاحبه اعتقادٌ ويقينٌ بالقلب، ووفاءٌ بالفعل^(٥)، والقول نفسه وظفه السيّد الطباطبائي موجّهاً دلالة (سلم) الذي وردَ مرتين في الآية الكريمة، وكما يبدو أنه عليه السلام ذكرَ المعنى اللغوي، ثمَّ الشرعي، وقوله في نهج البلاغة: ((لأنسبَنَ الإسلامَ نسبةً لم ينسبها أحدٌ قبلي؛ الإسلامُ هو

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٠٧ (سرف).

(٢) غرر الحكم: ٤٤٢، وينظر: التفسير المبين للواعظين والمتعظين: ١٤٦.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ٤٢١ (سلم)، والقاموس المحيط: ١٩٣٤ (سلم).

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٣٠٢، وينظر: الأمثل: ٢ / ٦٢، والتفسير المعين: ٤٦٢، وبحار

الأنوار: ٣١٩ / ٦٨.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٢٣ (سلم).



التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل))^(١).

وفي قوله عليه السلام اتَّضَحَتْ مَرَاتِبُ الْإِسْلَامِ، ومصاديقه، إذ ربط الإمام الإسلام بدلالاتٍ أخرى، وجعل له ستَّ مراحل، وقد وصف الشيخ مكارم الشيرازي ذلك قائلاً: ((هذا أجلى تفسيرٍ للإسلام من جميع جوانبه))^(٢).

٣- المَكْرُ: ومعناه اللُّغوي يعني الاحتيال في خفاء، والتدبير المحكم في إيصال الشرِّ إلى الغير، وهو على نوعين^(٣): مَكْرٌ محمودٌ غايته الخير، والفعل الجميل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ونوعٌ آخر للمكر؛ وهو مذمومٌ غايته الشرُّ، والفعل القبيح، كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقد ذكر الراغب الأصفهاني هذه اللفظة، وبين معناها اللغوي والمعجمي، وما يتصل بأقسامها، مشفوعةً بالآيات الكريمة، ثم احتجَّ معضداً المعنى بقول أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ((من مكر الله إمهال العبد وتمكينه من أغراض الدنيا؛ ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَكْرَبٌ بِهِ، فَهُوَ مَخْدُوعٌ عَنْ عَقْلِهِ))^(٤).

٤- حَضَرَ: هذه اللفظة وردت في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ﴾ [البقرة: ١٨٠] بمعنى وجود الشيء، بحيث يمكن إدراكه بالحواس، والحضور ضد الغياب^(٥).

(١) نهج البلاغة: ٤٥١.

(٢) الأمثل: ١ / ٢٦٢.

(٣) ينظر: العين: ٣ / ١٧٢ (مكر)، ومفردات ألفاظ القرآن: ٧٧٢ (مكر)، والطراز الأول: ٩ / ٢٨٥ (مكر).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٧٢ (مكر)، وينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٥١٦.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤٢ (حضر)، والقاموس المحيط: ٣٥٢ (حضر).



وعند تأمل دلالة هذه اللفظة في قوله تعالى يَتَبَيَّنُ أَنْ ((المراد من حضور الموت حصول موجباته التي ليس لها حدٌ محدود، وقد نُسبَ الحضور إلى الموت في هذا المقام ... ولم يُنسب إلى الشخص؛ ولعله لعدم تهيئة النفوس واستعدادها له؛ أو لعدم أنسها به، كما هو الشأن بالنسبة إلى أولياء الله تعالى، فقد نُسب إلى علي عليه السلام أنه قال: ((والله إن ابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، ما يبالي أوقع على الموت، أم وقع الموت عليه))^(١)، ووجه الاستشهاد بقول الإمام عليه السلام استئناسه بالموت، كما يستأنس الرضيع بثدي أمه، وهذا لا يكون إلا مع أولياء الله الذين يتصفون بالتقوى، والإيمان، والطاعة، ورؤي عن ابن عباس (٦٨ هـ) قوله: ((ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَحَقَّ وِلَايَةَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ: حِلْمٌ أَصِيلٌ يَدْفَعُ سَفَهَ السَّفِيهِ عَنِ نَفْسِهِ، وَوَرَعٌ صَادِقٌ يَحْجِزُهُ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ، وَخُلُقٌ حَسَنٌ يَدَارِي بِهِ النَّاسَ))^(٢)، وهذه الصفات تتجسد في شخص أمير المؤمنين عليه السلام. وفي المضمون نفسه ذكر نظام الدين النيسابوري قول الإمام لابنه الحسن عليه السلام: ((يا بُنَيَّ لا يُبَالِي أَبُوكَ عَلَى الْمَوْتِ سَقَطَ أَمَ عَلَيْهِ سَقَطَ الْمَوْتُ))^(٣).

٥- الخير: وردت في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ودلالة الخير واضحة ومعروفة، فكل ما فيه منفعة، وكل ما يرغب فيه، وما يتوصل به إليه فهو خير، وخلافه الشر^(٤)، وقد فسّر الآية الكريمة

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣٧٦/٢، وينظر: نهج البلاغة: ٤٩٤.

(٢) الأولياء: ٣٨٩ / ٢.

(٣) غرائب القرآن: ٣٣٨ / ١.

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٠٠ (خير)، والقاموس المحيط: ٣٦٣ (خير)، والطرز الأول: ٧ /

٤٠٧ (خير).



السَّيِّدُ عَبْدُ الْأَعْلَى السَّبْزَوَارِيُّ شَأْنَهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْمَفْسَّرِينَ جَمِيعًا مَعَ التَّفَاوُتِ فِي الْعَرَضِ وَالتَّوْضِيحِ وَالشَّوَاهِدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمَا دَعَانَا إِلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَبِتَفْسِيرِ السَّيِّدِ عَبْدِ الْأَعْلَى السَّبْزَوَارِيِّ أَنَّ قَوْلًا نُسِبَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي دَلَالَةِ الْخَيْرِ، إِذْ أَشَارَ إِلَى دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ، يَقُولُ السَّيِّدُ عَبْدُ الْأَعْلَى السَّبْزَوَارِيُّ: ((وَيُمْكِنُ اسْتِفَادَةُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ لَهُمْ تَقْتَضِي عَادَةً أَنْ يَكُونَ الْمَالُ كَثِيرًا، دُونَ الْمَالِ الْقَلِيلِ، أَوْ مُطْلَقًا مَا فِيهِ النِّفْعُ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ، فَمَا قَالَهُ عَلِيٌّ عليه السلام مِنْ بَابِ تَعَدُّدِ الدَّالِ وَالْمَدْلُولِ، لَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَى لُغَوِيًّا))^(١)، وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ الرَّاعِبَ الْأَصْفَهَانِيَّ نَقَلَ الرِّوَايَةَ ذَاتَهَا، فَقَالَ: ((وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَا يُقَالُ لِلْمَالِ خَيْرٌ حَتَّى يَكُونَ كَثِيرًا، وَمِنْ مَكَانٍ طَيِّبٍ، كَمَا رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام دَخَلَ عَلَى مَوْلَى لَهُ فَقَالَ: أَلَا أَوْصِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وَلَيْسَ لَكَ مَالٌ كَثِيرٌ))^(٢).

وَمِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا (الْخَيْرِ) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وَالْخَيْرُ هُنَا دَلَالَتُهُ فِي مَقَابِلِ الشَّرِّ، وَالْخَيْرُ أَعَمُّ الْأَلْفَاظِ مَعْنَى، وَطَرِيقُهُ الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَكُلُّ مَا يُرْغَبُ فِيهِ وَيَنْفَعُ، أَمَّا الشَّرُّ فَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ قَبِيحٍ، وَكُلُّ مَا يُوَدِّي إِلَى الْخُلُودِ فِي النَّارِ^(٣). وَقَدْ وَقَفَ السَّيِّدُ عَبْدُ الْأَعْلَى السَّبْزَوَارِيُّ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مَفْسَّرًا، وَمَحْتَجًّا لِلْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرَهَا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٣٧٦.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٠٠ - ٣٠١ (خير).

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٠٠ - ٣٠١ (خير)، والقاموس المحيط: ٣٦٣ (خير).



بقولٍ لأمير المؤمنين عليه السلام جمع فيه تلك المعاني، فقال: ((وقد جمعهما في كلمته المباركة: ما خيرٌ بخيرٍ بعده النار، و ما شرٌّ بشرٍ بعده الجنة، وكلُّ نعيمٍ دون الجنة فهو محقورٌ، و كلُّ بلاءٍ دون النارِ عافية))^(١).

النقد الدلالي:

يُعَدُّ النقدُ الدلاليُّ نوعاً من أنواع النقد اللغوي الذي يعمل على تقويم النصوص اللغوية، وبيان ما فيها من خطأ أو صواب على وفق منهجية معينة في العرض والتحليل والتعليل، وللقند اللغوي أنواع بحسب مستويات اللغة: النقد الصوتي، والنقد الصرفي، والنقد النحوي، والنقد المعجمي، والنقد الدلالي.

إن توجيه الأبنية أو التراكيب دلاليًا لا يكون دقيقًا إلا على أساس من الأحكام، والإحاطة بقواعد اللغة، وشاهدها، وعللها، ومدى تمكن الباحث منها. والنقد اللغوي يؤديه الناقد بعد أن يمتلك مستلزمات هذا العمل، ومؤهلاته، وهي كثيرة، والموضوعية، والعلمية، ومعرفة علوم اللغة، وما يتصل بالنص موضع النقد وغير ذلك، وهذه الجوانب مهمة، فللرد على أي حكم لغوي لا بد من مقومات وشروط، وأدلة؛ لأن الدلالة عموماً قد يحدث الجدل والاختلاف في بعض مسائلها وتطبيقاتها، وفي بحثنا وجدنا عند التوجيه اللغوي لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام بعضاً من المسائل التي نقدها الإمام عليه السلام وهي تتصل بدلالة لفظ قرآنية، ومما رُصد من مظاهر هذا النوع من النقد:

قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]، فقد وقف المفسرون، واللغويون عند معنى (العاديات)، ولهم في ذلك قولان:

الأول: هي الخيل التي تعدو في الغزو والجهاد في سبيل الله من دون سهيل،

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٦٣ - ٢٦٤، وينظر: نهج البلاغة: ٤٩٤.



أو تحمحم، وإثما تضحج، أي: تُصَوِّتُ من أجوافها.

الثاني: هي الإبل التي تمدُّ أعناقها في السيرِ فهي تضحجُ^(١).

وفي هذين المعنيين تفاوتٌ بين مَنْ عرَضَهُمَا من اللغويين والمفسرين، وهذا التفاوت في المعالجة، والترجيح، والرواية، وغير ذلك، وللإمام عليه السلام قولٌ في دلالة (العاديات) يبدو فيه النقد لما ذُكِرَ من دلالة، وفي ذلك يقول نظام الدين النيسابوري: ((يُروى عن ابن عباس أنه قال: بينما أنا جالسٌ في الحجرِ إذ جاءني رجلٌ فسألني عن ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ففسرته بالخيل، فذهب إلى علي عليه السلام وهو بجنب سقاية زمزم، فسأله، وذكر له ما قلتُ، فقال: أدعُه لي، فلما وقفتُ على رأسه، قال: تُفتي الناسَ لما لا علمَ لك به؟ والله إن كانت لأوّل غزوة في الإسلام -يعني: بدرًا- وما كان معنا إلا فرسان: فرسُ الزبير، وفرسُ المقداد، إنها الإبلُ تعدو من عرفة إلى مزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى))^(٢)، والضحج على هذا مستعار؛ لأنَّ أصلَ استعماله في الخيل، وهو صوت أنفاسها إذا عدّون، وهذا الصوت غير الصهيل، وغير الحمحمة^(٣).

يتبيّن لنا أنّ توجيه أمير المؤمنين عليه السلام مستدلٌّ بالواقع الذي يؤيد كون المقصود بها الإبل، وهناك أمورٌ مفصّلةٌ أخرى لما دارَ بين أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس في دلالة هذه اللفظة ذكرها بعضُ المفسرين، من ذلك: قولُ الإمام عليه السلام لابن عباس: ((كيف تكون (العاديات) الخيل؟ بل العاديات الإبل))^(٤)، وقد رغِبَ ابنُ عباس

(١) ينظر: العين: ٥ / ١٥٧ (عدا)، وإعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٥٨١، وإعراب ثلاثين سورة: ١٨٦، والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ٢٣ / ٢١٤، وغرائب القرآن: ٦ / ٥٤٩، والجديد في تفسير القرآن المجيد: ٧ / ٤٠٣ - ٤٠٤، والتفسير المبين: ٥٩٩.

(٢) غرائب القرآن: ٦ / ٥٤٩، وينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد: ٧ / ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٣) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد: ٧ / ٤٠٤.

(٤) الجديد في تفسير القرآن المجيد: ٧ / ٤٠٤.



عن قوله، ورجع إلى ما قاله الإمام عليه السلام، وهذا يتجلى في قوله الذي نقله ابن خالويه: ((فنزعتُ عن قولي، ورجعتُ إلى قول عليٍّ... ومَنْ جعل (العاديات) الإبل، قال: والعاديات ضبعًا، أي: ضبعها في السير، فأبدلتُ من العين حاءً))^(١)، وهذا الإبدال بين الحاء والعين (ضبح، وضبع) ليس يثبتُ عند الزمخشري (٥٣٨هـ) لمن قال: ((ضبحَ البعير: مدُّ ضبعه في السير، لغةٌ في ضبع))^(٢).

الفروقُ الدلاليةُ:

لا تتبينُ الفروقُ الدلاليةُ بين الكلمات، ولا يمكنُ تمييزها من دون معرفة طبيعة العلاقات التي تربطها، وتعدُّ العلاقات الدلاليةُ جزءًا من علم الدلالة، وتنشأ بحسب ما بين الكلمات من تشابه، أو اختلاف، أو تقارب من حيث المعنى المعجمي، الذي يشكّل أساسًا للكلمات، وأصلًا لما ينحدر منها من دلالات، وأهمّ العلاقات الدلالية (الترادف، والمشارك اللفظي، والأضداد)^(٣)، ولسنا بصدد الخوض في هذه العلاقات إلا بما يمتُّ بصليةٍ لبحثنا، وما تمكّننا من رصده من أقوال الإمام عليه السلام في المدونات القرآنية، لنضعها في فقرةٍ تتوافق والتوجيه اللغويّ الدلاليّ لها، وبعد جمعها، وتحليل مضامينها اللغوية، وجدنا طائفةً من الأقوال يُمكنُ أن تندرج تحت عنوان (الفروق الدلالية) التي يظنُّ بعضهم أنّها مترادفات، أي: أنّها تتفق في المعنى، وتختلف في اللفظ، وهذا لا ينطبقُ على الكلمات المترادفة جميعها؛ لوجود فروق دلاليةٍ دقيقة فيما بينها، ولا سيّما في كتابِ الله تعالى، وكانت أقوال أمير المؤمنين عليه السلام مصداقًا على ذلك، ومنها ما يأتي:

(١) إعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٥١٨، وينظر: إعراب ثلاثين سورة: ١٨٦.

(٢) الطراز الأول: ٤ / ٤١٦ (ضبح)، وينظر: الكشاف: ٤ / ٧٩٣.

(٣) ينظر: اللغة والمعنى والسياق: ٨٣، والكلمة دراسة لغوية ومعجمية: ١٥٩ - ١٦٠.



القرضُ والإنفاقُ:

ورد في القرآن الكريم في آياتٍ عدّة استعمال (القرض) في مورد (الإنفاق)، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله تعالى: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، إذ وقف المفسرون عند هاتين الآيتين، وتحديدًا عند كلمتي (القرض، والإنفاق) وكما سيوضح.

إن إنفاق الأموال أصله النقل والتبديل سواء بالعوض أم بدونه، وأمّا في سبيل الجهاد، وحماية الضعفاء، أو المستضعفين فهو غاية سامية، وهدف عظيم، وبذلك فإن (إقراض) الله تعالى بمعنى الإنفاق في سبيل الله في باب الجهاد، وكأنّ الله تعالى يندب العاجز عن الجهاد للإنفاق على الفقراء القادرين على الجهاد، وفي ذلك أجر مضاعف، وربح كثير^(١)، ولما كانت دلالة (القرض) إعطاء الشيء، وله عوض في وقت آخر محدد^(٢) فإنّ هذا الإعطاء إنّما هو إنفاق يتبعه الربح أو الفائدة، يقول الشيخ مكارم الشيرازي في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] مُعْضَدًا، ومؤكّدًا لما يقوله بقول أمير المؤمنين عليه السلام، إذ قال: ((ومن هنا يعودُ الإنفاق بالخير على الأثرياء قبل أن يُصيبَ خيره المحرومين؛ لأنّ تعديل الثروة يصونُ الثروة، كما قال الإمام علي عليه السلام: حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ))^(٣)، وللإمام عليه السلام قولٌ في دلالة هذه الآية مُضْمِنًا آيات قرآنية، إذ يقول: ((واستقرضكم وله خزائن السموات والأرض وهو الغني الحميد،

(١) ينظر: التفسير الكبير / ١٦٦، وغرائب القرآن: ١ / ٦٦٢، والأمثل: ٢ / ١٣١ - ١٣٢.

(٢) ينظر: فروق اللغات: ١٢٩.

(٣) الأمثل: ٢ / ٢٥، وينظر: نهج البلاغة: الحكمة ٤٦.



إنما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً^(١)، وكما نلاحظ أن قوله عليه السلام فيه اقتباسات قرآنية، وهي تُعدّ مظهرًا من مظاهر التأثير القرآني للإمام عليه السلام، ودلالة على الإحاطة بآياته الكريمة، ومعرفة مقاصدها، وتفسيراتها^(٢).

الواحد والأحد:

إن هاتين الكلمتين ليستا مترادفتين، بل توجد بينهما فروق دلالية، وقد سألت أعرابي الإمام عليه السلام عن دلالة (واحد) قائلاً: ((يا أمير المؤمنين أتقول إن الله واحد؟ قال عليه السلام: يا أعرابي، إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله تعالى، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل (واحد) يقصد به باب الأعداد، فهذا لا يجوز؛ لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: إنه ثالث ثلاثة؟ وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز؛ لأنه تشبيه، وجل ربنا وتعالى عن ذلك، وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبيهة كذلك ربنا، وقول القائل: إنه عز وجل أحدي المعنى، يعني به: إنه لا ينقسم في وجوده، ولا عقل، ولا وهم كذلك ربنا^(٣)). وهنا وضع أمير المؤمنين عليه السلام حدوداً دلالية دقيقة بين استعمالَي: الواحد والأحد.

وتحفل كتب اللغة لا سيّما كتب الفروق اللغوية بأقوال المحققين، واللغويين^(٤)، والعلماء في دقائق الفروق بين لفظتي (الواحد، والأحد)، ولكنها لا

(١) الأمثل: ١٣٢/٢، وينظر: نهج البلاغة: الخطبة (٢٨٣): ٢٥٠ - ٢٥١، ومواهب الرحمن: ٣/ ٢٦٢.

(٢) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) الميزان: ١/ ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٤) ينظر: الكليات: ١/ ٦٥ - ٦٦، والفروق اللغوية: ١١٤، ومفردات ألفاظ القرآن: ٦٦ - ٦٧ (أحد)،

والقاموس المحيط: ٢٥٤ - ٢٥٥ (أحد)، وفروق اللغات: ٥٠ - ٥٢.



تخرج عن مضامين قول الإمام علي عليه السلام الذي ذكرناه. يقول الراغب الأصفهاني في استعمال (أحد) على ضربين^(١): النفي، ويكون لاستغراق الجنس، وأمّا الإثبات فعلى ثلاثة أوجه؛ منها استعماله مطلقاً وصفاً، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى، بقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وعدّ (أحد) - وهو بمعنى: لا مثل له - أبلغ المدح^(٢).

المحور الثالث: مسائل لغوية متفرقة:

نعرض في هذا المحور بعضاً من المسائل اللغوية التي وجهها أصحابها مستعينين بأقوال أمير المؤمنين عليه السلام، ومن تلك المسائل:

١ - ضبط الآيات القرآنية وقراءتها:

ومن ذلك ما ذكره نظام الدين النيسابوري ((عِدَّةُ الْوَفَاةِ ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ومعناه يموتون، ويُقبضون، وأصل التَّوَفَّى: أخذ الشيء كاملاً وافيّاً، ويُبنى للمفعول، ومعناه ما قلنا، وللفاعل معناه: استوفى أجله ورزقه، وعليه قراءة علي عليه السلام: (يَتَوَفَّوْنَ) بفتح الياء، والذي يُحكى أن أبا الأسود الدؤلي (رضي الله عنه) كان يمشي خلف جنازة، فقال له رجل: مَنْ المَتَوَفَّى - بكسر الفاء - فقال: الله، وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي عليه السلام على أن أمره بأن يضع كتاباً في النحو^(٣)، والقراءة التي وظفها النيسابوري بفتح الياء قراءة شاذة^(٤)، وليس بين القراءتين سوى الاختلاف في ضبط حركة حرف المضارعة الياء، ((وذلك أنه على

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٦ - ٦٧ (أحد)، وفروق اللغات: ٥١.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ٢٥٤ (أحد)، وفروق اللغات: ٥١.

(٣) غرائب القرآن: ١ / ٦٤٤.

(٤) ينظر: مختصر في شواذ القراءات: ١٥.



حذف المفعول، أي: والذين يتوفون أيامهم، أو أعمارهم، أو آجالهم))^(١).

٢- الحروف المقطعة ودلالاتها في القرآن الكريم:

اختلف العلماء، والمفسرون في تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية، ولهم أقوال في ذلك، فمنهم من قال: إنها قسم من الله تعالى بحروف المعجم، ثم اجتزأ ببعضها، وقيل: هي شعار للسورة، وقيل: إنها من الأسرار التي حباها الله تعالى لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: هي أسماء للقرآن، وقيل: إنها أقسام أقسم بها الله سبحانه لعظمتها^(٢).

وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام أقوال في دلالة هذه الحروف، وتأويلها، منها ما ذكره ابن خالويه بقوله: ((فإن سأل سائل: ما معنى قول علي عليه السلام: ع، ص اغفري؟ فالجواب في ذلك: أن علياً عليه السلام كان يتأول كل حرف من الحروف المقطعة اسماً من أسماء الله عز وجل، فالكاف من ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١]: الكافي، والهاء: الهادي، والصاد: من صادق، والعين: من عليم، كأنه قال: يا كافي يا هادي يا عليم يا صادق، ثم اجتزأ ببعض الحروف عن كل، كما تقول العرب: ألاتا، تريد: ألا ترحل، فيقول: بلى فاء، أي: بلى فافعل))^(٣).

يتبين لنا من هذا النص أن الإمام عليه السلام يرى أن الحروف المقطعة إنما هي إشارات إلى كلمات، عن طريق قطع الحرف الأول من الكلمة، فالكاف من الكافي، والصاد من الصادق، إلى غير ذلك.

(١) المحتسب: ١ / ١٢٥، وينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الإمام علي عليه السلام للقرآن: ١١٥.

(٢) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٦ - ٧، وغرائب القرآن: ١ / ١٢٩، والأمثل: ٢ / ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها: ٢ / ٧.



ومَّا رُوِيَ عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يُسَمَّى (الحواميم) بـ(عرائس القرآن)، ((عن عاصم، عن زُرِّ بْنِ حَبِيشِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْكُوفَةِ، فَلَمَّا بَلَغَتْ (الحواميم) قَالَ: يَا زُرُّ بْنُ حَبِيشَ: عَرَائِسُ الْقُرْآنِ))^(١)، فالمرادُ بالحواميم: السور القرآنيَّة التي تبدأ بـ(حم)، وهي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجمانية، والأحقاف، وتعدُّ هذه السور وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فقد جاءت سور الحواميم متسلسلة الترتيب، وكما يأتي: حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، وقد ربط بعض الباحثين المُحدثين بين عددِ سورِ الحواميم وهي سبع، وتكرار حروفها وعددها، فضلاً عن أنَّ هذه السور تُعدُّ أسرة واحدة، لها خصائصٌ معيَّنة^(٢).

ومن الأقوال التي أوردتها اللُّغويون للإمام علي عليه السلام في توجيه الحروفِ المقطَّعة، ودلالاتها ما رُوِيَ عَنْهُ عليه السلام: ((إِنَّ لِكُلِّ كِتَابٍ صِفْوَةً، وَصِفْوَةٌ هَذَا الْكِتَابِ حُرُوفُ التَّهْجِيِّ))^(٣).

ومَّا رُوِيَ عَنْهُ عليه السلام: ((أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: يَا كَهَيْعِصَ، يَا حَمَّ عَسَقَ، وَيَقْتَرِبُ مِنْهُ مَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَنَّهَا أِبْعَاضُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى))^(٤)، وكما نلاحظ أنَّ إياء النداء التي تسبق الحروف المقطَّعة إنما هي للدعاء، وفي ذلك يقول الشيخ محمد السبزواري: ((ورد عن أئمتنا عليهم السلام أنَّها من المتشابهات التي استأثر الله نفسه بعلمها، ولا يعلم تأويلها غيره، وفي بعض الأدعية ورد أنَّ علياً (عليه الصلاة

(١) غرائب القرآن: ١ / ١٣٠، وينظر: الدر المنثور: ٤ / ١٥٤.

(٢) ينظر: الاعجاز العددي والرقمي في القرآن الكريم: ٧٥-٧٦.

(٣) غرائب القرآن: ١ / ١٣٠.

(٤) م.ن: ١ / ١٣١.



والسلام) كان يدعو الله ويقول: يا كهيعص، وحم عسق))^(١)، وفي موضع آخر قال الشيخ محمد السبزواري: ((يُصْحُ دعاءُ عليٍّ عليه السلام لله سبحانه، بقوله: يا كهيعص، وأمثاله))^(٢).

الخاتمة ونتائج البحث:

تمخّضت القراءة المتأمّلة لبعض المدونات القرآنية، وبما أُتيح منها، إذ لم يكن مستطاعاً الإحاطة بها جميعاً، وحسب ما رُصدَ من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام، وتوجيهها اللغوي بالنتائج الآتية:

١- كانت أقوال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الثرية في المدونات القرآنية - عينة البحث - أكثر وروداً للتوجيه اللغوي من الأقوال الشعرية.

٢- تكادُ تشكّل أقوال الإمام عليه السلام في التوجيه اللغوي في مسائل تعضيد المعنى وتوكيده وتقويته ظاهرة لافتة، في حين تلتها - من حيث مساحة التوظيف - الأقوال التي وردت توجيهاً للدلالة المعجمية، أمّا المسائل اللغوية المتفرقة فقد كانت بنسبة محدودة، كالأقوال في ضبط الآيات القرآنية، وقراءتها، ودلالة الحروف المقطعة.

٣- تبين أن المفسرين أكثر توظيفاً لأقوال الإمام عليه السلام في التوجيه اللغوي، ثم كتب القراءات القرآنية، وكتب ألفاظ القرآن الكريم.

٤- إن تتبع المدونات القرآنية يكشف حقيقة كونها قد وظفت أقوال الإمام عليه السلام في مجالات، ومسائل تتصل بعلوم القرآن الكريم، كمناسبة نزول الآيات أو السور، والأحكام الشرعية، وغيرها.

(١) الجديد في تفسير القرآن المجيد: ١ / ٢٦.

(٢) م. ن: ١ / ٢٨.



مصادر البحث ومراجعته

* القرآن الكريم.

١. الأثر القرآني في نهج البلاغة، دراسة في الشكل والمضمون، د. عباس علي الفحام، منشورات الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
٢. الاعجاز العددي والرقمي في القرآن الكريم، حسين سلمان، دار النهج للدراسات والنشر والتوزيع، حلب، ط١، ٢٠٠٧.
٣. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه (٣٧٠هـ)، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، مطبعة منير، (د. ت).
٤. إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه (٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، ط١، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٢.
٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ مكارم الشيرازي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
٦. الأولياء، للحافظ ابن أبي الدنيا (٢٠٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.
٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة المجلسي (١١١١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
٨. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ)، تحقيق: د. داود القاضي، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨.
٩. تفسير القرآن العظيم، المعروف ب(مواهب الرحمن)، السيد عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.



١٠. التفسير المعين للواعظين والمتعظين، محمد هويدي، منشورات ذوي القربى، طهران، ط٦.
١١. ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، في الدراسات القرآنية، والنقد الأدبي، حَقَّقَهَا وعلقت عليها: محمد خلف الله احمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨.
١٢. الجديد في تفسير القرآن المجيد، الحجة الشيخ محمد السبزواري، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
١٣. جمهرة اللغة، ابن دريد (٣٢١هـ)، حَقَّقَهُ وقَدَّم له: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧.
١٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.
١٥. دلالة الألفاظ، د. ابراهيم أنيس، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣.
١٦. الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، الدار البيضاء، الأردن، مطبعة النور النموذجية، ١٩٨٥.
١٧. دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، ط٣، مكتبة الشباب بالمنيرة، المطبعة العثمانية، ١٩٧٢.
١٨. ديوان الإمام علي عليه السلام، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥.
١٩. شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده (١٣٢٣هـ) مكتبة النهضة، بغداد، (د.ت).
٢٠. الصحاح، الجوهري (٣٩٦هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، عني بنشره: السيد حسن شربتلي، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، (د.ت).



٢١. الطراز الأول والمنازل لما عليه من لغة العرب المعول، ابن معصوم المدني (١١٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٣٥هـ.
٢٢. الظواهر اللغوية في قراءة الإمام علي عليه السلام، د. انمار عبد الجبار جاسم، بغداد، مطبعة المصادر، ٢٠٠٩.
٢٣. علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية، نقدية، د. فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٣.
٢٤. العنوان في القراءات السبع، أبو طاهر إسماعيل الأنصاري الأندلسي (٤٥٥هـ)، حققه وقدم له: د. زهير غازي زاهد، و د. خليل العطية، نشر وتوزيع مؤسسة المنار العراقية، النجف الاشرف، ط٢، ١٩٩٥.
٢٥. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. ابراهيم السامرائي، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة المعاجم والفهارس، ٥٠، ١٩٨٤.
٢٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري (٧٢٨هـ)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
٢٧. غرر الحكم ودرر الكلام، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي (٥١٠هـ)، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٤٩هـ.
٢٨. فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، نور الدين بن نعمة الله الجزائري (١١٥٨هـ)، حققه وشرحه: د. محمد رضوان الداية، مكتبة الرشد، ناشرون، ط١، ٢٠٠٣.
٢٩. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (٣٨٢هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧.



٣٠. القاموس المحيط، الفيروز آبادي (١٧هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣.
٣١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت).
٣٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن الإربلي (٦٩٢هـ) قدم له: السيد احمد الحسيني، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٣٧٩هـ.
٣٣. الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠.
٣٤. الكلّيات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ) قابله على نسخة خطية د. عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٥.
٣٥. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوئيل يوسف عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٧.
٣٦. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ابن جني (٣٩٢هـ) تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.
٣٧. مختصر في شواذ القراءات، ابن خالويه (٣٧٠هـ)، عني بنشره: برجستراسر، دار الهجرة، (د. ت).
٣٨. معاني القرآن، الفراء (٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
٣٩. معاني القراءات، أبو منصور الازهري (٣٧٠هـ) تحقيق: احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
٤٠. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، ط٢، طهران، (د. ت).



- ٤١ . مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- ٤٢ . الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد الطباطبائي، منشورات مؤسسة المجتبي للمطبوعات، إيران، قم، ط١، ٢٠٠٤.
- ٤٣ . نهج البلاغة، أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، منشورات العجبر، بيروت، ط٢، ٢٠٢٢.

منهج أمير المؤمنين عليه السلام في أقواله في تفسير القرآن الكريم

أ. د. سمية حسن عليان

جامعة أصفهان

الملخص:

نظرا للعلاقة الوثيقة بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم كما أكد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، واهتمام هؤلاء الأطهار بتفسير القرآن، استهدف هذا البحث تسليط الضوء على منهج أمير المؤمنين عليه السلام في أقواله في تفسير القرآن الكريم، مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي؛ وقد ظهر من خلال البحث أن الإمام عليه السلام قد وظّف عدّة طرق مختلفة في تفسير الآيات المباركة حسب السياق والموقف، وقد تنوّعت هذه الأساليب والمناهج بين تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، والتفسير اللغوي للقرآن، والتفسير العقلي، والتفسير بذكر التمثيل، والتفسير بذكر الأحكام الشرعية، والتفسير بذكر الحوادث التاريخية، والتفسير ببيان أسباب النزول، وكلّ هذه كانت في خدمة الفهم الصحيح وتبيين المعنى الأدق للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، أمير المؤمنين عليه السلام، المنهج التفسيري.



Abstract:

Given the close relationship between the Ahl al-Bayt (PBUT) and the Holy Quran, as affirmed by the Noble Prophet (PBUH) in the Hadith of al-Thaqalayn, and their profound dedication to Quranic exegesis, this research aims to shed light on the methodology of the Commander of the Faithful (PBUH) in his interpretive discourse. Utilizing a descriptive-analytical approach, the study demonstrates that the Imam (PBUH) employed various methods to interpret the blessed verses based on context and situation. These approaches varied between interpreting the Quran by the Quran, the Quran by the Prophetic Sunnah, linguistic interpretation, rational interpretation, and the use of parables, as well as clarifying legal rulings, historical events, and the reasons for revelation (Asbab al-Nuzul). All these efforts were dedicated to fostering a correct understanding and elucidating the most precise meanings of the Holy Quran.

Keywords: (The Holy Quran, Commander of the Faithful (PBUH), Interpretive Methodology).



المقدمة:

كان القرآن الكريم وما زال مركز دائرة اهتمام الباحثين والدارسين وأولوه اهتماما بالغاً ودرسوه من جوانب مختلفة وأبعاد متعددة وحاولوا تطبيق النظريات الحديثة عليه من علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم التربوية وغيرها من العلوم. وذلك لو دلّ على شيء ليدلّ على أن القرآن الكريم كتابُ حياة؛ نزل ليكون برنامجاً شاملاً للحياة الإنسانية ويبليغ الإنسان في ظلّ اتباعه برامجه إلى سعادته الحقيقية في الدنيا والآخرة. ونظرًا لهذا الاهتمام ولتسليط الضوء على هذا الكتاب العظيم فقد تمّ إنشاء العلوم المختلفة كعلوم اللغة العربية، نحو الصرف والنحو والبلاغة، وكذلك التفسير وغيرها من العلوم ببركة القرآن الكريم. وازدهرت هذه العلوم طوال التاريخ وصارت مستقلة؛ ومنها علم تفسير القرآن الكريم. إذ نجد كثيرًا من التفاسير التي اهتمت بالقرآن الكريم ودرسته من أبعاد مختلفة؛ إذ هناك تفاسير علمية وعرفانية وصوفية وبلاغية وتربوية وغيرها، ألفها العلماء الكبار الذين وقفوا سنوات كثيرة في فهم الآيات المباركة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فدراسة مناهج هذه التفاسير من الضروريات التي لا بدّ منها، وتظهر ضرورة التركيز على مناهج التفاسير للحصول على المنهج الصحيح لتفسير القرآن الكريم.

وغنيّ عن التوضيح أن النبي صلى الله عليه وآله وآله أهل البيت عليهم السلام أول مفسري القرآن الكريم، وقد فتحوا الطريق ومهدوا الأرضية لهذا العلم العظيم الشأن. وفي مقدّماتهم أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال: فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعمّها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، فما نسيتُ آيةً



من كتاب الله، ولا علماً أملاًه عليّ، وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام ولا أمرٍ ولا نهيٍ كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحدٍ من قبله - من طاعة أو معصية - إلا علمنيه وحفظته فلم أنس منه حرفاً واحداً، وهذا النصّ دليلٌ على اهتمام الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقرآن الكريم، وكيفية تلقيه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسئلة البحث:

ويستهدف البحث إلى الإجابة عن السؤال الآتي:

ما منهج أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الآيات القرآنية؟

منهج البحث:

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي - التحليلي، إذ هو الأنسب للدراسات في العلوم الإنسانيّة؛ إذ يقدّم حقائق ومعلومات وبيانات دقيقة عن واقع الظاهرة^(١).

الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات السابقة يمكننا تقسيمها في عدّة محاور، منها:

الدراسات السابقة عن القرآن الكريم وتفسيره:

والدراسات عن القرآن الكريم كثيرة تكاد لا تنحصر ولا تعدّ ولا تحصى، وتتنوّع بين الكتب والمقالات والبحوث والرسائل الجامعيّة، و...، وتهتمّ بأبعاد القرآن المختلفة كالسياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع واللغة والأدب والبلاغة و...، وأمّا تفاسير القرآن الكريم فكذاك تتنوّع بين التفاسير الأدبيّة والبلاغيّة وغيرهما كما أنّ لكلّ تفسير منهجاً خاصّاً في عرض التوضيحات وتبيين الآيات، كتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة و...

(١) البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية: ٢١٨.

الدراسات السابقة عن مناهج تفسير القرآن الكريم:

هناك دراسات مختلفة ركّزت على مناهج تفاسير القرآن الكريم ولعلنا لا نجد تفسيرًا إلا وقد اهتمّ الباحثون بدراسة منهج المفسّر فيه؛ وإليك بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

- التحقيق في منهجية تفسير القرآن بالقرآن، في تفسير الميزان، للسيد جعفر سيدان، ترجمة: السيد فاضل الرضوي، مشهد: ولايت، ١٣٩٣. ش .

- روش شناسي تفسير أبو منصور ماتريدي [منهجية تفسير أبو منصور ماتريدي]، لصديق حسن ومحمد علي رضاي أصفهاني، مجلة طلوع، السنة ١٠، العدد ٣٧، ١٣٩٠. ش، صص ٥٦-٢٥.

- روش شناسي تفسر أطيّب البيان [منهجي، تفسير أطيّب البيان]، لمحمد رضا حاج إسماعيلي، مجلة تفسير وزبان قرآن، السنة الأولى، العدد الأول، ١٣٩١. ش، صص ٦٧-٨٦.

الدراسات السابقة عن تفسير أمير المؤمنين ﷺ:

هناك عدّة دراسات في هذا المجال يمكننا اعتبارها دراسات سابقة لهذه الدراسة المتواضعة ولها الفضل عليها، منها:

- تفسير أمير المؤمنين ﷺ للقرآن الكريم، لعلي عاشور، بيروت، مركز الشرق الأوسط الثقافي، ٢٠٠٨م، جمع المؤلف جميع ما صدر عن الإمام ﷺ في تفسير الآيات القرآنية.

- بحث بعنوان: نهج الإمام عليّ ﷺ في تفسير القرآن، للشيخ جاسم الأديب، على

الموقع التالي: ١٩٤٦٥ /<https://annabaa.org/arabic/theholyquran>



- نهج أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير القرآن الكريم، للدكتور محمد كاظم البكاء، مجلة النهج، العدد: صفر، ٢٠٢٤م، وقد ذكر الباحث بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام وشرحها؛ ليكشف عن الأسرار التي خفيت على مفسري القرآن الكريم.

التمهيد

من أهم المصطلحات التي لا بدّ من تعريفها وذكر بعض التوضيحات عنها

هي:

التفسير:

يعود المعنى اللغوي للتفسير إلى الكشف، والإبانة، والإيضاح، وإظهار المعنى^(١)؛ وقال ابن فارس: ((فسر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلّ على بيان شيء وإيضاحه، ومن ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته. والفسر والتفسير: نظر الطيب إلى الماء، وحكمه فيه))^(٢).

عرّف الزركشي التفسير بقوله: ((علمٌ يُعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه))^(٣).

وعرّفه الزرقاني بقوله: ((علمٌ يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطّاقة البشريّة))^(٤).

(١) ينظر: لسان العرب، (فسر).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٥٠٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١ / ١٣.

(٤) مناهل العرفان: ٢ / ٣.



المنهج:

المنهج لغة: ((الطريق الواضح، مأخوذ من نهج ينهج نهجًا))^(١). واصطلاحًا: هو ((الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد، التي تهيمن على سبر العقل، وتحدّد عمليّاته حتّى يصل إلى نتيجة معلومة))^(٢).
وقيل: ((هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن حقيقة حين نكون بها جاهلين، وإمّا من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين))^(٣).

المطلب الأول: أمير المؤمنين عليه السلام والقرآن الكريم

لا شكّ في أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم ورثة علم النبي صلى الله عليه وآله وحملة القرآن، وكانوا القرآن الناطق، ومفسّري القرآن الكريم، وهو ما أكّده الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بقوله: ((إني تاركٌ فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنيهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض))^(٤).

وفي بيان علاقة أمير المؤمنين عليه السلام بالقرآن يكفينا الإشارة إلى بعض كلامه إذ قال عليه السلام: ((إنّ الله طهرنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحجّته على من في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا))^(٥)؛ ونجد أقواله الكثيرة في نهج البلاغة عن القرآن الكريم وعلاقة أهل البيت به، وإليك بعض النماذج منها:

(١) لسان العرب، (نهج).

(٢) العلم والبحث العلمي: ١٤٣.

(٣) أزمة البحث العلمي في العالم العربي: ١٢.

(٤) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ٣٠١.

(٥) الكافي: ١ / ١٩١.



١- ((فيه تبيان كل شيء، وذكر إن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وإنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وأن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به))^(١).

٢- وقال عليه السلام في فضل القرآن: ((واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضلّ والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه زيادة أو نقصان: زيادةٌ في هدى، أو نقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحدٍ بعد القرآن من فاقه، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق، والغيّ والضلال، فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنّه ما توجه العباد إلى الله تعالى بمثله، واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفِعَ فيه، ومن محلّ به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادي مناد يوم القيامة: ألا إن كل حارثٍ مُبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثه القرآن، فكونوا من حرثه وأتباعه، واستدلّوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم))^(٢).

٣- كما يرى فيه الموعظة الكبرى ويصفه بأنه ربيع القلوب: ((وأن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره))^(٣).

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨.

(٢) م.ن، الخطبة: ١٧٦.

(٣) م.ن.



المطلب الثاني: منهج أمير المؤمنين عليه السلام في التفسير

في هذا القسم من البحث سندرس منهج أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الآيات الكريمة للقرآن الكريم، ونأتي بنماذج للتوضيح:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

هذا النوع من التفسير يأتي من هذه الميزة الهامة للقرآن الكريم ألا وهي جودة السبك وإحكام السرد؛ إذ لا تجد بين آياته شيئاً من التنافر أو التعارض حتى إن الناظر فيه يحسبه إنما نزل جملة واحدة^(١)، أو كما قال الزرقاني: ((إن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكمُ السرد، دقيقُ السبك، متينُ الأسلوب، قويُّ الاتصال، أخذُ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى ياه، كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تحاذل، كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نُظمت حروفه وكلماته ونُسقت جملة وآياته، وجاء آخره مساوفاً لأوله، وبدا أوله مواتياً لآخره))^(٢).

بناء على ما مرّ فهذا النوع من التفسير من أجل أنواع المناهج التفسيرية، كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام: ((حمالٌ ذو وجوه))^(٣)، وقد ظهر هذا النوع من التفسير من البداية وفي عصر النزول عند أهل البيت عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين، وقد ذهب الكثيرون إلى أنه أفضل منهج في التفسير، قال الشنقيطي: ((واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمرين: أحدهما: بيان القرآن بالقرآن بإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا من الله جلّ وعلا))^(٤).

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ١ / ٤٦.

(٢) مناهل العرفان: ١ / ٦٠.

(٣) الاتقان في علوم القرآن: ٣ / ٩٧٧.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١ / ٨.



وعند التأمل في أقوال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير القرآن الكريم نلاحظ كثرة توظيفه عليه السلام لهذا المنهج في التفسير، ومن أمثلة ذلك:

((أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر بن محمد بن عليّ، أنّ رجلاً سأل عليّاً عن الهدى، ممّ هو؟ قال: من الثمانية الأزواج، فكأنّ الرجل شكّ! فقال عليّ: تقرأ القرآن؟ فكأنّ الرجل قال نعم. قال: أفسمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١] قال: نعم. قال: وسمعته يقول: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، فكلوا من بهيمة الأنعام، قال: نعم. قال: أفسمعته يقول: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، قال: نعم. قال: أفسمعته يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، إلى قوله: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾، قال الرجل: نعم. فقال: إن قتلت ظبياً فما عليّ؟ قال: شاة. قال عليّ: هدياً بالغ الكعبة. قال الرجل: نعم. فقال عليّ: قد سمّاه الله بالغ الكعبة كما تسمع))^(١).

نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام كيف وظّف خمس آيات قرآنية لتوضيح (الهدى)، وقد عدّ الإمام عليّ عليه السلام آية ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] أرجى آية في القرآن الكريم، وفي كلام آخر بيّن هذه الآية بالآية المباركة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ وهذا لأنّ القارئ لا يظنّ أنّ الله يغفر الذنوب كلّها؛ بل فسّر الإمام عليه السلام الآية بأنّه تعالى لا يغفر الشرك أبداً.

(١) الاتقان في علوم القرآن: ٣ / ١٩٣.



ثانياً: تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة:

السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني لتفسير القرآن عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقد جاءت السنة مبيّنة وموضحة لما يحتاج إلى بيان وإيضاح مما هو مجمل في القرآن، إضافة إلى استقلالها ببيان بعض الأحكام والتشريعات؛ إذ قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وهناك آيات كثيرة تدلّ على المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته الشريفة وقد أمر الله سبحانه باتباع أمره: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، كما نفى الإيمان عن الذين لا يتحاكمون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ومن النماذج من تفسير أمير المؤمنين عليه السلام بنقل حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلُّ أُحْلٍ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تَعْلَمُونَ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]، ((عن عبد الله بن يحيى عن أبيه عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب))^(١).

وأحياناً كان يفسر الآية مستشهداً بما رأى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأفعال، والتفسير يحدث بالفعل النبوي وليس بقوله وكلامه صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما ورد عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بُرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، ((عن حبة العرني قال: رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام شرب في الرحبة قائماً ثم توطأ ومسح على

(١) جامع مرويات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ١ / ٣٠٩، نقلاً عن الكشف البيان: ٤ / ١٨.



نعليه، وقال: هذا وضوء من لم يُحَدِّثْ، هكذا رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنع))^(١).
وأخبر عبد خير قال: ((رأيتُ عليًّا توطأً ومسحَ على النعلين فوسَّع، ثمَّ قال:
لولا أنّي رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل كما رأيتموني لرأيتُ أنّ باطن القدمين أحقَّ
بالمسح من ظاهرهما))^(٢).

كما كان الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يوظف السنة في بيان المعنى المراد من الآية، ((عن عليّ
بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إذا نَمَتِ النطفةُ أربعةَ أشهرٍ بُعِثَ إليها ملكٌ فنَفَخَ فيها
الروح في الظلمات الثلاث؛ فذلك قوله ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، يعني نفخ
الروح فيه))^(٣).

وروي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الآية المباركة: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ
شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧]، ((أخرج ابن أبي حاتم
وابن مردويه عن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن،
فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال: أما تقرأ سورة هود ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ﴾ الآية،
من كان على بَيْتَةٍ من ربِّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنا شاهد منه))^(٤).

ثالثاً: التفسير اللغوي للقرآن:

التفسير اللغوي هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب، والمرادُ بما وردَ
في لغة العرب: ألفاظها وأساليبها التي نزلَ بها القرآنُ. وقد أشارَ إلى هذا الشَّاطِئِي
(ت: ٧٩٠) فقال: ((فإن قلنا إنَّ القرآنَ نزلَ بلسانِ العربِ، وإنَّه عربيٌّ، وإنَّه لا عجمَةٌ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٠ / ٢١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٥٧ / ٣.

(٣) الاتقان في علوم القرآن: ٩٣ / ٦.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: ٢٢٩ / ٦.



فيه، فيعني أنه أنزل على لسانِ معهودِ العربِ في ألفاظِها الخاصّةِ وأساليبِ معانيها، وأتمها فيما فطرت عليه من لسانها تُخاطبُ بالعامِّ يُرادُ به ظاهره، وبالعامِّ يرادُ به العامُّ في وجهِ والخاصِّ في وجهِ، وبالعامِّ يُرادُ به الخاصِّ، وظاهرٌ ويُرادُ به غيرُ الظاهرِ، وكلُّ ذلك يُعرفُ من أوّلِ الكلامِ أو وسطه أو آخره...»^(١).

وهناك كثير من الآيات التي نصّت على عربيّة القرآن؛ ولما كان الأمر كذلك، فإنه لا يمكنُ العدولُ عن هذه اللّغة التي نزل بها القرآن إلى غيرها إذا أُريدَ تفسيرُ الكتاب الذي نزل بها؛ لأنّ معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلاّ منها. قال ابن فارس (ت: ٣٩٥): ((إنّ العلمَ بلغة العربِ واجبٌ على كلّ متعلّقٍ من العلم بالقرآن والسنةِ والفُتيا بسببٍ، حتّى لا غناءً بأحدٍ منهم عنه، وذلك أنّ القرآن نازل بلغة العربِ، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله عربيٌّ. فمَنْ أرادَ معرفة ما في كتابِ الله جلّ وعزّ، وما في سنةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله من كلّ كلمةٍ غريبةٍ أو نظمٍ عجيبٍ، لم يجد من العلم بللغة بدًّا))^(٢).

ومن أعرف بهذا النوع من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو الذي وضع قواعد علم النحو العربي؛ وقد تجلّى هذا النوع من التفسير في عدّة طرق منها:

- ذكر معنى المفردة القرآنيّة: منها ما ورد عنه عليه السلام في معنى السحت في الآية المباركة: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، فقد سُئل عليه السلام عن السحت، فقال: ((الرشا، فقليل له: في الحكم؟ قال: ذلك الكفر))^(٣)، وعنه عليه السلام قال: ((أبواب السحت ثمانية، رأس السحت رشوة الحاكم، وكسب البغيّ، وعسب الفحل، وثمان الميثة، وثمان الخمر، وثمان الكلب، وكسب الحجام، وأجر

(١) الاعتصام: ٢ / ٢٩٣.

(٢) الصاحبي في اللغة: ٥٠.

(٣) الدر المشور في التفسير بالمأثور: ٥ / ٣١١.



الكاهن))^(١)، ونلاحظ أن الإمام عليه السلام ذكر معنى المفردة وكذلك حكمه، وأضاف توضيحات أكثر لتبيين معنى المفردة.

- وفي تفسير الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، قيل: ((روى علي بن إبراهيم عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة له: لأنسب الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل، ثم قال: إن المؤمن أخذ دينه عن ربه، ولم يأخذه عن رأيه، إن المؤمن من يُعرفُ إيمانه في عمله، وإن الكافر يُعرفُ كفره بإنكاره، أيها الناس دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنه في غيره، إن السيئة فيه تُغفر وإن الحسنه في غيره لا تُقبل))^(٢).

- في الآية المباركة: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]، ((وأخرج ابن جرير عن عليّ (كرم الله تعالى وجهه) الضبح من الخيل الحمحمة، ومن الإبل التنفس))^(٣).

- توضيح إعراب المفردات؛ لأن للإعراب دوراً هاماً في فهم المعنى، منها:
قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: ((و﴿مُصَدِّقًا﴾ معطوف على ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول))^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ١٨٢.

(٢) روح المعاني: ٣ / ١٠٦.

(٣) م. ن: ١٥ / ٤٤١.

(٤) البحر المحيط: ٤ / ٢٧٩.



- تبين معنى العبارات القرآنية وتفسيرها وذكر المصاديق لها، منها:

عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٩]، قال: ((هم أطفال المسلمين))^(١).

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٤]، واختلفوا في الذين عنوا بذلك. فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: هم الرهبان والقسوس الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع))^(٢).

- ((قال مجاهد: نُهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وآله حتى يتصدقوا، فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، قدّم ديناراً فتصدق به، ثم نزلت الرخصة؛ وعن علي عليه السلام قال: صرفته فكننت كلما ناجيته تصدقت بدرهم حتى نفذ، ثم نزلت الرخصة، وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولن يعمل بها أحد بعدي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [المجادلة: ١٢])^(٣).

رابعاً: التفسير العقلي:

استخدم الإمام علي عليه السلام البراهين والمبادئ والقواعد في تفسير آيات القرآن، وخاصة الآيات المتعلقة بالعقائد وبرهان التوحيد، وفي توضيح معنى الآية أزال عنها الشكوك والغموض^(٤)، ومن ذلك؛ قوله في الآية الكريمة: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣]، ((روى الحارث عن علي عليه السلام قال: سألت

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٨ / ٧٥.

(٢) م.ن: ١٧ / ٢٩٥.

(٣) م.ن: ٢٦ / ١٥٥.

(٤) ينظر: روش ها و گرایش های تفسیری: ١٣٨.



رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تفسير المقاليد، فقال: يا عليّ لقد سألت عن عظيم، المقاليد: هو أن تقول عشراً إذا أصبحت وعشراً إذا أمسيت: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وأستغفر الله، ولا قوّة إلا بالله الأوّل والآخر والظاهر والباطن، له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير. مَنْ قالها عشراً إذا أصبح، وعشراً إذا أمسى، أعطاه الله خصلاً ستّاً: أوّلها: يجرسه من الشيطان وجنوده فلا يكون لهم عليه سلطان، والثانية: يُعطى قنطاراً في الجنة هو أثقل في ميزانه من جبل أحد، والثالثة: ترفع له درجة لا ينالها إلا الأبرار، والرابعة: يزوجه الله من الحور العين، والخامسة: يشهده اثنا عشر ألف ملك يكتبونها له في رق منشور ويشهدون له بها يوم القيامة، والسادسة: يكون له من الأجر كأنما قرأ التوراة والإنجيل والزابور والفرقان، وكمن حجّ واعتمر فقبل الله حجّته وعمرته، وإن مات من يومه أو ليلته أو شهره طبع بطابع الشهداء))^(١).

يُلاحظ عند التأمل في هذه الرواية أنّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ قد عدّ مفاتيح أبواب السماء ذكر هذه الصفات، وفي الحقيقة هو مدح الله سبحانه وتعالى.

ومن مظاهر التفسير العقلي عند أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ احتجاجه بالقرآن الكريم، ومن نماذجه احتجاجه في تبيين حقّ أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بآية المودة: ((وروى أبو الشيخ وغيره عن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كلّ مؤمن، ثمّ قرأ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣])^(٢).

خامساً: التفسير بذكر التمثيل:

التمثيل: ((هو إثبات حكم واحد في جزأين؛ لثبوته في جزءٍ آخر لمعنى مشترك

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٢٧٥.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ١ / ٣٠٨.



بينهما، ويسميه الفقهاء قياساً^(١)، و((تكمُن بلاغة التمثيل في أنّه يُصار إليه لما فيه من رفع الحجاب وكشف المعنى عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد فإذا كان المتمثل له حقيراً كان المتمثل به مثله، وإن كان عظيماً كان المتمثل به كذلك، فالحقارة والعظم في المضروب به المثل أمرٌ تستدعيه حال المتمثل له، وتستجرّه إلى نفسها، فالضارب للمثل يعمل به حسب تلك الحال))^(٢).

وإليك بعض النماذج:

في الآية المباركة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، ((والظاهر أنّ الحسنه وإن كانت نكرة في الإثبات وهي لا تعمّ إلا أنّها مطلقة فتصرف إلى الكامل، والحسنة الكاملة في الدنيا ما يشمل جميع حسناتها، وهو توفيق الخير، وبيانها بشيء مخصوص ليس من باب تعيين المراد؛ إذ لا دلالة للمطلق على المقيد أصلاً وإنّما هو من باب التمثيل، وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، فقد قيل: هي الجنة، وقيل: السلامة من هول الموقف وسوء الحساب، وقيل: الحور العين، وهو مروى عن عليّ عليه السلام)^(٣).

وكذلك في تفسير الآية المباركة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فقد ورد: ((واختلفوا في الروح المسؤول عنه؛ فقال عليّ بن أبي طلحة: هو ملك، وهو قول عليّ عليه السلام، قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكلّ وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون

(١) كتاب التعريفات: ٦٦.

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٧٢/١.

(٣) روح المعاني: ٤٨٦/١.



ألف لغة، يُسَبِّحُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كلِّ تسبيحة ملكًا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة))^(١).

سادسًا: التفسير بذكر الأحكام الشرعية وفضل الأيام والليالي:

رُوي عنه عليه السلام في تفسير الآية المباركة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ((عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام): أن الرجل إذا قتل المرأة لا يُقتل بها إلا أن يدفع وليها إلى أوليائه نصف الدية؛ لأن ديتها على النصف من دية الرجل))^(٢).

ونُقِلَ عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]، ((ورُوي عن عليّ عليه السلام أنه ضرب في حدٍّ بسوطٍ له طرفان أربعين ضربة فحسب، كلُّ ضربة بضربتين))^(٣).

و ((عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لكلِّ مؤمنة مطلقة حرّة، أو أمة متعة، وتلا عليّ عليه السلام ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١])^(٤).

وأيضًا ما ذكره عليه السلام في توضيح قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، إذ ذهب جماعة إلى أنّها ليلة النصف من شعبان، ((أخرجه

(١) التفسير البسيط: ١٣/ ٤٦٢.

(٢) جامع مرويات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ١/ ٣٢٤.

(٣) روح المعاني: ٩/ ٢٧٧.

(٤) الكشف والبيان: ٦/ ٤٣٩.



ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول: ألا مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر))^(١). ويمكن إدراج هذا التفسير من ضمن التفسير بالسنة النبوية أيضًا.

سابعًا: التفسير بذكر الحوادث التاريخية:

لا بد من التوضيح أن القرآن الكريم لم يقصد حصر المعاني التاريخية التي وردت في القصص القرآنية وإنما هو البحث عن قيمة هذه الوقائع القصصية في المجال التاريخي؛ إذ يعتقد سيد قطب أن هذا الموضوع يرجع إلى عهد النبي صلى الله عليه وآله أو قبله بقليل، كما يرجع إلى الرأي الديني الذي كان يقول به اليهود، وكانت مقاييس اليهود في التفرقة بين الرسول وغيره؛ أن النبي يعرف الغيب، وأن من علوم الغيب معرفة أخبار الذين مضوا من الرسل والأنبياء وما لا يعلمه الناس. كما أن هذا المعيار كان واضحًا في الحوادث والوقائع التي كان يذكرها المفسرون في أسباب النزول، كما ذكر النيسابوري في كتابه قصة النصرة بن الحارث، ((وذلك أن تاجرًا خرج إلى فارس ليشتري أخبار الأعاجم ليرويها لقريش وكان يقول لهم: أن محمدًا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن))^(٢).

وكذلك فإن القرآن الكريم وظَّف التاريخ وأحداثه وسيلة لهداية الناس كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، فوظَّف المفسرون التاريخ لتوضيح هذه القصص والأحداث التاريخية، وكان حظَّ التاريخ وبيانه من قبل

(١) روح المعاني: ١٣ / ١١٠.

(٢) أسباب نزول القرآن: ٣٤٥.



أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الآيات الكريمة وافراً؛ وذلك لعلم الإمام عليه السلام به. ومن ذلك ما قال في قصة توبة قوم موسى في تفسير الآية (٥٤) من سورة البقرة، وقد وردت هذه القصة التاريخية بالتفصيل في العديد من المصادر التفسيرية.

ومما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في قصة أصحاب الأخدود: ((روي عن علي عليه السلام أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: هم أهل الكتاب وكانوا متمسكين بكتابهم، وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولوها بعض ملوكها فسكرو، فوقع على أخته فلما صحا ندم، وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أن تخطب الناس فتقول: إن الله تعالى قد أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول: بعد ذلك حرّمه، فخطب فلم يقبلوا منه ذلك، فقالت له: أبسط فيهم السوط فلم يقبلوا، فقالت: أبسط فيهم السيف فلم يقبلوا، فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أتى فيها الذين أرادهم الله بقوله: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: ٤])^(١).

وكذلك تحدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين، ((أن ابن الكوّاء سأل علياً عليه السلام عن ذي القرنين، أنبيأ كان أم ملكاً؟ قال: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً صالحاً، أحبّ الله تعالى فأحبّه، ونصح الله تعالى فنصحه))^(٢).

ثامناً: التفسير ببيان أسباب النزول:

تظهر أهمية معرفة أسباب النزول في توضيح معاني الآيات، ومعرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم^(٣)، وقد ذهب الواحدي في كتابه (أسباب النزول) إلى أن: ((أسباب النزول أول ما يجب الوقوف عليه، وأول ما تصرف العناية إليه؛

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/٥٨٩، وكشف البيان: ٢٩/١٦٥.

(٢) روح المعاني: ٨/٣٥٢.

(٣) الواضح في علوم القرآن: ٦٠.



لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها))^(١).
 ومن نماذج تفسير أمير المؤمنين عليه السلام في شرح أسباب نزول القرآن أنه عليه السلام
 أشار إلى سبب نزول الآية الكريمة: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا
 يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، إذ ((أخرج الترمذي
 وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه والضياء في
 المختارة عن عليّ قال: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت
 به، فأنزل الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾))^(٢).

وقد ورد في توضيح سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
 مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣]، ((ذكر الماوردي عن ابن عباس وعليّ بن أبي طالب
 ومجاهد: نزلت في يهودي قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أخبرني من أي شيء ربك، أمن لؤلؤ أم من
 ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأحرقتة))^(٣).

وقد نُسبَ بيان سبب نزول هذه الآية إليه عليه السلام: ((حدثنا عبد الله بن أحمد بن
 حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا منصور بن وردان الأسدي قال: حدثنا عليّ بن
 عبد الأعلى، عن أبيه، عن أبي البختريّ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت هذه
 الآية: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] قالوا: يا رسول الله في كل
 عام؟ فسكت، ثم قالوا: أفي كل عام؟ فسكت، ثم قال في الرابعة: لا، ولو قلت: نعم،
 لوجبت، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ
 تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١])^(٤).

(١) أسباب النزول: ٧.

(٢) الدر المنثور، ذيل تفسير الآية ٦ من سورة الأنعام.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ذيل تفسير الآية ١٣ من سورة الرعد.

(٤) أسباب النزول، الواحدي: ٢١٤.



الخاتمة والنتائج:

في ختام بحثنا هذا في أقوال أمير المؤمنين (ع) في تفسير الآيات القرآنية المباركة لكشف اللثام عن منهجه (ع) في التفسير، توصلنا إلى عدّة نتائج، منها:

١- من أهمّ المناهج التي وظّفها الإمام عليّ (ع) في تفسير الآيات المباركة؛ تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، والتفسير اللغوي، والتفسير العقلي، والتفسير بذكر التمثيل، والتفسير بذكر الأحكام الشرعية، والتفسير بذكر الحوادث التاريخية، والتفسير ببيان أسباب النزول.

٢- إنّ أهل البيت (ع) هم القرآن الناطق، وهم أعلم من غيرهم بالنصّ القرآني، ودراسة مناهجهم في التفسير يساعدنا على الفهم الأصحّ للقرآن الكريم.

٣- هناك تنوع في المناهج التي استخدمها الإمام (ع) في التفسير.

٤- وظّف أمير المؤمنين (ع) مرويات السنة القولية والفعليّة في تفسير الآيات

القرآنية.



المصادر والمرجع

*القرآن الكريم.

١. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١١هـ.
٢. أزمة البحث العلمي في العالم العربي، عبد الفتاح خضر، مكتبة صلاح الحجيلان، الرياض، ١٩٩٢م.
٣. أصول الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت٣٢٩هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، مرتضى آخوندي، ط٣، ١٣٨٨هـ.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمّد الأمين بن محمّد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ.
٥. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، (١٣٩٤هـ).
٦. الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، تح: مؤسّسة إحياء الكتب الإسلاميّة، قم، ١٤٣٠هـ.
٨. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العمليّة، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر، بيروت - دمشق، ٢٠٠٠م.
٩. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمّد بن عبد الله بن بهادر



الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت، (١٣٧٦ هـ).

١٠. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، أصل تحقيقه: رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ)، تحقيق وتعليق: د. موسى علي موسى مسعود، د. أشرف محمد بن عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات، ٢٠٠٩ م.

١٢. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين بن إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تح: سامي السلامة، نشر دار طيبة، ١٤١٨ هـ.

١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تح: محمود شاكر، مكتبة المعارف، ط ٢، (د. ت).

١٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤ م.

١٥. جامع مرويات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٤٠ هـ) وأقواله في تفسير القرآن الكريم، علاء هاشم الخفاجي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢٠ م.

١٦. الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١ هـ)، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ.

١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمود الالوسي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨. روش ها و گرایش های تفسیری، حسین علوي مهر، قم، ١٣٨١ ش.



١٩. الصاحبى في فقه اللغة، تح: السيد أحمد صقر، مكتبة البابى الحلبي، القاهرة، (د.ت).

٢٠. العلم والبحث العلمي، حسين عبد الحميد رشوان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

٢١. فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

٢٢. فضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد مرتضى الفيروزآبادي (١٤٢٤هـ)، منشورات فيروزآبادي، ط٢.

٢٣. كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ).

٢٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، دار التفسير، جدة، ٢٠١٥م.

٢٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٢٨. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، علي بن محمد بن المغازلي (ت٤٨٣هـ)، تح: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار، صنعاء، ٢٠٠٣م.



٢٩. مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦ م.
٣٠. نهج البلاغة، ما اختاره الشريف ابو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة: الدكتور صبحي الصالح، بيروت: ط ١، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
٣١. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا ومحيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب - دار العلوم الانسانيّة، دمشق، ط ٢، ١٩٩٨ م.

الأثر القرآني ومكانة الإمام عليؑ ودور أهل البيت في التفسير

أ. د شاكر محمود مهدي هادي العزاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة ديالى كلية العلوم الإسلامية

قسم العقيدة والفكر الإسلامي

الملخص:

إنَّ علم التفسير من أجل العلوم على الإطلاق وأولها بالترتيب على الاستحقاق وأرفعها قدرًا بالاتفاق؛ وذلك لأنه يتصل اتصالًا مباشرًا بالقران الكريم، وقد اختصَّ الله سبحانه وتعالى عباده الصالحين منهم بأن يكونوا حملة له في كل عصر وزمان، فكان النصيب الأوفر لمن حمل هذه الأمانة وأداها على أتم وجه هم أهل البيت عليهم السلام، فهم منبع الإيمان والحكمة احتاج الناس إليهم وما احتاجوا إلى أحد. ولقد كان الصحابة متفقون على أن علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام وأنَّ العدول عن أقوالهم يؤدي إلى التحير وعدم الصواب؛ لأنهم ما ارتادوا العلم من باب، ولم يتعلقوا بذيل أسبابه فانغلق عليهم الباب، وتقطعت بهم الأسباب وذهبت بهم المذاهب حيارى ضالين.

ولقد كان سيدنا الإمام عليؑ رائد المفسرين من آل البيت عليهم السلام فكان بحرًا في العلم، وكان قوى الحجَّة، سليم الاستنباط، أوتيَ الحظ الأوفر من الفصاحة والخطابة والبلاغة، وكان ذا عقل قضائي ناضج، وبصيرة نافذة إلى بواطن الأمور



وقد وُهِبَ عقلاً ناضجاً، وبصيرة نافذة، وحظاً وافراً من العلم وقوة البيان؛ ولأجل هذه الأهمية التي حظي بها سيدنا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، حاولنا في هذا البحث المتواضع أن نسلط الضوء على مكانته في التفسير، وبحث في الآثار التي وردت عنه؛ بوصفه الرائد الأول للتفسير بعد النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، تفسير أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الأثر القرآني.

Abstract:

The science of exegesis (Tafsir) is arguably the most noble and prioritized of all sciences, held in the highest regard due to its direct connection to the Holy Quran. Almighty Allah has distinguished His righteous servants in every era to be the bearers of this knowledge. The greatest share of this trust was fulfilled by the Ahl al-Bayt (PBUT), the fountainhead of faith and wisdom, whom people consistently sought for guidance. The Companions were in consensus that the profound knowledge of the Quran was uniquely entrusted to the Ahl al-Bayt (PBUT). Deviating from their teachings often led to confusion and error, as those who did not seek knowledge through its rightful "gate" found themselves disconnected from its true essence, wandering in misguidance.

Imam Ali (PBUH) stood as the pioneer of interpreters among the Ahl al-Bayt. He was an ocean of knowledge, possessed powerful arguments, and demonstrated flawless deduction (Ishtinbat). Endowed with supreme eloquence, rhetoric, and a mature judicial intellect, he possessed a piercing insight into the inner depths of matters. Given this immense significance of Imam Ali (PBUH), this research seeks to highlight his stature in exegesis and examine the narrations (Athar) attributed to him,



considering him the primary pioneer of Quranic interpretation after the Prophet Muhammad (PBUH).

Keywords: (Imam Ali (PBUH), Ahl al-Bayt Exegesis, Quranic Narrations/Athar).

المقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، وأصليّ وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين.

أمّا بعد

فإنّ علم التفسير من أجلّ العلوم على الإطلاق وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق وأرفعها قدرا بالاتفاق، وذلك لأنّه يتّصل اتصالا مباشرا بالقرآن الكريم، وقد اختصّ الله سبحانه وتعالى عباده الصالحين منهم بأن يكونوا حَمَلَةً له في كلّ عصر وزمان، فكان النصيب الأوفر لمن حمل هذه الأمانة وأداها على أتمّ وجه هم أهل البيت عليهم السلام، فهم منبع الإيمان والحكمة، احتاج الناس إليهم وما احتاجوا إلى أحد، قال الشهرستاني: ولقد كانت الصحابة رضي الله عنهم متّفقون على أنّ علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام إذ كانوا يسألون عليّ بن أبي طالب عليه السلام هل خصصتم أهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن؟ وكان يقول لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلّا بما في قراب سيفي هذا، فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على إجماعهم بأنّ القرآن وعلمه تنزيله وتأويله مخصوص بهم.

ويقول بعد أن يصف تحيّر المتحيّرين في تفسير القرآن وإنّما وقع لهم هذا التحيّر لأنّهم ما ارتادوا العلم من بابه، ولم يتعلّقوا بذيل أسبابه، فانغلق عليهم الباب وتقطّعت بهم الأسباب وذهبت بهم المذاهب حيارى ضالّين.



ثم يقول في موطن آخر: ((إن الذين فسروا القرآن بأرائهم إنما تبوؤوا مقعدهم من النار لأنهم لم يسندوا تفاسيرهم إلى صادق قد عرفوا صدقه أو لاسم صدقه في التفسير، فاختلفت أقاويلهم في كل آية بل في كل كلمة بل في كل حرف))^(١)، وقد كان سيّدنا عليّ عليه السلام رائد المفسرين من أهل البيت بلا منازع، قال مجاهد: ((ما أنزل الله آية في القرآن إلا عليّ رأسها))^(٢)، وقال الذهبي: ((كان عليه السلام بحرًا في العلم، وكان قويّ الحجّة، سليم الاستنباط، أوتيّ الحظّ الأوفر من الفصاحة والخطابة والشعر، وكان ذا عقل قضائيّ واضح، وبصيرة نافذة إلى بواطن الأمور وقد وهب عقلًا ناضجًا، وبصيرة نافذة، وحظًا وافرا من العلم وقوة البيان))^(٣)، وأخرج الحاكم في المستدرک عن رسول صلى الله عليه وآله قال: **عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَنْ يَنْفَرَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْصَ**)^(٤).

وجعل النبيّ الكريم حبّ أهل البيت من الإيمان وبغضهم من النفاق، قال الشهرستاني في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] ((جاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجّة والبرهان وباللسان، وقد شرع فيه فقطعه الأجل المحتوم دونه، وبقي التكليف دينا في ذمته، فقال لعليّ عليه السلام: أنت يا علي قاضي ديني، وقد قضى دينه فقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ولهذا جعل حبه وبغضه علامة الإيمان والنفاق فقال: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق شقي))^(٥).

وقال النبيّ الكريم في حقّ عليّ عليه السلام: ((أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ

(١) م.ن: ١/١١٩.

(٢) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ٤١.

(٣) التفسير والمفسرون: ١ / ٨٣.

(٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم: ٣ / ١٣٤، رقم (٤٦٢٨).

(٥) مفاتيح الأسرار ومصاييح الأبرار: ١ / ٨٥٠.



من موسى))^(١)، وهي منزلة عظيمة من حيث القرب من النبي الكريم، وأخرج الحاكم في المستدرک عن رسول الله ﷺ قال: ((عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض))^(٢)، جاء في نهج البلاغة ((وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم، وهم أئمة الحق، وأعلام الدين وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن))^(٣)، فأهل البيت والقرآن متلازمان وأن أحدهما متمم للآخر))^(٤).

وعلى ما تقدّم يظهر لنا بجلاء لا يقبل الشك أن لأهل البيت الدور الكبير في تفسير القرآن، وكان دورهم هو دور تربية وتعليم وإرشاد إلى معالم التفسير، وأنه كيف ينبغي أن تُفهم معاني كلامه تعالى وكيف الوقوف على دقائق هذا الوحي الإلهي الخالد، فقد كانت تفاسيرهم للقرآن المأثورة عنهم ﷺ تفاسير نموذجية تعتمد أصولاً متينة وقواعد رصينة، فهي بحق تفاسير تعبّر عن حاجة الأمة لها لما فيها من مزايا وخصائص لم تتوافر في غيرها، لذا توجب الاعتماد عليها والأخذ بها لما فيها من صلاح الأمة والوصول بالجيل إلى جادة الصواب.

قال الهيثمي مبيناً وجوب حبّ أهل البيت وتعظيمهم: ((اللائق بواجب حقهم وتعظيمهم وتوقيرهم والتأدب معهم أن ينزلوا منازلهم وأن يعرف لهم شرفهم وأن يتواضع لهم في المجالس فإنّ لحبهم وإكرامهم أثرا بينا))^(٥).

(١) صحيح البخاري: ٥ / ١٩، رقم الحديث (٣٧٠٦).

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم: ٣ / ١٣٤، رقم (٤٦٢٨).

(٣) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ٦ / ٣٧٣.

(٤) المبادئ العامة لتفسير القرآن: ٦٦.

(٥) الصواعق المحرقة: ٢ / ٧٠١.



وشرح المناوي مبينا فضل أهل البيت ومكانتهم في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي وإِنهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، قال: وعترتي أهل بيتي تفصيل بعد إجمال، بدلا أو بيانا وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قال القرطبي يعني إن ائتمرتم بأوامر كتابه وانتهيتم بنواهيته واهتديتم بهدي عترتي واقتديتم بسيرتهم اهتديتم فلم تضلوا، وقال أيضا: وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها، هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبأئمتهم جزء منه فإئمتهم أصوله التي نشأ عنها وفروعه التي نشأوا عنه .

قال الهروي عن الطيبي: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ، إِشَارَةٌ إِلَى أُمَّتِهِمَا بِمَنْزِلَةِ التَّوَامِينِ الْخَلَفَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِنَّهُ يُوصِي الْأُمَّةَ بِحُسْنِ الْمُخَالَفَةِ مَعَهُمَا وَإِيثارِ حَقِّهِمَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَمَا يُوصِي الْأَبُ الْمُشْفِقُ النَّاسَ فِي حَقِّ أَوْلَادِهِ.

والأحاديث الواردة في التمسك بأهل البيت (العترة الطاهرة) كثيرة منها على سبيل المثال، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي .

قال الهروي: المراد بقوله: أَهْلَ بَيْتِي، لِيُعْلَمَ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ نَسْلَهُ وَعِصَابَتَهُ الْأَدْنَى، وَالْمُرَادُ بِالْأَخْذِ بِهِمُ التَّمَسُّكُ بِمَحَبَّتِهِمْ وَمُحَافَظَةُ حُرْمَتِهِمْ وَالْعَمَلُ بِرِوَايَتِهِمْ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى مَقَالَتِهِمْ، وَقَالَ ابْنُ الْمَلِكِ: التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ وَهُوَ الْإِتِّمَارُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَالْإِنْتِهَاءُ بِنَوَاهِيهِ، وَمَعْنَى التَّمَسُّكِ بِالْعِترَةِ مَحَبَّتُهُمْ وَالْإِهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِمْ وَسَيْرَتِهِمْ.



لقد تركنا أحاديث كثيرة تدلّ على فضل أهل البيت ومنزلتهم الدينيّة، وحسبي بهذه الأقوال دليلاً ساطعاً بيناً على منزلتهم ووجوب محبتهم والأخذ عنهم لأنهم يمثلون الثقل الآخر من الشريعة بعد القرآن الكريم.

ولأجل هذه الأهميّة التي حظي بها سيّدنا عليؑ وأهل البيت من مكانة عظيمة وسامية حاولنا في هذا البحث المتواضع أن نسلط الضوء على مكانتهم في التفسير، فجاء البحث تحت عنوان (الأثر القرآني ومكانة الإمام عليؑ ودور أهل البيت في التفسير). ولقد اقتضت المنهجية أن يقسم البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فضائل أهل البيت، وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول: آية التطهير

المطلب الثاني: آية المباهلة

المطلب الثالث: الصلاة على آل بيت النبي

المبحث الثاني: أهل البيتؑ والعمل التفسيري

المطلب الأول: دور أهل البيتؑ في التفسير

المطلب الثاني: مكانة الإمام عليؑ في التفسير

المبحث الثالث: محطّات تفسيرية للإمام عليؑ



كانت الدراسة استقرائية تحليلية لمعرفة دور الإمام علي ع وأهل البيت في التفسير، وختاماً أقول إن ما سطره الباحث هو جهد بشري يعتره الخطأ والزلل والنسيان، فما كان فيه من خلل فهو من نفسي وما كان فيه من صواب فهو من الله تعالى وحده، وحسبي بما سطرته دليلاً على علو مكانة أهل البيت في التفسير .

المبحث الأول: فضائل أهل البيت عليهم السلام

المطلب الأول: آية التطهير

وردت آيات في القرآن الكريم تشير إلى فضل أهل البيت ومكانتهم، فمن ذلك قوله تعالى في آية التطهير: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال ابن حجر الهيتمي: ((ثم هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدأت بإنماء المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنه وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة))^(١)، ونقل الهيتمي الإجماع على سبب نزولها فقال: ((أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم وما بعده))^(٢) .

قال ابن عطية قال: ((الجمهور «أهل البيت» علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وفي هذا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وفاطمة والحسن

(١) الصواعق المحرقة: ٢ / ٤٢٥ .

(٢) م . ن : ٢ / ٤٢١ .



والحسينؑ ((١))، ومن حجة الجمهور قوله عَنْكُمْ وَيُطَهِّرْكُمْ بِالْمِيمِ، ولو كان النساء خاصة لكان عنكن)) (٢).

قال الرازي: ((وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ» فِيهِ لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّ الرِّجْسَ قَدْ يَزُولُ عَيْنًا وَلَا يَطْهَرُ الْمَحَلُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) أَيُّ يَزِيلُ عَنْكُمُ الذُّنُوبَ وَيُطَهِّرْكُمْ أَيُّ يُلْبِسْكُمْ خِلْعَ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَرَكَ خِطَابَ الْمُؤَنَّثَاتِ وَخَاطَبَ بِخِطَابِ الْمُنْذَرِينَ بِقَوْلِهِ: لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ لِيَدْخُلَ فِيهِ نِسَاءُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَرَجَالِهِمْ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَقْوَالُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ هُمْ أَوْلَادُهُ وَأَزْوَاجُهُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِنْهُمْ وَعَلِيٌّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بِسَبَبِ مُعَاشَرَتِهِ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَلَازِمَتِهِ لِلنَّبِيِّ)) (٣).

قال القشيري: ((«الرِّجْسَ»: الأفعال الخبيثة والأخلاق الدنيئة فالأفعال الخبيثة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وما قل وما جل، والأخلاق الدنيئة الأهواء والبدع كالبخل والشح وقطع الرحم، ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالجود والإيثار والسخاء وصلة الرحم، ويديم لهم التوفيق والعصمة والتسديد، ويطهرهم من الذنوب والعيوب)) (٤).

المطلب الثاني: آية المباهلة

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٣/ ٥٢، رقم الحديث (٢٦٦٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٣٨٤.

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٥/ ١٦٨.

(٤) لطائف الإشارات: ٣/ ١٦٠.



الْكَاذِبِينَ ﴿آل عمران: ٦١﴾، وهم عليّ وفاطمة والحسنان عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأنها لما نزلت دعاهم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعليّ خلفهما فعلم أنّهم المراد من الآية وأن أولاد فاطمة وذريّتهم يسمّون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة^(١).

قال الرازيّ ((هَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَانَا ابْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَدَّ أَنْ يَدْعُو أَبْنَاءَهُ، فَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَا ابْنَيْهِ، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ [الأنعام: ٨٥] وَمَعْلُومٌ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا انْتَسَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأُمَّ لَا بِالْأَبِ، فَثَبَّتَ أَنَّ ابْنَ الْبِنْتِ قَدْ يُسَمَّى ابْنًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ))^(٢).

قال الآلوسيّ: ((وقد أخرج مسلم^(٣)، والترمذي^(٤)، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ) إِخْ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَاطِمَةَ، وَحَسَنًا، وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي» وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ دَعَائِهِ (صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ الْمُنْتَسِبَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ هُوَ الْمَشْهُورُ الْمَعْمُولُ عَلَيْهِ لَدَى الْمُحَدِّثِينَ هُوَ الْمَشْهُورُ وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ وَلَعَلَّهُ الْأَوْجَهُ))^(٥).

(١) ينظر: الصواعق المحرقة: ٢ / ٤٥٣ .

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٨ / ٢٤٨ .

(٣) صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠ .

(٤) سنن الترمذي ت بشار: ٥ / ٧٥، رقم (٢٩٩٩) .

(٥) روح المعاني: ٢ / ١٨٢ .



المطلب الثالث: الصلاة على آل بيت النبي ﷺ

لعظم منزلة أهل البيت وكثرة مناقبهم فالصلاة عليهم جعلت مقرونة بالصلاة على سيدنا محمد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وصح عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ((قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد))^(١).

والقارئ لهذا الحديث يجد أن ((سؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر فلما أحيوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه صلى الله عليه وسلم أقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثم لما أدخل من مر في الكساء، قال: «اللهم إني مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعلىهم»^(٢)). وقال البغوي شارحا الحديث السابق: ((فقوله أمرتنا أن نصلي عليك يدل على وجوبه لأن أمره لازم وطاعته واجبة، وقوله قولوا اللهم صل على محمد أمر ثان يجب ائتماره ولا يجوز تركه))^(٣).

فالصلاة على آل بيت النبي ﷺ واجبة بالإجماع والصلاة بدون الصلاة عليهم تسمى الصلاة البتراء، وقد أخرج البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم: قال: ((الدعاء محجوب عن الله حتى يصلي على محمد، وعلى آل محمد))^(٤).

(١) صحيح البخاري: ١٢ / ١٠، والمستدرک علی الصحیحین للحاکم: ٣ / ١٦٠، رقم الحديث (٤٧١٠)

(٢) الصواعق المحرقة: ٢ / ٤٢٩ .

(٣) معالم السنن: ١ / ٢٢٧ .

(٤) شعب الإيمان: ٣ / ١٣٧، رقم الحديث (١٤٧٥) .



المبحث الثاني: أهل البيت عليهم السلام والعمل التفسيري

المطلب الأول: دور أهل البيت عليهم السلام في التفسير

لأهل البيت عليهم السلام دور كبير في تفسير القرآن الكريم ((فأهل البيت هم معدن العلم، ومهبط الوحي احتاج الناس إلى علمهم وما احتاجوا إلى أحد، وقد ملأوا الدنيا فقها وعلما وحديثا، أجابوا عن كل مسألة، وحلّوا كل مشكلة ووقفوا كالجبل الأشم ينشرون المعارف ويتقفون المواهب، كالبحر الذي لا تُدرك أعماقه ولا تبدو سواحله وما علمهم هذا إلا عصارة إلهية ومنحة ربانية وخلاصة سماوية وهو نوع من العلم اللدني أو هو من الباب الذي علّمه رسول الله عليًا فعلمه أبناءه الطاهرين، وكلاهما موهبة من الله وإيحاء السماء))^(١).

قال الشهرستاني وهو يصف منزلة أهل البيت ودورهم في التفسير: ((وخصّ الكتاب بحمّلة من عترته الطاهرة ونقله من أصحابه الزاكية الزاهرة، يتلونه حقّ تلاوته، ويدرسونه حقّ دراسته فالقرآن تركته، وهم ورثته وهم أحد الثقلين، وبهم مجمع البحرين، ولهم قاب قوسين، وعندهم علم الكونين والعالمين، وكما كانت الملائكة عليهم السلام معقبات له من بين يديه ومن خلفه تنزيلا كذلك كانت الأئمة الهادية والعلماء الصادقة معقبات له من بين يديه ومن خلفه تفسيرا وتأويلا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فتتزيل الذكر بالملائكة المعقبات، وحفظ الذكر بالعلماء الذين يعرفون تنزيله وتأويله، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وعامّه وخاصّه، ومجمله ومفصّله ومطلقه ومقيّده، ونصّه وظاهره وظاهره وباطنه ويحكمون فيه بحكم الله من مفروغه ومستأنفه وتقديره وتكليفه، وأوامره وزواجره وواجباته ومحظوراته، وحلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه،

(١) المبادئ العامة لتفسير القرآن: ٤٨.



بالحقّ واليقين لا بالظنّ والتخمين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]، فالقرآن (هدى للناس) عامة ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] خاصة، وهدى وذكر للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولقومه وهو أخصّ من الأوّل والثاني ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ولقد كان الصحابة متّفقين على أنّ علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام... ولقد كان حبر الأمة عبد الله بن عباس مصدر تفسير جميع المفسّرين وقد دعا له رسول الله بأن قال: اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل، فتلمذ لعلّي حتّى فقّهه في الدين وعلمه التأويل))^(١).

المطلب الثاني: مكانة الإمام عليّ عليه السلام في التفسير

هو أبو الحسن، عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب، القرشيّ الهاشمي، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وصهره على ابنته فاطمة، وذريته صلى الله عليه وآله منها، أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم^(٢)، لقبه: أمير المؤمنين^(٣)، والأخرى أبو تراب^(٤).

اختصّ الله سبحانه وتعالى سيّدنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بخصائص كثيرة جدّاً، من تلك الخصائص والفضائل والمناقب ما نزل في حقه من قرآن^(٥)، ذكر السيوطي ((عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ، وأخرج ابن عساکر عن ابن عباس قال: نزلت في علي ثلاثمائة آية))^(٦).

(١) تفسير مفاتيح الأسرار ومصايح الأبرار: ٧٢/١.

(٢) التفسير والمفسّرون: ٨٢/١.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٧٦.

(٤) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الحافظ الواسطي: ٢٨.

(٥) وللزيادة ومعرفة ما نزل في حقّ سيدنا علي من قرآن يراجع كتاب ما نزل من القرآن في علي بن أبي طالب لأبي الفضائل المختار: ٥٠ وما بعدها من صفحات.

(٦) تاريخ الخلفاء: ١٣٤.



وقد دعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ((اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ، وَاهْدِ قَلْبَهُ، يَا عَلِيُّ، إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ))^(١)، فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ بفضل هذه الدعوة من الموفقين والمسددين حَتَّى ضُرب به المثل فقيل: قضية ولا أبا حسن لها^(٢)، ولا عجب في ذلك، فقد رعته عين النبوة، وترعرع في ربوعها وتغذى من لبنها .

عاش أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حياته مع القرآن الكريم تلاوة وحفظا وفهما وعملا، وكان يقول: ((من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا))^(٣)، وكان يقول: ((ما كنت أرى أحدا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة))^(٤) .

وكان يصف القرآن ويبين عظيم قدره فيقول: ((كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم))^(٥) .

لقد كان سيدنا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ رائد المفسرين بلا منازع، قال الدكتور محمد الصغير: ((وقد أجمع علماء الأمة أن عليا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو المرجع الأعظم بعد رسول

(١) مسند أحمد ط الرسالة: ٢ / ٢٢٥، رقم (٨٨٢) .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٣ / ١٦٩ .

(٣) المستطرف في كل فن مستطرف: ٢٤ .

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن: ١٨١ .

(٥) فضائل القرآن لابن كثير: ٤٥ .



الله ﷺ في كشف تلك الكنوز الثمينة التي اشتمل عليها، فقد قال أمير المؤمنين ﷺ: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها، وأملاها عليّ فكتبتها بخطه، وعلمني تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها))^(١).

قال المناوي: ((قد علم الأولون والآخرون أنّ فهم كتاب الله منحصر إلى علم عليّ، ومن جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عنه القلوب الحجاب حتّى يتحقّق اليقين الذي لا يتغيّر بكشف الغطاء))^(٢).

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن))^(٣)، وأخرج أيضا من طريق أبي بكر بن عيَّاش عن نصير بن سليمان الأحمسيّ عن أبيه عن عليّ قال: ((والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إنّ ربّي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤلا))^(٤).

وأخرج الحاكم في المستدرک عن رسول الله ﷺ قال: ((عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لئن يتفرّقا حتّى يردّا عليّ الحوض))^(٥)، وقال ابن عباس: ((أعطي عليّ تسعة أعشار العلم، والله لقد شاركهم في العشر الباقي، فإذا ثبت لنا الشّيء الباقي عن عليّ لم نعدل عنه إلى غيره))^(٦)، وروى الديلمي عن أنس،

(١) المثل العليا في تراث أهل البيت الحضاري: ١٤.

(٢) فيض القدير: ٤٧ / ٣.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٦٥ / ١.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٦٨ / ١، الإتقان في علوم القرآن: ٦ / ٢٣٢٥.

(٥) المستدرک على الصحيحين للحاكم: ٣ / ١٣٤، رقم (٤٦٢٨).

(٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ١١ / ٢٨٩.



أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: ((أَعْلَمُ النَّاسَ بَعْدِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ))^(١).
 ظهر لنا أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيًّا عليه السلام له من الفضل والعلم والحكم والقضاء والتفسير
 والإحاطة بالسنة ما ليس لغيره، فقد أخذ العلم عن النبي الكريم فكان أفقه الناس
 وأشجعهم، وقد أجمعت الأمة على أَنَّ الصحابة كانوا يأخذون العلم منه، جاء في
 قوت القلوب أَنَّ الإمام عليًّا قال: ((لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة
 الكتاب))^(٢)، والأقوال المأثورة والأحاديث الواردة في حقه وفضله ومناقبه كثيرة
 جداً، ولولا الإطالة لتحذث عنها بإسهاب ومن الله التوفيق .

المبحث الثالث: محطّات تفسيرية للإمام عليّ عليه السلام

النموذج الأوّل: قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١]

عن أبي الطفيل أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا عليه السلام يَقُولُ وَهُوَ عَلَى مَنبَرِ الْكُوفَةِ: ((لا تَسْأَلُونِي
 عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ، فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكُوِّاءِ
 فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا)؟ قَالَ: (الرِّيحُ))^(٣).
 قال الماتريديّ ناقلاً اتِّفَاقَ الْجُمْهُورِ عَلَى تَفْسِيرِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ: ((سَأَلَ عَلِيٌّ بْنُ
 أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: «وَالذَّارِيَاتِ» هِيَ الرِّيحُ، «فَالْحَامِلَاتِ وَفَرًا» هِيَ
 السَّحَابُ، «فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا» هُنَّ السَّفِينُ، «فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا» هِيَ الْمَلَائِكَةُ. وَعَلَى
 هَذَا خَرَجَ تَأْوِيلَ عَامَّةِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ))^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ١١ / ٢٩١ .

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد: ١ / ٩٢ .

(٣) الوسيط لسيد طنطاوي: ١ / ٣٩٦٧ .

(٤) تأويلات أهل السنة: ٩ / ٣٧٢ .



النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥].

قال الرازي: ((رُويَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَطَاءٍ وَمُقَاتِلٍ وَقَتَادَةَ أَنَّهَا هِيَ جَمِيعُ الْكُؤَابِ وَخُنُوسُهَا عِبَارَةٌ عَنْ غَيْبُوتِهَا عَنِ الْبَصْرِ فِي النَّهَارِ وَكُنُوسُهَا عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِهَا لِلْبَصْرِ فِي اللَّيْلِ أَيْ تَظَهَّرُ فِي أَمَاكِنِهَا كَالْوَحْشِ فِي كُنُوسِهَا))^(١).

النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

قال ابن الجوزي: الخشوع ((ترك الالتفات في الصلاة، وأن تُلين كنفك للرجل المسلم، قاله علي بن أبي طالب))^(٢)، وقال الشوكاني: ((وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ وَالْفَرَيَابِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ، عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» قَالَ: الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، وَأَنْ تُلِينَ كَتَفَكَ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، وَأَنْ لَا تَلْتَفِتَ فِي صَلَاتِكَ))^(٣)، وما نقل عنه ﷺ في التفسير كثير جدًا لا يسع المقام لذكره، فقوة الفهم وسعة الإدراك من المزايا التي امتاز واشتهر بها ﷺ. ومن أبرز الأسس التي سار عليها ﷺ في التفسير واستنباط الأحكام من القرآن وفهم معانيه:

١. الالتزام بظاهر القرآن والامثلة في ذلك كثيرة منها تفسيره لآية الوضوء، ومدّة

الحمل وغيرها

٢. حمل المجمل على المفسر وله في ذلك أمثلة

٣. حمل المطلق على المقيد وله في ذلك أمثلة

٤. العلم بالناسخ والمنسوخ

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٦٨ / ٣١.

(٢) زاد المسير في علم التفسير: ٢٥٥ / ٣.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٥٦٣ / ٣.



٥. النظر في لغة العرب
٦. فهم النص بنص آخر
٧. بيانه للمشكل وإزالة موهم التعارض
٨. علمه بعلم المناسبات
٩. تخصيص العام
١٠. معرفة عادات العرب^(١)

(١) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شخصيته وعصره، علي الصلابي: ٥١.



الخاتمة:

وفي الختام أودّ أن أذكر أهمّ ما توصلّ له الباحث من خلال الدراسة.

أولاً: النتائج

١. أظهرت الدراسة منزلة أهل البيت ودورهم في التفسير، فهم مورد الحقّ الناطق بعد النبيّ الكريم، وتفسيرهم للقرآن بمثابة تفسير النبيّ، وقد بيّنا ذلك في صفحات البحث.
٢. أظهرت الدراسة منزلة الإمام عليّ ؑ ودوره في التفسير بحيث لا يمكن بمكان أن يقارن علمه بغيره من الصحابة، فهو القائل سلوني سلوني والله ما نزلت آية إلا وأنا أعلم أين نزلت ولماذا نزلت إن ربّي وهب لي عقلاً عقولاً ولساناً سؤولاً.
٣. الوقوف على حقيقة ما نزل في حقّه ؑ في التفسير وحسبه بذلك منقبة عظيمة.
٤. بيّنت الدراسة أنّه ؑ رائد المفسّرين من آل البيت وله مرويات كثيرة جدّاً في كتب التفسير.

ثانياً: التوصيات

١. توجيه أنظار الباحثين والمفكرين إلى النتاج التفسيريّ لأهل البيت.
٢. جمع ما روي عن الإمام عليّ ؑ من تفسير من خلال كتب التفسير، فله مرويات كثيرة جدّاً.
٣. توجيه طلبة الدراسات العليا إلى الاعتماد على أقوال المفسّرين من أهل البيت وتفسيرهم ولا سيما تفسير مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار للشهرستانيّ المتوفى سنة (٥٤٨) فالتفسير حافل بالترجيحات واللغة والنظم والبلاغة والتفسير وأسباب النزول.



المصادر والمراجع

١. الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١ / ١٩٧٤ م.
٢. تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.
٣. تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م.
٤. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ٢٠٠٤ م.
٥. التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، حقه وعلّق عليه: محمد الحجّار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، ١٩٩٤ م.
٦. التفسير والمفسرون، محمد السيّد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.
٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٩٧٤ م.
٨. روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
٩. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.



١٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحى الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١١. سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذى (ت ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٨م.
١٢. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبؑ شخصيته وعصره، علي الصلابى، مؤسّسة اقرأ، ط١، ٢٠٠٥م.
١٣. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقى (ت ٤٥٨هـ)، حقه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، ط١، ٢٠٠٣م.
١٤. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى، ط٢، ١٩٦٧م.
١٥. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحسكاني، تح: الشيخ محمد باقر المحمودى، مؤسّسة الأعلى للمطبوعات، لبنان، ط٢، ٢٠١٠م.
١٦. صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٧. صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيريّ النيسابوريّ، (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.



١٨. الصواعق المحرقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت ٩٧٤هـ)، تج: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م .
١٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٢٠. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ .
٢١. فضائل القرآن، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٦ هـ .
٢٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦ هـ .
٢٣. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريدي إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، تح: د. عاصم إبراهيم الكيالّي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م .
٢٤. المثل العليا في تراث أهل البيت الحضاري، محمد حسين علي الصغير، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة، ط ١، ٢٠١٥م .
٢٥. المبادئ العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م .
٢٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ .



٢٧. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
٢٨. المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي (ت ٨٥٢هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ١.
٢٩. مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
٣٠. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١.
٣١. مفاتيح الأسرار ومصايح الأبرار، الشهرستاني، تح: محمد علي ذرشب، مركز البحوث والدراسات للتراث، طهران، ط ١، ٢٠٠٨م.
٣٢. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤٢٠، ٣هـ.
٣٣. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للحافظ الواسطي، تح: أبو عبد الرحمن تركي الوادعي، دار الآثار، ط ١، ٢٠٠٣م.
٣٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.
٣٥. الوسيط، محمد سيّد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط ١.

الشاهد القرآني مقتضى إقناعي في خطبة الديباج

للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

الملخص:

تعدّ بلاغة الإقناع منطلق البلاغة العربيّة وسمتها الناجعة، إذ انبثقت من الفلسفة والجدل اليونانيّ، ومنحت القول سلطة وقدسيّة، وتعدّ أيضًا مصدر انبعاث البلاغة الحديثة بعد عصور طويلة انحصر فيها اهتمام البلاغة في الصورة والحلية والمحسّنات الأسلوبية حتّى غدت بلاغة (مختزلة) بحسب قول جيرار جنيت، أو (ميّنة) بحسب قول رولان بارت، وبين المولد القديم والانبعاث الحديث تبرز حركة عربيّة إسلاميّة شكّلت فيها بلاغة الإقناع تجسيدًا لأجواء النضج العقليّ والصراع العقديّ والتي اعتمدت على مجال أجناسيّ تطبيقيّ هو: الخطبة .

يفرض خطاب الأئمة في أغلبه بوصفه جنسًا حجاجيًا أسلوبًا للتفاعل والتناظر بين مختلف الفئات والأفراد بما يشكّل ثقافة الحوار البديل الإنسانيّ عن العنف والتطرّف، ذلك أنّ بلاغة الإقناع تُمثّل الجواب المعرفيّ عن الاختلاف ونبذ صيحات الفرقة والاقصاء .

لقد تمظهرت قضية ذكر القضايا العقديّة والعباديّة في أغلب النصوص التي



وردت عن العلماء والمفكرين قديماً وحديثاً التي تؤكد صدق رأيهم فيها متّخذين في الحديث عنها مقدمات ومصاديق معرفيّة لتوكيدها، ولعلّ من أبرز مصاديقها وأقواها في الثقافة الإسلاميّة: الشاهد القرآنيّ .

وفي ضوء ذلك كان للبحث أن يوسم بـ(الشاهد القرآنيّ مقتضى إقناعيّ في خطبة الديباج للإمام عليّ بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام))، وقُسّم البحث على مقدّمة ومبحثين، الأول: الإطار النظريّ، وهو للتعريف بالمقولات والمصطلحات الواردة في البحث، وقُسّم على ثلاث فقرات، الأولى: الشاهد القرآنيّ وأهميته، والثانية: الخطبة/ خطبة الديباج، والثالثة: بلاغة الإقناع والتنظير والممارسة الإجرائيّة وعلاقتها بالحجاج، والمبحث الثاني: الإطار التطبيقيّ: وفيه كانت الخطوات الإجرائيّة للبحث ممثلة ببيان بلاغة الإقناع من خلال الأدلّة والبراهين غير الصناعيّة التي تجسّدت في الشاهد القرآنيّ للاستدلال به على مطلب عقائديّ أو فقهيّ أو سلوكيّ من خلال بيان المعنى العام للآية أوّلاً، ثمّ بيان محلّ الاستشهاد بها من الإمام عليّ بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام) في خطبة الديباج، وختم البحث بخاتمة عرضت أهمّ النتائج التي توصل إليها، ثمّ ثبت المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحيّة: الشاهد القرآنيّ، المقتضى الإقناعيّ، خطبة الديباج، الإمام عليّ بن أبي طالب.



Abstract:

The rhetoric of persuasion is the starting point of Arabic rhetoric and its most effective characteristic. Having emerged from Greek philosophy and dialectics, it granted speech authority and sanctity. It is also considered the source of the revival of modern rhetoric after long eras during which rhetorical interest was confined to imagery, ornamentation, and stylistic embellishments—becoming what Gérard Genette termed "reduced rhetoric" or what Roland Barthes called "dead rhetoric." Between its ancient origins and modern rebirth, an Arab-Islamic movement emerged in which the rhetoric of persuasion embodied intellectual maturity and ideological (theological) discourse, relying on a practical genre: the Sermon (Khutbah).

The discourse of the Imams, as a predominantly argumentative genre, imposes a style of interaction and debate among various groups, forming a "culture of dialogue" as a human alternative to violence and extremism. The rhetoric of persuasion represents the cognitive response to disagreement and the rejection of division and exclusion. The presentation of dogmatic and devotional issues is evident in most texts by scholars and thinkers, both ancient and modern, who employ cognitive premises and evidence to validate their views. Perhaps the most prominent and powerful of these evidences in Islamic culture is the Quranic Citation (Al-Shahid al-Qur'ani).

Accordingly, this research is titled: "The Quranic Citation as a Persuasive Necessity in the 'al-Dibaj' Sermon of Imam Ali bin Abi Talib (PBUH)." The study is divided into an introduction and two main sections. The first section establishes the theoretical framework, defining the key concepts through three



subsections: Quranic citation and its importance, the sermon (specifically the al-Dibaj sermon), and the theory and practice of the rhetoric of persuasion and its relationship to argumentation (Hajaj). The second section focuses on the practical application, analyzing the rhetoric of persuasion through "non-technical" proofs embodied in Quranic citations to substantiate theological, jurisprudential, or behavioral claims. This is achieved by clarifying the general meaning of the verse and then explaining the context of its citation by Imam Ali (PBUH) in the sermon. The research concludes with a summary of the most significant results, followed by a bibliography of sources and references.

Keywords: (Quranic Citation, Persuasive Necessity, al-Dibaj Sermon, Imam Ali bin Abi Talib).



المقدمة:

الحمد لله الذي منّ علينا بنبيه الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وآله، والصلاة والسلام على أفضل خلقه وأشرف بريته، أئمة الهدى وسفن النجاة آل البيت عليهم السلام المتتبعين، وبعد:

تعدّ بلاغة الإقناع منطلق البلاغة العربيّة وسمتها الناجعة، إذ انبثقت من الفلسفة والجدل اليونانيّ، ومنحت القول سلطةً وقدسيّة، وهي أيضًا مصدر انبعاث البلاغة الحديثة بعد عصور طويلة انحصر فيها اهتمام البلاغة في الصورة والحلية والمحسّنات الأسلوبية حتّى غدت بلاغة (مختزلة) بحسب قول جيرار جنيت، أو (ميّنة) بحسب قول رولان بارت، وبين المولد القديم والانبعاث الحديث تبرز حركة عربيّة إسلامية شكّلت فيها بلاغة الإقناع تجسيدًا لأجواء النضج العقليّ والصراع العقديّ التي اعتمدت على مجال أجناسيّ تطبيقيّ هو: الخطبة .

يفرض خطاب الأئمة في أغلبه -بوصفه جنسًا حجاجيًا- أسلوبًا للتفاعل والتناظر بين مختلف الفئات والأفراد بما يشكّل ثقافة الحوار البديل الإنسانيّ عن العنف والتطرّف، ذلك أنّ بلاغة الإقناع تمثّل الجواب المعرفيّ عن الاختلاف ونبذ صيحات الفرقة والاقصاء .

لقد تمظهرت قضية ذكر القضايا العقديّة والعباديّة في أغلب النصوص التي وردت عن العلماء والمفكرين قديمًا وحديثًا، التي تؤكّد صدق رأيهم فيها، متّخذين في الحديث عنها مقدّمات ومصاديق معرفيّة لتوكيدها، ولعلّ من أبرز مصاديقها وأقواها في الثقافة الإسلاميّة: الشاهد القرآنيّ .

وفي ضوء ذلك كان للبحث أن يوسم بـ(الشاهد القرآنيّ مقتضى إقناعي في خطبة الديباج للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)، وقسم البحث على مقدّمة ومبحثين،



الأول: الإطار النظريّ، وهو للتعريف بالمقولات والمصطلحات الواردة في البحث، وقسّم على ثلاث فقرات، الأولى: الشاهد القرآنيّ وأهمّيّته، والثانية: الخطبة: خطبة الديباج، والثالثة: بلاغة الإقناع التنظير والممارسة الإجرائيّة وعلاقتها بالحجاج، والمبحث الثاني: الإطار التطبيقيّ: وفيه كانت الخطوات الإجرائيّة للبحث ممثلة ببيان بلاغة الإقناع من طريق الأدلّة والبراهين غير الصناعيّة التي تجسّدت في الشاهد القرآنيّ للاستدلال به على مطلب عقائديّ أو فقهيّ أو سلوكيّ في بيان المعنى العامّ للآية أوّلًا، ثمّ بيان محلّ الاستشهاد بها من الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في خطبة الديباج، وختم البحث بخاتمة عرضت أهمّ النتائج التي توصل إليها، ثمّ ثبت المصادر والمراجع .



المبحث الأول: الإطار النظري: التعريف بالمصطلحات والمقولات الواردة في البحث

أولاً: الشاهد القرآني وأهميته^(١):

لا يختلف اثنان من المسلمين في مرجعية القرآن الكريم العلمية والدينية، وفي كونه الدليل القاطع عند الخلاف، وفي أنه المرجع لتمييز الحجّة عن غير الحجّة من الأخبار، بل في تقديم حجّة على أخرى فيما لو تعارضتا وكانت إحداها موافقة له دون الأخرى، على تفصيل مذكور في محله في علم أصول الفقه.

ولقد حظي القرآن الكريم بالاهتمام البالغ حفظاً وقراءةً وبحثاً ومتابعة لمفاهيمه، وتأسيساً على قوانينه، وتفريعاً على قواعده، الأمر الذي أدى إلى تأسيس علوم القرآن المختلفة، التي تستقي معارفها من آياته الكريمة، والاستشهاد القرآني سواء أكان أمثلة لقواعد، أم شواهد صدق، أو معضدة لفكرة، هو الآخر كان له حضور واضح في مختلف العلوم، ففضلاً على العلوم الدينية كالفقه وأصوله، والكلام والتفسير وغيرها، فإن العلوم الأخرى أيضاً أخذت نصيبها منه ولاسيما علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها.

وعليه، فإن المسلم إذا أراد أن يبين مطلباً دينياً، فإن من أهم ما يستند إليه لتقوية فكرته، وللاستدلال على دعواه، هي الآيات القرآنية الكريمة؛ لأن القرآن الكريم قطعي الصدور في جميع آياته، فلا يبقى على الباحث إلا أن يجد من الآيات ما يدل على موطن استشهاده - بالظهور أو النصّ والصراحة - ليستدل على ما يريد إثباته.

من هنا، كان من أهم مقومات البحوث الدينية والإنسانية عموماً هو استنادها

(١) اعتمدنا في هذا المورد على بحث: الشواهد القرآنية في التوقيعات المهدوية، الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي، مجلّة الموعود، العدد: ١٠، ذو الحجّة ١٤٤١هـ.



إلى آيات القرآن الكريم، بشرط الدقة في اختيار الآيات الكريمة، والبيان المقنع والجلي في مورد الاستشهاد أو الاستدلال بالآية.

إن الاستدلال بآية قرآنية على قضية، هو ما يحتاج إليه أي باحث في العلوم الدينية والعلوم الأخرى، وهذا لا يمنع من وجود أدلة أخرى من غير القرآن الكريم، لكنّه لو وجد دليلاً قرآنياً، فإنّه سيكون صاحب حجّة قويّة بلا شكّ.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه القيمة المعرفية للقرآن، كانت باعتبار أنّه معصوم، بمعنى أنّ ما جاء فيه هو مطابق للواقع تماماً، ولا يحتمل فيه غير ذلك، وهو ما صرح به القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، فقوة حجّته جاءت بوصفه معصوماً؛ لأنّه صادر عن الباري عزّ وجلّ.

وهذه المفارقة العلميّة متاحة، بمعنى: أنّها غير مقتصرة بالقرآن الكريم فحسب، بل هي تشمل كلام أي معصوم، فمادام الشخص معصوماً فكلامه يمثل الواقع نفسه، فلا يقبل الخطأ، ويكون هو والبديهي سواء. من هنا، كانت ألفاظ النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجّة مطلقاً، بل أفعاله وتقريراته؛ لأنّه كان معصوماً، وعليه تأسست على هذه العصمة ضرورة الأخذ بجميع ما يأتي به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاعته المطلقة، وعدم جواز الالتواء، ولا الاعتراض عليه بأيّ حال من الأحوال، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وعلى المنوال نفسه يلزم التعامل مع ما يثبت صدوره عن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إذ ثبت بالدليل القطعي أنّهم معصومون، فيثبت أنّ ما يصدر عنهم - من قول أو فعل أو



تقرير - يمثل عين الواقع، ولا نحتاج إلى دليل آخر غير محض قولهم.

ومع ذلك، نجد أن الأئمة عليهم السلام دائماً ما يستشهدون بالآيات القرآنية على ما يأتون به، فمثلاً روي عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ((إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَاسْأَلُونِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله تَمَى عَنِ الْقَيْلِ وَالْقَالِ وَفَسَادِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ. فَقِيلَ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَقُولُ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]، وَقَالَ: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١])^(١).

وعن عبد الأعلى مولى آل سام، قال: ((قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: عَثَرْتُ فَانْقَطَعَ ظُفْرِي فَجَعَلْتُ عَلَى إِصْبَعِي مَرَارَةً، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِالْوُضُوءِ؟ قَالَ: يُعْرَفُ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، اْمَسْحَ عَلَيْهِ))^(٢).

من هنا، قد يرد في الذهن تساؤل عن حاجة المعصوم عليه السلام للاستدلال أو الاستشهاد على كلامه ببعض الآيات القرآنية، مع أن عصمته كافية لإثبات قوله، وأنه هو الواقع. إن تبرير الاستشهاد بالآيات القرآنية من قبل المعصوم عليه السلام، لعله يكون كالآتي:

١ - ليس هناك تنافٍ بين كون قول المعصوم عليه السلام يمثل الواقع، وبين الاستشهاد عليه بآية قرآنية، فلا مانع من الجمع، بمعنى: أنه قد يكون استشهادهم عليهم السلام بالآيات

(١) الكافي: ١/ ٦٠.

(٢) م. ن: ٣/ ٣٣.



القرآنيّة هو لبيان أنّ المنبع الذي يستقون علمهم منه والمنبع الذي يرجع إليه القرآن هو منبع واحد، وهو منبع الوحي، الذي يكشف الواقع، ولا يبقى معه أيّ عذر للمخالفة.

٢ - منهجياً، فإنّ تراكم الأدلّة وتنوّعها ينفع في زيادة اليقين، والوصول به إلى حالة الاطمئنان، بحيث تركز النفس إليه أكثر ممّا لو تمّ الاستدلال عليه بدليل واحد.

٣ - إنّ الاستشهاد بالآيات ينفع في إثبات دعوى المعصوم لدى من لا يؤمن بعصمته من أبناء المذاهب الأخرى، والمعصوم هو في مقام إثبات الواقع لجميع من يطلبه، لا لخصوص شيعة والمؤمنين بعصمته.

٤ - ولعلّ الاستشهاد بالآيات يأتي في سياق تعليم الشيعة المنهجية العلميّة الرصينة لاستنباط الأحكام الشرعيّة والمعارف الدينيّة من القرآن الكريم، كما رأينا هذا واضحاً في رواية أبي الجارود ورواية عبد الأعلى المتقدّمتين.

٥ - في بعض الأحيان، يحتاج العالم إلى إبراز زوايا مختلفة من علمه ليثبت للطرف الآخر سعته المعرفيّة، وقدرته على الوصول إلى مراده عبر عدّة مناهج معرفيّة، الأمر الذي يقطع العذر على الآخر لو أراد أن يُخالف العالم في ما انتهى إليه.

ولعلّ المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ يستشهد أحياناً كثيرة بالآيات القرآنيّة من هذا الباب، ولاسيّما أمام منكري إمامتهم وعصمتهم.

٦ - فضلاً عن أنّ تراتبيّة الحجج - ولكون القرآن الكريم هو المنبع الأول لها، ثمّ سنّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تقتضي ذكر الدليل القرآنيّ أو الاستشهاد به ولو كان المتحدّث معصوماً، ولا يُقلّل هذا من شأن المعصوم، بل على العكس، هو يقوّي من مكانته العلميّة والروحيّة في النفوس؛ لكونه يتحدّث على وفق المنهج الإسلاميّ في ما يتعلّق بتراتيبيّة الحجج.



لهذه الأسباب وغيرها، نجد المعصومين عليهم السلام يؤيدون أقوالهم بآيات من القرآن الكريم.

وفي السياق نفسه، وجدنا أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يستشهد ببعض الآيات القرآنية الكريمة عند الاستدلال على كلامه في خطبة الديباج.

في هذه الورقات البحثية نحاول تسليط الضوء على الآيات القرآنية التي تم الاستشهاد بها، وقد وجدنا (٦) آيات كريمة جاءت للاستدلال بها أو الاستشهاد بها على مطلب عقائدي أو فقهي أو سلوكي، وسيتم بيان المعنى العام للآية أولاً، ثم بيان المقتضى الإقناعي منها عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثانياً: الخطبة / خطبة الديباج:

لسنا هنا بصدد الحديث عن الخطبة وتعريفها وأهميتها ومراحل تطورها في العصور المختلفة، فقد أفاضت الكتب والدراسات في هذا الأمر، وما نقوله يكون معاراً مكروراً، لكننا نقول بما يتصل بالجانب الإقناعي للخطابة، فقد كانت الخطابة من أقدم الفنون الأدبية في العالم ومن أكثرها ميلاً إلى الإقناع والحجاج، فقد وقف فلاسفة اليونان عند الخطبة وعدوها أهم فنون الأدب وأشاروا إلى دورها الكبير والمؤثر في المتلقي، وأثرها الإقناعي في المناسبات كافة، إذ ((حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة))^(١)، وهذا يدل على تفهم أفلاطون لأثر الخطابة الإقناعي في التأثير في الخصم وقلب الحقائق أحياناً أمام ناظره بما يمتلكه الخطيب من تأثير في المتلقي يحول الحقائق لديه من اتجاه إلى آخر، أما أرسطو فيرى: أن قيمة الخطابة تتجلى في قدرتها على الإقناع، وإمكاناتها في

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعي: ١٣ .



التأثير في من ألقيت عليه^(١)، فأرسطو يدرك الأثر الحجاجي للخطابة، وتأثيرها في المتلقي، عارفاً بأنّ المسعى الرئيس للخطابة لا يكمن في استعراض الإمكانيات الأدبية واللغوية بقدر سعيه إلى جرّ المتلقي إلى دائرة التأثير .

أمّا في تراثنا العربيّ فقد وقف علماء العربيّة عند الدور الإقناعي للخطبة مركّزين على تأثيرها النفسيّ في المتلقي، فقد وقف الجاحظ عند صفات الخطيب، ومراعاته لوقت الخطبة، ومستوى السامع، وكذلك فعل القرطاجنيّ وابن الأثير، بيد أنّ ((أول من استخدم آليات حجاجية لوصف الاستعارة هو إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجانيّ، فقد أدخل مفهوم الادّعاء بمقتضياته التداوليّة الثلاثة: التقرير والتحقيق والتدليل، كما استفاد في ثنايا أبحاثه من مفهوم التعارض))^(٢)، ثمّ وقف ابن الأثير عند التأثيرات الحجاجية للألفاظ والتراكيب، وأثرها في إقناع المتلقي والتأثير فيه، وتغيير قناعاته، وإبعاده عن الفكر الذي يحمله، وتخليصه ممّا علق في دواخله بواسطة التأثير النفسيّ الإقناعي لخطبة الخطيب^(٣).

يعدّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام - وهو الخطيب المفوّه والبلاغيّ المبرّز في فنّه - من أكثر الخطباء قدرة على توظيف اللغة في الإقناع عبر ممارسة إقناعية لا قسريّة تُخاطب العقل البشريّ، وتقوم على الإقناع، وبناء وعي جديد عبر هدم المنظومة الفكرية الناجمة عن الوعي السابق، وبناء منظومة فكرية جديدة ناجمة عن قناعات جديدة نشأت بعد المحاورّة؛ ذلك أنّ النصوص الخطابية في نهج البلاغة تتكئ على منظومة ثقافية ومعرفية هائلة تغترف من القرآن الكريم، والسنة النبوية لتبني صرح

(١) ينظر: النقد الأدبي عند اليونان: ١٤٩ .

(٢) اللسان والميزان: ٣١٣ .

(٣) للتفصيل في ذلك ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير: نعيمة يعرّان، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري الجزائر ٢٠١٢م .



عطائها الموجّه للنفس البشريّة، والرادع للأهواء الشخصيّة .

ويُعدّ نهج البلاغة من أكثر مصادر الخطب في الأدب العربيّ عنايةً باللغة، فقد وُصف كلام الإمام عليّ بأنّه: ((دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين))^(١)، وهو كتاب وظّف تقنيات الإقناع، فقد كان الإمام عليّ عليه السلام يتّخذ من الكلمة سلاحاً محاولاً أن يدحض الباطل بحججه المنطقيّة، وأسلوبه الذي يُفجّم الخصم، ويجعله في دائرة ضيقة لا تُتيح له فرصة مقارعة الحجّة بالحجّة، والحجاج عند الإمام عليّ عليه السلام مطاوع لسلاسة اللغة الأدبيّة، تنازّر فيه خاصيّة الإقناع مع لغة أدبيّة عالية لا يرتقي إليها إلا من امتلك أسرار اللغة ومفاتيحها.

ومن مصاديقها خطبته عليه السلام الديباج التي ذُكر بعضها في نهج البلاغة، لكنّها وردت في مصادر أخرى أقدمها كتاب (تحف العقول عن آل الرسول)، والديباج في اللغة مأخوذة من: ((ديبج: الدبج: النَّقْشُ والتزيين، فارسيّ معرّب، ودبج الأرض المطرّ يدبجها دبجاً: رَوَّضَهَا، والدبج: ضَرْبٌ من الثياب، مشتق من ذلك، بالكسر والفتح، مؤلّذ، والجمع دباييج ودباييج، قال ابن جنّي: قولهم دباييج يدلّ على أنّ أصله دباج، وأنهم إنّما أبدلوا الباء ياء استتقلاً لتضعيف الباء، وكذلك الدينار والقيراط، وكذلك في التّصغير. وفي الحديث ذُكر الدبج، وهي الثياب المتخذة من الإبريسم، فارسيّ معرّب، وقد تُفتح داله، وسمّى ابن مسعود الحواميم ديباج القرآن))^(٢).

وفيها -خطبة الديباج- وصايا ودعوة صادقة من الإمام عليّ عليه السلام إلى عباد الله للإلتزام بتعاليم الله سبحانه وتعالى ولاسيما في أصول الدين، وفيها إشارة واضحة إلى احتقار الدنيا، وعدم الاغترار بها، وعظّم في قلوبهم الآخرة التي هي دار القرار.

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٤ / ١.

(٢) لسان العرب: ٢ / ٢٦٢ مادة (ديبج).



ثالثاً: بلاغة الإقناع التنظير والممارسة الإجرائية:

قبل بيان بلاغة الإقناع تنظيراً وإجراءً لابد لنا من التعرّيج على مفهوم الحججاج لغة واصطلاحاً حتى تتضح العلاقة بين الحججاج وبلاغة الإقناع .

الحجاج لغة واصطلاحاً:

ينطوي النصّ الحججائي على احتمالات نسقيّة وإحالات إشاريّة ذات أبعاد ثقافيّة فاعلة تتوسّل باللغة وأنظمتها المتشابكة من أجل تشكيل فضاءات ما وراثيّة للمعنى في إطار السياق الكليّ للنصّ^(١).

ونتيجة لتفاعل الذوات الحججائيّة في بنية المقولات الحججائيّة وما يكتسي هذا التفاعل من جدال وإقناع وتأثير تسعى الذوات إلى البرهنة وإثبات الفاعليّة، فإنّ النصّ الحججائيّ يُصبح مداراً للدلالات كثيرة ممّا يجعل النصّ ((غير مغلق على جهازه اللغويّ والمعنويّ))^(٢) الذي سنحاول بيانه على النحو الآتي:

الحجاج لغة:

تقدّم المعجميّة العربيّة رؤيتها للحجاج إذ تدور معاني الجذر اللغويّ لكلمة (حجاج) (ح ج ج) على المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شابه، وفيه الدليل على الرأي المرغوب إثباته، وهذا ما نجده واردًا في بعض المعجمات العربيّة، فمنها من أورد معنى الحججاج ((غلبه بالحجّة، أو حاجّه محاجّة، وحجاجًا جادله، واحتجّ عليه، أقام عليه الحجّة، وعارضه مستنكرًا فعله، وتحاجّوا: تجادلوا، والحجّة: الدليل والبرهان))^(٣).

(١) ينظر: بلاغة الحججاج في النصّ الشعريّ: ٢٥٥ .

(٢) زمن النصّ: الزمن وتفكيك الوحدة الأيديولوجية للنصّ: ١٠٧ .

(٣) المعجم الوسيط: ١٠٦/١ - ١٠٧ .



يظهر من هذا القول أن الحجاج يكون لخصومة، وهذا ما دلت عليه كلمة (غلبه) وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يقيم الحجّة والبرهان على صحّة ما يدعى، وما دام هناك خصومة فالجدال هو المظهر الذي يُجسّد صورة الخطاب الحجاجي^(١) وقد ورد في أساس البلاغة ((حاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج))^(٢) ومعنى محجوج، أي: مغلوب والشخص المتكلم الغالب المُحاججُ والسامع المُحاججُ المغلوب، أي إنه اقتنع بحجّة المتكلم. ومما يزيد هذا المعنى قوّة ما قيل في لسان العرب: ((فالحجّة ما دُفِعَ به الخصم، ورجل مُحجّاج أي جدلّ، والتحاج التخاصم، واحتجّ بالشيء اتّخذ حجّة))^(٣)، وبذلك فمن يدعي صحّة رأيه عليه إثبات ذلك.

وقد ورد لفظ الحجاج في عدة آيات في القرآن الكريم منها: قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الانعام: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧].

(١) ينظر: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته: ٢٦٨ .

(٢) أساس البلاغة: ٧٤ .

(٣) لسان العرب: ١٢/٢٩٩ مادة (حجج) .



الحجاج اصطلاحًا:

إذا ما تفحصنا المقولات المعجمية^(١) والبلاغة العربية^(٢) وكذلك البلاغة الأرسطية في الخطاب الحجاجي^(٣)، فإننا نلاحظ أنها تتقاطع لتمعور حول البرهانية والاستدلال في علاقتها بالحجاج، ولهذا يُدرَك الحجاج بوصفه ((حججًا منطقيّة إقناعيّة دفاعيّة توظّف من قبل المجادل بغية إقناع الجماهير))^(٤).

وأما بيرلمان فإنه يحدّد الحجاج اصطلاحًا في ضوء البلاغة المعاصرة بوصفه: ((جملة من الأساليب تظطلع في الخطاب بوظيفة تحفّز المتلقّي على الإقناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع))^(٥)؛ وبذلك ((يُعدُّ الحجاج خطابًا ذا إقناعيّة تروم دفع المتلقّي إلى تغيير اعتقاداته، وتبني ثقافة وسلوكات وتصرفات منشودة، انطلاقًا من حجج ملائمة لثقافة المتلقّي المفترض وتمثّلاته))^(٦)، والحجاجيّة وهي المصطلح المفضّل لدى إريك كراب تبتني ((على جملة من التصوّرات والمقدّمات والفرضيات التي ينسج منها المحاجج خططه البرهانيّة، فهذه المقدّمات يُستمال المعنيّون، كما أنّ لهم الحقّ في رفضها إذا لم تنسجم مع

(١) ينظر: لسان العرب: ١٢/٢٩٩ مادة (حجج).

(٢) ينظر مثلاً: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٦٢.

(٣) ينظر: الخطابة: ٢٢٦.

(٤) Blair, J. Anthony, Everyday Argumentation from an informal logic perspective, ٣٥٨.

نقلًا عن بلاغة الحجاج في النصّ الشعريّ: ٢٥٧.

(٥) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٢١.

(٦) الأسس النظرية لبناء شبكات قرائيّة للنصوص الحجاجية: ٣٣٦، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته.



تصوّراتهم، أو كانت من البساطة أو السطحيّة بحيث لا تُمثل أيّ عنصر جذّاب^(١)، كما نرصد تعريفاً آخر للحجاج بالنظر إليه على أنه: ((وسيلة المتكلّم في جعل المتلقّي يتقبّل آراءه وأجهاثه، وانتقاداته وتوجيهاته))^(٢).

أمّا الحجاج عند ديكر، فهو يُفرّق بين معنيين للحجاج: المعنى الإعتياديّ، والمعنى الفنّي أو الاصطلاحيّ والحجاج موضوع النظر في التداوليّة المدججة هو بالمعنى الثاني. والذي يعيننا في هذا البحث هو الحجاج بالمعنى الفنّي الذي يدلُّ على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلاليّة^(٣)، وصفوة القول ممّا تقدّم أنّ الحجاج عند ديكر و زميله انسكومير يتركز على قاعدة لسانيّة بحثة، فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس، بل يكمن فيها، في حين الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه مثل نظرة منطقيّة وهذا ما يُنزّل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطب وجمهوره.

يشكّل الإقناع لبّ الدراسات الحجاجيّة، فوظيفته موشحة بأطياف البلاغة والحجاج، وعليه كانت ((علاقة البلاغة والحجاج بالإقناع - وما زالت - موضوعاً للنقد الأدبيّ في مختلف الثقافات، إذ شغلت الدارسين، ودفعتهم نحو البحث فيها، وتقصي أطرافها، وبيان طبيعتها؛ لأنّ هذه العلاقة تقدّم مصلحة للذات وللجماعة إذ تضرب فائدة المصلحة في درج البنية الذهنيّة للمخاطب وتحريكها كي تحدّد الذات المتكلّمة هويّتها وسط خريطة المجتمع والوجود بشكل عام، إذًا هي علاقة تعبر

(١) (krabbe، Erik، theory of Argumentaion and the Dialectical Garb of For) (١) mal logic، p ١٢٣.

نقلًا عن بلاغة الحجاج في النصّ الشعريّ: ٢٥٩.

(٢) الحجاج في رسائل ابن عبّاد الرنديّ: ٢٨٤.

(٣) ينظر: التداولية والحجاج: ٢١.



عن قيمة اجتماعية وإنسانية عليا، ألا وهي قيمة التواصل^(١).

والإقناع هو ((كُلُّ محاولة مؤثِّرة تسعى إلى تغيير رأي الآخرين))^(٢)، أو هو تأثير المرسل في المرسل إليه بطريقة مناسبة، ومساعدة على تحقيق الأهداف المرغوبة^(٣). والتأثير هو الحالة التي يكون عليها المتلقِّي في أثناء التعرُّض لعملية الإقناع، أو لعملية استقبال الرسالة وتفاعله معها، فالتأثير هو إرادة وفعل لتغيير آراء الآخرين واعتقاداتهم أو تعديلها، أمَّا التَّأثُّر فهو النتيجة المتحقِّقة من خلال عملية التأثير، وبهذا يكون التأثير مرادفاً للإقناع^(٤).

والإقناع نوعان: عقلائيٌّ ومخادع، فالعقلائيُّ: هو أحد أشكال السيطرة الإيجابية على الآخر؛ لأنَّه يُضمِّر الخدمة الإنسانية لا المصلحة الضيقة، ويضمِّر المعلومة الصحيحة لا المزيفة، وتكون غاية المرسل فيه نبيلة وأخلاقية، ويتمُّ ذلك بوساطة العقل واستدلالاته، أمَّا الإقناع المخادع: فهو صورة غير آمنة للاتِّصال، فهو لا يتضمَّن نقل المعلومة الصحيحة، ولا يتوافق مع المبادئ الأخلاقية السليمة^(٥).

وفي هذه الورقيات البحثية سنعالج مظهر الشاهد القرآني بوصفه مقتضى إقناعياً في كلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في خطبة الديباج.

(١) بلاغة الإقناع في الشعر الأندلسي في عصري دول الطوائف ودولة المرابطين: ٤٦ .

(٢) نظريات في أساليب الإقناع - دراسة مقارنة - : ٢١ .

(٣) ينظر: الإقناع والتخييل في شعر أبي العلاء (رسالة ماجستير): ١٢ .

(٤) ينظر: م. ن: ١٢ .

(٥) ينظر: نظريات في أساليب الإقناع - دراسة مقارنة - : ١١٧ - ١١٨ .



المبحث الثاني: الإطار التطبيقي:

يقول أرسطو عن الأدلة والبراهين ((وأما الأدلة والبراهين فبعضها مستقل عن الفن ليس من صنعنا، وبعضها الآخر تابع له أي من عملنا واختيارنا))^(١)، فأرسطو قسم البراهين والأدلة على قسمين: أدلة غير صناعية (ليست من صنعنا) ويطلق عليها أيضًا التصديقات غير الصناعية أو الجاهزة أو الأدلة الخارجة عن الفن، وأدلة صناعية (أي من عملنا واختيارنا) وتسمى أيضًا التصديقات الصناعية أو غير الجاهزة أو الأدلة داخل الفن^(٢).

وبعد ذلك فصل أرسطو كل قسم من القسمين، فمن الأدلة غير الصناعية الاعترافات تحت التعذيب والشهود والقوانين وأقوال الحكماء، وهي أدلة وبراهين لا يستطيع الخطيب التصرف فيها، ويقتصر عمله على حُسن توظيفها بترتيبها وإبرازها وتنظيمها^(٣). أما الأدلة الصناعية فتقسم بدورها على أدلة ذاتية نفسية ترتبط بالمقام، حددها في الإيتوس أي أخلاق الخطيب وشخصيته، والباتوس أي أحوال المستمعين ومشاعرهم، وأدلة موضوعية تتعلق بالعبارة نفسها وتفرع بدورها إلى القياس المضممر ويكون إما استدلالياً أو تفنيدياً، والمثل ويكون إما تاريخياً ميتولوجياً، أو مبتدعاً خرافياً^(٤).

الأدلة والبراهين غير الصناعية/ الشاهد القرآني:

يبرز هذا النوع من الحجج في أجناس الخطاب المختلفة من طريق توظيف

(١) الخطابة: ٨٤.

(٢) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي: ٢٠٧.

(٣) ينظر: البلاغة القديمة ضمن كتاب الحجج مفهومه ومجالاته: ١٠٢.

(٤) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي: ٢٤.



الشاهد الدينيّ أو الأدبيّ، وهو ((مقطع من نصّ يؤخذ من سياقه الأصليّ ويُدرج في سياق آخر بطريقة ما، لتحقيق وظيفة ما، فهو نقطة تقاطع بين نصّين مختلفين... كإدراج الأمثال في الخطب والرسائل، أو اقتباس القرآن الكريم))^(١).

ويُعدُّ الشاهد تلخيصاً لفكرة تمّ طرحها أو تكراراً لها، إلا أنّ هذا التكرار مفيد ((فلا إعادة نصّ قديم في سياق جديد أثر في توجيه القارئ العارف بالسياق الذي أخذ منه الشاهد، فهي تُنشِط ذاكرته وتُحيله على نصوص أخرى تختفي وراء الشاهد))^(٢). إنّ الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والآيات الشعريّة والأمثال والحكم تمتلك سلطة مرجعيّة تجعلها قادرة على إقناع المتلقّي، وإفحام الخصم، فهي ((حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها، ومن مصادقة الناس عليها وتواترها))^(٣)، إلا أنّ نفوذ هذه الشواهد/ الحجج يتفاوت، فالقرآن الكريم بوصفه كلام الله سبحانه وتعالى لا تضاهيه حجّة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة، يليه الحديث الشريف، فهو كلام من لا ينطق عن الهوى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمّ أقوال الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وكلامهم امتداد طبيعيّ للسلسلة المقدّسة المبتدئة بالإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ والمنتھية بالقائم المهديّ عجل الله فرجه الشريف، ثمّ الشعر ديوان العرب وجامع أخبارها وسيرها، وأساس الحضارة العربيّة الإسلاميّة، إذ ((يكاد يُجمع المهتمّون بها على أنّ شأن الشعر فيها، لا يوجد في حضارة سواها))^(٤).

ولعلّ خير دليل على مكانة الشعر وأهمّيّته في الثقافة العربيّة الإسلاميّة، أنّه كان ملجأ المفسّرين لفهم كتاب الله عزّ وجلّ وكشف مقاصده، ممّا أكسبه ((حجّية قويّة

(١) الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن السادس للهجرة (مشروع قراءة انشائية): ٣٩٩.

(٢) م.ن: ٤٠٠.

(٣) في بلاغة الخطاب الإقناعي: ٦٥.

(٤) خطاب المناظرة: ٢٠٦.



وفعالة في تحقيق الترحيح، وفي قطع الشغب، وفي إيقاع التصديق^(١)، ثم يأتي دور الأمثال والحكم بعد الشعر، وإذا أردنا توظيف مفاهيم السلم الحجاجي عند ديكرول لإدراج هذه الشواهد/ الحجج فستظهر لنا الترسمة الآتية:

(ن) نتيجة

القرآن الكريم	1ق
الحديث النبوي الشريف	2ق
أقوال الأئمة عليهم السلام	3ق
الشعر	4ق
الأمثال والحكم	5ق

الشاهد القرآني وتطبيقاته في خطبة الديباج للإمام علي بن أبي طالب ﷺ:

وظّف الإمام علي بن أبي طالب ﷺ الشاهد القرآني بوصفه سلطة تمتلك نفوذاً ومصداقية، ممّا يجعل منه ((الحجة العليا))^(٢)، فالفعل الحجاجي الذي يتمّ به أكثر إقناعاً؛ لأنه متأثّر من سلطة غير شخصية؛ لأنّ العقيدة والكتاب المقدّس للمسلمين عامّة، فهو يشكّل مصداق إجماع عام تأتي من بعده الحجج الأخرى، وقد استعمله الإمام علي ﷺ بعدّة مواضع في خطبته، ممّا يؤكّد مصداقه الذي لا يقبل الشكّ مطلقاً. ففي خطبته ﷺ الديباج يوظّف الشاهد القرآني بوصفه حججاً مثبتة تضمن التعضيد والتأكيد لموقفه وعلى النحو الآتي:

(١) خطاب المناظرة: ٢٠٧.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٦٢.



الآية الأولى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الأعراف: ٢٠].

المعنى العام للآية:

أي أصغوا له سمعكم، لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبه، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه^(١).

المقتضى الإقناعي:

وكلام الإمام علي عليه السلام مصداق لهذه الآية وتأکید لها، إذ المبدأ الأساس في توجيه الآية هو استماع وإنصات، وقوله عليه السلام متحصّل بعدي من طريق التعلّم والتفقه والاستشفاء، وإحسان التلاوة، فيقول: ((وَتَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُ الْمَوْعِظَةِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ، فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ))^(٢).

الآية الثانية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ

الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

المعنى العام للآية:

أي: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها، وراجع الحق، فنهى الله أن يُعَيَّرَ بما سلف من عمله^(٣).

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٩.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ١٠٥.

(٣) ينظر: الدر المشور: ٥٦٣/١٣.



المقتضى الإقناعي:

وكلامه عليه السلام تعضيد لهذه الآية مع توجيهات أخرى ودعوات صادقة يجب على المؤمن الأخذ بها، فيقول: ((ولا تفاخروا بالآباء... ولا تمازحوا ولا تغاضبوا ولا تباذحوا))^(١).

الآية الثالثة: ﴿أَيُّبٌ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢].

المعنى العام للآية:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيُّبٌ أحدكم أيُّها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته مَيْتًا، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه؛ لأنَّ الله حَرَّمَ ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حيًّا، كما كرهتم لحمه مَيْتًا، فإنَّ الله حَرَّمَ غيبته حيًّا، كما حَرَّمَ أكل لحمه مَيْتًا^(٢).

المقتضى الإقناعي:

وكلامه تأكيد لقوله تعالى في حديثه عن الغيبة، فيقول: ((ولا يغتاب بعضكم بعضًا))^(٣).

الآية الرابعة: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

المعنى العام للآية:

فمن تطوَّع بالسعي والطواف بين الصفا والمروة؛ لأنَّ الساعي بينهما لا يكون متطوعًا بالسعي بينهما إلا في حجِّ تطوَّع أو عمرة تطوَّع؛ وإذ كان ذلك كذلك كان معلومًا أنَّه إنما عنى بالتطوع بذلك التطوَّع بما يعمل ذلك فيه من حجِّ أو عمرة،

(١) تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ١٠٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢/٣٠٤.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ١٠٧.



فالحجُّ فريضة، والعمرة تطوُّع، وليست العمرة واجبة على أحد من الناس^(١).
 الآية الخامسة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

المعنى العام للآية:

أي: ليعن بعضكم بعضًا، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا
 عما نهى الله عنه، وامتنعوا منه^(٢).

الآية السادسة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

المعنى العام للآية:

أي: أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر^(٣).

المقتضى الإقناعي:

ذكر الإمام علي عليه السلام هذه الآيات متتالية لتكون مصاديق لما ذكره قبلها وتأكيدًا
 واستمرارًا لها، بما دعا إليه من صفات يجب أن يتحلَّى بها المؤمن، فيقول: ((وجاهدوا
 في سبيل الله، واقربوا الضيف، وأحسنوا الوضوء، وحافظوا على الصلوات الخمس
 في أوقاتها، فإنها من الله عز وجل بمكان))^(٤). ومما تقدم نرى أن الحجج القرآنية التي
 أوردها الامام علي عليه السلام لا تشكل مطلبًا نقليًا، بل هي توسع عقلائي جديلي يجعل المنع
 والإثبات على حدٍّ سواء مبنيين استدلالياً وإقناعياً.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٧١ / ٢.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: ٣٣ / ٦.

(٣) ينظر تفسير الطبري: ٢٧٥ / ٦.

(٤) تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ١٠٧.



الخاتمة

بعد حمد الله وتوفيقه آن لنا أن نختم بحثنا بعد أن نظرنا إلى بلاغة الإقناع بوصفه منهجاً لتحليل الخطاب عبر بنيته واساليبه وآلياته اللغوية، وأن نشرع ببيان نتائج بحثنا وهي كالآتي:

١- حدّدنا الشاهد القرآني وأهميته فكانت الآيات الكريمة التي ذكرها الإمام علي عليه السلام جاءت للاستدلال بها أو الاستشهاد بها على مطلب عقائدي أو فقهي أو سلوكي. وكان الاشتغال عليها من طريق بيان المعنى العام للآية أولاً، ثم بيان المقتضى الإقناعي منها عند الإمام علي عليه السلام.

٢- لسنا هنا بصدد الحديث عن الخطبة وتعريفها وأهميتها ومراحل تطورها في العصور المختلفة، فقد أفاضت الكتب والدراسات في هذا الأمر، وما نقوله يكون معاراً مكروراً، لكننا تحدّثنا بما يتّصل بالجانب الإقناعي للخطابة.

٣- دارت معاني الحجج في معاجم اللغة حول معاني التنازع والتخاصم والتغالب بواسطة الأدلة والبراهين والحجج بين طرفين، وهو بذلك يكون مرادفاً للجدل الذي يقابل الحجّة بالحجّة.

٤- وُظّفت معاني الاحتجاج الاصطلاحية دلالات تواصلية عبر وسائل وأدوات منطقيّة وبلاغية كفيّلة بإحداث التأثير والتوجيه والإقناع من طريق التنفيذ أو الحثّ أو الدعم من دون تعسّف أو إكراه.

٥- بلاغة الإقناع تشكّل لبّ الدراسات الحجاجية، فوظيفته موشحة بأطياف البلاغة والحجاج، والإقناع هو كلّ محاولة مؤثّرة تسعى لتغيير رأي الآخرين والتأثير فيهم.



٦- حاول البحث استكناه الشاهد القرآني بوصفه مقتضى إقناعياً أوردته الإمام عليّ عليه السلام في خطبة الديباج، وكان الاشتغال عليه من طريق بيان المعنى العام للآية أولاً، ثم بيان المقتضى الإقناعي منها عند الإمام عليّ عليه السلام .

ثبت المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

١. أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.
٢. الإقناع والتخييل في شعر أبي العلاء المعري، ابن إبراهيم إبراهيم، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران، ٢٠١٥ م.
٣. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، د. حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ط ١، ١٩٩٨ م.
٤. بلاغة الإقناع في الشعر الأندلسي في عصري دول الطوائف والمرابطين، د. فرقان الدباغ، دار أجد للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٢٠ م.
٥. بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط ١، ٢٠١٣ م.
٦. بلاغة الحجاج في النصّ الشعريّ، دالية الراعي التميزي نموذجاً، د. يوسف محمود عليمات بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٩) .
٧. تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرانيّ، من أعلام القرن الرابع، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٧، ٢٠٠٢ م.
٨. التداولية والحجاج - مداخل ونصوص، صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠٠٨ م.



٩. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة (د.ت).
١٠. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤م.
١١. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيتة وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، أربد، ط ١، ٢٠٠١م.
١٢. الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، يمينة تابتي، بحث منشور في مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد (٢) ٢٠٠٧م.
١٣. الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، نعيمة يعرآن، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢م.
١٤. الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيل علوي وآخرون، عالم الكتب الحديث أربد، ط ١، ٢٠١٠م.
١٥. الخطابة، ارسطو، ترجمة عن اليونانية وشرحه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
١٦. خطاب المناظرة في التراث العربي (مقاربات لآليات بلاغة الإقناع) أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
١٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت (د.ت).
١٨. الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن السادس للهجرة (مشروع قراءة إنشائية)، صالح بن رمضان، رسالة ماجستير، كلية الآداب، منوبة، ٢٠٠١م.
١٩. زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الابدولوجية للنص، حركية الزمن،



الإيدلوجي، المعرفي، جمال الدين الخضور، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

٢٠. الشاهد القرآنية في التوقيعات المهدوية، الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي، مجلّة الموعود، العدد: ١٠، ذو الحجة ١٤٤١هـ.

٢١. في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيّة، الخطابة في القرن الأوّل نموذجًا، د. محمد العمري، سلسلة الدراسات النقدية، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٦م.

٢٢. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تح: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٣ ش.

٢٣. لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

٢٤. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.

٢٥. مصطلح الحجاج بواعثه وتقنيّاته، الأستاذ عباس حشاني بحث منشور في مجلة المخبر جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (٩) ٢٠١٣م.

٢٦. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المكتبة الإسلاميّة، ط٢، (د.م) (د.ت).

٢٧. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.

٢٨. نظريّات في أساليب الإقناع -دراسة مقارنة-، د. علي رزق، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢٩. النقد الأدبي عند اليونان، د. بدوي طبانة، مكتبة الانجلو المصريّة، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.

أثر الإمام عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيان التوحيديّ (ت ٤١٤هـ)

أ.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي
جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

الملخص:

يهتمّ البحث بدراسة أثر الإمام عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيان التوحيديّ (ت ٤١٤هـ)، وقد قُسم البحث على: تمهيد: ندرس في الفقرة الأولى: مفهوم الأثر، في اللغة والاصطلاح، وفي فقرته الثانية: نتطرق إلى ذكر لمحة موجزة عن أبي حيان التوحيديّ وثقافته وتراثه.

المبحث الأول سيهتمّ بدراسة أثر الإمام عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) من الجانب الدينيّ، أي الأفكار والمعاني القرآنيّة التي استقاها الإمام عليّ عليه السلام من القرآن الكريم، ووظفها أبو حيان التوحيديّ في كتابه (البصائر والذخائر). وفي المبحث الثاني نحاول إبراز الأثر البلاغيّ للإمام عليّ عليه السلام فيما نقله التوحيديّ في كتابه الآنف الذكر. أمّا المبحث الثالث فسوف يُخصّص بكشف الجوانب المعرفيّة القرآنيّة التي استفاد منها التوحيديّ في كتابه (البصائر والذخائر)، وقد جاءت بطرق متعدّدة وتوظيفات متنوّعة، وفي الختام نوضّح أهم ما توصلت إليه دراستنا ومن الله التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحيّة: القرآن الكريم، الإمام عليّ عليه السلام، أبو حيان التوحيديّ،

الأثر البلاغيّ، البصائر والذخائر.

Abstract:

This research explores the influence of Imam Ali (PBUH) in the seminal work "Al-Basa'ir wa al-Dhakha'ir" by Abu Hayyan al-Tawhidi (d. 414 AH). The study is structured into an introduction and three main sections:

Introduction:The first part examines the concept of "Influence" (Al-Athar) from both linguistic and terminological perspectives.

The second part provides a concise biographical sketch of Abu Hayyan al-Tawhidi, highlighting his intellectual upbringing and literary heritage.

Section I:Investigates the religious dimension of Imam Ali's (PBUH) influence in the book, focusing on the Quranic ideas and meanings derived by the Imam and subsequently employed by Al-Tawhidi within his narrative.

Section II:Sheds light on the rhetorical and eloquence-based impact of Imam Ali (PBUH) through the various accounts and texts transmitted by Al-Tawhidi in the aforementioned work.

Section III:Dedicated to uncovering the Quranic-cognitive aspects that Al-Tawhidi drew upon, illustrating the diverse methods and functional applications used to integrate these insights into the text.

Conclusion:Summarizes the study's most significant findings and results.

Keywords:The Holy Quran, Imam Ali (PBUH), Abu Hayyan al-Tawhidi, Rhetorical Influence, Al-Basa'ir wa al-Dhakha'ir.



المقدمة:

لقد كان الامام عليؑ منبعاً للعلم ومعيناً لا ينضب، فهو في سلوكه مدرسة علمية واجتماعية لمن أراد التزوّد منها، يجد كثيراً من المواقف والآراء السديدة التي تعينه، وفي كلّ مجالات الحياة كان تأثيره جلياً واضحاً مهما اختلفت الأزمنة أو تغيرت الأمكنة، والذي دعانا إلى اختيار هذا العنوان هو الحضور الواضح والتأثير الكبير الذي تركه الإمام عليؑ في مؤلفات الكتاب من بعده، ومن أشهر كتاب العصر العباسي الرابع اخترنا الكاتب الموسوعي أبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ) الذي أثرى المكتبة الإسلامية بمجموعة كبيرة من الكتب المتنوعة في مجالات بحثها، وقد وقع اختيارنا على كتابه الموسوم (البصائر والذخائر)؛ لما وجدنا فيه من قوّة التأثير والحضور الجليّ لآراء الإمام عليؑ ومقولاته، فكان البحث قد انصبّ على بيان هذا التأثير وكشف فاعليته في الكتاب وفي شخصيّة المؤلف؛ لذلك قُسم البحث على: تمهيد، وهو نظرة إلى معنى التأثير في اللغة والاصطلاح والآراء التي قيلت فيها، ثمّ انتقل البحث إلى تقديم لمحة موجزة عن مؤلّف كتاب (البصائر والذخائر)، لينتقل البحث بعدها إلى دراسة أثر الإمام عليؑ في كتاب (البصائر والذخائر) من الجانب الديني، أي الأفكار والمعاني القرآنية والصور والقيم القرآنية التي استقاها الإمام عليؑ من القرآن الكريم ووظّفها أبو حيان التوحيدي في كتابه (البصائر والذخائر)، إذ بدا لنا التأثير واضحاً حين يعضد التوحيدي آراءه بما ورد من كلام الإمام عليؑ، وفي المبحث الثاني الذي تناولنا فيه دراسة حول الأثر البلاغيّ للإمام عليؑ فيما نقله التوحيدي في كتابه (البصائر والذخائر). أمّا المبحث الثالث: فقد اختصّ بكشف الجوانب المعرفية القرآنية التي استفاد منها التوحيدي في كتابه (البصائر والذخائر)، وقد جاءت بطرائق متعدّدة وتوظيفات



متنوعة، أكدت على عمق التأثير الذي تركه الإمام علي (ع) في كتاب التوحيد، ليخرج البحث إلى نتائج قد تمّ تفصيلها في خاتمته.

تمهيد:

أولاً: مفهوم الأثر في اللغة والاصطلاح:

١- في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور ((الأثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور . وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده . وأَثَرُهُ وتأَثَرْتُهُ: تَبَعْتْ أَثَرَهُ؛ عن الفارسي . ويقال: أَثَرَ كذا وكذا بكذا وكذا أي أَتْبَعَهُ إِياه . والأثر، بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء . والتأثير: إِبْقَاءُ الأثر في الشيء))^(١). ويعني ما تبقى من الشيء إن قلّ أو كثر. وفي القرآن الكريم وردت لفظة الأثر ومشتقاته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]، وقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، أي: أثر صلاتهم يظهر في وجوههم. فالمعاني اللغوية تدور حول بقاء جزء من شيء أو كلّ، أو اقتفاء الأثر، وتفضيل الغير على النفس .

٢- الأثر في الاصطلاح:

ذكر الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) مجموعة من المعاني المقررة للأثر، سواء منها اللغويّ أم الاصطلاحية الخاصّة بأهل الاصطلاح من الفقهاء، فقال: ((الأثر له أربعة معان، الأوّل بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الخبر، والرابع ما يترتب على الشيء، وهو المسمّى بالحكم عند

(١) لسان العرب: مادة (أثر) .



الفقهاء))^(١)، وهنا يدلّ على أنّ الأثر في الاصطلاح قد استمدّ معانيه من الجذر اللغويّ، وقد دُرِس عند علماء العرب في حقل الحديث النبويّ الشريف، والأثر عند الأصوليين هو ((الدليل الذي ثبت به كون الوصف حجّة، ويعرف كونه علّة هو الأثر))^(٢)، أمّا مفهوم الأثر عند اللغويين فهو بحسب رأي السيوطيّ (ت ٩١١هـ) ((أنّ المراد بالأثر الحركة، والسكون، والحذف))^(٣)، أي العلامة الإعرابيّة على آخر اللفظة بفعل العامل الذي هو أساس النحو، وعلى كلّ هذه التوصيفات يبقى الأثر هو ظهور النصوص القديمة في النص الجديد بكيفيّات مختلفة ولدواع متباينة.

ثانياً: لمحة موجزة عن حياة التوحيديّ وآثاره العلميّة:

أفرد الحمويّ (ت ٦٢٦هـ) حديثاً طويلاً وترجمة واسعة لحياة التوحيديّ ومآثره العلميّة، وآراء محييه وناقديه، قال عنه: ((عليّ بن محمّد بن العباس أبو حيان التوحيديّ، شيرازيّ الأصل، وقيل نيسابوريّ، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطيّ، صوفي السمّت والهيئة، وكان يتألّه والناس يقولون في دينه، قدّم بغداد فأقام بها مدّة، ومضى إلى الريّ وصحب الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد وقبله أبا الفضل بن العميد فلم يحمدهما، وعمل في مثالبهما كتاباً، وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه، فهو شيخ في الصوفيّة، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلّم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان، قليل الرضى عند الإساءة إليه

(١) التعريفات: ١١ .

(٢) موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين: ٨/١ .

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٤١/١ .



والإحسان، الذمّ شأنه و الثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كلّ فنّ حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً محارفاً يتشكّى صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه. ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ولا دمج في ضمن خطاب، وهذا من العجب العجاب))^(١)، ولقد كان التوحيديّ واسع الاطلاع على معارف عصره، متبحراً فيها، تدلّ على ذلك تنوع كتبه، فقد ((كان أبو حيان يجمع إلى ذوقه الدقيق في إدراك الجمال في النثر والشعر اطلاقاً على ما كتب في النقد الأدبيّ، فقد قرأ نقد الشعر للناسخ و عيار الشعر لابن طباطبا ونقد الشعر والكلام الخالص بالنثر في كتاب الخراج لقدمه، وعرف الكتب التي تتصل بعض مادتها بالنقد الأدبيّ ككتب الجاحظ والمرد وابن قتيبة وابن المعتز، وكان مهياً بحكم ذلك الذوق النافذ والاطلاع الواسع ليكون في طليعة النقاد))^(٢).

وألف كثيراً من الكتب وما وصلنا منها بعد حرقها:

- ١- مثالب الوزين، ٢- الصداقة والصديق، ٣- المقابسات، ٤- البصائر
- والذخائر، ٥- الامتاع والمؤانسة، وغيرها، والذي يعيننا في هذا البحث هو كتاب (البصائر والذخائر)، وتوفّي سنة ٤١٤ هـ .

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٣، وينظر: إنباه الرواة ٢ / ٣١١، والوافي بالوفيات ٢٢ / ١٦٣، وبغية

الوعاة: ٢ / ٢٠٥

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١ / ٢٢٨ .



المبحث الأول: الأثر الدينيّ للإمام عليّ (عليه السلام) في كتاب (البصائر والذخائر)

إنّ كتاب (البصائر والذخائر) كتاب ضخم ضمّ في كنفه آراءً فلسفيّةً وحكيميّةً وأخرى أدبيّةً، والذي نريد توضيحه وإبانته في بحثنا هذا هو ما ذكره التوحيديّ من أقوال وأحاديث ومواقف للإمام عليّ (عليه السلام) تنوّعت في تأثيرها في هذا الكتاب، ومن هذه التأثيرات ما نسّميه التأثير الدينيّ المستمدّ من النصّ القرآنيّ والمصاغ بفنيّة مختلفة لامت السياق الذي جاءت فيه، ومن ذلك ما نجده في نصوص ذكرها التوحيديّ حين قال: ((قال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): الدهر يومان، يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فأصبر، فبكليهما أنت مختبر))^(١)، ففي هذا النصّ تبدو القيمة الدينيّة متمثلة بالالتزام بسنة الحياة التي لا تدوم، وبال دعوة إلى أخذ العبرة من حوادثها، وكأنّه يشير من طرف إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١]، ولا يكتفي التوحيديّ بذكر نصّ الإمام (عليه السلام)، فهو كعادته يردف ذلك بما لديه من أقوال العرب وحكمهم فيقول: ((ذكر أعرابيّ آخر فقال: ما أقوم الطريقة، وأكرم الخليفة، وأكفّ الأذى، وأبعد القذى، وألين الجانب، وأرغب الصاحب، يصبح جارك سالمًا، ويمسي غانمًا))^(٢)، ومن هذا نستدلّ على أنّ التوحيديّ اختار نصًّا بليغًا ثريًّا في مدلوله الدينيّ من كلام الإمام عليّ (عليه السلام) وهي دالّة على عمق التأثير بهذا الكلام، ومن ثمّ نقله إلى كتابه (البصائر والذخائر)، ومن الشواهد التي تؤيّد التأثير بكلام الإمام عليّ (عليه السلام) ما نقله التوحيديّ ونصّه ((قال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) على المنبر: تجهّزوا رحمكم الله، فقد نودي

(١) البصائر والذخائر: ١ / ١٥٧ .

(٢) م . ن: ١ / ١٥٧ .



بالرحيل، وأفلوا الفرحة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما يحضركم من الزاد، فإن قدامكم عقبة كؤودًا، ومنازل مخوفة مهولة، لا بدّ من الممر عليها، والوقوف عندها، فإنما برحمة الله عزّ وجلّ فنجوتم من فظاعتها، وشدة مخبرها، وكراهة منظرها، وإما بهلكة ليس بعدها خيار^(١)، يكشف هذا النصّ عن الخطاب الدينيّ الذي أريد به توعية الناس نحو مصائرهم وحثّهم على التزوّد بالتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ويعقب التوحيد بنصّ يحيله إلى فيلسوف دون ذكر اسمه يريد به ما مقارنة النصّ وتعنيده واستمرار تأثيره في المتلقّي، فيقول: ((قال فيلسوف: من عُدِمَ العقل لم يزدده السلطان عزًّا، ومن عُدِمَ القناعة لم يزدده المال غنى^(٢)))، فالتأثير يأخذ بعده عندما يستدعي الكاتب إلى تقديم ما يؤيده؛ لأنّه وثق به أوّلاً، ومن ثمّ أحبّ أن يُقدّم للمتلقّي معلومة من نوع آخر، لا تتعدّ كثيرًا في مدلولاتها وحمولاتها المعرفيّة عن فحوى القيام بالعمل الصالح والاستعداد لليوم الآخر.

ومن السمات الدينيّة التي اتّصفت بها شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام صفة التسامح والتغاضي عن الإساءة، وكظم الغيظ والترفع عن الجدال العقيم، ما نجده في نصّ أبي حيان التوحيدّي حين يقول: ((ودخل النعمان بن بشير على عليّ بن أبي طالب بعد أن قُتل عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين، لو نصر عثمان كلّ من أحبّه لما طمعت فيه أوباش مصر ولا أوشاب أهل العراق، ولو بسط عليه كلّ من أبغضه لما سلّم أحد من أهل الدار؛ ولكن المحبّ هاب الخاذل، والخاذل تركه للقاتل، فتوهم الخاذل أنّ المحبّ بإمساكه عن النصرة موافق له في الخذل، وتوهم القاتل أنّ الخاذل

(١) البصائر والذخائر: ٢ / ٦٣ .

(٢) م: ٦٣ / ٢ .



بإظهاره الخذل له مقارب له في القتل، فعضد بعض الأمور بعضاً، وكان الخذل لتعاضدها أصلاً، وأشدّ ما يقوله اليوم من قبض يده عن نصره: ليتني كنت بسطتها، وأقصى ما يقوله من بسط يده إلى قتله: ليتني كنت قبضتها، ورويداً يعلون الجدد، فقال له عليّ (عليه السلام): اكفني نفسك يا نعمان، والحقّ بأيّ البلاد شئت؛ فلحقّ بالشام^(١)، وهذا النصّ الذي نقله التوحيديّ يؤكّد سمة التسامح في أخلاق الإمام عليّ (عليه السلام) في فعله وسلوكه؛ لأنّ ((التسامح يعني على المستوى الفعليّ التوليف بين الاعتراض والقبول، فالتسامح يحتضن في جوهره الاعتراض والقبول في آن واحد))^(٢)، وليس غريباً موقف الإمام (عليه السلام) من محاوره، فلقد اتّصفت سيرته بمظاهر كثيرة تؤكّد ذلك، منها على سبيل المثال موقفه في صفين حين سمع قومًا من أصحابه يسبون أهل الشام، فقال: ((إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر))^(٣)، ويعلّق أبو حيان التوحيديّ على نصّ الإمام عليّ (عليه السلام) الذي ذكره، بقوله: ((هذا من نواذر الحديث، والكلام كما ترى مرهف الحدّ، مسنون الشبا، وإلى الله المفرّ، وعليه التوكّل))^(٤).

ومن الشواهد الأخر على الأثر الدينيّ الذي تؤدّيه أقوال الإمام عليّ (عليه السلام) التي استثمرها أبو حيان التوحيديّ في كتابه (البصائر والذخائر) ما نجده في هذا النصّ: ((قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): لله امرؤ راقب ربّه، وخاف ذنبه، وعمل صالحاً، وقدّم خالصاً، واحتسب مذخوراً، واجتنب محذوراً، ورمى عرضاً، وأحرز

(١) البصائر والذخائر: ٣ / ٢٤ .

(٢) في معنى التسامح، محمد محفوظ: ١٨٥ .

(٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة: ٢ / ١٨٥ .

(٤) البصائر والذخائر: ٣ / ٢٤ .



عوضًا، كابر هواه، وكذب مناه))^(١)، فالنصّ يمثل دعوة إلى العمل الصالح ومراقبة النفس الأمانة بالسوء وإصلاحها، وتحجيم الهوى، وتكذيب الأمانى التي قد تؤدي بالإنسان إلى مسالك الغفلة والهلاك، وهو القائل: ((من حاسب نفسه وقف على عيوبه، وأحاط بذنوبه، واستقال الذنوب، وأصلح العيوب))^(٢)، وهذا المعنى قرآني أكّدت عليه كثير من آي القرآن الكريم، ومن أبلغ الآيات التي تشير إلى مراقبة النفس قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، فهذه المعاني القرآنية التي توفر عليها نصّ الإمام عليه السلام قد أثر أبو حيان التوحيدي أن يذكرها في معرض كتابه، وفيها ما يدل على عمق تأثيره بكلام الإمام علي عليه السلام ولا يذكر التوحيدي من أي مصدر أتى بها كعادته في ذكر كثير من الأقوال للحكماء والفلاسفة وغيرهم .

ومن شواهد الأثر الديني لكلام الإمام علي عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) ما نقله لنا التوحيدي ((قال المدائني: أتى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه برجل ذي مروءة قد وجب عليه الحدّ، فقال لخصمائه: ألكم شهود؟ قالوا نعم، قال: فأتوني بهم إذا أمسيتم ولا تأتوني بهم إلا معتمين، فلما أمسوا اجتمعوا فأتوه، فقال لهم علي رضي الله عنه: نشدت الله تعالى رجلاً لله تعالى عنده مثل هذا الحدّ إلا انصرف، فما بقي أحد، فدرأ الحدّ))^(٣)، ولقد وصف هذا الرجل المذنب بذي مروءة و ((المروءة هي كمال الرجولة، وقيل العفة، أو هي ألا تفعل أمرًا في السرّ تستحي نفسك من فعله أو القيام به في العلن أمام الناس))^(٤)، وهي قد تعني ((مراعاة

(١) البصائر والذخائر: ٣ / ٢٧ .

(٢) ميزان الحكمة: ١ / ٦٢٠ .

(٣) البصائر والذخائر: ٤ / ١٤٥ .

(٤) لسان العرب: مادة (م رأ)



الأحوال التي تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجّه إليها ذمّ باستحقاق))^(١)، فلقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن معاقبة ذي المروءة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تجافوا عن عقوبة ذي المروءة إلا في حدّ من حدود الله))^(٢)، ولأنّ المدّعين أو الشهود ليسوا صالحين للشهادة فقد درأ الحدّ عنه، وهذه إشارة واضحة على تأثر التوحيديّ بأحكام الإمام عليّ عليه السلام وعن صحّتها ووجوب الأخذ بها؛ لأنّها أحكام دينيّة من مصدر تشريعيّ اعتمد الحديث النبويّ الشريف .

ومن الشواهد الدالّة على الأثر الدينيّ للإمام عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) ما نقله التوحيديّ، وهذا نصّه ((سمعت القاضي أبا حامد يقول: اجتمعت الحروريّة في مكان يقال له حروراء، وإليه نُسبوا وبه سمّوا، وكانوا زهاء ستّة آلاف، فوقف عليهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ما نقمتم عليّ؟ قالوا: نقمنا عليك ثلاثاً، قال: ما هنّ؟ قالوا: أنّك قاتلت ولم تغنم ولم تسب، فإن كانوا مسلمين فما حلّ قتالهم ولا سبيهم، وإن كانوا كفّاراً فقد حلّ قتالهم وسبيهم، فقال: هذه واحدة، قالوا: وحكمت الرجال في دين الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال: ثنتان، قالوا: ومحوت نفسك من إمرة المؤمنين، فإن لم تكن أمير المؤمنين فأنت أمير الكافرين؛ قال: هذه ثلاث، فأقبل عليهم وقال: رأيتم إن أتاكم من كتاب الله وسنة نبيّه ما يردّ قولكم، أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: أترون أن تسبّوا أمكم عائشة وتستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها؟ فإن قلت: نعم، كفرتم، وإن قلت: ليست أمنا، كفرتم، قال الله عزّ وجلّ ﴿وَأَزَّوَجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وأمّا قولكم حكمتكم الرجال في دين الله فإنّ الله عزّ وجلّ حكم الرجال في أرنب

(١) أدب الدنيا والدين: ٣٢٥ .

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١٢٩٨٠ .



يقتله مُحْرِم، فقال ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، ولو شاء لحكم، ولكن جعل حكمه إلى الرجال، وقال في بضع امرأة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، وأما قولكم محوت نفسك، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا صَالِحِ أَهْلِ الْحَدِيثِ قَالَ لِي: اكتب يا عليّ: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال له سهيل بن عمرو: لو علمنا أنك رسول الله فما قاتلناك، قال: فما تريدون؟ قال: اكتب اسمك واسم أبيك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكتب يا عليّ: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، وامح رسول الله، ولم يكن محور رسول الله من الكتاب محوراً لنبوة، وكذلك ليس اقتصاري على اسمي دون أمير المؤمنين مضيئاً حقاً ولا موجباً لي باطلاً، قال: فرجع ناس كثير منهم معه وعرفوا الحق وأذعنوا له))^(١)، وقد اضطررنا لنقل هذا النص الكامل لما فيه من حجج بالغة أفحمت المخالفين بأدلة من القرآن الكريم معضدة بسيرة الرسول الأعظم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي هذا الاستشهاد دلالة واضحة على تأثير التوحيدي واهتمامه بهذا النص والحدث الذي يؤكد على أثر النزعة الدينية عند التوحيدي على الرغم مما شاب بعض كتبه وآرائه من هنات فُسرّت على أنها تضيع من صحّة إيمانه، وقد نقل عنه الحموي في كتابه (معجم الأدباء) قولاً واضحاً يؤكد إيمانه، ومنه ((والله يا سيدي لو لم أتعظ إلا بمن فقدته من الإخوان والأخذان، في هذا الصقع، من الغرباء والأدباء والأحباء لكفى، فكيف بمن كانت العين تقرّبهم والنفس تستنير بقرّبهم، فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والري وما إلى هذه المواضع، وتواتر إليّ نعيهم واشتدّت الواعية بهم، فهل أنا إلا من عنصرهم؟ وهل لي محيد عن مصيرهم؟ أسأل الله تعالى ربّ

(١) البصائر والذخائر: ٧٤ / ٥.



الأولين أن يجعل اعترافي بما أعرفه موصولاً بنزوعي عمّا أقترفه، إنه قريب مجيب^(١)، ولذلك يمكننا القول بأنّ أبا حيان التوحيديّ قد تأثر كثيراً بكلام الإمام عليّ (عليه السلام) ونقل منه أقوالاً كثيرة وروى حوادث ومواقف صادقة لا غبار عليها، ولم نجد في كتابه (البصائر والذخائر) ما يشين أو يقدح في تأثره بكلام الإمام (عليه السلام).

ومن الشواهد الأخر على تأثر التوحيديّ بكلام الإمام عليّ (عليه السلام) ما نجده في توظيفه له حين يقول: ((وقال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في قوله: أكلون للسحت: هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته))^(٢)، وتدلّ جملة (أكلون للسحت) على الأصل القرآنيّ لها، إذ وردت في قوله تعالى: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقول الإمام (عليه السلام) هو تفسير للآية، وقد اختلف عن بعض التفاسير ومنها تفسير الطبري، إذ فسرها نقلاً عن كثيرين بـ (الرشى)، فيقول: ((حدّثنا بشر بن معاذ قال: حدّثنا يزيد بن زريع قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة: (سماعون للكذب أكلون للسحت)، قال: كان هذا في حكام اليهود بين أيديكم، كانوا يسمعون الكذب ويقبلون الرشى))^(٣)، وهنا يبدو أنّ تفسير الإمام عليّ (عليه السلام) قد عمّم أثرها، فكلّ من يأخذ هديّة مقابل عمل هو سحت.

ومن الشواهد التي تؤكد تأثر التوحيديّ بكلام الإمام عليّ (عليه السلام) ما نجده في قول التوحيديّ وتعليقه الذي يُبدي فيه رأياً مخالفاً، أو أنّه غير مقتنع أو أنّه يشعر بغرابة الرأي،

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٥ / ١٩٣١ .

(٢) البصائر والذخائر: ٦٧ / ٨ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣١٩ / ١٠ .



وذلك نجده عندما ينقل فيقول: ((وقيل عن عليّ (ع) في قوله جلّ ثناؤه: (وفار التنور)، هو: أسفر الصبح، وهذا غريبٌ جدًّا، وما أحبُّ أن أثق بكلِّ غريبٍ؛ لأنَّ القصة في التنور أظهر من أن يحمل اللفظ على المجاز بغير حجة، ويُعدَّل عن المعنى الظاهر بغير بيان، ولو جاز لشنع القول وشاع الظنّ))^(١)، ولم يذكر التوحيدِيّ من أين جاء بتفسير الإمام (ع) لجملة (وفار التنور) وإن اختلف فهذا يعني اهتمامًا وتأثيرًا ومتابعة وانتباهًا وقدرة على رصد النوادر أو الاختلافات، وهو يعني تأثيرًا واضحًا لا غبار عليه، وهو ما نريد تأكيده من البحث.

وهنالك شواهد كثيرة في كتابه (البصائر والذخائر) تدلُّ على عمق الأثر الدينيّ لكلام الإمام عليّ (ع) في شخصيّة التوحيدِيّ وفكره، ومن ذلك ما نشير إليه في مواقع من كتابه^(٢).

(١) البصائر والذخائر: ٨ / ٦٧ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٣ / ١٦٥، ٥ / ١٢٦، ٧ / ١٢، ٨ / ١١٩... وغيرها.



المبحث الثاني: الأثر البلاغيّ للإمام عليّ (عليه السلام) في كتاب (البصائر والذخائر)

إنّي لأعتقد جازماً بأنّ أيّ أديب عربيّ في القديم والحديث من الزمان قد اطّلع على كلام الإمام عليّ (عليه السلام) ولم يتأثر به، وكيف لا يكون ذلك وقد جُمعت أركان البلاغة في حديثه، وأنارت الفصاحة ألفاظه، وعمّت الحكم أقواله، فازدهرت بالصورة الرائعة، والتركيب المتقن، وتفردت بما حوته من جميل البديع وعذب الإيقاع وجميل البيان، حتّى أنّ كلامه (عليه السلام) ((لتجد فيه متى شئت فصولاً تعلم أن لن يُستطاع في معانيها مثلها))^(١)، وقال الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٠ هـ): ((احتياج الكلّ إليه واستغناؤه عن الكلّ دليل على أنّه إمام الكلّ))^(٢)، ولما كانت الحال هذه بمواصفاتها، فإنّ أديباً مثل التوحيديّ لا يمكنه الاستغناء عن هذه الثروة البلاغيّة التي وفّرتها خطب الإمام عليّ (عليه السلام) ورسائله وحكمه، والتوحيديّ الأديب الذي هو ((علّم من أعلام الفلسفة الأدبيّة، عبّر عن أعمق المعاني الفلسفيّة بالصور الحسيّة، والتشبيهات اللفظيّة، والعبارات الأدبيّة؛ ولذا اعتبر رائد الأدباء الفلاسفة أو الفلاسفة الأدباء، وصفه ياقوت الروميّ بأنّه فيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقّق المتكلّمين، ومتكلّم المحقّقين، وإمام البلغاء، فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنة وفصاحة ومكنة))^(٣)، لذلك لا نستغرب أن نجد تأثيراً بارزاً في كتاب التوحيديّ (البصائر والذخائر)، وقد تباين هذا التأثير وتعدّدت أوجهه، غير أنّنا مهتمّون بالتأثير البلاغيّ في هذا المبحث، والمتمثّل بالصور البيانيّة، وبفنون الأدباء، وجميع الإيقاع وحسن البناء وتماسك النظم وقوّة جرس الألفاظ ورقة المعاني ودقّتها ومناسبتها للحال الذي قيلت فيه، ولكي نؤكّد ذلك نسوق عدداً من الأمثلة

(١) الصناعتين في الكتابة والشعر: ١٩٧

(٢) عبقرية الامام علي: ١٣٨

(٣) معجم الأدباء: ٥/١٥ .



التي أدرجها أبو حيان التوحيدى في كتابه (البصائر والذخائر)، ومنها قول الإمام علي عليه السلام ما نصّه ((وقال علي بن أبي طالب عليه السلام): القدر سر من سرّ الله تعالى، وحرز من حرز الله، مكنون في حجاب الله، مطوي عن خلق الله، سابق في علم الله، قد وضع الله عن عباده علمه، ورفع فوق منتهى رأيهم، ومبلع عقولهم، فلم ينالوه بحقيقة الربانيّة، ولا عظمة الوجدانيّة وعزّة الفردانيّة، فهو بحر زاخر غامض، عمقه ما بين الأرض والسماء، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، يعلو أوّله ويسفل آخره، قعره شمس تضيء، ولا ينبغي أن يراها إلا الفرد القديم، فمن طالها فقد حادّ الله في ملكه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن سرّ ستره، وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير))^(١)، ففي هذا النصّ الذي اختاره التوحيدى تبرز الجوانب الأدبيّة بوضوح، وتتجلّى شعريّة النصّ من مجموعة من التقنيّات التي اتّبعتها الإمام عليه السلام منها أسلوب التوازي، فقد جاءت جمل النصّ على شكل جمل قصيرة متوازية ضمّت للنصّ إيقاعه العذب، ولم يقتصر على ذلك فقط، فقد استطاع التكرار الذي ظهر جلياً في النصّ، فإنّ هذه ((التكرارات على نحو متغيّر وانتشار مجموعة من التوافقات الصوتيّة شكّلت مناخاً له القدرة على استفزاز الذائقة الجماليّة وحثّها على التوقّف بإزاء هذه المظاهر الصوتيّة))^(٢)، وكذلك الصور التشبيهيّة التي طرّزت النصّ بجمالها، وختم النصّ باستدعاء لألفظ القرآن الكريم وتراكيبه، وهو بذلك يزيد في جمل هذه التقنيّات من قوّة حضور النصّ وتأثيره بالمتلقين .

ومن الشواهد الأخر على التأثير البلاغيّ في كتاب (البصائر والذخائر) ما نجده في قول التوحيدى ((كتب علي عليه السلام إلى سلمان الفارسيّ رضي الله عنه وهو

(١) البصائر والذخائر: ١٨٩/٥ .

(٢) المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعريّة النثر: ٦٤ .



بالمدائن: أمّا بعدُ، فإنّ مثل الدنيا مثل الحيّة لئن مسّها، قاتل سمّها، فأعرض عمّا يعجبك منها، لقلّة ما يصحبك عند مفارقتها، وضع عنك همومها لما تؤمن به من سرعة فراقها، ولتكن أسرّ ما تكون بها أحذر ما تكون لها، فإنّ كلّ من اطمأنّ إليها وإلى سرورها أشخصته إلى مكروهاها^(١)، إنّ الناظر في هذا النصّ يكتشف عمق الثراء البلاغيّ فيه، فقد اجتمعت فيه مجموعة من القيم البلاغيّة التي تمحورت حول فكرة الدنيا وصفاتها الزائلة، وضرورة عدم الاطمئنان إليها، فابتدأها بوصفها (بالحيّة) تلك التي لا يؤمن شرّها وإن بدا أنّ ملمسها لئن لا يؤذي، ولربما أغرى ذلك الملمس وأخفى ما يضرّ، ثمّ تكرّرت الجمل المتوازية ذات البناء المتشابه مثل (لين ملمسها) و (قاتل سمها)، وقد استعمل التمثيل وسيلة لإيصال المعاني التي قصدتها؛ لأنّ ((الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل))^(٢).

ثمّ انتقل النصّ إلى أسلوب الأمر المعلّل؛ لكي لا يترك للمتلقّي عذراً يلوذ به، ثمّ أردف ذلك بالصور التي وفّرها أسلوب الطباق، كلّ ذلك إيغالاً في التأثير، وجمالاً في المظهر وتماسكاً في بنية النصّ، وكلّ هذه المعاني والدلالات مستمدّة من القرآن الكريم بطريقة التناصّ الخفيّ مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠]، والذي اعتمد عدم إظهار

(١) البصائر والذخائر: ٧ / ١٦٥ .

(٢) دلائل الاعجاز: ٢٠٢ .



الألفاظ ذاتها لكنه قارب معناها ودلالاتها، وما كان ذلك ليكون لولا عمق التأثير القرآني في بنية الإمام علي عليه السلام الفكرية، فهو الذي تربى في بيت الرسالة وتسربت الرسالة المحمدية في نفسه وعقله وانعكست سلوكاً في المجتمع، فالمتأمل في كلام الإمام علي عليه السلام يجد أنه ((يباشر عمله الإبداعي الفوري بعفويته الثابتة، فيأتي النص المرتجل، مثل النص المكتوب، آية في الإتقان والروعة، وما جريان خطب علي عليه السلام على نحوه الباهر في طوله وقصره، إلا دليل على الفعالية الخارقة لعقل مبدع موهوب))^(١).

ومن الشواهد الأخرى على تأثر التوحيد بكلام الإمام علي عليه السلام ما نجده في قوله: ((قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): إلى كم أغضي الجفون على القذى، وأسحب ذيلي على الأذى، وأقول لعل وعسى))^(٢)، ويوضح المجلسي هذا القول قائلاً: ((أغضي على الأمر: سكت وصبر، يقال: (أغضي على القذى) إذا صبر وأمسك عنه عفواً، والقذى: ما يقع في العين من تينة ونحوها))^(٣)، وهذه المعاني هي معاني قرآنية أكدتها سور القرآن وبصياغات مختلفة، فلقد حث القرآن الكريم على الصبر والتحمل والعتو عند المقدرة، فهذه المعاني القرآنية المستلهمة من قبل الإمام علي عليه السلام نجد لها حضوراً عند التوحيد في دلالة على عمق التأثير لما لها من جمال في الصياغة تمثل في الإيقاع الذي أكسبها نغمة محببة وقدرة على التأثير في النفس، فضلاً على أن التراكيب الفعلية التي جاءت بها تدل دلالة واضحة على الحركة؛ لأن ((الجملة الفعلية التي يكون المسند فيها دالاً على التغيير والتجدد أو بعبارة أخرى هي التي يكون فيها المسند فعلاً؛ لأن الفعل بدلالته على الزمان هو الذي يدل على

(١) علي سلطة الحق: ٤٥ .

(٢) البصائر والذخائر: ١٦/٩ .

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٦٤/٣٩ .



تجدّد الإسناد وتغيّره^(١)، فالتأثير المطلوب هو التأثير المستمرّ والمتلائم مع تغيّرات المكان والزمان، ثمّ يضيف التوحيديّ معضّداً فكرة الحركة والتجدّد فيقول: ((قال أفلاطون: الإيضاح على نحوين: أحدهما من تلقائنا والآخر من تلقاء الطبيعة، فالذي من تلقاء الطبيعة كليّ، والذي من تلقائنا جزئيّ))^(٢)، وهذا يدلّ على عمق التأثير، فالبحث عن النظر أو المقارب في الدلالة والاتّجاه تشعرنا بما في نفس التوحيديّ من اهتمام بالنصّ العلويّ لما يحمله من دلالات يريد التوحيديّ أن تبث في كتابه (البصائر والذخائر) ويؤكد أيضاً على أنّ الافكار التي يستمدّها التوحيديّ تقع ضمن الاختيار المدروس والواعي بحكم خبرة الكاتب وقدرته على الانتقاء من بين نصوص كثيرة في التراث العربيّ.

وإذا ما أردنا أن نقف عند الأثر البلاغيّ طويلاً، فإننا نقول أنّ كلّ النصوص التي اختارها أبو حيان التوحيديّ من كلام الإمام عليّ (عليه السلام) فإنّها نصوصاً في غاية البلاغة يكسوها البيان حلّة قشبية، ويوطّرها الإيقاع جمالاً ورقّة وعدوبة، وتخلع عليها الصياغة برداً جميلاً، لذلك اكتفينا بهذه النصوص المختارة .

(١) في النحو العربيّ نقد وتوجيه: ٧٦ .

(٢) البصائر والذخائر: ١٦ / ٩ .



المبحث الثالث: الأثر المعرفي للإمام علي عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر)
لا يخفى ما لكلام الإمام علي عليه السلام من أهمية معرفية فائقة في تراث المسلمين، فهو معين لا ينضب من المعارف العلمية والإنسانية التي جمعت في كلامه وصيغت بعناية البليغ المتمكن القادر على تقديم القيمة الدينية والمعرفية والبلاغية في نصّ قد يكون خطبة أو رسالة أو حكمة قصيرة في صياغتها كبيرة في مدلولاتها غنية بمعانيها جميلة في إخراجها، فلقد جمع بين الأضداد في حياته فهو فارس الحروب وقائدها وسيفها الحاسم وهو خطيب المحافل، حكيم في ما يقول، لطيف في ما يفعل؛ ولذلك نجد الدكتور صبحي الصالح شارح البلاغة يقول: ((فالمتمائل في كلامه لا يعتريه الشك في أنه كلام من لاحظ في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من انغمس في الحرب مصلاً سيفه، فيقطع الرقاب ويجدل الأبطال، فيعود به ينظف دماً ويقطر مهجاً، وهذه من خصائصه اللطيفة وفضائله العجيبة التي جمع بها بين الأضداد وألف بين الأشتات))^(١)، فالمعارف متنوّعة ماثورة في كلام الإمام عليه السلام اختار منها التوحيدي ما وجدته مؤثراً في نفسه أولاً وفي المتلقين في زمانه، وملائماً لموضوعات كتابه، وتلك همّة المؤلف وقدرته على الاختيار والتوليف، ومن الشواهد التي ذكرها التوحيدي التي تنضح معرفة وتكتظّ علوماً وتكشف أموراً خافية، قوله: ((قال الحارث الأعور: ما رأيت رجلاً قطّ أحسب من علي بن أبي طالب عليه السلام، أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، رجل مات وخلف ابنتين وأبوين وزوجة، فقال: قد صار ثمنها تسعاً))^(٢)، ثم يعقب بقوله: ((قال أبو حامد: هذه

(١) نهج البلاغة: ٥ .

(٢) البصائر والذخائر: ١٢٦/٥ .



الفريضة من أربعة وعشرين، للبنتين الثلثان، وللأبوين السدسان، وكمل المال، وعالت الفريضة، واحتيج للمرأة إلى ثمن الأربعة والعشرين ثلاثة أسهم، فزيد على الأربعة والعشرين، فصارت السهام سبعة وعشرين، وصار الثمن من أربعة وعشرين تسعاً من سبعة وعشرين، فتقسم الفريضة على ذلك^(١)، وهذه القسمة تدلّ على المعرفة التامة بالتشريع الإسلاميّ للإرث، وكيفية توزيعه على الورثة، كما تدلّ على الفطنة وسرعة الإجابة، وهذه الحادثة التي يذكرها التوحيديّ تمثل عمق التأثير الذي أصاب راوية الحدث وكذلك من نقله ومنهم التوحيديّ.

ومن الشواهد الأخر الدالّة على عمق المعرفة واتساعها وتنوعها عند الإمام عليّ (عليه السلام) وانبهار التوحيديّ وتأثره بها ثم تدوينها في كتابه؛ لتدلّ دلالة واضحة على أنّ حامل المعرفة مؤثر في متلقيه، وإن بُعد بهم الزمان واختلف المكان، لذلك نجد التوحيديّ ينقل الحدث وما رافقه من كلام الإمام (عليه السلام) حين يقول: ((جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي قد تزوّدت زاداً، وابتعت راحلة، وقضيت لبانتي - أي حاجتي - أفأرتحل إلى البيت المقدّس؟ فقال له عليّ: كلّ زادك، وبِع راحلتك، وعليك بهذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فإنّه أحد المساجد الأربعة، ركعتان فيه تعدلان عشرًا فيما سواه من المساجد، والبركة منه إلى اثني عشر ميلاً من حيثما أتيت، وقد نزل فيه من أسه ألف ذراع، وفي زاويته فار التنور، وعند الأستوانة الخامسة صلّى إبراهيم (عليه السلام)، وقد صلّى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ، وفيه عصا موسى نوح، وفيه مسير جبل الأهواز، ويُحشر فيه يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ولا عذاب، ووسطه عُرَى روضة من رياض الجنة، وفيه ثلاث أعين: عين من لبن وعين من دهن وعين من ماء، جانبه الأيمن ذكر، وجانبه الأيسر

(١) البصائر والذخائر: ١٢٦/٥.



فكر، ولو يعلم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبوا^(١))، كل هذه التفاصيل كانت غائبة عن المتلقي الأول (السائل)، وأظنها غير واضحة أو معروفة لدى التوحيدى، وهي تكون مبهمة عند من جاء بعده، فذكرها بهذا التفصيل والصيغة الجميلة المتقنة يؤكد علوقها في فكر التوحيدى، وسيستمر تأثيرها لمن جاء بعده .

ونجد التوحيدى ينقل نصًا للإمام علي عليه السلام، ثم يسهب في التعليق عليه؛ وذلك لعمق تأثيره بما في النص من قيم معرفية، فيقول: ((وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الله جلّ جلاله أمر بما لم يرد، ونهى عما أراد، أمر إبليس بالسجود ولم يرد أن يسجد، ولو أراد أن يسجد، ولو أراد أن يسجد، ولما غلبت إرادة إبليس إرادة الله جلّ سلطانه، ونهى آدم عن أكل الشجرة وأحب أن يأكل منها، ولو لم يحب أن يأكل منها لما غلبت محبة آدم محبة الله تعالى))^(٢)، وبهذا التوضيح والإثبات للمعلومة فأنها ترك أثرها في المتلقي؛ لأنها معلومات صادرة عن فهم للنص القرآني قد يعجز عنه الآخرون، لذلك يعلق التوحيدى: ((هكذا أصبت هذا الجزء وهو حق، فإذا سرّك الاتساع فيه فتصفح الكتاب حتى ترى شواهده وتجد دلائله، وتعلم أن الله سبحانه أنشأ العبد ثم تولاه ولم يخله من يده، وأن العبد يتصرّف بين علمه وإرادته وأمره ونهيه في ظاهر تكليفه، وطرفاهما بين الحاليتين يلتقيان، وكلتاهما مستويتان، واعلم أن الخلق ظهر منه وثبت به، وانقلب إليه، أعني أنه أبدأه وأنشأه في الأول، وهو غذاه وأنماه في الثاني، وهو قبضة ورقاه في الثالث باستطاعته، واستبدّ بقدرته، وانفرد بحوله وقوته، واستغنى عن موجدته، وإنما ركزت الشبهة على قوم من جهة أنهم تخطّوا الأمر والنهي وهما أسس التكليف))^(٣)، إن هذا التعليق يبدو كأنه دال على إيمان

(١) البصائر والذخائر: ١٣٨/٣ .

(٢) م. ن: ٥/٢١٠ .

(٣) م. ن: ٥/٢١٠ .



التوحيديّ الذي قيل فيه ما لم يكن فيه، ومن المناسب أن نقتصر في الشواهد وأن نركّز على بعض منها؛ لأهميتها ولكونها تؤكد بما لا يدع للشك مجالاً أن التوحيديّ قد تأثر بكلام الإمام عليّ (عليه السلام)، ومن ذلك نقله لقول الإمام (عليه السلام) وهو قول معروف ومشهور ومتداول، وهو: ((قال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): إن بين جنبيّ علماً جماً فلسوني قبل أن تفقدوني، فمن عرف أن الأمر من الله تعالى لم يضره المدح، لأنه قد عرف نفسه، ولا يضرّ ثناء من أثنى عليه، كقول عمر: اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً ممّا يظنون))^(١).

وقد جاء في نهج البلاغة أنّه ((رُوي عن أبي جعفر الإسكافيّ في كتاب نقض العثمانيّة عن عليّ بن الجعد...، قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: سلوني إلّا عليّ بن أبي طالب))^(٢)، ولمّا لم يكن لأحد امتلاك هذه السمة كان من الأجدر بالعقول الناضجة أن تأخذ منه مبتغاهما.

ومن الشواهد الأخر على تأثير كلام الإمام عليّ (عليه السلام) في كتاب (البصائر والذخائر)، ما نقله التوحيديّ فيه، إذ يقول ((كتبت من حظّ ابن المعتز: قال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) لعاصم بن زياد الحارثيّ، وكان عاصم قد لبس الخشن وترك الملاء: يا عاصم. أترى أن الله تعالى أحلّ لك الطيبات وهو يكره أخذك منها؟ أنت والله أهون عليه، قال: يا أمير المؤمنين، فأنت آثرت لبس الخشن، قال: ويحك يا عاصم، إنّ الله فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بالعوام؛ لئلا يتبيخ بالفقير فقره، قال: فألقى عاصم العباء ولبس الملاء))^(٣)، ثمّ علّق التوحيديّ ويتحدّث عن زكاة

(١) البصائر والذخائر: ٧٧ / ٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٦ / ٧ .

(٣) البصائر والذخائر: ٦٤ / ٩ .



العقل، فيقول: ((وقالوا: العفو زكاة العقل، ولو قيل: زكاة القدرة كان أنبل، هذا عندي، ولا أثق بجل ما عندي، وقال علي (ع): الجزع والشرة والبخل والحسد فروع أصلها كلها واحد))^(١)، ويختم التوحيدِيّ قوله بنص للإمام (ع) وهذا دليل واضح وجليّ على عمق تأثيره به واهتمامه في نقل آرائه.

إنّ أهميّة الأخذ من كلام الإمام عليّ (ع) تثري المؤلف وتزيّنه وتمنحه قدرة على التأثير، وتوفّر للمؤلف عمقاً فكرياً وحضارياً ودينيّاً، لذلك قيل: ((إنّ أهميّة النتاج الذي قدّمه الإمام عليّ (ع) تتم في المستويين الفكريّ والفنيّ، فأما الفنيّ فيكفي أن يُطلق على نتاجه في المختارات التي أنتجها الشريف الرضي اسم (نهج البلاغة)، أي النموذج أو المعايير أو القواعد أو الطرق التي تجسّد ما هو (فنيّ) أو (بلاغيّ) من التعبير... أما الفكريّ منه فيكفي العودة إلى وثيقة النبيّ وهي قوله (صلى الله عليه وآله) ((أنا مدينة العلم وعليّ باها))؛ لنعرف أنّه حصيلة ما أودعه من المعرفة لدى الإمام))^(٢)، ونعتقد أنّ التوحيدِيّ قد نهل من كلام الإمام (ع) كثيراً من معارفه، فضلاً على توثيقه لنصوصه في كتابه (البصائر والذخائر)، وأخيراً جعل الله تعالى عملنا هذا ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

(١) البصائر والذخائر: ٦٤ / ٩ .

(٢) أدب الشريعة الإسلامية دراسة جديدة في بلاغة القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوما: ١٣٧ .



الخاتمة:

إنّ الذي أفرزه البحث في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيان التوحيديّ، يمكن إجماله بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها بعد عملية التنقيب والكشف والتحليل لكتابه، فكانت على الوجه الآتي:

٤. إنّ التوحيديّ من أشهر كتّاب عصره في القرن الرابع الهجريّ، وقد انفرد بخصائص مائزة له عنهم، فجمع الأدب والفلسفة وتطرق في مؤلّفات لكلّ علوم زمانه.

٥. تنوّعت قراءات التوحيديّ، بل تنوّعت آراءه، وقد أثّرت على بعض معتقداته، مثلما استدلّ بعض الباحثين في زمانه على ذلك، وربما برّاه من قرأه بإنصاف.

٦. ظهرت في كتابه (البصائر والذخائر) نصوص كثيرة للإمام عليّ (عليه السلام) وقد جاءت في موضوعات متعدّدة متنوّعة.

٧. ظهر أثر كلام الإمام عليّ (عليه السلام) البلاغيّ في كثير من النصوص التي نقلها واستشهد بها.

٨. كان الأثر الدينيّ لنصوص الإمام عليّ (عليه السلام) حاضرًا بشكل واسع وجليّ في كتاب التوحيديّ (البصائر والذخائر)، نقلها وعلّق على بعض منها، وكلّها تؤكّد عمق الأثر القرآنيّ؛ لأنّها قد استمدّت معانيها ودلالاتها من القرآن الكريم.

٩. لقد حظي الأثر المعرفيّ بقسط وافر من عناية التوحيديّ، فذكر كثير من تلك النصوص التي تزخر بالمعارف الدينيّة والديويّة.

المصادر:

* القرآن الكريم

١. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهرير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
٢. أدب الشريعة الإسلامية، دراسة جديدة في بلاغة القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوما، محمود البستاني، مؤسّسة السبطين، مطبعة محمد، إيران، ١٤٢٤هـ.
٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
٤. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيد، تح: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٥. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيّة، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.
٦. التعريفات، للشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.
٧. دلائل الاعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٨. شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ)، ضبطه وصححه: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.
٩. الصناعتين في الكتابة والشعر، أبو هلال بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تح: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، ط٢.



١٠. عبقرية الإمام عليّ، محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط ٨، ٢٠٠٦م.
١١. عليّ سلطة الحقّ، عزيز السيد جاسم، تحقيق وتعليق: صادق جعفر الروازق، مؤسّسة الانتشار العربيّ، ١٩٩٧م.
١٢. في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزوميّ، منشورات المكتبة المصريّة، لبنان.
١٣. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م.
١٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تح: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسّسة الرسالة، ط ٥، ١٩٨١م.
١٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
١٦. المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ٢٠٠٨م.
١٧. معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب -، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
١٨. موسّوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٨م.
١٩. ميزان الحكمة، محمّد الريشهريّ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ.



٢٠. نهج البلاغة، تح: صبحي الصالح، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ١.

٢١. نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، منشورات الأعلميّ للمطبوعات، بيروت .

٢٢. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: د. سالم عبد العال مكرم، دار البحوث العلميّة، الكويت، ١٩٧٧ م .

المجلات:

١. في معنى التسامح، محمد محفوظ، بحث منشور ضمن كتاب (التسامح واللاتسامح)، بغداد، ١٩٩٨ م .

حليّة المطعوم وتخريمه فيما روي عن الإمام علي عليه السلام

في سورة المائدة

أ. د. علي رحيم هادي الحلو

كليّة الزهراوي الجامعة / كربلاء المقدسة

الملخص:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على آله الطيّبين الطاهرين، وبعد. يعدُّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام المفسّر الأوّل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ حمل على عاتقه إرشاد الأمة وهدايتها، فبيّن ما خفي من معاني القرآن الكريم، خاصّة ما تعلق منها بالأحكام الفقهيّة، فلجأ إليه المسلمون يسألون وينهلون من علومه، وقد جاء هذا البحث ليسلّط الضوء على جزء بسيط من هذا البيان فقد تعرّض إلى ذكر المرويّات التفسيرية لأمر المؤمنين عليهم السلام في بيان حليّة المطعومات وحرمتها فيما يخصّ الآيات الأولى والثالثة والرابعة والخامسة والثانية والأربعين من سورة المائدة المباركة، وأحسب أنّ كثيرا من الباحثين في المرويّات التفسيرية عن أهل البيت عليهم السلام تواجههم شحّة في المنقولات عن المعصومين جميعاً في كتب المسلمين لأسباب - تقريبا - معلومة.

الكلمات المفتاحية: حليّة الطعام وحرمته، الإمام عليّ عليه السلام، سورة المائدة.



Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon his pure and virtuous progeny.

Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH) is considered the foremost interpreter of the Holy Quran after the Messenger of Allah (PBUH&HP), as he took upon himself the responsibility of guiding the Ummah by elucidating the profound meanings of the Quranic text, particularly those pertaining to jurisprudential rulings (Ahkam). Consequently, Muslims sought his knowledge as a primary source for their inquiries.

This research aims to highlight a specific aspect of this scholarly legacy by examining the interpretative narrations (exegesis) of the Commander of the Faithful (PBUH) regarding the permissibility (Halal) and prohibition (Haram) of foodstuffs. The study specifically focuses on the interpretation of verses 1, 3, 4, 5, and 42 of Surat al-Ma'idah. Furthermore, the researcher addresses the challenges faced by scholars in this field, noting the relative scarcity of narrations attributed to the Infallibles (PBUT) in certain general Islamic references due to well-known historical and contextual factors.

Keywords: Permissibility and Prohibition of Food, Imam Ali (PBUH), Surat al-Ma'idah.



المقدمة:

لقد تضمّن القرآن الكريم قوانين وأحكامًا نظّمت حياة الناس في ميادين الحياة كافة. وقد كان قسم من تلك القوانين والأحكام بحاجة إلى بيان، أو تطبيق لبيانها، فكان الملجأ الأوّل للمسلمين في إبانة تلك القوانين والأحكام رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وبعد وفاته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) انبرى لتكملة مسيرة بيان تلك القوانين والأحكام الإمام عليّ بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ثمّ أهل بيته المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين)، وكذلك ساهم بعض الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وعلماء كثيرون في ذلك.

وقد اخترت ما جاء من تفسير وبيان للإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في موضوع حَلْيَةِ المَطْعُومِ وتحرّيمه في الآيات؛ الأولى، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والثانية والأربعين، من سورة المائدة المباركة، والبحث قائم على ما استطعنا الوصول إلى روايته من تفسير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حصراً، وهو موزّع على أربعة مباحث بعد هذه المقدمة، فقد جاء المبحث الأوّل في تحليل الآية الأوّل، وبقسمين؛ أحدهما في دلالة العقود والوفاء بها. وثانيهما: كان في دلالة بهيمة الأنعام وتحليل أكل لحمها. وفي المبحث الثاني بيّنت دلالات تحريم أكل قسم من المَطْعُومَاتِ الوارد ذكرها في الآية الثالثة، ووقفْتُ عند تذكية تلك المأكولات من صيدٍ وغيره. وفصّلتُ القول في المبحث الثالث في أكل الطيّبات وطعام أهل الكتاب. وجاء المبحث الرابع في بيان دلالة السّحت. فخاتمة البحث، ثمّ ثبت بمصادره ومراجعته.



المبحث الأول: دلالة الآية الأولى

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].
أولاً:

العقود: جمع عقد، بمعنى: الشدُّ المُحكَم لأمرٍ بقوَّةٍ وشِدَّةٍ ووثوق، وهو أوكد من العهد^(١).

لقد اختلف علماء اللغة والتفسير في تحديد المراد بـ(العُقود) في الآية الكريمة هذه، والذي يترجح من آرائهم أنه يشمل ما عقَّد بعضهم لبعض في الجاهليَّة من عقود وعهود، وكذا في الإسلام، وكذلك العقود التي عقدها الله عليهم من الإيمان به وبرسوله وبما جاؤوا به من ربِّهم، من التكليف العباديَّة، ومنها الالتزام بما حلَّ لهم، وحرَّم عليهم في المعاملات، ومنها المطعومات^(٢).

قال الطبري: ((اختلف أهل التأويل في «العقود» التي أمر الله جلَّ ثناؤه بالوفاء بها بهذه الآية؛ بعد إجماعهم جميعهم على أن معنى «العقود»: العهود. فقال بعضهم: هي العقود التي كان أهل الجاهليَّة عاقد بعضهم بعضاً على النُّصرة والمؤازرة والمظاهرة على مَنْ حاول ظلمه أو بغاه سوءاً. وقال آخرون: بل هي الحلف التي أخذ الله على عباده بالإيمان به وطاعته، فيما أحلَّ لهم وحرَّم عليهم. وقال آخرون: بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم،

(١) ينظر: العين، مادة «عقد»، وتهذيب اللغة: ١/١٩٦. ومقاييس اللغة: ٤/٨٦-٩٠. والصحاح: ١/٣١٢-٣١٣. ولسان العرب: ٦/٣٥٣-٣٥٦. والمعجم الوسيط: ٢/٦١٣-٦١٤. والتحقيق: ٨/٢٢٩-٢٣٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/١١٢. وتهذيب اللغة: ١/١٩٦. والميزان: ٥/١٦٧-١٦٨.



ويعقدها المرء على نفسه. وقال آخرون: بل هذه الآية أمرٌ من الله تعالى لأهل الكتاب بالوفاء بما أخذ به ميثاقهم، من العمل بما في التوراة والإنجيل في تصديق محمد ﷺ، وما جاءهم به من عند الله))^(١).

وُنُقِلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ)^(٢). وقال القمّي في الإيفاء بالعقود: ((أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) التي عُقِدَتْ عَلَيْكُمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ))^(٣). وقد ورد في نهج البلاغة من قول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمالك الأشتر (رضي الله عنه): ((فإنه ليس من فرائض الله شيء للناس أشد عليه اجتماعاً - مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم - من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم - دون المسلمين - لما استوبلوا من عواقب الغدر))^(٤). وَيُنْقَلُ عَنِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الْوَفَاءَ بِالشَّرْطِ وَالْعَهْدِ))^(٥).

وقال ناصر مكارم الشيرازي: ((نُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ الْعَهْدَ حَتَّى لَوْ كَانَ بِالْإِشَارَةِ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: إِذَا أَوْمَأَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَشَارَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمَشْرُوكِينَ، فَتَنَزَلْ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ فِي أَمَانٍ))^(٦).

(١) جامع البيان: ٤/ ٣٨٥-٣٨٧. وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٤١٤-٤١٥. والكشاف: ١/ ٢٧٥.

والمحرر الوجيز: ٣/ ٣٠١-٣٠٢. والتمهيد الكبير: ١١/ ١٠٣-١٠٤.

والجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٤-٥. والميزان: ٥/ ١٦٧-١٦٨. ومواهب الرحمن: ١٠/ ٢٨١-٢٨٢.

(٢) ينظر: بحار الأنوار: ١٦/ ١٤٤.

(٣) تفسير القمّي: ١/ ١٦٠. وينظر: عقود المرجان: ١/ ٥٥٤.

(٤) نهج البلاغة، رسائل الإمام علي عليه السلام، رسالة: ٥٣.

(٥) مستدرک الوسائل: ٢/ ٢٥٠.

(٦) الأمثل: ٣/ ٣٤٣-٣٤٤.



ثانيًا:

قوله تعالى: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ﴾، أراد بـ(أَحَلَّتْ): أَيْحَ لَكُمْ أَكْلُهَا، أَي: لَا تَحْرِيمَ فِي أَكْلِهَا^(١).

و(بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ): فـ(البهيمة): كُلُّ حَيٍّ لَا يُمَيِّزُ فَهُوَ بَهِيمَةٌ^(٢)، وَقُصِدَ بِهِ هُنَا: صِغَارُ الْأَنْعَامِ وَأَجْتَنَّتْهَا، وَ(الأنعام): كُلُّ ذِي أَرْبَعٍ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَهِيَ: الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالغَنَمُ. وَمِنْ طَرِيفِ التَّرْكِيبِ: أَنَّهُ أَضَافَ (بَهِيمَةً) إِلَى (الأنعام) وَفِي هَذِهِ الْإِضَافَةِ قَصْدُ الْإِثْنَيْنِ مَعًا؛ إِذْ جَاءَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ حَلِيَّةُ أَكْلِ لَحُومِ الْأَنْعَامِ: الْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ، فِي الْآيَاتِ: ١٤٢ - ١٤٥ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ الْمُبَارَكَةِ، وَكَذَا مَا فِي بَطُونِهَا، إِلَّا مَا وَرَدَ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءَاتِ فِي تَحْرِيمِهَا الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ^(٣).

وَالْحَكْمُ الَّذِي وَرَدَ فِي تَرْكِيبِ (بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ) هُوَ حَلِيَّةُ أَكْلِ لَحْمِ الْبَهِيمَةِ مُضَافَةً إِلَى الْأَنْعَامِ، وَبِذَلِكَ قَصْدُ تَوْكِيدِ حَكْمِ أَكْلِ لَحُومِ الْبَهِيمَةِ فِي حَالِ كَوْنِهَا تَدَلُّ عَلَى الْأَجْنَةِ فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ، فَضَلًّا عَنْ أَكْلِ لَحُومِ الْمَضَافِ إِلَيْهِ (الأنعام) الْحَامِلَةِ لِلْأَجْنَةِ فِي بَطُونِهَا، قَالَ الطَّبْرِيُّ: ((هِيَ الْأَنْعَامُ كُلُّهَا... الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالغَنَمُ... وَكَذَا: أَجْنَةُ الْأَنْعَامِ الَّتِي تَوْجَدُ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهَا - إِذَا نُحِرَتْ أَوْ ذُبِحَتْ - مَيْتَةً))^(٤).

(١) ينظر: معجمات اللغة كافة، مادة «حلل»، وكتب التفسير كافة في تفسيرهم هذه الآية الكريمة.

(٢) ينظر: معجمات اللغة كافة، مادة «بهم»، وكتب التفسير كافة في تفسيرهم هذه الآية الكريمة.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٦/ ٣٣٧، مادة «بهم». ومعجمات اللغة كافة، مادة «بهم»، وكتب التفسير كافة في تفسيرهم هذه الآية الكريمة، وآيات سورة الأنعام المذكورة في المتن.

(٤) جامع البيان: ٤/ ٣٨٨. وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٤١٥. ومجمع البيان: ٣/ ٣٠٢-٣٠٣. والمحرم الوجيز: ٤/ ٣١٦-٣١٧.



ونقل هاشم البحراني: ((عن وهب بن وهب عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام): أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ سُئِلَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْفِيلِ وَالذَّبِّ وَالْقَرْدِ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ الَّتِي تَوْكَلُ))^(١)، وكذا نقل البحراني حكماً للإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَجْنَةِ الْأَنْعَامِ، فَقَالَ: ((عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، قَالَ: هِيَ الْأَجْنَةُ الَّتِي فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ، وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْمُرُ بِبَيْعِ الْأَجْنَةِ))^(٢).

المبحث الثاني: دلالة الآية الثالثة

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَسَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

تضمنت الآية الكريمة تحريم أكل لحوم صنوف من الحيوانات، وكذا حالات تحريم لبعض منها كانت محللة على الحال العام ثم حرمت لعلّة.

الميتة: الحيوان الذي كان حياً وفارقته الحياة، فيحرم أكله بهذه الحال.

الدّم: قصد الدّم المسفوح (المصبوب) أيضاً حراماً. فأما المتلطح بالدّم -

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٦٥، نقلاً عن تفسير القمّي: ١/ ٣١٩، ح ١٢. وينظر: مواهب الرحمن: ١٠/ ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ٣١٨. وينظر: البرهان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٦٥. ومواهب الرحمن: ١٠/ ٣٠٧-٣٠٨.



فهو كاللحم - وما كان منه كاللحم مثل الكبد فهو مباح. وأما الطحال فهو محرّم عندنا^(١) وقد رُوِيَ كراهته عن عليّ عليه السلام، وابن مسعود وأصحابهما. وعند جميع الفقهاء أنّه مباح^(٢).

لحم الخنزير: والخنزير: حيوان معروف، يحرم أكل لحمه وشحمه وجلده. ما أهْلٌ لغير الله به: قصد به المذبوح للأصنام والأوثان، أي: ما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه.

الْمُنْخَنِقَةُ: الحيوان الميت بالخنق.

وَالْمَوْقُودَةُ: الحيوان الميت بالضرب.

الْمُتَرَدِّيةُ: التي تقع من مرتفع فتموت. وَالنَّطِيحَةُ: ما يموت بنطحه غيره، أو بنطح غيره إياه.

مَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ: الفريسة أو الجزء المتبقي من فريسة الحيوان المفترس، واستثنى الفريسة التي مازالت حيّة، وذُبحت.

مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ: ما ذُبِحَ على الحجارة التي كانوا يعبدونها.

أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ: وهي السهام التي كانوا يستخIRON بها في شؤونهم^(٣).

ومّا رواه الطبري في تلك المحرّمات، قوله: ((عن الحارث عن عليّ عليه السلام قال: إذا أدركت ذكاة الموقودة، والمتردّية، والنطيحة، وهي تحرك يدًا أو رجلا فكلها.

(١) أي: عند الشيعة الإمامية، ينظر: مجمع البيان: ٣ / ٣٢٩.

(٢) ينظر: مجمع البيان: ٣ / ٣٢٩.

(٣) ينظر: معجمات اللغة في المسمّيات المحرّمة المذكورة في المتن، وكذا كتب التفسير في تفسيرهم الآية الكريمة هذه.



وعن مصعب بن سلام التميمي قال: حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب [صوات الله عليهم] قال: إذا ركضت برجلها، أو طرفت بعينها، وحرّكت ذنبها فقد أجزأ^(١).

وقال الطبرسي في صيد الكلب المُعَلَّم: ((وقال آخرون: ما أكل منه فلا يؤكل، رواه عن علي عليه السلام، والشعبي، وعكرمة^(٢))، ونقل عن أمير المؤمنين عليه السلام حكم الاستثناء، فقال: ((هو استثناء من التحريم لا من المحرّمات؛ لأنّ الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير... فهو استثناء من جميع ما تقدّم ذكره من المحرّمات سوى ما لا يقبل الذكاة من الميتة والدم ولحم الخنزير، عن علي عليه السلام وابن عباس^(٣)).

وقال الرازي: ((وقيل اختلفوا في البازي إذا أكل، فقال قائلون: إنّه لا فرق بينه وبين الكلب، فإن أكل شيئاً من الصيد لم يؤكل ذلك الصيد، وهو مروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٤). ونقل القرطبي عن الصحابة حكم ذكاة الجنين، فقال: ((وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: إذا أشعر الجنين فذكاته أشعر أو لم يُشعر قاله علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرون^(٥)).

وقال السيوطي: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: ((يعني: إلا ما أدركتموه وقد بقيت فيه حياةٌ مُستقرّةٌ من المذكورات قبل من: ﴿وَالْمُنْخِنِقَةُ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، وهذا قول علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٦)، وكذبك نقل الآلوسي

(١) جامع البيان: ٤/٤١١، حديث رقم: ١١٠٤٠، و١١٠٤٢. وينظر: الدر المثور: ٥/١٧٧.

(٢) مجمع البيان: ٣/٣٢٥.

(٣) م. ن: ٣/٣١٦.

(٤) مفاتيح الغيب: ١١/١٢٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٦/٥٢.

(٦) لباب التأويل: ٨/٢.



..... وَقَائِعُ مُؤْتَمَرِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام الدَّوِّيِّ السَّنَوِيِّ السَّادِسِ / الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

عن الإمام علي عليه السلام دلالة قوله جلّت حكمته: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، فقال: ((﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، عن علي عليه السلام: أن الاستثناء راجع إلى جميع ما تقدّم ذكره من المحرّمات سوى ما لا يقبل الذكاة من: الميتة والدم والخنزير))^(١).

مُحْمَصَّةٌ: مجاعة، أي: شدة ضمور البطن من الجوع. وهي الحال التي يُباح فيها ما حُرّم ممّا مرّ ذكره في الآيات الكريمة قبل.

المبحث الثالث: دلالات ألفاظ من الآيتين الرابعة والخامسة

أولاً:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ: الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من الذبائح.

عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ: صيد ما علّمتم من ﴿الْجَوَارِحِ﴾: التي هي الكواسب من سباعٍ وطيرٍ وغيرها. وأتبع النصّ الكريم اسم الـ ﴿الْجَوَارِحِ﴾ بـ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾، وقصد بذلك (الكلاب) التي يدرّبونها للصيد. وبهذا التركيب والترتيب واختيار اللفظين يكون ذِكْرُ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ لبيان ما قد يتبادر إلى فهم المتلقين، أو حكمهم أنّ صيد الكلاب المُدرّبة فيه حرج، أو منع.

فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ: هنا أباح التنزيل الحكيم أكل الطّيّبات من لحوم الحيوانات التي تقوم الحيوانات المُدرّبة والمُعَدّة لغرض الصيد بصيدها وإحضارها لمُدربيها^(٢).

(١) روح المعاني: ٦/٣١٥.

(٢) لمزيد من التفصيل ينظر: كتب التفسير كافة.



روى الكليني في قضية التذكية: ((عن الصادق عليه السلام: في كتاب علي عليه السلام: إذا طرفت العين أو ركضت الرجل أو تحركت الذنب فكل منه، أو: فقد أدركت ذكاته))^(١)، ونسب الطبرسي هذا الحكم إلى الباقر والصادق عليه السلام، فقال: ((وروي عن السيدين الباقر والصادق عليه السلام أن أدنى ما يدرك به الذكاة أن تُدركه تتحرك أذنه أو ذنبه، أو تطرف عينه))^(٢).

ونقل هاشم البحراني تفسير أمير المؤمنين عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، قال: ((عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: في كتاب علي عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، قال: هي الكلاب))^(٣). وقال الشوكاني: ((وروي عن علي عليه السلام أنه يُحِلُّ أكل الصيد الذي يقصده الجارح من تلقاء نفسه: من غير إرسال))^(٤).

ثانياً:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ: بعد أن أجاب التنزيل الحكيم سؤال المسلمين في الآية قبل بقوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾، أباح لهم أكل الطيبات، ولم يحدّد ولم يعين شيئاً منها، وجعل في ذلك سعة للحكم في حلّيّتها،

(١) أصول الكافي: ١/ ٣٩١.

(٢) مجمع البيان: ٣/ ٣١٦.

(٣) البرهان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٩٩، نقلاً عن الكافي: ٦/ ٢٠٢، ح ١. وتفسير العياشي: ١/ ٣٢٣.

(٤) فتح القدير: ٢/ ١٦.



وفصل لهم جل شأنه ما ذكره من لحوم الحيوانات التي تصطادها الحيوانات المدربة للصيد، وحكمها، ثم أحل للمسلمين طعام أهل الكتاب، بقوله جلَّت حكمته: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾، إذ أباح تعالى الطعام الذي يصنعه أهل الكتاب - ولم يعين نوع المطعوم -، ووصفه أيضًا بأنه من طيبات الطعام المُحلَّل لهم أكله.

قال ابن عطية: ((كان علي بن أبي طالب عليه السلام ينهى عن ذبائح نصارى بني تغلب، ويقول: لأثم لم يتمسكوا بشيءٍ من النصرانية إلا بشرب الخمر))^(١).

وقال الشوكاني: ((إذا سمعت الكتابي يسمي غير الله فلا تأكل))^(٢).

المبحث الرابع: دلالة أَكَّالُونَ لِلشَّحْتِ

قال تعالى: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

الشُّحْتُ: الإذْهَابُ لِلشَّيْءِ وَالإِزَالَةُ وَالاسْتِئْصَالُ، وَلَا سِيَّمًا فِي الْأُمُورِ الْمَادِيَّةِ الرَّدِيَّةِ وَالْقَبِيحَةِ وَغَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ وَفِي دِينِهِ^(٣).

ومَّا نَقَلَ سَعْدُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حَكْمًا فِي (الشُّحْتِ)، فَقَالَ: ((وَرَوَى عَنْ مُوسَى بْنِ طَرِيفٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام قَسَمَ شَيْئًا، فَدَعَا رَجُلًا يَحْسُبُ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَعْطَيْتَهُ شَيْئًا. قَالَ: إِنْ شَاءَ وَهُوَ الشُّحْتُ))^(٤).

(١) المحرر الوجيز: ٤/٣٥٨. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦/٧٨. وفتح القدير: ٢/١٧.

(٢) فتح القدير: ٢/١٧.

(٣) ينظر: معجمات اللغة العربية كلها، مادة «سحت». وكتب معاني القرآن وكتب التفسير جميعًا في تفسير هذه الآية الكريمة.

(٤) سنن سعيد بن منصور: ٣/١٤٧٣.



ونقل الطبري رواية في دلالة السحت عن الإمام علي عليه السلام، فقال: ((حدثنا هناد قال: حدثنا ابن مطيع عن حماد بن سلمة عن عطاء الخراساني عن ضمرة عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: في كسب الحجام، ومهْر البغي، وثمن الكلب، والاستجعال في القضية، وحلوان الكاهن، وعَسْبِ الفحل، والرَّشوة في الحكم، وثمن الخمر، وثمر الميتة، من السُّحْتِ))^(١).

وروى الثعلبي عن أمير المؤمنين عليه السلام تقسيمه لأنواع السحت إذ قال: ((وفي رواية قال علي عليه السلام: السُّحْتُ خَمْسَةٌ عَشْرُ: الرَّشوةُ فِي الْحَكْمِ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ، وَحِلْوَانُ الْكَاهِنِ، وَثَمْنُ الْكَلْبِ، وَالْقِرْدِ، وَالخَمْرُ، وَالخَنْزِيرِ، وَالْمَيْتَةِ، وَالْدَّمِ، وَعَسِيبِ الْفَحْلِ، وَأَجْرُ النَّائِحَةِ، وَالْمُعْنِيَةِ، وَالسَّاحِرِ، وَأَجْرُ صُورِ التَّمَاثِيلِ، وَهَدِيَّةِ الشَّفَاعَةِ))^(٢).

وقال الطريحي في دلالة السحت: ((وعن علي عليه السلام هو الرشوة في الحكم، ومهْر البغي، وكسب الحجام، وثمر الخمر، وثمر الميتة، وحلوان الكاهن، والاستعمال في المعصية))^(٣).

الخاتمة (نتائج البحث)

نقّب الباحث في بطون المصادر والمراجع - التي توافرت لديه - ليلتقط ما قضى به أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، أو ما فسره، أو ما بين حكمه فيه في آيات من سورة المائدة الكريمة، وتوصل البحث إلى الآتي:

١ - إن كثيراً من الباحثين في المرويّات عن أهل البيت عليه السلام تواجههم شحّة

(١) جامع البيان: ٥٨١/٤، حديث رقم: ١١٩٧٠.

(٢) الكشف والبيان: ٦٧/٤.

(٣) معجم مجمع البحرين: ١/٦٠٠، مادة «سحت»، نقلا عن سفينة البحار: ١/٦٠٤.



في المنقولات عن المعصومين عليهم السلام في كتب المسلمين لأسباب - تقريباً - معلومة، وفي مقدمتها: أن زمن التأليف كان في أجواءٍ سياسيةٍ مبغضةٍ بل محاربةٍ لحقيقة فضائل أهل البيت عليهم السلام، فأمر الحاكمون في تلك العصور بعدم ذكر فضائلهم، وحب ما أبانوه في تفسيرهم لمعاني كلام الله (القرآن الكريم)، وعدم السماح لذكر تفصيلهم للأحكام العبادية فيه، وغيرها.

٢ - مع قلة هذه المصادر - في هذا الموضوع - فقد استطاع الباحث الحصول على مروياتٍ طيبةٍ في النوع والكم، والتي أثرت البحث في بيان أحكام تُنسبُ إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك تفسيره لمفردات الآيات ومعانيها وغير ذلك.

٣ - يُعدّ ما بينه الإمام عليّ عليه السلام من أحكامٍ جوهر معنى النصّ القرآني الكريم؛ ولا عجب في ذلك؛ لأنّه أخذ علمه من الذي كان الوحي يتنزل عليه.



المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)،
تح: عبد الرحيم محمود، القاهرة، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
٢. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار المرتضى للطباعة
والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة الأميرة
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر محمد تقي المجلسي
(ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٤، ١٤٠٤هـ.
٥. البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (ت ١١٠٩هـ)، تح: لجنة من العلماء
والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٤٢٧هـ -
٢٠٠٧م.
٦. تاج اللغة وصحاح العربية المشهور بـ(الصحاح)، أبو نصر إسماعيل بن حماد
الجوهري الفارابي (ت ٣٩٨هـ)، اعتنى بتحقيقه وتصحيحه مكتب التحقيق بدار
إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٥،
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٧. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تح: أحمد حبيب
قيصر العاملي، مطبعة ذوي القربى، قم، ط ١، ١٤٣١هـ.
٨. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة
المصطفوي، القاهرة، لندن، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.



٩. تفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بـ(العياشي)، تح: هاشم الرسولي المحلاقي، مؤسسة الطبع الاستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط ١، ١٣٨٠ هـ.
١٠. تفسير القمّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي (ق ٣ هـ)، ط ٣، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.
١١. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن البكري الرازي الشافعي (ت ٦٠٤ هـ)، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط ١، (د.ت).
١٢. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ)، تح: عبد السلام هارون، (د.ت).
١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٤. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تح: محمد بيومي، وعبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط ١، (د.ت).
١٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، علّق عليه: محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٧. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، عباس القمّي (ت ١٩٤١ م)، تح: مجمع البحوث الإسلامية، ط ٣، (د.ت).



١٨. سنن سعيد بن منصور (٢٢٧هـ)، تح: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز بن آل حميد، طبع ملتقى أهل البيت، ط ١، (د.ت).
١٩. عقود المرجان في تفسير القرآن، نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة، ط ١، (د.ت).
٢٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تصحيح: د. عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، (د.ت).
٢٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علاء الدين بن محمد بن إبراهيم المعروف بـ(الخازن) و(البغدادي) (ت ٧٤٢هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، مطبعة مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع (طبعة بالأفست)، طهران، ١٤١٧هـ - ١٩٧٧م.
٢٥. المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٩هـ)، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وعبد العال إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني، الدوحة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.



٢٦. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين النوري الطبرسي (ت ٢٣١هـ)،
 تح: مؤسسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٧. معجم مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٩هـ)، ضبطه وصحّحه:
 نضال علي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٨. المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، وأحمد
 حسن الزيات، ومحمد علي النجار، مطبعة باقري، طهران، ط ٢، ١٤٢٧هـ - ١٣٨٥ ش.
٢٩. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام
 محمد هارون، إيران، (د.ت).
٣٠. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة
 دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء المقدسة، ط ٥، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
٣١. الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي (ت ١٣٦٠هـ)، دار الكتب
 الإسلامية، طهران، ط ١، ١٣٧٩هـ.

الأثر القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وتفرّعه في قصيدة (وجوه لعلي) لجودت فخر الدين

أ.د. علي مجيد البديري
جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص:

تحاول هذه الدراسة معاينة تجليات الأثر القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، عبر ما قدّمته قصيدة الشاعر اللبناني المعاصر (جودت فخر الدين) التي حملت عنوان (وجوه لعلي)، في ثلاثة محاور هي: التمثّل الحيّ للقرآن: عليٌّ يجترحُ الخطو، وحركة التساكن: عليٌّ يحيا متقدماً بالكلمات، وامتداد الأثر: عليٌّ يبكي قتلاه.

وقد انتهت الدراسة إلى أنّ الوجوه الثلاثة التي شكّلت هيكل القصيدة ومقاطعها قد أبرزت التعالق الكبير والعميق ما بين الإمام عليه السلام والقرآن الكريم، وأرادت من ذلك أن تكشف عن جحود المجتمع الإسلامي لهذا، وتنكره للولاية ولعطاء الثقل الإلهي الثاني، ووجوب امتداده في الحياة، فضلاً عن متابعة الدراسة لأثر هذا التعالق وتفرّعه في القصيدة، فكان تمثله يتناوب بين الظهور والخفاء، على نحوٍ حقق للقصيدة ميزتها الجمالية في محاولتها رسم ثلاثة أبعادٍ لشخصية الإمام عليه السلام.
الكلمات المفتاحية: أمير المؤمنين عليه السلام، قصيدة (وجوه لعلي)، جودت فخر الدين.

Abstract:

This study examines the manifestations of Quranic influence in the life of the Commander of the Faithful (PBUH) as portrayed in the poem "Faces of Ali" (Wujuhun li-Ali) by the contemporary Lebanese poet Jawdat Fakhreddine. The research is structured around three primary axes:

The Living Embodiment of the Quran: Ali Creating the Path.

The Dynamics of Coexistence: Ali Living Ablaze with Words.

The Extension of Influence: Ali Mourning His Fallen.

The study concludes that the three "faces" forming the poem's structural framework highlight a profound interconnection between the Imam (PBUH) and the Holy Quran. Through this imagery, the poet seeks to expose the denial within Islamic society regarding this bond, its rejection of the Wilayah (Guardianship), and the dismissal of the "Second Divine Weight" (Al-Thaqal al-Thani) and its necessary continuity in life. Furthermore, the study tracks the ramifications of this interconnection within the poem, where its representation oscillates between presence and latency. This stylistic approach provides the poem with its aesthetic distinction, successfully depicting three-dimensional facets of the Imam's personality.

Keywords: The Commander of the Faithful (PBUH), The Poem "Faces of Ali", Jawdat Fakhreddine.



المقدمة

تمثلت طبيعة العقبات والتحديات التي عاشها أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته في النزعات العدائية التي لم تؤمن بملازمة الحق له ودورانه معه حيثما دار، وانقادت لمطامعها، فتم توجيهها إلى الداخل الكوفي بدلاً من الخارج، وكان تذبذب أصحابها ونفاقهم أداةً وسلاحاً لمعاوية، أفاد منه بشكلٍ غير مباشر في محاربة الإمام عليه السلام، وإضعاف حكومته. وقد استند عليه السلام في قوله وفعله إلى وحدة الوسائل والغايات؛ فليست هناك غاية تبرّر الوسيلة كما يعتمد ذلك الانتهازيون والوصوليون، بل أنّ تحقيق الغاية النبيلة لا يتمّ إلاّ بوسيلة نبيلة مثلها، وهو ما جعل منهجه متفرداً في الحياة والسياسة وإدارة شؤون الأمة، وأسس ذلك كلّ قائمة على كتاب الله تعالى، فهو الثقل الإلهي الأكبر الذي تمثله الإمام في كلّ تفاصيل حياته، حتّى غدا هو بذاته القرآن الناطق، الذي تتشكّل فيه وعبره المواقف والرؤى في مجالات حياتية وأحداث تاريخية كبرى. ولعلّ ما ورد في وصف هذه العلاقة التلازمية ما بينه وبين كتاب الله تعالى يغني عن التوضيح والبيان، من ذلك ما روي عن ابن عباس قوله: ((ما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلاّ وعلي أميرها وشريفها. وعنه: ما ذكر الله في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلاّ وعلي شريفها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد عليه السلام في آي من القرآن وما ذكر علياً إلاّ بخير... وعن حذيفة: إلاّ كان عليّ لبها ولبابها))^(١).

لقد كانت هذه الحياة الاستثنائية المليئة بالتحديات، مادّة وافرة القوّة والتنوّع للكتابة الشعرية، قديماً وحديثاً، وقد جذب انتباهي نصّ للشاعر اللبناني المعاصر جودت فخر الدين يوظّف فيه ملامح هذه الحياة عبر مقاطع ثلاثة أسماها (وجوهٌ

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٣٦ / ١١٧.



لعلِّي^(١)، يُنبئ عنوان القصيدة بأنها إعادة تشكيل وتصوير لجوانب من حياة الإمام عليه السلام التي ستشكل نسيج النص وهيكله. ومنذ البدء يشعر القارئ أنه أمام نص واقعي، ليس للمتخيل فيه نصيب كبير، فهو لا يتجاوز ضرورته الفنيّة في تشكيل الصورة الشعريّة، وإلاّ فإنّ ملامح الوجوه الثلاثة التي ستتكلّف المقاطع برسمها تمثل مقارنة شعريّة خاصّة بالشاعر لشخصيّة الإمام عليه السلام.

صوّرت (الوجوه) إخفاقات المجتمع في فهمه عليه السلام والإفادة من إمامته ووجوده المبارك، فجعل الشاعر من ذلك عاملاً مساعداً في تحقيق مشتركٍ موضوعي في عمق النصّ ككل، عمل كبنية مركزية مولدة لتفاصيل الملامح المرسومة في الوجوه الثلاثة من حياة الإمام. وانعكس ذلك كلّ في طريقة تشكيل هذه المقاطع التي اعتمدت السرد تارةً والوصف تارةً أخرى، بهدف الربط بين الواقع المرير الذي كابده، وبين ذاته الشريفة وملكاتهما الإلهيّة الكثيرة، فجاءت الوجوه عبارة عن تنويعات لحياة واحدة متماسكة، وحاولت أن تحقّق اقتراباً من ضفاف شخصيّة عليه السلام، وأن تقدّم مفاتيح لقراءتها، الأمر الذي انعكس على التماسك الموضوعي في النصّ، ومثّل التعالق الكبير ما بين شخصيّة والقرآن الكريم وتجلياتها في حياته أولاً، البؤرة المولدة فيه، ومن ثمّ يتفرّع الأثر القرآني ليتخذ مسالك فاعلة في النصّ، عبر محاولة الشاعر فخر الدين الإفادة من طاقاته الدلاليّة، وتوظيف أصدائها على نحو غير مباشر.

لا شك أنّ من موجّهات اختيار الشاعر الكتابة عن الإمام عليه السلام، أنّه شخصيّة استثنائية، لم تكن عابرة كغيرها، ولم تكن البلاغة والبيان منجزه الوحيد، وعلامته الفارقة، وميزته الخالدة فحسب، بل وضمّ إليها صلابة الموقف وسداد

(١) سماوات: جودت فخر الدين: ٩ - ١٩.



الرأي والحكمة والعدل في الأحداث والمواطن المختلفة^(١)، ولهذا لم تكن مقارنة صورته بالأمر السهل، فاختر الشاعرُ بعض أبعاد شخصيته عليه السلام، محاولاً تقديم تمثيل لأبرز محطات حياته الشريفة، قارئاً فيها حضور القرآن الكريم فكراً وسلوكاً.

المحور الأول: التمثيل الحي للقرآن: عليٌّ يجترحُ الخطو

في الوجه الأول يرسم الشاعر ملامح علاقة أمير المؤمنين عليه السلام بمجتمعه، كان يعاتبُ الأرض كأب، ويعاتب الناس الذين يجحدون فضله، ولا يفيدون من وجوده، ومع هذا يجترح الخطو إليهم، ليرتفع بهم وبأيامهم وينيرها:

((خَانَتُهُ الْأَرْضُ
فلم تجلس هانئةً بين يديه
ولم تسبَّح في سرِّ خطاهُ
وراحت تجمحُ في عينيه وتنفرُ مثل حصانٍ أعمى
خَانَتُهُ الْأَرْضُ
وكان يعاتبُها كأبٍ
ويبددُ فيها أشجارَ يديه
فتذهبُ عنه، لتشردَ فاقعةً في عينِ الشمسِ
يبددُ فيها أشجارَ يديه، فلا تلقاهُ بوجهِ
خَانَتُهُ الْأَرْضُ
فسارَ وحيداً في الأرضِ
وكان الناسُ يَروُنَ إلى وحدتهِ،
فيثوبون إلى شحِّ بصائرهم

(١) ينظر: (سماوات) ديوان جودت فخر الدين تقاطعات نون الجمع، العدد: ١٩/٩.



يَجْتَنِبُونَ سَمَاءً تَبَعُهُ، وَيَهَيِّمُونَ عَلَى وَجهِ الدُّنْيَا
كَانَ عَلِيٌّ يَجْرَحُ الْخَطْوَةَ عَلَى أَرْضِ النَّاسِ
لِيَرْفَعَ أَيَّامَ النَّاسِ، فَيَجْحَدُهُ النَّاسُ
وَكَانَ يَضِيءُ فَيُطْفِئُهُ النَّاسُ
هِيَ الْأَرْضُ الْمَلَأُ الْمَمْسُوسُ
هِيَ الْأَرْضُ الْفِتْنَةُ
سَارَ عَلِيٌّ فِي أَرْضٍ جَاحِدَةٍ
هَلْ كَانَ لَهُ أَنْ يَيْئَسَ أَوْ يَتَرَدَّدَ؟
مَا كَانَ لِيُطْفِئَهُ النَّاسُ
تَوَهَّجَ فِيهِمْ، وَمَضَى بَرْقًا يَتَوَقَّدُ
يُنَاقِ مُتَحَجِّبًا، لَكِنْ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَتَجَدَّدَ
خَانَتْهُ
فَسَارَ وَحِيدًا فِي الْأَرْضِ
يَقُودُ سَمَاءً خَرَجَتْ مِنْ ثَوْبِ مُحَمَّدٍ))

يعمد الشاعر هنا إلى جعل المشهد متضاداً في أركانه؛ فأمر المؤمنين عليهم السلام في
تمثله لكلام الله تبارك وتعالى يطلب إحياء الأرض ونظم الحياة، فهو خليفة الله في
أرضه، متمثلاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ
كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا
خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩] وفي المقابل نجد الهوة السحيقة التي يحدثها الآخرون بينهم
وبين منهج الإمام عليه السلام، فهم على الضد من كل معاني الاستخلاف الواردة في الآية،
والمجسدة في سلوكه وحياته.



الأرض في المقطع الشعري معادلٌ موضوعي للأمة الجاحدة؛ ولذا فإن ذلك يستدعي استشعار تمدد التعالق، ليشمل تماثل الجحود هنا مع حالة الكفر في الآية الكريمة، وقد عمد الشاعر في بناء هذا المشهد على الوصف والإخبار، وتُرِكَت للقارئ ما يستطيع أن يتصوّره في ذهنه من مشاهد من حياة أمير المؤمنين عليه السلام وملامح شخصيته، ولم يحلّ الوصف والإخبار من الإيجاز بأبعادٍ نفسية، ومن دلالات ذات منحى ثقافي تعبّر عن واقع المجتمع آنذاك وهيمنة المصالح الفردية فيه، وقد سعت القصيدة إلى تجسيد حقيقة مفادها أنّ الإمام فكرًا ورسالةً يعيش خارج تاريخيته، أي: خارج المفصل الزمني والثقافي، فهو يقوّد ((سماء خرجت من ثوب محمد صلى الله عليه وآله، ويتجدّد ويتوقّد، ولا يطفئه الناس))، على الرغم من خيانة الأرض له، وابتعاد الناس عنه، وجحودهم فضله ومنزلته، على نحو يتمثّل فيه تعالق آخر مع قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ويبلغ جحود الأرض حدًّا لا يقف فيه الجاحدون عند عدم الطاعة ورفض المواالاة، بل ويعمدون إلى إنكار الأهلية والتقليل من شأنه عليه السلام، وهو منهج المنكرين نفسه الذي ذكره القرآن الكريم في عدّة مواضع، فهم قد كذبوا النبي صلى الله عليه وآله، وزعموا بأنّ نور الله يُطفأ ((كما يطفأ الشمعة بالنفخة، كناية عن أنّهم زعموا أنّ نور الله وهو دينه نورٌ ضعيف كنور الشمعة يطفأ بأدنى نفخة، فرموه بالسحر وانقطاع نسبته إلى الله))^(١).

وتفرض هيمنة مفردة الأرض في هذا المقطع بشكلٍ متكرّر استدعاء الطرف المقابل لها (السماء) حيث تقوم بينهما علاقة يتكرّر ذكرها في القرآن الكريم بصيغة العطف؛ فلا تذكر السماوات إلّا وتذكر الأرض بعدها، وما السماء هنا إلّا رمز لكلّ

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٩ / ٢٥٥.



ما هو إلهي مُنزَلٌ من الله تبارك وتعالى مستهدفاً الأرض وإصلاحها وإعمام الخير فيها؛ ولذا نجد أن تنكّر الأرض في حقيقته وفي جوهره تنكّر آني، في ضوء ما ورد من أحاديث عن صلة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوجود، وخضوعه لولايته، ومنها مروية سليمان الجعفري، التي نصّها: ((سألت أبا الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلت: أتخلو الأرض من حُجّة [الله]؟ فقال: لو خلت الأرض طرفة عين من حُجّة، لساخت بأهلها))^(١)، فهو محور بقائها، وركيزة من ركائز ثباتها؛ ولذلك نجد أن التكامل يتحقق في ولاء الأرض لشخصه ومنهجه، على الرغم من تنكّر المجتمع له، فالمستقبل لولايته كما يشعرنا بذلك النصّ، عبر أصداء خفية لتعالقه مع أحاديث تصفُ علاقته عَلَيْهِ السَّلَامُ بالأرض، ومنها يختصّ بآياتٍ من سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ١ - ٥]، فعن الأصبع بن نباتة قال: ((خرجنا مع عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يطوف في السوق فيأمرهم بوفاء الكيل والوزن، حتّى إذا انتهى إلى بابِ القصر ركض الأرض برجله فتزلزت، فقال: هي هي الآن مالك اسكني، أما والله أنا الانسان الذي تُنبئهُ الأرض أخبارها، أو رجل مني))^(٢).

لا تقدّم القصيدة في مقطعها الأول جانباً للعلاقة يغلب عليه التوتر فحسب، بل تقدّم صورة مثلى لتعامل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ مع هذا الجحود، وهذه الخيانة بحنو الأب، ويبسط في الأرض أشجار يديه، عطاءً وخيراً، والناس مع كلّ ذلك يجتنبون سماءً تتبعه، هو يجترح الخطو على الأرض؛ ليكشف للناس أنّه الحقّ وما عداه زيف وفتنة، وهنا يحضر مضمون لحديثٍ آخر أيضاً، عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: ((ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك

(١) بصائر الدرجات: ٢ / ٨٧١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ٢ / ٨٣٥.



فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنه أول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل^(١)، غير أن الجاحدين يحاولون إطفاء نوره، فيمضي وحيداً في الأرض، يقودُ سماء الهداية التي خرجت من ثوب محمد صلى الله عليه وآله، مجسداً سيرورة توهج متصل، لا شأن له بفعل الإنسان الجاحد وأساليبه.

وفي جميع تفاصيل حياته وسيرته (صلوات الله عليه) كان ينحاز إلى الحياة الفاضلة الطيبة التي أَرادها الله سبحانه وتعالى للإنسان، وينحاز للحسّ الإنساني، والخلاص من ربة الظلم والظلمة والنفس والشهوات؛ ولذلك تجده يقف في مواجهة الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا يخشى في الله لومة لائم، ومن هنا أصبح وجوده محكماً، يميزُ بمحبته المؤمن من المنافق، وهو ترجمان قول النبي صلى الله عليه وآله: ((يا عليّ لا يَبْكُ إلا مؤمناً، ولا يبغضك إلا منافقاً إلى يوم القيامة))^(٢).

لقد قدّم المقطع هنا تمثيلاً لا تصّاله عليه السلام بالحياة وتغيّراتها المستمرة، على الرغم من توالي الجحود واستمراريته الذي تصفه القصيدة، حيث يعمل عليه السلام بمقتضى إمامته، ويعطي، ويتوهج، ويتقد وينشر نور محمد صلى الله عليه وآله في الأرض، فعطاؤه متصل ومستمر، وهذا التواصل انتماء للحياة، يتجاوز الأزمنة والأمكنة، لا يتحدّد بالفترة التي عاشها في كنف النبي صلى الله عليه وآله وصحبته، وما عاشه بعده عليه السلام؛ لأنه منهج حياة، يجتاز الشكل وحدود الزمان والمكان. وعلى الرغم من أن هذا الوجه يُصوّر بدلالة سلبية طبيعة علاقة المحيط به، إلا أنه في جوهره يقدم على نحوٍ مختلفٍ تمثيلاً لسمو روحيته عليه السلام على ما يكابده من صعوباتٍ في التعاطي مع المجتمع الكوفي، وأضفى هذا الأمر على القصيدة طابعاً درامياً يتشكّل فيه الصراع بين قوّة الحق والباطل، وقوّة

(١) بحار الأنوار: ٣٨ / ٣٧.

(٢) م: ٢٨٧ / ٣٩.



التوحيد في مقابل روح النفاق التي ما تزال متأصلة في دواخل الكثيرين، ومتجلية في أفعالهم وسلوكهم.

في هذا الوجه الحياتي من القصيدة يعاتبُ (ع) الأرض كأبٍ، ولا يمنعها عطاؤه، فيبَدِّد فيها أشجار يديه، وسنرى في الوجه الثالث كيف يعمد الشاعر إلى تنويع هذه الصورة حين هوى في المحراب تعالت أشجار يديه، فهو في غمرة الموت، وفي أقصى حالات جحود الأرض له، يفتحُ آفاقاً، وينشرُ أشجاراً للخير، وهذه الآفاق سيتلقفها فيما بعد الملهوفون والتوابون والمنتظرون.

لقد عمد الشاعر إلى صوغ الوقائع والأحداث التي مرَّ بها أمير المؤمنين (ع) بإلماحات موجزة، وكان تفریع الأثر القرآني بادياً في ألفاظ المقطع وهيمنتها على فضاء الدلالة العام، عبر مسار السرد الذي جاء في أجزاءٍ منه متبادلاً، متناوياً بين ذاته (ع) وبين هذا الوسط الذي عاشه وأحداثه، ف(وجوه عليّ) التي مثلت عنوان النصِّ كانت تضمُّ في الحقيقة طرفين: الإمام وسياقه التاريخي الذي عاشه، وتمثلت الوجوه عبر انعكاسها على مرآة السياق، بتنوعاته العديدة. وتمَّ التصعيد في النصِّ عبر شعريّة الإخبار، ودلاليّة الوصف؛ وهو ما يعني أنّ هناك تمازجاً وظيفياً بينهما، يخلق حركة داخلية وخارجية في آنٍ واحدٍ، تتصل بالواقع وتحيل إلى دلالات متسعة، قد تحيل بعض الألفاظ في الوصف إلى دلالةٍ رمزيةٍ مستمدة من النصوص القرآنية التي ذكرناها، ويصنع النصُّ ذلك عبر لغة متواترة، تربط ما بين العناصر الموصوفة بطريقة تتابعية، تنتجُ عبرها الصورة الكلية التي أراد لها الشاعر أن تكون قريبةً من ملامح شخصيّة الإمام (ع).



المحور الثاني: حركة التساكن: عليّ محيا متقدماً بالكلمات

في الوجه الثاني يسكنُ الإمام عليه السلام الكلمات، التي تحتضن الأشياء كأمّ، وتسمو بها نحو سماء دانية، ويفتح للناس أبواباً وحقوقاً، وهذا كله نتاج علاقته الفريدة بكتاب الله تبارك وتعالى؛ إذ كان القرآن الكريم المحور الثابت في حركته على الرغم من تنوع أدواره خلال فترة حياته بحسب الأحوال والظروف؛ ففي عبادته كان القرآن خير أنيسٍ يرتل آياته، وفي ساحات الجهاد كان القرآن خير ناصر، وفي عرصات الحكم والسوق كذلك، فكان شاخصاً أمامه دائماً من دون أن يغفل عنه طرفة عين^(١)، وليس أدلّ على هذه العلاقة التلازمية ما بينه عليه السلام وبين القرآن الكريم من قوله: ((وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحَبْتُهُ))^(٢)، حين كان يوضح التباس الأمر على الناس في مسألة التحكيم واقعة صفين، وفي هذا الأمر مفارقةٌ عجيبة، فالمكفثون المنقلبون الذين ظلّوا بتحكيم القرآن، انطلت عليهم مسألة التفريق بين الإمام والقرآن، وتنكروا للحقيقة أنهما ثقلان لا ينفصلان، وبعيداً عن تجليات التلازم وتحققه في حياته عليه السلام، فإن العهد لم يكن بعيداً بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في بيان هذه الصلة ودوامها، وملازمة الحق لعليّ عليه السلام وتابعيته له؛ فهو يدور مع عليّ مقتفياً أثره، وفضلاً على ذلك، يكرّر الإمام في أكثر من مناسبة التذكير بهذه الحقيقة، ومن ذلك، خطابه لمعاوية، منكرًا فعله، وموضحًا علاقته بكتاب الله تعالى، إذ يقول عليه السلام: ((يَا ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ أَنْتَ تَدْعُونِي إِلَى الْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَنَا كِتَابُهُ النَّاطِقُ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ وَالْأَمْرُ الْغَرِيبُ))^(٣)، وقد مثلت هذه الأحاديث مرجعية واضحة وكبيرة للشاعر فخر الدين، وهو يرسم ملامح (وجه ثانٍ) لأمر المؤمنين عليهم السلام، يغلب عليه علاقة التساكن ما بينه وبين القرآن الكريم حدّ التماهي والتوحد:

(١) ينظر: الإمام عليّ عليه السلام القرآن الناطق: ١٨٥.

(٢) نهج البلاغة، رقم الخطبة: ١٢٢.

(٣) إرشاد القلوب، المنجى من عمل به من أليم العقاب: ٢٤٩.



((يسكنُ في كلماتٍ تسكنُهُ
يحيا في لغةٍ بكُرٍ
تحتضنُ الأشياءَ فترفعُها نحو سماءٍ دانيةٍ
كان عليّ يحيا في أسرارِ اللغةِ البكرِ
ويأتُمُّ بها، فتلينُ لهُ
والثُّه الكلماتُ ووالاهما
أنفاسُ عليّ كلماتُ
خُطواتُ عليّ كلماتُ
كان عليّ يحيا متّقدًا بالكلماتِ
يهيمُ بها، يتقمّمُها
ويراها تتلألُ في نجواهُ وفي عملِهِ
يجتذبُ الموتَ بها ويلاطفُهُ
«نَفْسُ المرءِ خُطاهُ إلى أَجَلِهِ»
كان عليّ يسكنُ في كلماتٍ تسكنُهُ
يصنعُ للحرفِ فضاءً، ويلوذُ بهُ
يجعلُ للقولِ مضاءَ السيفِ
ويجعلُهُ يَنْضَحُ بالأسرارِ
ويخفُّ بالحسراتِ
كان عليّ يحيا متّقدًا بالكلماتِ
يجتذبُ الموتَ، يلطفُهُ بالكلماتِ



وَيَهَيِّزُ سُمْ لِلنَّاسِ دُرُوبًا
يُطَلِّقُ فِيهِمْ آيَاتٍ وَعَلَامَاتٍ
وَجَهَّةُ الْأَيْسَامِ مَتَاهَاتٍ
وَكَلَامُ عَلِيٍّ أَبْوَابٌ، وَحَقُولٌ، وَجِهَاتٌ))

في هذا المقطع يحاول الشاعر أن يكثف جانباً آخر من جوانب شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وهو علاقته بالكلمة التي أنتجت بلاغة و صفت بأتمها دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ولم تكن هذه الكلمات مجرد قوالب تحمل دلالات معينة، بل يكمن خلفها رؤى معرفية ومواقف عقديّة وفلسفة في الحياة، قدّمت للبشرية إضاءات هداية في جميع أبعاد الحياة وجوانبها المختلفة.

وترتبط كلماته عليه السلام بما تتّصف به من عمقٍ وشموليّة، بخصوصيّة كلمات الثقل الثاني (القرآن الكريم) ارتباطاً وثيقاً وكبيراً؛ فحضورها الفاعل في الحياة هو تجلُّ حقيقي ومثالي لحضور القرآن الفاعل نفسه، ويعمل الشاعر في نهاية هذا المقطع إلى إيجازها وتكثيفها بجملّة دالّة ومفتوحة على تنويعات وتفصيل عدّة حينما يقول (كلامُ عليٍّ أبوابٌ وحقولٌ وجهات)؛ فهي تفتح آفاقاً واسعة أمام قارئها، ويجد فيها ثماراً معرفيّة في مختلف مجالات الفكر الإنساني، وهي فضلاً على ذلك تتوجّه صوب جهات مختلفة، لا تنحصر في بعدٍ واحد أو جهة محدّدة، فكما تعنى بكلّ مكوّنات العالم الخارجي ونتاجه الفكري، فهي تهتمُّ أيضاً بعالم الإنسان الداخلي وما يتعلّق به من قضايا ترتبط بقوله وفعله وتفكيره وانفعالاته. إنّ هذا التعلّق الحركي والتساكن العميق بين الإمام والقرآن هو تمثيلٌ حيٌّ لعلاقة الكلمة الطيبة بالوجود، وقد بيّن في أكثر من خطبة له شأن القرآن الكريم في الحياة، ومحوريّة شخصه منه بوصفه القرآن الناطق، إذ يقول عليه السلام: ((إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ لَا يَنْطِقُ



بِلِسَانٍ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ))^(١)، ووضح القرآن قبلاً فاعليّة تأثير الكلمة الطيبة في الحياة، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، ويستدعي كلّ ذلك تأويل هاتين الآيتين المرويّ عن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ، حينما سُئِلَ عن معناهما، فقال: ((الشجرة رسول الله، نسبه ثابتٌ في بني هاشم، وفرعُ الشجرة عليّ، وعنصر الشجرة فاطمة، وأغصانها الأئمّة، وورقها الشيعة، وإن الرجل منهم ليموت فتسقط منها ورقة، وإن المولود منهم ليولد فتورق ورقة، وحين يواصل الراوي استيضاحه عن معنى قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، يقول الإمام: هو ما يخرُجُ مِنَ الْإِمَامِ مِنَ الْحَالِ وَالْحَرَامِ فِي كُلِّ سَنَةٍ إِلَى شِعِيتِهِ))^(٢).

من هنا كانت الكلمات في حياته عَلَيْهِ السَّلَامُ نابضة بالحياة، ومتوهّجة، تكشف للناس سبل الخير، وتبسطها أمامهم، فقد عاش بين الناس بكلّ وجوده، وكانت لغته تُترجم رؤيته، لتبيّن لهم التوازن في الجمع بين نصيب الدنيا وخير الآخرة. وكان يتقمّمها، فنراها تتجلّى في عمله ومناجاته لله تبارك وتعالى، يسكن في هذه الكلمات كما تسكنه هي؛ ولذا ظلّت متحرّكة داخل الزمن وخارجه، وفي الأمكنة وخارجها حتّى يشاء الله. وقد سعت كلماته إلى الحفاظ على التوهّج الإلهي الذي جاءت به رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي لم يعيها المسلمون بشكل عميق؛ ولذلك كان الانقلاب والردّة، وظلّ أصحاب الدنيا من المجتمع الكوفي وغيره مكبّلين بمطامعهم، على الرغم من محاولاته لتخليصهم منها، واستنقاذهم ممّا هم فيه، ويبقى هؤلاء المنكرون أمام تحدّ

(١) نهج البلاغة، رقم الخطبة: ١٢٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٢ / ٧٩.



كبير مفاده ((أثم إن كانوا صادقين فليختاروا رجلاً يكون مثله في الكمال، وليختلفوا فيه مثل تلك الآيات، فإذا عجزوا عنهما فليعلموا أنه الحق، وما نزل فيه هو من عند الله))^(١).

إن حالة التضاييف ما بين الإمام وكلماته حالة فريدة، إنه يحيا متقدماً بالكلمات، يصنع للحرف فضاءً، ويلوذ به، يجعل للقول مضاء السيف، يجعله ينضح بالأسرار، وحتى مع الموت يلاطفه بالكلمات، ويرسم للناس دروباً بكلماته، فهي آيات وعلامات على الهداية، وهي في النهاية أبواب وحقول وجهات مفتوحة على الحياة، ولم تكف هذه الكلمات عن إحداث تأثيرها الإيجابي جماعياً في التلقّيات المتعاقبة على مر الأزمنة، فهي حتى وإن تنكر لها المخالفون في المجتمع الكوفي وفي غيره، فإن القيم الإنسانية العليا التي تشبعت بها كلماته منحتها وجوداً عابراً للأزمنة، وتأثيراً مستمرّاً في النفوس.

ويبدو أن دلالة مفردة (الأشجار) في المقطع الأول تتسع هنا بارتباطها الخفي مع (الكلمات)، بوصف (الأشجار) رمزاً يعمل على تجسيد تقارب مع أفعال الحياة، تمد الإنسان بالثمر، وتمنحه ظلّها الوارف، وتشكل سبباً من أسباب الحياة، وفضلاً عن ذلك، فإنّها تُعدُّ من شواهد الأرض وعلامات الثبات، وحركتها الأفقية ووجودها منتشرٌ في أكثر من مكان، وهو دليلٌ على امتداد وجودها في حياة الإنسان. أمّا ارتفاعها بشكل عمودي جاء تجسيداً لارتقائها إلى السماء، وصلتها المتفرّدة بها، وبإيجاز هي كرم الأرض؛ ولذا كانت كلمات الإمام بمثابة الأشجار، التي من خصائصها أنّها ثابتة ومتحرّكة في آنٍ واحد؛ تمدّ جذورها إلى أعماق الأرض، وفي الوقت نفسه، تمتدّ على سطحها لمساحاتٍ واسعة لتعطي الثمر وتمنح الفيء والهواء النقي لجميع الأحياء؛ ولذلك فهي رمزٌ فاعلٌ ودالٌّ بقوة على مكافئته الواقعي في النصّ (الكلمات)،

(١) بحار الأنوار: ٣٦ / ٨٥.



كلام الشجر عطاؤه، هو ناطقٌ بغير حروف، والكلمات هي الأقرب إلى الوهج الحياتي.

إنَّ الفكرة التي جسَّدها المقطع الثاني لا تنفصل عن الثيمة الكلِّية التي تجمع القصيدة بأكملها، فهي تبرزُّ حالة تضييع المجتمع الكوفي لفيوضات وجود أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحكمه، وما سعى إلى إحيائه وترسيخه من أخلاقيات وقواعد إسلامية حقة في السلوك والحكم، فمثل المقطعُ انعدامًا في الاستقرار وعدم الانسجام، فهو يُبرِّزُ التناقض ما بين عطاء ممتدٍّ ومتواصلٍ يمثله الإمام في كلِّ خطواته، وما بين جحود الأرض التي تمثلُ جحود المجتمع وما عاشه من أحداث استثنائية حاولت إعاقة استمرار عطاءه، ومع هذا عمد الشاعرُ إلى تصوير استمرار عطاءه على الرغم من جحود الناسِ والعقباتِ والصعوباتِ التي واجهته.

المحور الثالث: امتداد الأثر: عليٌّ يبكي قتلاه

في الوجه الثالث يبدأ المقطع بمفارقةٍ كبيرةٍ وصادمةٍ، يرصد الدرس الإنساني الكبير الذي قدّمه الإمامُ للبشرية، فهو (يبكي قتلاه)، كمعلمٍ كبيرٍ للأمة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول الشاعر:

((يـبـكـي قـتـلـاهُ
ويـمـشـي في لـيـلِ الكـوفـةِ
جـفـنـاه نـخـيـلٌ مُحـترِقٌ
ويـدـاهُ نـمـرـانِ حـبـيـسـانِ
وحـيـدًا يـمـشـي في لـيـلِ الكـوفـةِ
والأرضُ خـوارِجُ أو أـمـويّونَ



عليٌّ في ليلِ الكوفةِ وهجُ مراراتٍ
لم يهزم في حربٍ
لم يرغب في حربٍ
يتفقّد أشجارًا آخت في يده السيفُ
فتشمخُ في مملكةٍ للدمعِ بناها بين القاتلِ والمقتولِ
عليٌّ يبكي قتلاه
ويمشي غابةً آمالٍ مكسورةً
غابةً آمالٍ مهجورةً
لم يرغب في حربٍ
لم يسلم من حربٍ
كيف له أن يغضبَ الله
هي الأرضُ المملأُ المفتونُ
ماذا أيتها الكوفةُ؟
أيتها المهْدُ - اللحدُ، الأصحابُ - الأعداءُ، الشهداءُ - المتحرونُ
ليل الكوفة غاباتٌ مائلةٌ
وعليٌّ وهجُ مراراتٍ
والأرضُ خوارجُ أو أمويّونُ
كان عليٌّ يبكي قتلاه
وحين هوى في المحرابِ
تعالَتْ أشجارُ يديهِ



وغيبت في أفقٍ لا يظهر للناس
ولكنَّ ظلالاً منها سارت في الأرض
لتُخرجَ آفاقاً تسنحُ للملأ المفتون
يتلقفها الملهوفون، التَّوابون، المتظرون))

يعمد المقطع هنا إلى تصعيد صورة المكابدة التي كان يعيشها أمير المؤمنين عليه السلام فهو حينما يمشي في ليل الكوفة، يكون على هذه الهيئة: (جفناه نخيلٌ محترقٌ، يده نهران حبيسان، والأرض من حوله ومن تحته خوارجٌ وأمويون)، ومع كل ذلك لم يهزم في حرب، و(يشمخ في مملكة للدمع بناها، ويمشي غابة أعمال مهجورة ومكسورة)، على الرغم من كل هذه المثبطات، والواقع المرير بقي محض عطاء حتى آخر لحظات حياته، فهو عليه السلام كان يعي هذا الواقع بشكلٍ عميقٍ جداً، وينظر إليه ويتفاعل معه بحواسه، ويقروءه بعين كلمات الله (القرآن الكريم) وبعقله وقلبه، ويرى باطنه بصيرته، ليست ثمّة حدود بين الواقع وبينه، هو ذائبٌ فيه، متغلغلٌ في كلِّ مناحي الحياة وتفصيلها، ومن هنا كانت مراجعته مستمرة لهذا الواقع، وكلماته مضيئة له على شكل خطب وحكم ووصايا، تترسخ مع كل خطوة يخطوها، لأنَّ مرتكزها اليقين بوعد الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، وجليّة جداً مديات التولي التي تشير إليها مضامين الآية الكريمة، وارتباط ذلك بخط الإسلام الصحيح ومبادئه وقيمه المصفورة بخطى النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم).

ويتفرّع هذا الأثر القرآني من حياة الإمام عليه السلام إلى النصِّ في تمثيلاته، على نحوٍ خفيٍّ؛ عبر تأكيد حالتي القبض والبسط في علاقته بمجمعه، فمع تنكّر الأخير وجوده وقبض ولائه وطاعته، يبسط عليه السلام فيض عطائه، مؤكداً ملازمته للخلق



القرآني السامي، فهو قرين القرآن؛ ولذلك كان معنى محاولة إقصائه عن ولايته إقصاءً لكتاب الله، ومخالفة صريحة لأوامره، ومع هذا ظلَّ القرآن يرفدُ الحياة عبر الثقل الثاني بما يضمن هداية الإنسان وصلاحه في حياته، وكرامته في الدارين^(١). وقد جابه (صلوات الله عليه) الصعاب والتنكّر لفضله ولوصايا النبي صلى الله عليه وآله وكلماته الصريحة الدالّة على ولايته وقيوميّته من بعده على شؤون المؤمنين، وقد وصف الإمام عليه السلام مكابذته لذلك في أكثر من خطبة، وفي عدّة مناسبات، فعلى الرغم من أنه كان يتعرّض لمختلف الموضوعات في خطبه، ويخوض في مختلف المعارف العقديّة منها والأخلاقيّة والسياسيّة والتاريخيّة، إلّا أنه كان يجعل من ذلك مناسبةً يُعطي تمثيلاً للعلاقة ما بينه وبين محيطه، بين أفكاره والأفكار التي تسود هذا المحيط.

لقد جاءت صور المخالفين في هذا المقطع من القصيدة متّصلةً بالمقطع الأوّل (الوجه الأوّل) وامتداداً له - عبر وصف السياق التاريخي الذي عاش فيه أمير المؤمنين عليه السلام - على هيئة كائنات ظلّية، ليس لها وجودٌ مكتملٌ، فهي سرعان ما تنمحي وتزول، في مقابل افتتاح الأفق بحضوره وديمومة بقائه وقوّة حضوره وإشراقه هنا، لقد (خانتُهُ الأرضُ / الأرضُ خوارجُ أو أمويّون)، وقابلها عليه السلام بأنّه (يبددُ فيها أشجارَ يديه)، ويبلغ من الأرض الجحود والعناد ونكران الحقّ مديات بعيدة، فهي تناور بالجحود نفسه ولكن بتنويكات مختلفة نسبياً، ويكون ردّها على عطائه الرحب بهذا الفعل: (تذهبُ عنهُ / لا تلقاهُ بوجهٍ)، على نحوٍ كان الإمام قد شخّصه في خطب عدّة، منها خطبته التي سمّيت بالقاصعة، وفيها يلوم أهل العصيان قائلاً: ((أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ وَتَلَمَّتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ))^(٢)، وهذا الثقل والتلون والارتداد ذكره القرآن كثيراً،

(١) ينظر: الإمام عليّ قرين القرآن: ٨٧ / ٢.

(٢) نهج البلاغة، رقم الخطبة: ١٩٢.



وبيّن أنّ روح التسليم والعبودية تقتضي تسليم الإنسان لأحكام الله، وتمسّكه في مقام العمل والقول بالشريعة والقيم الدينيّة، والجحود والعصيان بسبب عدم تلاؤم بعض تعاليم الشريعة والدين مع رغباته النفسيّة، فلم يقبلها ويعمل بها، وفي مثل هذه الحالات يقف البشر عند مفترق طريقتين ولا بدّ لهم من انتخاب طريق واحد؛ فإمّا أن يختاروا إرادة الله والشريعة ومخالفة النفس، أو يقدموا إرادتهم على إرادة الله والقيم الدينيّة^(١).

وعلى الرغم من مأساويّة هذا الواقع وسوءه ونكرانه أو إخفاقه في الإيمان بالولاية والإفادة من وجود الإمام المبارك، فإنّ هذا الواقع لم يؤثّر على حيويّة تجلّيات ملامح شخصه وذاته وإيمانه: (تعلت أشجارُ يديه/ وغابت في أفق لا يظهر للناس/ ولكنّ ظللاً منها سارت في الأرض...)، فحياته قد اختصرت في كلام النبي صلى الله عليه وآله الذي وصفه بأنّه (الحقّ)، فكانت حياة الحقّ في عالم تنكّر لهذا الحقّ. وفي مقابل صورته عليه السلام وهو يبسط يديه أشجاراً للعطاء إلى الإنسانيّة، يقف المخالفون ويحاولون على وفق نسق مترابط أن يؤسّسوا لأفكار تحقّق لهم تبعيّة ذهنيّة، تضمن ارتباط المجتمع بهم، وتتوجّه نحو الجهة التي يريدون، وهكذا تكون التبعيّة عاملاً فاعلاً في تأكيد وجودهم وترسيخه، وهذا ما سعى إليه على نحو عملي بعد شهادته عليه السلام، وتنكّرهم لآل بيته فيما بعد، في خطّ مختلف ومناهض لهم.

وفي المستوى البنائي جاء الوجه الثالث كالسابقين؛ معتمداً إبراز بنية التضاد بين مكوّناته؛ في الوجه الأوّل كان بين الإمام وسياقه التاريخي، وفي الثاني بين كلماته عليه السلام وبين سامعيها، فهو لم يرغب في حرب، ولكنه في الوقت نفسه لم يسلم من حرب، وجمعت الكوفة بين كونها مهدياً وبين مآلها لحداً، وفي الوقت الذي كانت

(١) تجلّي القرآن في نهج البلاغة: ١٢٤.



فيه موئل الولاء له من قبل الأصحاب، كانت تمثّل معقل المنافقين والعداء له، وهي موطن الشهداء الذين استشهدوا في رحابه وتحت لوائه وقيادته، وفي الوقت نفسه كثر فيها المتحرون الذين خسروا الحياة الدنيا والآخرة بعدائهم له ولبنيه فيما بعد.

حرصت القصيدة على تعرية الانحراف في مكونات السياق التاريخي والإشكاليات التي حفّت به وانطبعت بطابعه، إطاراً زمنياً خارجياً للأحداث ولشخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وبقيت هذه الإشكاليات موعلة في التاريخ ومستمرة، تتعلق بطبيعة المجتمع الذي أسس له وأنشأه المخالفون بعد النبي صلى الله عليه وآله، من تنكّرهم خطّ الولاية، وصارت متجددة مع الأئمة من ولده (صلوات الله عليهم)؛ لأنّها مرتبطة بالمجتمع، وضلالة المخالفين فيه.

من جانبٍ آخر، حاولت المقاطع الثلاثة (الوجوه) أن تنوع محتواها تنوعاً نسبياً، وتوحّدت في أسلوبٍ تقديم هذا التنوع؛ ليكون مبناها مندغماً مع معناها ومضمونها، ولكي تقدّم صورة بانورامية لشخصية أمير المؤمنين عليه السلام، عبر وشائج مركزية ربطت ما بين هذه الوجوه، ودليل ذلك تكرار بعض المفردات والمعاني والصور فيها، فضلاً على أنّ استهلال هذه المقاطع وخواتيمها متماثل نسبياً؛ إذ كانت النهايات مفتوحة على فضاءات وآفاق ممتدة، فاجتماع الثبات والتحوّل في المبنى جاء مماثلاً لذلك في الموضوع والمعنى؛ فقد مثّل عليه السلام الثبات والرسوخ والانتماء للعقيدة الحقّة، ولم يتغيّر أو يتحوّل، ولم ينكث ويبدّل، بينما مثّل الطرف الثاني الواقع بتبدّله وتحوّله وتلوّنه وتغيّره.

ويمكن أن نصل إلى تصوّر نهائيّ عن هذه الوجوه الثلاثة التي قدّمتها القصيدة؛ فهي قد قرأت الواقع من خلال شخصية الإمام عليه السلام، عبر وجوهه المقترحة للكشف، وتمّ كلّ ذلك بصورٍ مكثّفة، غير أنّ قارئها - في النهاية - يبقى يشعر بحاجة إلى البحث



عن قراءةٍ جديدة، وتفسيرٍ دقيقٍ لهذا المحيط الجاحد، وفرطٍ في أثنى فرص إغنائه وإثرائه، لم يفد من وجوده عليه السلام، الذي لم يكفَّ عن العطاء، حتَّى مع نهاية حياته، وبعد هذه القرون الممتدَّة من الزمان، وظلَّ أفقًا مفتوحًا للعطاء على مرِّ الأجيال.

الخاتمة

صوّرت القصيدة عدم إذعان أمير المؤمنين عليه السلام أو انكساره إزاء جبهة الباطل، فهو يمثل بحقَّ جبهة القرآن والمحفوظ من قبل الله تعالى، فليس هناك أيّ مجال لأنَّ يخذل القرآن حامله، وحاول الشاعر جودت فخر الدين إظهار هذا البعد عبر إبراز التقاطع والتضادَّ ما بين الإمام وطبيعة المجتمع الذي عاش فيه. بعبارة أخرى نستطيع القول بأنَّ القصيدة جاءت لكي تقدِّم تمثيلاً حيًّا لجبهتي الحقِّ والباطل، وكيف أنَّ هناك تقاطعًا فيما بينهما، وصراعًا لن ينته، على الرغم من استشهاد عليه السلام، بل أنَّ شهادته مثلت منارًا للآتين، وسيلاً لإقامة الحقِّ وامتداده. فجسّد الامتدادُ الإنساني لروحه عليه السلام في تعامله مع هذا الواقع بأدبه الإسلامي الإلهي الكبير، فهو يتعامل بمنتهى العدل الذي حرص على أن يجسِّده حتَّى آخر ساعات حياته، بوصفه مبدأً إلهياً راسخاً، وصورة قرآنيّة ناطقة بحقِّ، وتحراه في إصدار الحكم بالقصاص على قاتله حينما يوصي ابنه الحسن عليه السلام بأنَّ يُحسِّن معاملة أسيره، ويطعمه ممَّا يأكل، ويعتني به، فإنَّ برئ تكفُّل بأمره، وإنَّ مات فضربةً بضربة؛ ولذلك زادت التفاصيل التي يذكرها الشاعر في الوجه الثالث من حدة التناقض ما بين منهجه عليه السلام الذي هو منهج الحقِّ، منهج القرآن، وبين منهج الباطل والنفاق الذي يقف في الجهة المقابلة والمعاكسة له.

وأيضاً نستطيع قراءة الأثر القرآني عبر نمطٍ مألوفٍ قد لا يتجاوز التحري عن سموِّ المؤثر وقدرته الكبيرة في التأثير في النفوس، ومن منظورٍ آخر نقرأ هذا الأثر



بطريقة مختلفة، تركز منطلقاتها إلى كون المؤثر والمتأثر ثقلين مترابطين متوازيين في الأهمية والحضور والامتداد مع الخصوصية التي يمتلكها كل منهما، ويكشف ذلك عما يمكن تسميته بالأثر الغائب، كلياً أو نسبياً عن المحيط، كشفه التمثل الكامل للقرآن الكريم بشكلٍ فاعل في حياة الإمام قولاً وسلوكاً، في مختلف الظروف والأحوال.

لقد قدّمت القصيدة برصدها تجليات هذا الأثر فرصة للقارئ يحاول أن يفيد منها في قراءة أشمل لبيان هذا الأثر، يتأكد فيه تفرّعه إلى مسارات عدّة في حياة الإمام عليه السلام، وغيابه عن مجتمعه وسياقه الثقافي. ولاحظنا من جانب آخر كيف امتدّ هذا الأثر إلى القصيدة وتفرّع فيها، عبر تعالقٍ دالٍّ مع آيات قرآنية كثيرة، نلمس حضورها بشكل واضح في ألفاظ معيّنة، وأن نصغي لأصداء هذه الآيات وهي تحضر على نحو خفيٍّ مؤثر في النصّ.

ويمكن وصف هذه التعالق القرآني، وتفريعه وامتداداته في القصيدة بأنّها علاقة جامعة، جاءت تمظهراتها في القصيدة متوالية، تمّ فيها تمثّل النصّ القرآني بشكل غير مباشر في مقاطع القصيدة الثلاثة، فوجدنا في المقاطع أصداءً للأثر القرآني، واضحة تارةً وخافتة تارةً أخرى، ولكنها في الحالتين فاعلة بشكل مؤثر. فقدّم الشاعر قراءته لشخصية الإمام عليه السلام في سياقه التاريخي ومحيطه، وكيف أنّ سلوكه كان في ضوء القرآن الكريم، في مقابل تنكّر المجتمع لهذه العلاقة، على الرغم من أنّ أفراده في الظاهر يحترمون القرآن، ويؤمنون بوجوب اتّباعه، ولكنهم يفصلون ما بينه وبين الثقل الثاني بوصفه وصياً وخليفةً للنبي صلى الله عليه وآله، فالنصّ في وجوهه الثلاثة يعتمد مرجعيةً تاريخيةً وقرآنيةً واضحة المعالم، عمد الشاعر إلى تكثيفها وتمثيل ما تركته من آثار واضحة المعالم بشكل كبير.



المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. إرشاد القلوب، المنجي من عمل به من أليم العقاب: الشيخ الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد الديلمي، تح: هاشم الميلاني، دار الأسوة، قم، ط ٢، ١٤٢٤ هـ.
٢. الإمام علي عليه السلام القرآن الناطق، طالب خان، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦ م.
٣. الإمام علي عليه السلام قرين القرآن: يحيى قاسم أبو عواضه، دائرة الثقافة القرآنية، ط ١، ٢٠١٧ م.
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.
٥. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، د. ط، ١٤٠٤ هـ.
٦. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاستربادي النجفي، تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
٧. تجلّي القرآن في نهج البلاغة، محمد تقي مصباح اليزدي، إصدارات مركز الإمام الخميني (رحمه الله) للتعليم والبحث، تر: ماجد الخاقاني، قم، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
٨. سماوات، جودت فخر الدين، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.
٩. سماوات، ديوان جودت فخر الدين تقاطعات نون الجمع، حلاوي هاني، جريدة السفير، العدد: ٩٣٢١، ٨/١٠/٢٠٠٢ م.
١٠. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠ م.

إيثارُ أمير المؤمنين ﷺ آيةُ ليلةِ المَبِيتِ مصداقاً

أ.د. علي نيكو كار

جامعة المصطفى العالمية / قم المقدّسة

الملخص:

حثّت الشريعة الإسلامية على البذل والعطاء بالمال والنفس، واعتبرت الإيثار بالنفس أعلى المراتب وأشرفها، خصوصاً إذا كان امتثالاً لأوامر الله تعالى وابتغاء مرضاته، وهو خُلُقٌ عظيم يتّصف صاحبه بنفس رفيعة يسمو بها عن ملذّات الدنيا استعداداً للآخرة، وقد تجلّى مصداقه الواقعي بمبيت عليّ بن أبي طالب ﷺ في فراش النبي الأكرم ﷺ يقيه بنفسه؛ طاعة له وبأمر من الله تعالى؛ من أجل التصدي لخطة مشرقي قريش ومكرهم، حيث كان له الأثر الكبير في حفظه ﷺ وحفظ دين الإسلام، فكافأه الله تعالى بنزول آية قرآنية في حقه.

ووصلنا إلى نتيجة مفادها أنّ الإيثار فضيلة سامية ودرجة إيمانية عالية في التضحية، لا يصل إليها إلا الذين تحلّوا بقوة اليقين والصبر وشدة المحبة للغير، ولا يجسدها إلا ذو حظّ عظيم، وقد صوّرها أمير المؤمنين ﷺ على الواقع العملي بأروع صور التضحية والفداء، وكشف عن خلجات نفسه وحرصه وحبّه الشديد لحبيبه المصطفى ﷺ؛ فداءً لنفسه، وحفظاً لدين الله تعالى الذي جاء به.

الكلمات المفتاحية: الإيثار، أمير المؤمنين ﷺ، ليلة المبيت ومشرقي قريش.



Abstract:

Islamic Sharia has urged the expenditure of both wealth and self, considering self-sacrifice (Al-Ithar) the highest and most honorable rank, especially when performed in obedience to Allah's commands and seeking His pleasure. This noble character trait reflects a sublime soul that transcends worldly pleasures in preparation for the hereafter. Its most profound practical manifestation was evidenced when Ali ibn Abi Talib (PBUH) slept in the bed of the Greatest Prophet (PBUH&HP) to protect him with his own life, in obedience to Allah's command to thwart the plot and deception of the polytheists of Quraish. This act had a significant impact on preserving the Prophet's life and the religion of Islam, for which Allah rewarded him by revealing a Quranic verse in his honor.

The study concludes that Altruism is a sublime virtue and a high degree of faith in sacrifice, attained only by those endowed with strong certainty, patience, and intense love for others. It is embodied only by those of "great fortune." The Commander of the Faithful (PBUH) portrayed this through the most magnificent images of sacrifice and redemption, revealing his inner devotion and profound love for the Chosen One (PBUH&HP), sacrificing himself to safeguard the divine religion.

Keywords: Altruism (Al-Ithar), The Commander of the Faithful (PBUH), The Night of the Stay (Laylat al-Mabit), The Polytheists of Quraish.



المقدمة

الحمد لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب قلوب العالمين أبي القاسم مُحَمَّد وآل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين وبعد.

يعدُّ الإيثار من القيم الإنسانية والأخلاقية العظيمة، حيث يعبر عن روح الكرم والعطاء، والتضحية والفداء، وهو سجيّة حميدة من سجايا الكرام وخصلة فاضلة من أصحاب الأخلاق العليا، بل هو مرتبة عالية من مراتب السخاء وأرقى درجة في البذل والعطاء، وقد نقل لنا التاريخ نموذجاً من عرب الجاهلية، وعرفنا بشخصية حاتم بن عبد الله الطائي، الذي أثر قوته وجسّد صورة الإيثار بسخاء، وبذل ما عنده من أموال في إطعام الناس، وفي عرب الإسلام المحمديّ جمع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ هذه الصورة مع صورة البذل والفداء بالنفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، وأشار ظاهر الآية إلى نوعين من البذل:

الأول: بذل المال، وهو نوع من الجود والكرم.

والثاني: بذل النفس، وهو غاية الجود والكرم وأقصى مرتبة من مراتب البذل والسخاء والإيثار، والله تعالى في الآية المتقدمة قدّم النفس على المال، فبذل المال كرم، ولكن الذي يجود بنفسه أكرم وأجود، فالذي يجاهد بنفسه أعظم درجة عند الله تعالى من الذي يجاهد بماله.

وشراء النفس وبذلها على ثلاث مراتب، كما بيّنها الله تعالى في القرآن الكريم، وهي: المرتبة الأولى: شراء النفس خوفاً من النار، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤]، فالمؤمنين يشرون الحياة الدنيا من أجل الآخرة؛ من



أجل أن تبعدهم عن النار ثم مصيرهم إلى الجنة، وهذه عبادة العبيد.

المرتبة الثانية: شراء النفس طمعاً بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]، حيث أن المؤمنين يشرون أنفسهم رغبة وطلباً للثواب وطمعاً بالجنة وشوقاً إليها، وهذه عبادة التجار.

المرتبة الثالثة: شراء النفس ابتغاء مرضاة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، والمؤمنين هنا يشرون أنفسهم لا خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة، ولا ابتغاء مرضاة الله تعالى مقابل ثمن يبيعه لشرائها، وإنما ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ مترفعين عن كل بديل وثمان، متحررين في شراء أنفسهم عن كل تجارة ومبادلة، إلا غاية واحدة هي ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ وإن لم يدخل الجنة، فالغاية في شرائهم هي فقط ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا سواها ولا سواه، وهذه عبادة الأحرار^(١)، وهي أفضل العبادة، حيث يتقبل الله تعالى من عباده المتقين، ولا يتركهم بدون ثمن إنما يبيهم عليه بأن لهم الجنة، وقد جسد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مصداقها بميسته على فراش النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فداءً بنفسه لنفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأثابه الله تعالى بموقفه نزول آية قرآنية وهذا دليل على الإيمان الحقيقي، بل أعلى مراتب الإيمان.

وهي إحدى مناقب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ التي لا تعد ولا تحصى، إذ يقول النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ لِأَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَضَائِلَ لَا يَحْصِي عَددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي

(١) قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَبَلَغُوا عِبَادَةَ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَبَلَغُوا عِبَادَةَ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَبَلَغُوا عِبَادَةَ الْأَحْرَارِ). نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص ٥١٠، حكمة ٢٣٧.



طالب ﷺ لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتابة في فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر^(١)، ونحن من هذا الباب ولهذه الأسباب اخترنا بحثنا للخوض في إحدى مناقبه ﷺ، وقد تضمنت هذه المنقبة طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وكشفت عن مدى حبه الشديد ﷺ لأخيه ونبيه ﷺ؛ حيث قدم ﷺ أعز ما يملك وهي نفسه وفداها وبذلها لمنفعة من يُحِبُّ ويستحق طاعة لله تعالى ولحفظ دينه، وهي أسمى مراتب الأخوة وأعلاها؛ بذلها لغاية عظيمة وسامية، ومن خلال البحث والتحقيق حول هذه الحادثة وقفنا على أقلام بعض من يريد أن ينكر، أو يقلل من هذه المنقبة العظيمة.

وقد اعتمدنا في تدوين البحث على قراءة النصوص التاريخية التي تعرّضت إلى حادثة وآية ليلة المبيت، بالأخص في الكتب التاريخية للعلماء المتقدمين من الشيعة الإمامية وأهل السنة، التي اشتملت على بيان الدوافع التي دعت المشركين إلى محاولة قتل النبي الأكرم ﷺ، مع بيان دور أمير المؤمنين ﷺ فيها، إذ تمّ جمعها وترتيبها وتحليلها - قدر الإمكان - وقد رُتبت على شكل وقائع متسلسلة وفق ما يتطلبه البحث، معتمدين منهج التتبع والاستقراء، إذ تتبعنا بعض النصوص التاريخية، وقمنا بدراستها والتأمل فيها، وقراءتها قراءة متأنية تحليلية؛ للتعرف على الأحداث والمفاهيم التي تضمنتها الألفاظ، كاشفة عن المعاني والمضامين السامية، مع تسليط الضوء على ما قدمه أمير المؤمنين ﷺ من أثر خالد في بيع أعز ما يملك وتضحيته بها فداءً لأخيه المصطفى ﷺ؛ من أجل كسب مرضاة الله تعالى، وتمّ ذلك في مطلبين:

(١) الأملالي للصدوق: ص ٢٠١.



المطلب الأول: المفاهيم الأساسية

أولاً: الإيثار لغةً واصطلاحاً:

الإيثارُ في اللغة: عَرَّفَهُ ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ) قائلاً: ((أَثَرَهُ: أَكْرَمَهُ. ورجلٌ أَثِيرٌ: مَكِينٌ مُكْرَمٌ، وَأَثَرَهُ عَلَيْهِ: فَضَّلَهُ. وَأَثَرَ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا أَثْرًا وَأَثَرَ وَأَثَرَ، كُلُّهُ: فَضَّلَ وَقَدَّمَ. وَأَثَرْتُ فَلَانًا عَلَى نَفْسِي: مِنْ الْإِيثَارِ. يَقُولُ الْأَصْمَعِيُّ: أَثَرْتُكَ إِيثَارًا، أَي: فَضَّلْتُكَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾^(١))).

وفي الاصطلاح: يقول ابن مسكويه (٤٢١هـ): ((الإيثار: هو فضيلة للنفس بها يكفّ الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصّه حتّى يبذله لمن يستحقّه))^(٢).

وعرّفه القرطبي المالكيّ (٦٠٠ - ٦٧١هـ) قائلاً: ((الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدنيوية. وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبّة، والصبر على المشقة. يقال: أثارته بكذا، أي: خصصته به وفضّلته. ومفعول الإيثار محذوف، أي: يؤثرونهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم، لا عن غنى بل مع احتياجهم إليها))^(٣).

وقال الشريف الجرجانيّ الحنفيّ (٧٤٠ - ٨١٦هـ): ((الإيثار: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة))^(٤). ويقول العينيّ الحنفيّ (٧٦٢ - ٨٥٥هـ): ((آثرت فلاناً على نفسي، إذا اختاره على نفسه وفضله عليه))^(٥).

(١) لسان العرب: ٧ / ٤.

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ٣١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ٢٦ / ١٨.

(٤) التعريفات: ٤٠.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٢٩ / ٨.



ومما تقدّم فإنّ كلمات أهل اللغة والمعاجم اللغويّة واصطلاح العلماء أطبقت أنّ معنى الإيثار هو تقديم وتفضيل الآخرين على النفس في الأمور الماديّة والمعنويّة والدينيّة، وهو أعلى مراتب الأخوة الإيمانيّة، ينشأ من قوّة اليقين وتأكيداً لمحبة المُفدّى، يتبعها شدّة الصبر على المشقّة والفداء بالنفس له.

ثانياً: الشراء لغةً واصطلاحاً:

الشراء في اللغة: عرّفه الجوهريّ (٣٣٢ - ٣٩٣هـ) قائلاً: ((ش ر ي: الشراءُ يمدّ ويُقصر وقد شَرَى الشيء يشريه شَرَى وشِراءٌ إذا باعه وإذا اشتراه أيضاً وهو من الأضداد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: يبيعهها، وقال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي: باعوه))^(١).

وقال ابن فارس المالكيّ (٣١٢ - ٣٩٥هـ): ((ش ر ي، الشين والراء والحرف المعتل أصول ثلاثة أحدها يدلّ على تعارض من الاثنين في أمرين أخذاً وإعطاءً مماثلة، والآخر نبت، والثالث: هيج في الشيء وعلو، فالأوّل قولهم: شريت الشيء واشتريته إذا أخذته من صاحبه بثمنه))^(٢).

وفي معجم الغنيّ قال أبو العزم: شَرَى، شَرَيْتُ، أَشْرِي، إِشْرٍ، شِراءٌ. شَرَى فِي الأَمْرِ: لَجَّ. شَرَى بِنَفْسِهِ عَنِ القَوْمِ: تَقَدَّمَ أَمَامَهُمْ فَقاتَلَ عَنْهُمْ. شَرَى بِصَوائِعِ جَدِيدَةٍ: ابْتِغَاءَهَا، أَخَذَهَا بِثَمَنٍ. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: باعوه. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: يَبِيعُ نَفْسَهُ، أَي: يَبْهَبُهَا وَيَبْدُلُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

وفي الاصطلاح: قال الرّاغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): ((ش ر ي: الشراءُ والبيع يتلازمان، فالْمُشْتَرِي دافع الثمن، وأخذ المثلّمن، والبائع دافع المثلّمن، وأخذ

(١) الصحاح: ٦/٢٣٩١.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣/٢٦٦.



الْثَّمَنُ. هَذَا إِذَا كَانَتْ الْمَبَايِعَةُ وَالْمُشَارَاةُ بِنَاصٍ وَسَلْعَةٌ، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ بِيَعِ سَلْعَةٍ بِسَلْعَةٍ صَحَّ أَنْ يَتَصَوَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُشْتَرِيًّا وَبَائِعًا، وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ صَارَ لَفْظُ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ يَسْتَعْمَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعِ الْآخَرِ. وَشَرَيْتُ بِمَعْنَى بَعْتُ أَكْثَرَ، وَابْتَعْتُ بِمَعْنَى اشْتَرَيْتُ أَكْثَرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾، أَي: بِاعَوْهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَقَدْ ذَكَرَ مَا اشْتَرَى بِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، فَمَعْنَى ﴿يَشْرِي﴾: يَبِيعُ، فَصَارَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾^(١).

وَقَالَ التَّهَانَوِيُّ الْحَنْفِيُّ (ت ١١٥٨ هـ): ((الشراء من الأضداد؛ لأنه يقال على البيع أيضًا قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾، أَي: باعوه، وقوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢)).

المطلب الثاني: آية ليلة المبيت

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، تَعَرَّضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى نَوْعٍ مِنَ النَّاسِ، ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾، أَي: يَبِيعُ نَفْسَهُ وَيَبْهَاهَا وَيَبْذُلُهَا فِي سَبِيلِهِ، ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لَا دَافِعَ لَهُ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَلْبِ رِضْوَانِهِ، وَالْآيَةُ أُطْلِقَتْ عَلَى الْمَعَامَلَةِ الْبَيْعِ؛ لِأَنَّ الْفَاعِلَ طَالِبُ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، تَشْبِيهًا بِالْبَائِعِ الَّذِي يَطْلُبُ الثَّمَنَ عِنْدَ الْبَيْعِ، وَاللَّطِيفُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْبَائِعَ هُوَ الْإِنْسَانَ، وَالْمَشْتَرِيَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالسَّلْعَةُ أَوِ الْمَثْمَنُ هِيَ النَّفْسُ، وَالثَّمَنُ هُوَ مَرْضَاةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي بَعْضِ الْآيَاتِ تَجْعَلُ الثَّمَنَ فِي الْمَعَامَلَةِ هُوَ الْفَوْزُ

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٣.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/٣٥٥.



بالجنة والنجاة من نار جهنم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]، اشترى أي: ابتاع، إن الله ابتاع من المؤمنين، فالله تعالى جعل الجنة ثمناً لمن يُفوق ماله أو نفسه في سبيله، كالتجارة المتعارفة بين البائع والتاجر، البائع هو الإنسان، والمشتري أو التاجر هو الله تعالى، والسلعة أو المثلث هي المال أو النفس، والثلث هي الجنة، والله تعالى هو الضامن لهذه المعاملة، فمن أراد الجنة عليه أن يدفع ثمناً لها، وهذه الصفقة التجارية بين البائع والمشتري كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو الواسطة بينهما، وهذه التجارة هي ترغيب وحث على طاعة الله تعالى، حيث سمى بذل النفس شراءً من باب المجاز؛ لأنَّ المشتري الذي يريد أن يشتري في الواقع لا يملك المثلث أو البضاعة التي هي المال أو النفس، أمَّا الله تعالى فهو مالك الأموال والأنفس.

وقد يظنُّ البعض من أوَّل وهلة بأنَّ معنى ﴿يَشْرِي﴾، أي: يشتري، ولكنَّ الصحيح أن معناها: يبيع، وهذا ما وقفنا عليه في معاجم وكتب أهل اللغة وفي كلمات المفسرين، فالله تعالى في هذه الآية الكريمة تعرَّض إلى ذكر بعض المؤمنين الذين يبيعون أنفسهم ويضحون بها طلباً لمرضاته وتحقيقاً لغاية قصوى؛ لأجل التقرب إلى الله تعالى بفعل قوَّة اليقين والمحبة الشديدة للتضحية بأعزَّ ما يملك، وعملية البيع تتم بتبديل شيء بشيء آخر مع عدم القدرة على التصرف بالبيع؛ لأنَّه يخرج عن تصرُّفه، يبيع النفس يطلق على بذلها في سبيل الله تعالى ومن مصاديقه بذل النفس في الجهاد أو بذلها في القتل في سبيل الله تعالى، وكان مصداقاً عملياً لهذه المعاملة ما قام به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ليلة المبيت.

يقول الثعلبي الشافعي (ت ٤٢٧ هـ): ((رأيت في الكتب أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه وردَّ الودائع التي كانت



عنده، فأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له: (اتَّشَحْ بِرُذِي الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، وَنَمْ عَلَى فِرَاشِي، فَإِنَّهُ لَا يَحْلُصُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مَكْرُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)، ففعل ذلك عليّ، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل إني قد آخيتُ بينكما وجعلتُ عُمرَ أحدكما أطولَ من عُمرِ الآخرِ فأَيُّكما يُوَثِّرُ صاحبه بالبقاء والحياة؟

فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله تعالى إليهما: (أفلا كُتِّمْتُمَا مثلَ عليّ بنِ أبي طالب آخيتُ بينهُ وبينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبات على فراشه يفديه نفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض؛ فاحفظاه من عدوّه)، فنزلا، فكان جبرئيل عند رأس عليّ وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: (بُخُّ بَخُّ! مَنْ مِثْلَكَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ)، فنادى الله عزّ وجلّ الملائكة وأنزل الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، وقال ابن عباس [حول هذه الآية الكريمة]: (نزلت في عليّ بن أبي طالب، حين هرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المشركين، ونام عليّ على فراش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (١).

وعقّب ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) على رواية الثعلبيّ قائلاً: ((قوله في الحديث فَإِنَّهُ لَا يَحْلُصُ [لَا يَحْلُصُ] إِلَيْكَ مِنْهُمْ مَكْرُوهُ) زيادة وليست منه، ولو كان قد قال له ذلك كيف كان يقول في الحديث من الله تعالى أنه أثر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحياته، وكيف كان الآية تتضمّن أنه باع نفسه في مرضاة الله)) (٢).

أمّا الجاحظ (١٦٠ - ٢٥٥هـ) فشكّك في هذه الحادثة، وأراد إنكار فضيلة عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وطاعته لله تعالى حفظاً للنبيّ الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة المبيت، حيث قال: ((لم يكن له في ذلك كبير طاعة؛ لأنّ الناقلين نقلوا أنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: نم فلنُ

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢ / ١٢٦.

(٢) سعد السعود: ٢١٧.



يخلص إليك شيء تكرهه))^(١)، حيث تمسك بما أضافه الثعلبي في روايته، وهذا ديدن البعض عندما يشاهد فضيلة عظيمة لأمر المؤمنين ﷺ فيحاول بشتى الطرق إنكارها أو التقليل من شأنها أو إخماد نورها الباهر، فيختلقون أموراً أو يتبعون أثرًا ضعيفاً للتمسك به كنفوسهم الضعيفة.

ورده أبو جعفر الإسكافيّ المعتزليّ (٢٤٠هـ) وكذبه بتمسكه بإدخاله في الرواية ما ليس منها، يقول ابن أبي الحديد المعتزليّ الشافعيّ (٥٨٦ - ٦٥٦هـ): ((قال شيخنا أبو جعفر (رحمه الله) هذا هو الكذب الصراح، والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف المنقول أنه ﷺ قال له: إذهب فاضطجع في مضجعي، وتغش بردي الحضرمي، فإن القوم سيفقدونني، ولا يشهدون مضجعي، فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغد في أداء أمانتي، ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولده أبو بكر الأصم، وأخذه الجاحظ ولا أصل له، ولو كان هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه، وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب ورؤمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى تصور، وأتهم قالوا له: رأينا تصورك، فإننا كنا نرمي محمداً ولا يتصور؛ ولأن لفظة المكروه إن كان قالها إنما يراد بها القتل، فهب أنه من القتل، كيف يأمن من الضرب والهوان، ومن أن ينقطع بعض أعضائه، وبأن سلمت نفسه، أليس الله تعالى قال لنبيه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه وأدميت ساقه؛ وذلك لأنها عصمة من القتل خاصة، وكذلك المكروه الذي أو من علي ﷺ منه - وإن كان صح ذلك في الحديث - إنما هو مكروه القتل))^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣ / ٢٦٢.

(٢) ن.م.



وحادثة ليلة المبيت نقلها ابن عُقْدَةَ الكوفي (٢٥٠ - ٣٣٢هـ) في كتابه فضائل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ (١). ونقلها القاضي النعمان المغربي (٣٦٣هـ) أيضاً بإسناده عن إسماعيل السدي (ت ١٢٨هـ) أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: ((نزلت في علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما نام على فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليلة التي تواعد فيها المشركون أن يأتوه، فيقتلوه)) (٢). ونقلها الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) في كتابه الأمالي (٣). وكذا نقلها الطبرسي (٤٧٠ - ٥٤٨هـ) في كتاب الاحتجاج (٤). والطبرسي محمد بن جرير (الشيعة) (٤٠٠هـ) (٥)، وغيرهم.

فهذه حادثة مشهورة وصلت حد التواتر في المصادر الإسلامية ونُقلت في كتب وتفسير الشيعة الإمامية الإثنا عشرية وكتب وتفسير وصحاح أهل السنة تحت عنوان حديث الفراش، أو ليلة الفراش (٦)، أو ليلة المبيت.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي (٥٨٦ - ٦٥٦هـ) نقلاً عن شيخه أبي جعفر الإسكافي المعتزلي (٢٤٠هـ): ((إنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش، ولا يحدده إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة)) (٧)، ونقل الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) رواية

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨١.

(٢) شرح الأخبار: ٢ / ٣٤٥.

(٣) ينظر: الأمالي للطوسي: ٤٦٩.

(٤) ينظر: الاحتجاج للطبرسي: ١ / ٦٠.

(٥) ينظر: المسترشد في الإمامة: ٤٣٣.

(٦) ليلة الفراش: سماها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما احتج بها أمام أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ينظر: أمالي الطوسي: ٥٥١.

(٧) شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٢٦٢.



بإسناده عن حكيم بن جبير^(١) (٥٧هـ)، عن علي بن الحسين عليهما السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، قال: ((نزلت في علي عليه السلام حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم))^(٢).

سبب إجماع رأي قريش على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

لقد لاقى المسلمون في مكة معاناة واضطهاد من قبل مشركي قريش، وقد أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بأن يهاجروا إلى المدينة، حيث وجدت أرضية وأنصار لهذا الدين الجديد، وقد أوشكت أن تخلو مكة، حيث لم يبق فيها من المسلمين إلا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وبعض قليل ممن حبسوهم قومهم كرهاً ومنعوهم من الهجرة إلى المدينة المنورة، يقول ابن عبد البر (٣٦٨-٤٦٣ هـ): ((فلما رأت قريش أن المسلمين قد صاروا إلى المدينة وقد دخل أهلها في الإسلام قالوا هذا شرٌّ شاغل لا يُطاق فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيبيئوه ورسدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه))^(٣).

وكذلك ما نقله أبي الفداء (٧٣٢هـ) في تاريخه عن هذه الحادثة، إذ قال: ((وأما ما كان من حديث الهجرة فإنه لما علمت قريش أنه قد صار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنصاراً وأن أصحابه بمكة قد لحقوا بهم، خافوا من خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فاجتمعوا واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة رجلاً؛ ليضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد؛ ليضيع دمه في القبائل))^(٤)، فقد شكّل المهاجرون والأنصار في المدينة

(١) حكيم بن جبير الأسدي بن مطعم بن عدي من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام. ينظر:

الأبواب (رجال الطوسي): ١١٢.

(٢) الأمالي، الطوسي: ٤٤٦.

(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير: ٧٩.

(٤) المختصر في أخبار البشر: ١/ ١٢٦.



المنورة أرضية واسعة للدين الجديد الذي خالف عقائد كفار قريش وأذلهم، حيث ساوى بين المولى والعبد وبين الغني والفقير والضعيف والقوي، وهذا لم يقبله أصحاب التكبر والغرور أن يساويه بخادمه.

وقد كان هناك عاملٌ أساسيٌّ ساعد زعماء قريش بالإجماع على قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهو عدم وجود ناصر ينصره بعد وفاة ناصره وحاميه أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي فتح لهم مجال التفكير بالقضاء على النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه الجديد قبل أن ينتشر، إذ يقول الكاتب العباسي اليعقوبي (٢٨٤هـ): ((أجمعت قريش على قتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات أبو طالب، فأجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام مُهْدٍ^(١)، فيجتمعوا عليه فيضربوه بأسيا فهم ضربة رجل واحد، فلا يكون لبني هاشم قوة بمعادة جميع قريش))^(٢).

الاجتماع في دار الندوة^(٣) للتخطيط لقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال الشيخ الطبرسي (٤٧٠ - ٥٤٨هـ): ((اجتمعت قريش في دار الندوة وكانوا أربعين رجلاً من أشرافهم، وكان لا يدخلها إلا من أتى له أربعون سنة، سوى عتبة بن ربيعة فقد كان سنه دون الأربعين، فجاء الملعون إبليس في صورة شيخ، فقال له البواب: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد. فاستأذن، فأذنوا له، وقال: بلغني

(١) غلام مُهْدٍ: أي شاب قوي ضخم.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٩.

(٣) دار الندوة: وهي دار معروفة بمكة بناها قصي بن كلاب، الجد الخامس للنبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت منزلاً له، واسمه زيد وكان يسمى مُجَمَّعاً؛ لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة وبني دار الندوة، وهو أول من بنى المساكن فيها حول الكعبة، ثم صارت قريش تجتمع فيها للمشاورة ونحوها، إذا عرض لهم أمر مهم، وكانت قريش تآتمر فيها، حيث كانوا يتيامنون بأمره ويتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، وما تنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش إلا بها.



اجتماعكم في أمر هذا الرجل، فجئتكم لأشير عليكم، فلا يعدمكم مني رأي صائب. فلما أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش، إنّه لم يكن أحد من العرب أعزّ منا ونحن في حرم الله وأمنه تفد إلينا العرب في السنة مرتين ولا يطمع فينا طامع، حتّى نشأ فينا مُحَمَّد، فكنا نسمّيه الأمين لصلاحه وأمانته، فزعم أنّه رسول الله، وسبّ آلهتنا، وسفّه أحلامنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا، وقد رأيت فيه رأياً، وهو أنّ ندسّ إليه رجلاً يقتله، فإنّ طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناهم عشر ديات.

فقال إبليس: هذا رأي خبيث، فإنّ بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل مُحَمَّد على الأرض أبداً، وتقع بينكم الحروب في حرمكم.

فقال آخر: الرأي أن نأخذه فنحبسه في بيت ونثبته فيه ونلقى إليه قوته حتّى يموت كما مات زهير والنابغة. فقال إبليس: إنّ بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم العرب اجتمعوا عليكم وأخرجوه فيخذعهم بسحره. وقال آخر: الرأي أن نخرجه من بلادنا ونطرده فنفرغ نحن لآلهتنا.

فقال إبليس: هذا أحبّ من الرأيين المتقدمين؛ لأنكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً، وأفصح الناس لساناً، وأسحرهم، فتخرجوه إلى بوادي العرب فيخذعهم بسحره ولسانه، فلا يفجأكم إلّا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً. فبقوا حيارى.

ثمّ قالوا للملعون إبليس: فما الرأي عندك فيه؟ قال: ما فيه إلّا رأي واحد، أن يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش رجل شريف، ويكون معكم من بني هاشم واحد، فيأخذون حديدة أو سيفاً ويدخلون عليه فيضربوه كلّهم ضربة واحدة، فيتفرّق دمه في قريش كلّها، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه، فما بقي لهم إلّا أن تعطوهم الدية، فأعطوهم ثلاث ديات.



قالوا: نعم، وعشر ديات، وقالوا بأجمعهم: الرأي رأي الشيخ النجدي، فاختروا خمسة عشر رجلاً فيهم أبو لهب على أن يدخلوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقتلونه، فأنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، ثم تفرقوا على هذا، وأجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً، وكتبوا أمرهم))^(١).

وقد نقل هذه الحادثة أبو بكر الآجري الشافعي (٣٦٠هـ)، وتعرض إلى صورة إبليس قائلاً: ((وَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي صُورَةِ سُرَّاقَةٍ بِنِ جُعْشَمِ الْمُدَلِجِيِّ مِنْ كِنَانَةَ قَرِيْشٍ فِي زِيِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ عَلَيْهِ بُرْدٌ))^(٢).

وهذه الخطة والمكر والخديعة التي نصبوها للنبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي مصداق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقد أخبر الله تعالى حبيبه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأمر.

الاقتراحات الثلاثة التي خرج بها كفار قريش في اجتماعهم في دار الندوة:

الاقتراح الأول: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، وهو رأي واقترح أبو البختري بن هشام، وهو: أن يأخذوا النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحبسوه في بيت ويسدوا وثاقه، ويسدوا باب البيت، أي: يمنعونه من الحركة بالحبس والضبط والتقييد في مكان، أو شد وثاقه.

الاقتراح الثاني: ﴿يُخْرِجُوكَ﴾، وهو اقتراح هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي، حيث كان رأيه: أن يحملوه على بعير ويخرجوه من بين أظهرهم؛ من أجل أن يتفرغوا لعبادة آلهتهم.

(١) إعلام الوری بأعلام الهدى / ١ / ١٤٥ - ١٤٧.

(٢) الشريعة: ٤ / ١٦٦٠.



الاقترح الثالث: ﴿يَقْتُلُوكَ﴾، وهو رأي أبو جهل بن هشام من بني مخزوم، حيث قال: ندسُّ إليه رجلاً منا ليقته! فإن طلبت بنو هاشم بديته أعطيناهم عشر ديات.

وهذا الرأي أفشله شيخُ نجد (الشیطان اللعين)، ولكنه اقترح عليهم خطة ماكرة وخبيثة لم يلتفت لها أحد من مشايخ قريش ولم يفكروا بها، وهي القتل ولكن بشكل آخر، حيث بين لهم خطة محكمة وناجحة من أجل القضاء على النبي الأكرم ﷺ وتم الاتفاق عليها وهي من أنجح الخطط التي تعرض لها كثير من علماء السير والتاريخ، مثل ابن هشام في سيرته والطبري في تفسيره، وغيرهم، وقد نقلها كلهم عن طريق ابن إسحاق حدّثه عبد الله ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس.

وقد نقل الشيخ الطبرسي (٤٧١ - ٥٤٨هـ) هذه الحادثة ولم يتعرض إلى أسماء أصحاب الرأي والاقترحات، ونحن تعرّضنا إلى أسمائهم نقلاً عن رواية الثعلبي الشافعي^(١) (٤٢٧هـ) والبغوي الشافعي^(٢) (٤٣٦ - ٥١٠هـ)، والزنجري الحنفي^(٣) (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) وأبو البركات النسفي الحنفي^(٤) (٧١٠هـ) والزليعي الحنفي^(٥) (٧٦٢هـ)، وغيرهم.

دور الشيطان في دار الندوة:

تنوّعت أدوار إبليس اللعين وصوره في عهد الإسلام، حيث كان يتمثل بصورٍ مختلفة ليقوم باستنهاض أعوانه ضد دعوة النبي الأكرم ﷺ، وقد تعرّض الشيخ

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤ / ٣٤٨.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): ٢ / ٢٤٤.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢ / ١٥٤.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): ١ / ٦٤١.

(٥) ينظر: تخریج الأحاديث والآثار: ٢ / ٢٥.



الطوسي إلى ذكر بعض منها^(١)، وأحد أدواره كان في دار الندوة عندما اجتمع زعماء قريش لقتل النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كان السباق إليهم عندما دخلوا الدار وتشاوروا في أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أفشل جميع مخططاتهم؛ لأنها غير مفيدة وهزيلة وبين لهم أسباب رفضه فتمسكوا به وبخطه؛ لذا اقترحوا عليه أن يضع خطة محكمة وامثلوا لأمره وطبقوها، فقد تمثل لهم بصورة شيخ نجدي، وقد تعرض الحلبي الشافعي ((١٠٤٤هـ)) إلى أوصافه التي تمثل بها؛ ليجذب بها عيون وآراء زعماء قريش، قائلاً: ((إن إبليس جاء إليهم في صورة شيخ نجدي عليه طيلسان من خز، وقيل: من صوف، وإنما فعل ذلك ليُقبل منه ما يشير به؛ لأن أهل الطيالسة في العادة من أهل الوفار والمعرفة))^(٢).

وأخبرهم بأنه من أهل نجد، حيث أفصح وعرف نفسه وأكد عليهم أنه ليس من أهل تهامة، والظاهر أن أهل نجد يكتنون للعداء للنبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوته بخلاف أهل تهامة، حيث قال: ((أنا شيخ من نجد، ما أنا من تهامة، دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً))^(٣)، فقالوا: اتركوه، ثم تشاوروا.

خُتِمت الجلسة وتم تأييد ما خطه الشيخ النجدي والتصويب عليه، بأن يدخلوا على داره ليلاً فيقتلوه. خرجوا من دار الندوة إلى المسجد الحرام يصفرون ويصفقون ويطوفون بالبيت، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]^(٤)، وهذه معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ

(١) ينظر: أمالي الطوسي: ١٧٦.

(٢) السيرة الحلبية: ٢/ ١٨٩.

(٣) تفسير السمعي: ٢/ ٢٦٠، وتخريج الأحاديث والآثار: ٢/ ٢٥.

(٤) ينظر: المكاء: التصفير، والتصدية: صفق اليدين.



المَّاكِرِينَ ﴿[الأنفال: ٣٠]﴾، حيث ذكرت بعد خمس آيات منها. وفيها يقول ابن كثير الشافعي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ): ((فكان ذلك اليوم يُسمَّى يوم الزحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأي))^(١)، وقد تعرَّض الشيخ الطبرسي (٤٧١ - ٥٤٨هـ) إلى ذكر هذا الاجتماع، وذكر عدد الذين هجموا على دار النبي الأكرم ﷺ ليلة المبيت، قائلاً: ((فاختاروا خمسة عشر رجلاً فيهم أبو لهب))^(٢)، أمَّا الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ)، فقد ذكر أنَّ عددهم خمسة وعشرون رجلاً^(٣).

سبب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة:

عندما نزل جبرئيل ﷺ على النبي الأكرم ﷺ بآية المكر، وأخبره أنَّ قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبرون عليه أمراً، أذن الله تعالى له بالهجرة من مكة إلى المدينة المنورة، وقد أمره الله تعالى أن يخبر علي بن أبي طالب ﷺ أنَّ الله يأمرك أن تبيت في فراشي هذه الليلة، يقول الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ): ((دعا رسول الله ﷺ علياً ﷺ، وقال له: يا علي إنَّ الروح هبط عليَّ بهذه الآية أنفاً، يخبرني أنَّ قريشاً اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأنَّه أوحى إليَّ ربِّي (عزَّ وجلَّ) أن أهجر دار قومي، وأن انطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنَّه أمرني أن أمرك بالمبيت على مضجعي؛ ليخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل، وما صانع؟ فقال علي ﷺ: أو تُسلم بمبيتي هُناك يا نبيَّ الله؟ قال: نعم، فتبسَّم علي ﷺ ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً))^(٤).

وقد أخبر علي بن أبي طالب ﷺ أن يؤدِّي عنه الودائع والأمانات التي كانت عنده، وأن يلتحق به بعد ثلاثة أيام، فاستجاب ﷺ إليه ونام في فراشه، وكانت منقبة

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): ٢/ ٣١٥.

(٢) إعلام الوری بأعلام الهدى: ١/ ١٤٦.

(٣) ينظر: أمالي الطوسي: ٤٤٦.

(٤) أمالي الطوسي: ٤٦٥.



من أحد المناقب التي نالها عليه السلام حيث ضحى وفدى نفسه من أجل حبيبه المصطفى عليه السلام حفاظاً على الدين، وضرب مثلاً رائعاً للفتوة والتضحية بالنفس.

محاصرة قريش دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

حاصر المشركون بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من أول الليل؛ ليهاجموا عليه في منتصف الليل طبقاً للخطة التي أجمعوا عليها في دار الندوة، وقد تمكن صلى الله عليه وآله وسلم من الخروج من الدار من دون أن يلاحظوه، حيث جاء جبرئيل عليه السلام فأخذ بيده صلى الله عليه وآله وسلم فأخرجه من الدار وأبطال قريش حول الدار وهو يقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، وينثر التراب على رؤوسهم وهم لا يشعرون فغلبهم النوم، فهاجر ديار قومه متوجّهاً إلى يثرب، آخذاً طريق جبل ثور^(١) كما أمره الله تعالى، فدخل الغار ونجا من المشركين.

يقول النويري (٦٧٧ - ٧٣٣هـ): ((فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً، قال: خبيكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا ينظرون فيه فيرون علياً على الفراش متسجياً برؤس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برؤسه. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليٌّ عن الفراش؛ فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا))^(٢).

فلما أصبحت قريش وأضاء الصبح وثبوا في الحجرة وقصدوا الفراش، فوثب عليٌّ عليه السلام إليهم وقام في وجوههم، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: أين ابن عمك محمد؟

(١) جبل في مكة المكرمة على طريق منى له سنام كسنام الثور.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٦ / ٣٢٩.



قال عليّ ﷺ: أ جعلتموني عليه رقيباً؟ أستم قلمت له: اخرج عنا، فقد خرج عنكم، فما تريدون؟^(١)، لقد نام أمير المؤمنين ﷺ في فراشه ﷺ ملتحفاً بـردته اليمانية؛ فادياً نفسه عن قتل يقيني قطعي بما خططوا له زعماء قريش، ومن جانب آخر وفر له فرصة الوقت بعدم اللحاق به، إذ خرج من بداية الليل متخذاً طريقه إلى الغار، والدار محاطة بمجموعة من الأبطال المسلّحين ينتظرون طلوع الفجر؛ لينقضوا على غريمهم ويقتلوه ليضيع دمه هدراً بين القبائل، ولا تستطيع بني هاشم المطالبة بدمه، فكان مبيته سبباً لنجاة النبي الأكرم ﷺ وحفظاً لبقائه واستمراراً في تبليغ رسالة الله تعالى.

يقول ﷺ: ((وأمرني أن أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه، فمضى ﷺ لوجهه، واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي ﷺ، فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي، فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس))^(٢).
لقد وقاه ﷺ بنفسه وأنقذ النبي الأكرم ﷺ من قتلٍ حتميٍّ وأفضل مؤامرتهم، وقد وجدوا أنفسهم أمام هزيمة نكراء، عندما شاهدوا عليّاً نائماً في فراشه، باذلاً نفسه إرضاءً لأمر الله تعالى، حيث ناهضهم بسيفه ودفعهم عن نفسه؛ لأنهم أرادوا قتله، فأنزل الله تعالى بحقه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]؛ لموقفه البطولي وقد كان عمره الشريف ٢٣ عاماً.

وقد أنشد الأَصْمَعِيُّ (١٢٢ - ٢١٦هـ) أبياتاً للإمام جعفر الصادق ﷺ

(٨٣-١٤٨هـ) قائلاً^(٣):

(١) ينظر: إعلام الوري بأعلام الهدى: ١/ ١٤٧.

(٢) الخصال: ٣٦٧.

(٣) ينظر: تفسير مجمع البيان: ٥/ ١٣٠.



أُثَامِنُ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةَ رَبِّهَا
فَلَيْسَ لَهَا فِي الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ثَمَنٌ
بِهَا يُشْتَرَى الْجَنَّاتُ إِنْ أَنَا بَعْتُهَا
بِشَيْءٍ سِوَاهَا، إِنْ ذَلِكَ كُمْ غَبْنٌ
إِذَا ذَهَبَتْ نَفْسِي، بِدُنْيَا أَصْبْتُهَا
فَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي، وَقَدْ ذَهَبَ الثَّمَنُ

يعني أن الإنسان إذا بذل نفسه وروحه في سبيل الدنيا ستضيع الدنيا ويضيع الثمن عليه، أما إذا بذلها في سبيل الله تعالى؛ سيقى له الثواب والأجر العظيم، وهذه تجارة الله تعالى بأن أعطاهم أغلى ثمن وهي الجنة.

وفي صباح نفس اليوم وأمام أعين زعماء قريش وأهل مكة ينادي بالناس غدوة وعشيًّا من له أمانة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليأتي ويأخذها، حيث أودعوها عنده؛ لأن قريش في الجاهلية كانت تناديه الصادق الأمين، فتستودعه أموالها وأمتعتها فيحفظها لهم عنده، وكذلك من يقدم مكة في موسم الحج، فقد أدى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع الأمانات والحقوق، وفي اليوم الثالث وأمام أعين الناس خرج متوجِّهًا إلى المدينة لالتحاق بأخيه وابن عمه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد ورد المدينة المنورة ونزل في بني عمرو بن عوف بقباء، فألزموه على دخولها، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن عمي وابنتي، يعني عليًّا وفاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ))^(١).

يقول ابن الأثير الشافعي (٦٣٠هـ): ((تتابع الناس في الهجرة وكان آخر من

(١) أمالي الطوسي: ٤٦٩.



قدم المدينة من الناس ولم يفتن في دينه علي بن أبي طالب وذلك أن رسول الله ﷺ أخره بمكة وأمره أن ينام على فراشه، وأجله ثلاثاً وأمره أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه، ففعل ثم لحق برسول الله ﷺ^(١).

لماذا لم يقتل الإمام علي ﷺ في ليلة المبيت؟

وفيه احتمالان:

الأول: الهدف من الخطة هي قتل النبي ﷺ:

كان الهدف الأساس من الخطة التي وضعت هي قتل النبي الأكرم ﷺ، وبفقدته انتهت الخطة وباءت بالفشل.

الثاني: الخوف من علي ﷺ:

وهذا الاحتمال هو القوي، ونتبناه حيث أتهم هابوه فهربوا منه خشية القتل، ولو كانوا يستطيعون قتله لقتلوه، والشاهد على ذلك:

أولاً: إتهم قبل أن يهجموا عليه كانوا ((يقذفونه بالحجارة والحلم^(٢))، ولا يشكون أنه رسول الله ﷺ، حتى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح، هجموا على علي ﷺ، وكانت دور مكة يومئذ سوائب لا أبواب لها، فلما بصر بهم علي ﷺ قد انتضوا السيوف [سلوها من غمدها] وأقبلوا عليه بها، وكان يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب له علي ﷺ فختله^(٣) وهمز يده [عصرها]، فجعل خالد يقمص قماص^(٤) البكر [يرفس كالفصيل]، ويرغو رغاء الجمل، ويذعر ويصيح، وهم في عرج الدار

(١) أسد الغابة: ٤/ ١٩.

(٢) الحلم (بفتح الحاء واللام) جمع الحلمة نبات ينبت بنجد في الرمل، لها زهر وورقها أخيشن عليه شوك كأنه أظفير الإنسان، وهي شجرة السعدان. لسان العرب: ١٢/ ١٤٩.

(٣) ختله: خدعه، يقال: خاتل الصياد أي مشى قليلاً قليلاً لئلا يحس.

(٤) القماص: الضرب بالرجل.



[منعطفها] من خلفه، وشدَّ عليهم عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بسيفه فأجفلوا [فأسرعوا] أمامه إجمال النِّعم إلى ظاهر الدار، فتبصَّروه فإذا هو عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقالوا: إنك لعليٌّ؟ قال: أنا عليٌّ. قالوا: فإنَّا لم نردك^(١). عندما تتأمل بالنص نلاحظ أنهم كانوا يقذفون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجارة والحكم وهو نائم، وأنهم قالوا له: رأينا تصورك، فإنَّا كنَّا نرمي محمَّدًا ولا يتصوَّر، فهم فهموا أنَّه عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فأرادوا أن يتقبَّصوا عليه إذ بدأ خالد وشهر سيفه، فمسكه عَلَيْهِ السَّلَامُ ولطمه في الأرض وشدَّ عليهم فهربوا خائفين.

ثانيًا: صباح نفس اليوم المصادف الأوَّل من ربيع الأوَّل خرج عليٌّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ونادى في مكَّة وأمَام أهلها من عنده ودِعة أو أمانة عند النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليأتي ويأخذها، واستمرَّ على هذا الحال ثلاثة أيام ينادي أهلها والكُلُّ يسمعه من أجل ردِّ الأمانات التي كانت عنده، بدون حامي أو شخص يصحبه، وفي اليوم الثالث خرج علنًا مع النساء (فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وأمه فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير بنت عبد المطلب) أمام أعين الناس وصناديد قريش متوجَّهًا إلى المدينة المنورة؛ من أجل أن يلتحق بأخيه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثالثًا: ((عندما توجَّهوا إلى المدينة وشارف منطقة ضَجَنان لحقوه سبعة فوارس من قريش مستلَّمين^(٢)، وثامنهم مولى لحرب بن أمية يدعى جناحًا، وقالوا له: أظننت أنك يا غدر ناجٍ بالنسوة؟ ارجع لا أباك. قال: فإن لم أفعل، قالوا: لترجعن راغمًا، وعندما دنوا من النسوة والمطايا حال عَلَيْهِ السَّلَامُ بينهم وبينها، فشدَّ عليهم بسيفه، وقال لهم عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَنْ سرَّه أن أُفري لحمه وأريق دمه فليتعقبي أو فليدنْ مني^(٣)). وهذا يدلُّ على أنه مطلوب لهم ولا بُدَّ من قتله.

(١) أمالي الطوسي: ٤٦٧.

(٢) استلام الرجل: لبس اللامة، وهي أداة الحرب وعدتها.

(٣) أمالي الطوسي: ٤٧٠.



ليالي المبيت:

يتصوّر بعضٌ أنّ حادثة ليلة المبيت هي المرّة الأولى والأخيرة التي نام فيها عليّ بن أبي طالب ﷺ في فراش النبي الأكرم ﷺ ليقيه من المشركين بنفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى وحفظاً لدين الإسلام، ولكن عند البحث والتحقيق وقفنا على أنّ هناك ليالٍ كثيرة سبقتها، حيث كان ﷺ ينام فيها في فراش المصطفى ﷺ و يقيه بنفسه، خصوصاً في شعب أبي طالب ﷺ حينما قوطعت وحوصرت فيه بنو هاشم لمدة ثلاث سنين ابتداءً من السنة السابعة من البعثة النبويّة الشريفة، حيث كان عمر عليّ بن أبي طالب ﷺ سبعة عشر عاماً، يقول ابن شهر آشوب المازندرانيّ (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ): ((كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبو طالب فأنهضه عن مضجعه وأوضح عليّاً مكانه ووكل عليه ولده وولد أخيه، فقال عليّ ﷺ: يا أبتاه إنّي مقتول ذات ليلة.

فقال أبو طالب ﷺ:

إصْبِرْ يَا بُنَيَّ فَالصَّبْرُ أَحْسَى
كُلَّ حَيٍّ مَصِيرُهُ بِشَعُوبِ
قَدْ بَلَوْنَاكَ وَالْبَلَاءُ شَدِيدٌ
لِفِدَاءِ الْحَبِيبِ وَابْنِ الْحَبِيبِ
لِفِدَاءِ الْأَغْرَرِ ذِي الْحَسَبِ الثَّ
قَبِّ وَالْبَاعِ وَالْفَنَاءِ الرَّحِيبِ
إِنْ تُصِيبَكَ الْمَنُونُ بِالنَّبْلِ تَتَرَى
فَمُصِيبٌ مِنْهَا وَغَيْرُ مُصِيبِ



فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَتَأْمُرَنِي بِالصَّيْرِ فِي نَضْرِ أَحْمَدٍ
فوالله ما نلتُ الَّذِي نلتُ جازعاً

ولكنني أحببتُ أَنْ تَرَ نَضْرَتِي
وَتَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ طائِعاً

وسعي لوجهِ الله في دينِ أحمدٍ
نبيِّ الهدى المحمودِ طفلاً ويافعاً^(١)

وهذه الحادثة مذكورة في كتب وتفسير الشيعة الإمامية وأهل السنة، وقد ذكرها الفتال النيسابوري (٥٠٨) ^(٢)، وفي موضع آخر يقول ابن شهر آشوب المازندراني (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ): ((إنَّ علياً بات على فراش النبي في الشعب ثلاث سنين، وفي رواية أربع سنين)) ^(٣).

وليالي المبيت هي إحدى مناقب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ المختصة به، إذ بذل نفسه فداءً لأخيه ونفسه وحببيه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفظاً لدين الله تعالى الذي جاء به، ليال كان ينام في فراشه فدا نفسه لسيد الأنام حتى آخر لحظة من حياته، ولولا مبيته ما تمَّ النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبليغ رسالته وأداء مهمته الرسالية.

(١) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٥٩.

(٢) ينظر: روضة الواعظين: ٥٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٣٣٥.



النتائج:

وصلنا إلى نتيجة مفادها أنَّ الإيثار فضيلة سامية ودرجة إيمانٍ عالية في التضحية، لا يصل إليها إلا الذين تحلّوا بقوة اليقين والصبر وشدة المحبة للغير، ولا يجسدها إلا ذو حظٍّ عظيم.

وأنَّ حادثة ليلة المبيت ليست المرّة الأولى التي نام فيها عليّ بن أبي طالب ﷺ في فراش النبيّ الأكرم ﷺ ليقية من المشركين بنفسه ابتغاءً لمرضاة الله تعالى وحفظاً لدين الإسلام، وإنّما سبقتها ليال كثيرة كان ينام فيها ﷺ في فراش المصطفى ﷺ يقية بنفسه، خصوصاً في شعب أبي طالب ﷺ.

وإنَّ ليلة المبيت هي إحدى مناقب أمير المؤمنين ﷺ التي جسدها على الواقع العملي بأروع صور التضحية والفداء، إذ فدا نفسه لحبيبه المصطفى ﷺ وحفظاً لدين الله تعالى الذي جاء به، ولعظمتها أنزل الله تعالى آية قرآنية فيها.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير، تح: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.
٢. إعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، ط ١، ١٤١٧.
٣. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم المشرفة، ط ١، ١٤١٤ هـ.
٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق اليعقوبي، دار صادر، بيروت.
٥. تخريج الأحاديث والآثار، عبد الله بن يوسف الزيلعي، تح: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ.
٦. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تح: جماعة من العلماء تحت إشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م.
٧. تفسير السمعي، منصور بن محمد السمعي، تح: ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٩٩٧ م.
٨. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢ م.
٩. تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م.
١٠. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد بن مسكويه، تح: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١.
١١. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥ م.



١٢. الدرر في اختصار المغازي والسير، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣هـ.
١٣. روضة الواعظين، محمد بن الفثال النيسابوري، تح: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المشرفة.
١٤. سعد السعود، علي بن موسى بن طاووس، منشورات الرضي، قم المشرفة، ١٣٦٣ش.
١٥. السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، نشر وطباعة: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
١٦. شرح الأخبار، النعمان بن محمد القاضي المغربي، تح: السيد محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ط٢، ١٤١٤هـ.
١٧. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن عبد الله بن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، دمشق، ط١، ١٩٥٩م.
١٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
١٩. العثمانية، عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، المطبعة: دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٥م.
٢٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١. فضائل أمير المؤمنين ﷺ، أحمد بن محمد بن عقدة الكوفي، تح: عبد الرزاق محمد حسين، ١٤٢١هـ.
٢٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٦٦م.



٢٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.
٢٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نشر أدب الحوزة، قم المشرفة، ١٤٠٥ هـ.
٢٥. المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)، أبي الفداء عماد الدين إسماعيل، دار المعرفة للطباعة والنشر، المطبعة: شركة علاء الدين للطباعة، بيروت.
٢٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، تح: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.
٢٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، تح: عبد الرزاق المهدي العك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
٢٨. معجم الغني الزاهر، عبد الغني أبو العزم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٣ م.
٢٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم المشرفة، ١٤٠٤ هـ.
٣٠. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، الناشر: طليعة النور، قم المشرفة، ط ٢، ١٤٢٧ هـ.
٣١. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، طبعه محمد كاظم الكتبي، طبع في المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.
٣٢. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري الشافعي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

الثابت والمتغير في السلطة عند الإمام عليؑ في ضوء المنهج القرآني

أ.د. كاظم عبد فريح

جامعة ميسان

الملخص:

هنالك سمة ظاهرة يلمحها الباحث والمُتَلَقِّي لأقوال الإمام عليؑ، وأفعاله، على طول مسيرته في الإسلام، تتجلى في نظره للإنسان سواءً أكان ذلك الإنسان حاكمًا أم محكومًا من وجهة نظره التي تعكس رؤية الإسلام المُحمّدي لحقيقية ذلك الأمر، على الرغم مما داخل الحاكمية وقيمة الإنسان في مراحل مُختلفة عاصرها الإمام سلامُ الله عليه من مداخلاتٍ وتشعباتٍ، وقد ترجم الإمام المفهوم الحقيقي للحاكم والرعية في تركيبة المجتمع الحقيقي الذي يسعى إليه الإسلام وفق المنطوق القرآني، من هنا يجد المُختصون بعلم الاجتماع تطبيقًا إنسانيًا حقيقيًا بكل المعنى في ضوء الرؤية القرآنية التي سعتُ لبناء إنسانٍ ومُجتمعٍ حقيقيين، من هنا وجد الدارسون جذبًا غير مسبوقٍ للغوص في تقصي ذلك الأثر العملي الذي تحرك في ضوء ثوابتٍ ومُتغيراتٍ لكثيرٍ من قوانين السُلطات الحاكمة إلى يومنا هذا وللأسف، إذ عمل الإمام عليؑ وفي تطبيق قرآنيٍّ على إبراز القيمة الحقيقية للإنسان بعيدا عن الاستبداد والاستغلال والعبودية التي مازالت مُتجذرةً في مفهوم الحاكمية في جوانب الحياة برمتها.

الكلمات المفتاحية: المَحْو والإثبات، الثابت والمتغير، الإمام عليؑ .



Abstract:

There is a prominent characteristic observed by researchers and recipients of Imam Ali's (PBUH) sayings and actions throughout his journey in Islam. This characteristic is manifested in his perception of the human being—whether as a ruler or a subject—reflecting the authentic Muhammadan Islamic vision. Despite the various complexities and interventions that affected the concepts of governance and human value during the eras Imam Ali (PBUH) lived through, he translated the true concept of the ruler and the subjects within the structure of a virtuous society as envisioned by Islam according to the Quranic discourse.

Consequently, sociologists find a profound and genuine humanitarian application in his approach, aligned with the Quranic vision that seeks to build an authentic individual and society. Scholars have noted an unprecedented urge to investigate this practical impact, which operated amidst the constants and variables of many governing authorities' laws—laws that, unfortunately, persist to this day. Imam Ali (PBUH), through a Quranic application, worked to highlight the true value of the human being, far removed from the tyranny, exploitation, and servitude that remain rooted in the concepts of governance across various aspects of life.

Keywords: Effacement and Establishment (Al-Mahw wa al-Ithbat), The Constant and the Variable, Imam Ali (PBUH).



المُقدّمة:

قامَ البحثُ على مفاتيحٍ دلاليّةٍ تنهضُ بالبحث، وهي: (المحو والإثبات)، حينَ حاولَ الإمامُ أميرُ المؤمنين عليه السلام لإرساءِ العلاقةِ الطبيعيّةِ بينَ الحاكمِ والمحكومِ وفقَ الدفعِ القرآني الحقيقي بعد ما جرى من مُتغيّراتٍ هبّت على الأُمَّة لوقتٍ غيرِ قصير، إنَّ الوقوفَ عندَ دلالاتِ هذينِ المُصطلحينِ يكشفُ اللثامَ عن تجربةِ حاكميّةِ جديدةٍ نظّمتِ العلاقةَ بينَ الحاكمِ والرعيّةِ للوصولِ إلى مُجتمعٍ تسودهُ المساواةُ والأمنُ والإبداعُ، من هنا رُسمتْ ملامحُ البحثِ في حدودِ رؤيةٍ إنجازيّةٍ جديدةٍ مدارها محو آثارِ السلطةِ الانتهازيةِ الظالمة، وتثبيتُ أُسسِ التواصلِ الصحيحِ وفقَ المنظورِ القرآني والركونِ إلى سلطةٍ يطمأنُّ الرعيّةُ إليها، كلُّ ذلك سيُتضحُ عبرَ آليّةِ التطبيقِ العملي لثنائيّةِ (المحو والإثبات) في نطقه، وما دونه الإمامُ عليٌّ عليه السلام في خطبهِ ورسائله، وقد استأنسَ الباحثُ بها في إخراجِ حلّةٍ تتوافقُ معَ البحثِ وفقَ هذا التزاخمِ المَعكوسِ بينَ مُصطلحي (المحو والإثبات)، وهو تدافعٌ بينَ دالتينِ يتطلّبُ إحضارُ أحدهما غيابَ الآخر، وفي علاقةٍ تدافعيّةٍ تضادّيّةٍ يحكمها المنطقُ بقصديّةٍ دقيقةٍ لم تتأتَّ من فراغ، كما سيُتضحُ حينَ يتوزّعُ البحثُ على ثلاثةِ محاورٍ هي: الأوّل: ثنائيّةُ المحو والإثباتِ بينَ سلطويّةِ الحاكمِ والحاكمِ الراعي، والثاني: ثنائيّةُ المحو والإثباتِ بينَ ولاةِ السلطةِ وولاةِ الرعيّةِ، والثالث: ثنائيّةُ المحو والإثباتِ بينَ الاستحواذِ والإيثارِ، بعد مُقدّمةٍ ومدخلٍ، يتبعها بيانٌ لأهمِّ نتائجِ البحثِ ومصادره.



مدخل:

في البدء، لا بد من تقليب معاني مفردة (أمن) بين اللغة والاصطلاح؛ لتكون منطلقاً للغوص في أصل البحث ودلالاته، فهي في دلالتها اللغوية كغيرها من مفردات اللغة التي لم تقف عند معنى لغوي واحد في كثير من الأحيان، وإنما تشطت إلى عطاءات ومنح دلالية متعدّدة سطرّها أصحاب معجمات اللغة وشرحاتها، وتقلّبت بين مقاصد دلالية كثيرة منها؛ (الطمأنينة وذهاب الخوف)^(١)، فتضمّنت ما يأمن به الإنسان من كل أصناف الخوف، فاقرنت بهذا المعنى كثيراً في كتاب الله^(٢)، وجاءت أيضاً بمعنى الطمأنينة الحاصلة بذهاب الخيانة وإحلال الأمانة^(٣)، ومن معانيها أيضاً: الثقة، والسلام، والنجاة، والتصديق، وكلّها تقترن بذهاب ما يقابلها من مناقضات، وبالمُجمل فإنّها تشير إلى الاسم الذي يؤمن عليه الإنسان^(٤)، والله تعالى المؤمن لأنّه آمن عباده من أن يظلمهم^(٥)، فهو ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]،

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٩٠، وينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٠١٧ / ٤.

(٢) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْتُمْ فادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

(٣) في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْتَكُمُ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظٌ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانَ مِقْبُوْصَةً فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٩٠ وما بعدها.

(٥) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٠١٧ / ٤.



أما اصطلاحًا فلا يتعد المعنى عن المدلول اللغوي، وإنما يدور حوله، ويستظل به ويشاركه المعنى، ومعناه الاصطلاحي المُجرّد يأتي بمعنى: ذلك الجزء من سياسة الحكومة الذي يستهدف شروطًا سياسية دولية ووطنية ملائمة لحماية أو توسع القيم الحيوية ضد الأعداء الحاليين والمحتملين^(١)، أو: هو شعور نفسي بالاستقرار وتحقيق الطمأنينة للفرد والجماعة، ومن آثاره؛ القدرة على مواجهة المفاجآت دونما اضطراب في الأوضاع السائدة في المجتمع السياسي، بما يعنيه ذلك من تقلص للطمأنينة والاستقرار^(٢)، وحين يرتبط بعلائق أخرى يقترن بها كالاقتصادي والسياسي والاقتصادي فإنه يأخذ في التوسع والامتداد في دلالاته المُتفرّعة بحسب ما يرتبط مع مفردة الأمن من مفرداتٍ أخرى استوعبت كل مجالات الحياة المتنوعة بتنوع هذه الامتدادات اللفظية وما يُصاحبها من امتدادات فكرية، فالأمن الاجتماعي هو ((توفير الأمن للمواطن بالقدر الذي يزيد من الشعور بالمواطنة والانتماء والعدالة الاجتماعية))^(٣)، وهو ((يرتبط بالأمن الإنساني الذي تتلى بها حياة البشر، والتخلص منها إن أمكن، وهو ما يتعارض أساسًا مع فكرة أمن الدولة التي تركز على صون وسلامة الدولة وقوتها))^(٤).

المحور الأول: ثنائية المحو والإثبات بين سلطوية الحاكم والحاكم الراعي

اختطَّ الإمام عليؑ لنفسه منهجًا قرآنيًا يُحدِّد من خلاله تعامل الحاكم مع رعيته، استمدّه مما تعلّمه من كتاب الله ورسوله ﷺ، فالحكم عنده لم يعد سيقًا مُسلطًا على رؤوس العباد، وليس على الناس الخنوع والخضوع للسلطان في خيره

(١) ينظر: حول الأمن الإسلامي: ٨٦.

(٢) ينظر: نظرية الأمن العربي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط: ٣٧.

(٣) المعجم القانوني: ٥٣١ / ٢، وينظر: دور الإعلام في قضايا الأمن الاقتصادي والاجتماعي: ١٩.

(٤) الأمن الإنساني المفهوم والتطبيق في الواقع العربي والدولي: ٣٧.



وشره حين قرنت طاعة الحاكم بطاعة الله عند من سبقه في الحكم والسلطة، فتمثل منهجه القرآني في محو قدسيّة السلطة المطلقة، ومن ثم تقديس الحاكم في صورة لم يألفها الإسلام والمسلمين في كتاب الله الكريم، وما أوصى به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم تعد وظيفة الحاكم منة على الرعية، لقد محى الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الانحراف ليثبت محله مفهوماً قرآنياً جديداً يقوم على إظهار الحاكم بصورة تختلف كلياً عما سبق، فالسلطة خدمة للرعية، تقوم على الحقوق والواجبات المتبادلة، فهو القائل: ((أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أمركم))^(١)، وهو مستمد من قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩]، إن السلطة في المفهوم العلويّ والمستنبط من القرآن الكريم هو عقد بين الحاكم والرعية، ولكل منهما حق على الآخر، وبخلاف هذا الأمر ينفرد عقد البيعة؛ ((إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعدة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها، واصدار السهمان على أهلها))^(٢)، والسهمان: جمع سهم، أي: بمعنى الحظ والنصيب من بيت المال.

إن عوامل الاستقرار النفسي السالكة إلى الاستقرار الاجتماعي لم تكن غائبة عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لذلك رسم خارطة لهدى الأمة إلى المسلك القرآني الصحيح بعد تيه طويل سلب الأمة حقوقها في أبسط سبل العيش قبالة طبقة متخمة على حساب الأغلبية

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، خطبة (٣٤): ٨٤ / ١.

(٢) م.ن، خطبة (١٠٥): ١٠٧ / ١.



المقموعة، بعد أن كانت السلطة سبعا ضاريا يتحكم بالأموال والأعراض، فجاء الإمام عليؑ؛ ليزيح ذلك الانفلات كله في ضوء مفهوم أخلاقي جليّ. يجدُّ المُتفحّص لسيرتهؑ مع الرعيّة محوًّا كاملاً للفهم الخاطيء لمعنى الحاكميّة المُتجدّر في عقل الحاكم والمحكوم على حدّ سواء؛ لذلك انبرى كثيرٌ ممن اعتاد هذه المعادلة الظالمة للأمة للهروب إلى معاوية في الشام، فدفعؑ ثمن هذا التغيير حروباً مُتتاليةً قادت إلى استشهادِه في الحادثة المعلومة للجميع.

ولم تعد الحاكميّة هي الغاية والهدف الأسمى كما كانت عند الكثير من قبله وأضحّت في مفهومها الجديد وسيلة لإقامة العدل وحدود الله بين عباده، وفي معرض حديثه مع ابن عباس هو القائل: ((والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً))^(١)، حين كان يخصف نعله الذي كان هو المقصود في قوله: (لهي) لنعلم مقدار تلك الحاكميّة عنده إذا ابتعدت بصاحبها عن جادة الإصلاح، وإقامة العدل بين الناس، فالسلطة ليست بذاتها وإنما لغايتها التي يتوجه بها من يتحكم بزمامها، ويمتطي ناصيتها، وهي امثالٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

إنّ الحاكميّة في مفهومها العلويّ يجب أن تقوم على رضا الأمة وقبولها، فهي علاقة قبول وموافقة، ولا بدّ للحاكم من مقبوليّة في الأمة؛ ((إن كرهنِي

(١) نهج البلاغة، خطبة (٣٣): ٣٨/١.



رجل واحد من الناس لم ادخل في هذا الأمر))^(١) ولربَّ مُعْتَرِضٍ يَقُولُ: أَلَمْ يَكُنْ مَعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِ الْكَثِيرُ مِمَّنْ كَانَ كَارِهًا لِهَذَا الْأَمْرِ فِي خِلَافَتِهِ عليه السلام؟، فَلِمَاذَا دَخَلَ عليه السلام فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ إِذْنًا؟

والجواب على ذلك: إِنَّهُ عليه السلام قَصَدَ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ لَهُ رَأْيٌ مُقْنَعٌ بِالْكَرْهِ وَلَمْ يَسْعَ لَطَلْبِ الْخِلَافَةِ عَلَى النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْبَاطِلِ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَضَحَتْ هَذِهِ الْمَقُولَةُ؛ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَتَكُوا الْحَرَمَاتِ حِينَ تَوَلَّوْا أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ بِالْبَاطِلِ، إِنَّهَا مُعَادِلَةٌ وَاضِحَةٌ بَيْنَ حَاكِمٍ يَتَنَازَلُ عَنِ الْحَكْمِ إِنْ وَجَدَ رَجُلًا يَعْتَرِضُ عَلَى حَاكِمِيَّتِهِ، وَآخَرَ يَخْوِضُ فِي دِمَاءِ الْأُمَّةِ؛ لِيَتَسَنَّى لَهُ التَّرَبُّعُ عَلَى صُدُورِ الْعِبَادِ، إِنَّهَا حَاكِمِيَّةٌ تَقُومُ عَلَى مِشَارَكَةِ الرَّعِيَّةِ^(٢)؛ لِأَنَّهَا نِظَامُ الدِّينِ وَنِظَامُ الدِّينِ خَصْلَتَانِ؛ إِنْصَافُكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَوَاسَاتُكَ إِخْوَانُكَ^(٣)، فَالْحَاكِمُ وَالرَّعِيَّةُ عِبِيدُ اللَّهِ ((وَالْكَلُّ عِبِيدُ لَه، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرِهِ))^(٤)، هَذِهِ أَوْلَوِيَّةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ دَاعِمَةٌ لِلسُّلْطَةِ وَضَامِنَةٌ لِحَقُوقِ الرَّعِيَّةِ، وَيَمْضِي عليه السلام قُدَّمًا فِي إِثْبَاتِ حَقُوقِ جَدِيدَةٍ لِلْأُمَّةِ لَمْ يَأْلَفُوهَا مِنْ قَبْلِ بِنْعَلِ الْخَلَطِ الْقِيَمِيِّ الْجَاهِلِيِّ الَّذِي اشْتَرَبَّ فِي قَلْبِ الْحَاكِمِ مِمَّنْ لَمْ تَرْتَضِيهِ الْأُمَّةُ، وَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ((أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزُ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا دُونَ مَقْطَعَةٍ، وَأَنْ تَكُونُوا فِي الْحَقِّ سِوَاءً))^(٥)، وَلَوْ لَا سَرِيَّةُ أُمُورِ الْحَرْبِ لَأَطَّلَعَ رَعِيَّتَهُ عَلَى تَفَاصِيلِهَا، وَيَمْضِي أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ((وَإِنَّهُ لَيْسَ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨ / ٤ .

(٢) ينظر: النمط النبوي - الخليفة في القيادة السياسية والديمقراطية: ٧٩ .

(٣) ميزان الحكمة: ١ / ١٦٨ .

(٤) نهج البلاغة: ٢ / ٢٠١ .

(٥) م، رسالة: ٥٣ .



لي أمرٌ دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معي))^(١)، هو خازن لمال الأمة وحارسه، وهذا أمر لم يقرّ به أحدٌ سواه من قبل سوى رسول الله ﷺ، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

بمثل هذا التواصل المُنتج بين رأس الهرم وقاعدته يُنتج الاطمئنان وتضمحل جذور الخوف المهيمن على قلوب الناس من السلطان وزبائنته، فهو القائل لمالك حين ولّاه مصر: ((واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم))^(٢)، فلا مزية للحاكم فوق رعيته، فالناس تحكمهم وشائج شتى: ((إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق))^(٣)، في إن محو السلطوية والاستكبار يترك ساحة لإثبات المشاركة والمساواة؛ لتدرك الرعية أن الحاكم منهم وإليهم، فلا خوف ولا فوارق ولا استغلال، وهو تطبيق عملي لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وتحل محله الحضورية والمشاركة مع الناس ولا سيما في المسجد والصلاة الجامعة، من هنا قال ﷺ: ((إذا قدم الخليفة مصرًا من الأمصار جمع الناس، ليس ذلك لأحدٍ غيره))^(٤)؛ لتكون أواصر التفاعل الجسدي والنفسي حاضرة في بناء مجتمع إنساني يقوم على العدل والإخاء ((إذ يحصل لهم التشاور المُستمر، وتبادل وجهات النظر، وبلورة الآراء والتعاون الاخوي المُثمر فسي أداء المسؤوليات المشتركة))^(٥).

(١) نهج البلاغة: ٢ / ١١٦.

(٢) م.ن، رسالة: ١٨.

(٣) م.ن، خطبة: ٢١٦.

(٤) الوسائل: ٣٦ / ٥.

(٥) فلسفة الصلاة: ٢٤٤.



اليومي للحاكم بالأمة؛ لِيَسْتَشْعِرَ الْحَاكِمُ بِالرَّقَابَةِ وَالْمُشَارَكَةِ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ دَعَائِمِ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ الْأَمِنِ وَالْأُمَّةِ الْمُسْتَقَرَّةِ الَّتِي أَرَادَهَا كِتَابُ اللَّهِ وَسَعَى إِلَيْهَا. بمثل هذا التواصل المُتَنَجِّجِ بَيْنَ رَأْسِ الْهَرَمِ وَقَاعِدَتِهِ يُنْتَجَجُ الْإِطْمِئْنَانُ وَتَضَمُّنُ جُذُورِ الْخَوْفِ الْمُهَيِّمِينَ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ مِنَ السُّلْطَانِ وَزَبَانِيَّتِهِ.

إِنَّ مَحُو السُّلْطَوِيَّةِ وَالِاسْتِكْبَارِ يَتْرُكُ سَاحَةً لِإِثْبَاتِ الْمَشَارَكَةِ وَالْمَسَاوَاةِ؛ لِتُدْرِكَ الرِّعِيَّةُ أَنَّ الْحَاكِمَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ، فَلَا خَوْفَ وَلَا فَوَارِقَ وَلَا اسْتِغْلَالَ، وَتَحَلَّ مَحَلَّهُ الْحَضُورِيَّةَ وَالْمَشَارَكَةَ مَعَ النَّاسِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الْمَسْجِدِ وَالصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ كَانَ لِلصَّلَاةِ الدَّورُ الْفَاعِلُ فِي آيَةِ الْمَحُو وَالِإِثْبَاتِ، وَيَتَحَقَّقُ بِهَا التَّوَاصُلُ الْيَوْمِي بِالْجَمَاهِيرِ؛ لِيَسْتَشْعِرَ الْحَاكِمُ بِالرَّقَابَةِ وَالْمَشَارَكَةِ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ دَعَائِمِ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ الْأَمِنِ وَالْأُمَّةِ الْمُسْتَقَرَّةِ.

المحور الثاني: ثنائية المحو والإثبات بين ولاية السلطة وولاية الرعية

مثل ولاية الحاكم وعماله شبحاً مُحْيِياً لِقُلُوبِ النَّاسِ، فَهُمُ أَدَاةُ الْحَاكِمِ لِتَرْوِيعِ النَّاسِ وَاسْتِحْلَابِ أَمْوَالِهِمْ، فَأُضْحُوا مِنْ أَبْرَزِ مَصَادِيقِ الْجَوْرِ وَالِاسْتِبْدَادِ، وَصُورَةَ جَلِيَّةٍ مِنْ صُورِ الظُّلْمِ وَالِاسْتِبْدَادِ، فَارْتَسَمَ فِي أَذْهَانِ النَّاسِ أَنَّهُمْ ظَلَّ السُّلْطَانُ وَمَا عَلَى الرِّعِيَّةِ إِلَّا الطَّاعَةُ وَالِامْتِثَالُ، وَبِفِعْلِ هَذَا التَّرَاكُمِ الْجَرْمِيِّ اضْطَرَّ عَلِيُّ عليه السلام لِقَلْبِ هَذِهِ الْمِعَادِلَةِ وَإِرْجَاعِهَا إِلَى صَوَابِهَا كَمَا تَعَلَّمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَجَدَ تَرْكَةً ثَقِيلَةً لَا يَنْبَغِي السُّكُوتُ عَلَيْهَا وَالْمَرُورُ بِهَا مَرُورَ الْكِرَامِ، تَرْكَةً مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ أَنْجَبَتْ طَبَقِيَّةً وَتَمَخَّضَتْ عَنْهَا بَطَانَاتٌ وَعَصَابَاتٌ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ جَمَلَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَوَعَاظِ السُّلْطَانِ الَّذِينَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالِدِينِ إِلَّا تَرْوِيعُ الرِّعِيَّةِ وَإِقْنَاعُهُمْ بِقَبُولِ مَا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَلْزَمَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ وَالِامْتِثَالِ إِلَى عَمَّالِهِ وَزَبَانِيَّتِهِ.



أمام هذا كله اضطر عليٌّ إلى سياسة المَحو والإثبات من جديد في هذه الدائرة التي انضوى تحتها ما يتعلق بسياسة الولاية وعمّال بيت المال، وهذان أمران يصبّان في صميم الحركة الاجتماعية والاقتصادية والنفسيّة للرعيّة^(١)، إنّها دائرة خنقٍ ثانية بعد دائرة السلطان وسلطته الخانقة، فبدأ بالتعريف بعمل الجند الذين هم ليسوا وسيلة بيد السلطان وعصاه للسلب والقمع، إنّما هم بإذن الله ((حصون الرعيّة، وزين الولاية، وعزّ الدين، وسُبُل الأمن، وليس تقوم الرعيّة إلّا بهم))^(٢)، فهو ﷺ أراد بقوله هذا تجريد السلطة من أداة بطشها وقوام تفرعنها، فرسم الدور الحقيقي للجند، وأبعدهم عن معادلة الظلم للرعيّة؛ لأنّهم حصون الناس ودرعهم، وزينة للسلطان لا أداة له، وهم من بعد ذلك عزٌّ للدين، وسبيلٌ من أهمّ سُبُل الأمن والأمان، والرعيّة لا تقوم أحوالهم إلّا بهؤلاء، نحن إذن إزاء محورٍ كاملٍ لدورٍ مُحرّفٍ (هراوة السلطة)، وإثبات دورٍ جديد هو (حصن الأمة) و (حماة الرعيّة).

لم يترك ولاته بعيداً عن رعايته ورقابته، وأوصاهم بالحيطة والحذر في أحكامهم، وفي إدارة شؤون الناس حرصاً على إشاعة العدل بينهم، فأمر الناس في الحقّ سواء، ولا بُدَّ للعدل أن يكون ماحياً للجور، وعلى الوالي أن يبذل نفسه عليه من الطاعة، فلا مُسوِّغ للحكم بالهوى والرغبة في إرضاء السلطان ((فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحقّ سواء، فإنّه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر أمثاله،

(١) ينظر: علي بن ابي طالب سلطة الحق: ١١٤.

(٢) نهج البلاغة، كتاب (٥٣): ٢ / ٣٢٤.



وابتدل نفسك فيما افترض الله عليك))^(١)، ولعل ما جرى له عليه السلام في قصة مثوله للقضاء أمام القاضي شريح مع فردٍ من أفراد رعيته أشهر من أن يذكر، وهو مثال صارخ على شيوع العدل الاجتماعي بين الناس في أيام خلافته عليه السلام.

ومن شواهد الإثبات للعلاقة الجديدة بين الحاكم والرعية ما كتبه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما قلده مصر: ((واخفض لهم جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك))^(٢)، وهو مصداق آخر لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، لقد دعاه - وهو يقصد جميع ولاته - إلى خفض الجناح، ولين الجانب، والعدل بينهم، حتى أقل من النظرة ومع ما فيها من السرعة والدقة، كي لا يطمع به العظماء، أو ييأس من عدله الضعفاء، لأن النظرات قد توحى بشيء من ذلك.

وحتّ ولاته على الاختلاط بالناس، وألا يطول احتجابه عنهم كما هو ظاهر في قوله إلى أحدهم: ((وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيّتك، فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور...))^(٣).

كما أكد على حفظ أموال الناس وأعراضهم ليعم الأمن والسلام في ربوع البلاد، وتمثل شيء من ذلك فيما كتبه في عهده إلى مالك الأشر، ومما جاء فيه: ((إياك

(١) نهج البلاغة، رسالة (٥٩): ٢ / ٣٣٨.

(٢) م.ن، كتاب (٤٦): ٢ / ٣١٦.

(٣) م.ن، كتاب (٥٣): ٢ / ٣٣٢.



والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيءٌ أدنى لنقمةٍ، ولا أعظم لتبعةٍ، ولا أخرى بزوال نعمتهٍ، وانقطاع مدّةٍ، من سفك الدماء بغير حقّها))^(١)، إنّ السلطة لا تُسوّغ هتك دماء الناس وأعراضهم، وما الحاكم إلّا حافظٌ لها، وهذا تأكيد لما أنزله الله في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

وكان له عليه السلام الشأن نفسه مع عمّاله على الخراج في إشاعة العدل بين الناس، فاجترح لهم نظامًا خاصًا استنته من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وهو أعلم الناس بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، لقد محا الدور الذي كان يجعل منهم سيوفًا لإفراغ جيوب الناس وإفلاسهم لتمتلي خزائن السلطان، وأثبت مفهومًا جديدًا يقوم على أنهم خزان الرعيّة، ووكلاء الأُمّة، وسفراء الأُمّة، ونرى ذلك في كتبه وخطبه لهم، ومنها رسالته إلى عمّاله على الخراج، إذ جاء فيها: ((فإنّكم خزان الرعيّة، ووكلاء الأُمّة، وسفراء الأُمّة، ولا تحشموا أحدًا عن حاجته، ولا تجسوه عن طلبته، ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابةً يعتملون عليها، ولا عبدًا، ولا تضربنّ أحدًا سوطًا لمكان درهم، ولا تمسّنّ مال أحدٍ من الناس، مسلم ولا معاهد))^(٢)، وهو ترجمان لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وصايا انسانية تقوم على الدقّة والحرص على مصالح الناس، مثلها قوله عليه السلام لأحد عمّاله: ((انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعنّ مسلمًا، ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ الله، ماله، فإذا قدّمت على الحيّ

(١) نهج البلاغة، كتاب (٤٦): ٣٣٤ / ٢.

(٢) م، رسالة (٥١): ٣١٩ / ٢.



فانزل بمائتهم من غير أن تُخالط آياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تُخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عبادُ الله أرسلني إليكم وليُّ الله وخليفته، لآخذ منكم حقَّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حقٍّ فتؤدوه إلى وليِّه، فإن قال قائلٌ: لا، فلا تراجعهُ، وإن أنعم لك منعمٌ فانطلق معه من غير أن تُخيفه، أو توعده، أو تُعسفهُ، أو تُرهقه))^(١).

آيَةُ جَبَايَةِ تَقُومُ عَلَى ضَوَابِطِ أَخْلَاقِيَّةٍ قَلَّمَا وَجَدْنَاهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُوصِي عامله في أدقِّ الأمور، فالتحية عليهم يجب ألا تكون ناقصةً (مخدوجة) رعاية لهم وشفقةً بهم، وتكون بليغٍ ورفق، ودون خوفٍ أو وعيدٍ أو تعسفٍ أو إرهاب، آيَةُ اعتمد فيها محو الظلم والتعسف الاجتماعي؛ لتحل محلها الرأفة والطمأنينة في المجتمع الإنساني.

لبيان المفارقة بين صورتَي ما يتوجب محوه وما ينبغي إثباته، نورد ما حدث بين عاملي معاوية وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الرعيَّة في حادثةٍ جمعت هذين الموردين، حين أتت (سودة الهمدانية) إلى معاوية شاكيةً ما جرى لها وقومها مع (بسر بن أرطاة) عامله على الكوفة، فهددها بإرجاعها إليه لمعاقبتها، فاضطرَّها الحال إلى أن تروي له ما جرى لها حين دخلت على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لتشكو إليه أحدَ عماله على الصدقات، فقالت له: ((لقد دخلت على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يصلي فانفلت إلي من صلاته ثم قال برأفةٍ وتعطفٍ: ألك حاجة؟ فأخبرته بما فعل عامله، فبكى، ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم إنك أنت الشاهدُ عليَّ وعليهم، أي لم أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعةً من جرابٍ فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءكم بينةٌ من ربكم، فأوفوا الكيلَ والميزانَ ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم ولا تُفسدوا في الأرض بعد

(١) نهج البلاغة، رسالة (٢٥): ٢ / ٢٨٣.



إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين، فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما في يديك حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام))^(١)، وهو تضمين لما جاء في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

المحور الثالث: ثنائية المحو والإثبات بين الأثرة والمساواة

طالما قُرب قومٌ ونُكلَ بآخرين تبعاً للولاء للسلطة أو معارضتها، فقد جعل الحكام الولاء الأعمى بديلاً لمبدأ العدل والإنصاف ميزاناً بين الناس، وبذلك ينغرس معول الهدم في بناء الأمة الاجتماعي، ومنظومتها الأمنية، فتولد عن ذلك طبقية اجتماعية مقبته، قامت على إثرة باطلة لبطانة موالية، وظلم كبير للأغلبية الصامته، فتأسست طبقتان؛ غنية، وأخرى محرومة على طول التاريخ وعرضه.

لقد واجه عليؑ هذا المعول الضارب في جسد الأمة فلم يجد بُدّاً من الثورة لإعادة الأمور إلى نصابها، فاعتمد آليات تنظيمية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه للأمة من براثن الانتفاعيين والمُقرّبين لرأس السلطة الحاكمة على وفق منظور نظرية العدل الإلهي التي جاء بها الإسلام الحنيف بعد شيوع ثراء فاحش لبطانة السلطة الذي قابله فقرٌ مُدقع لسائر الأمة.

لقد بدأ بعزل الولاة، واعتماد المساواة في الحقوق والواجبات^(٢)، ومن هنا بدأت حركة معارضة عنيفة لحكمه قادت إلى حروب كبيرة - كما هو معلوم - بعد أن هرب الكثير إلى معاوية حين فقدوا الأمل في تفضيلهم على سائر

(١) بحار الأنوار: ١/١١٩.

(٢) ينظر: تاريخ يعقوبي: ١٧٩.



الناس، وحين سمعوا منه عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله الشهير: ((لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله))^(١)، ومقولته لطلحة والزبير بعد أن نكروا عليه الأسوة بين الناس: ((وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتم ما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... قد فرغ منه))^(٢)، وأطلق مقولته المدوية التي كانت شعاره لتلك الثورة في استرداد أموال الأمة من الناهبين لها: ((والله، لو وجدتته قد تزوج به النساء ومثلك به الإماء، لرددته))^(٣).

ووصل الأمر إلى ذروته المُجَاهِرَة بغاية هذا المحو الظالم للأثرة المُجْحِفَة، وإثبات المساواة في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقن سابقون كانوا قَصْرُوا، وليقصرن سابقون كانوا سبقوا))^(٤)؛ لآته عَلَيْهِ السَّلَامُ أدرك أن رفاهية العيش من الأمان.

فضرب عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلاً رائعاً لسلطة المساواة في تاريخ الحكم الإسلامي بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحمل ما نتج من هذا المحو (للإيثار) وإثبات (المساواة) حروباً خرج بها أولئك بعد يأسٍ مما كانوا يطمعون به، فكانت حروب القاسطين والناكثين والمارقين، التي كلفت الأمة كثيراً من الدماء والأموال. ولم يكن عنده عَلَيْهِ السَّلَامُ حقٌ لغير مُستحقِّه، فأوصى بهم الولاية والجبابة على حدِّ سواء، من ذلك قوله في حقهم مُحَاطَباً مالك الأشر حين ولّاه على مصر: ((ثمَّ الله الله: في الطبقة السفلى، في الذين لا حيلة لهم، من المساكين، والمُحتاجين، وأهل البؤسي،

(١) نهج البلاغة، خطبة (١٢٦): ١ / ١٣٠.

(٢) م.ن، خطبة (٢٠٥): ١ / ٢٣٥.

(٣) م.ن: ١ / ٢٢.

(٤) م.ن، خطبة (١٦): ١ / ٢٣.



والزمني... واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام من كل بلد))^(١).

فلا شرف فوق العدل في حكمه ((ولا يدعونك شرفُ أمري إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئٍ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيمًا))^(٢)، ولا يحقُّ للوالي نفسه أن يستأثر بما ليس من حقه لِيستشعر الرعيَّة العدلَ فيطمئنوا، ويصفو عيشُهم، وهو أمرٌ من أهمِّ أسس بناء السلم الأهلي بين الناس، وركائزه، وبناء مجتمع قارٍّ سعيدٍ آمن.

بعض الناس قال لعبد الله بن زعمة حين جاءه يطلب مالاً: ((إنَّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنَّما هو فيءٌ للمسلمين وجلبُ أسيافهم، فإنَّ أشركتهم في حربهم، كان لك مثلُ حظِّهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم))^(٣)، وكان ذلك سبباً في هروب بعض الناس إلى معاوية طمعا في عطاءات أكبر من حقوقهم عند عامله على المدينة المنورة (سهل بن حنيف الأنصاري)، فلم يحزن ولم يندم على ذهاب أولئك فكتب مخاطباً ابن حنيف: ((أما بعد، فقد بلغني أنَّ رجالاً يَمُنُّ قبلك يتسللون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيًّا، ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق، وإنَّما هم أهلُ دنيا مُقبلون عليها، ومُهطعون إليها، قد عرفوا العدلَ ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا أنَّ الناس عندنا في الحقِّ سَواء، فهربوا إلى الأثرة))^(٤)، إنَّ قوله ﷺ: ((إنَّ الناس عندنا في الحقِّ سواء)) فيه تأكيد على هذه

(١) نهج البلاغة، كتاب (٥٣): ١ / ٣٢٠.

(٢) م.ن، كتاب (٥٣): ١ / ٣٢٠.

(٣) م.ن، خطبة (٢٣٢): ١ / ٢٦١.

(٤) م.ن، كتاب (٧٠): ١ / ٣٤٧.



الْخَصِيصَةَ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاةِ، وَمِنْ أَرْوَعِ مَا قَالَهُ عليه السلام فِي الْإِثْبَاتِ الْعَدْلِيِّ قِبَالَةَ مَحْوِ الْأَثَرِ الْهَدَامَةِ، جَوَابَهُ لَامْرَأَةٍ عَرَبِيَّةٍ سَأَلَتْهُ أَنْ يُعْطِيَهَا أَكْثَرَ مِنْ الْأُمَّةِ: ((لَمْ أَجِدْ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَفْضَلِيَّةٍ لَوْلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَى وُلْدِ إِسْحَاقَ مَا يَعْدِلُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ))^(١)، وَهُوَ تَطْبِيقٌ لِمَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لِلْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاةِ، وَمِثْلَهُ أَيْضًا مَا كَتَبَهُ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى إِحْدَى مُدُنِ فَارَسَ، وَهُوَ (مَصْقَلَةُ بَنِ هَبِيرَةَ الشَّيْبَانِيِّ): ((بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرًا إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهُكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ؛ إِنَّكَ تَقْسِمُ فِيءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخِيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فَيَمْنُ إِعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبِرَأِ النَّسْمَةِ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلِيًّا هَوَانًا، وَلَتَخِفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا، فَلَا تَسْتَهِنَنَّ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصَلِّحْ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ، فَتَكُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا))^(٢).

فَفِي ضَوْءِ هَذَا الْإِثْبَاتِ وَالْمَحْوِ لَا مَكَانَ لِصَلَةِ الْقَرِيبَى حِينَ تَكُونُ مَعْوَلًا لِلْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَهُوَ أَمْرٌ يَأْلَفُهُ الْبَعْضُ مِمَّنْ اعْتَادَ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ ضَوَابِطِ الْعَدْلِ، فَكَثُرَ السَّاخِطُونَ عَلَيْهِ عليه السلام حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ بِمَقْتَلِهِ وَاسْتِشْهَادِهِ، لَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ كَلَّةً إِدْرَاكًا مِنْهُ بَغْنَى قَوْمٍ عَلَى حِسَابِ آخِرِينَ، فَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ))^(٣)، إِنَّ تَقْسِيمَ الثَّرْوَةِ بِشَكْلِ عَادِلٍ هُوَ حَثٌّ عَلَى مِشَارَكَةِ الْأَغْنِيَاءِ فِي إِصْلَاحِ الْوَضْعِ الْاِقْتِصَادِيِّ لِلْأُمَّةِ، مِمَّا أَوْصَلَ إِلَى اسْتِقْرَارِ اجْتِمَاعِيٍّ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ التَّارِيخُ مِثْلًا.

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١ / ١٩٩.

(٢) نهج البلاغة، كتاب (٤٣): ١ / ٣١٠.

(٣) م، ن، خطبة (٣٢٨): ٤ / ٧٨.



النتائج:

لقد توصلَ البحثُ إلى جملةٍ من النتائج، منها:

- ١- وكان للصلاة الدورُ الفاعلُ في آليّةِ المَحو والإثبات، ويتحقّقُ بها التواصلُ اليومي للحاكمِ بالأمة؛ لِيَسْتَشْعِرَ الحاكمُ بالرقابةِ والمُشاركة، وهذا مِن أكبرِ دعائمِ بناءِ الإنسانِ الآمنِ والأمةِ المُستقرّةِ التي أرادها كتابُ الله وسعى إليها.
- ٢- بالتواصلِ المُنتجِ بين رأسِ الهرمِ وقاعدته يُنتجُ الاطمئنانُ وتضمحلُّ جذورُ الخوفِ المُهيمنِ على قلوبِ الناسِ مِنَ السلطانِ وزبائنه.
- ٣- إنَّ محو السُلطويّةِ والاستكبارِ يتركُ ساحةً لإثباتِ المُشاركةِ والمساواة؛ لِتُدْرِكَ الرعيّةُ أنَّ الحاكمِ مِنْهُمْ ولهم، فلا خوفَ ولا فوارقَ ولا استغلالَ.
- ٤- لا مكانَ لصلّةِ القربى حين تكونُ معوّلاً للعدلِ بين الناسِ.
- ٥- إنَّ تقسيمَ الثروةِ بشكلٍ عادلٍ هو حثٌّ على مشاركةِ الأغنياءِ في إصلاحِ الوضعِ الاقتصاديِّ للأمة، ممّا أوصلَ إلى استقرارٍ اجتماعيٍّ لم يشهد له التاريخُ مثيلاً.



المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

- ١ - الأمن الإنساني المفهوم والتطبيق في الواقع العربي والدولي، خديجة عرفة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٩ م.
- ٢ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.
- ٣ - تاريخ اليعقوبي، أحمد اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ٤ - التنظيم الاجتماعي في فكر الإمام علي في ضوء نهج البلاغة، د. نضال عيسى، دار كفيل، كربلاء، ٢٠١٧ م.
- ٥ - التنظيمات الإدارية في عصر الرسالة، محمد أحمد العيساوي، معهد التاريخ العربي، بغداد حول الأمن الإسلامي، غالب الشابندر، مجلة حولية، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، عدد ١، لسنة ٢٠٠٨ م، النجف الأشرف، ٢٠٠٨ م.
- ٦ - خصائص الإدارة عند الإمام علي عليه السلام، محسن باقر القزويني، مجلة أهل البيت عليه السلام، كربلاء، ٢٠٠٥ م.
- ٧ - دور الإعلام في قضايا الأمن الاقتصادي والاجتماعي، د. سنا الحاج، دائرة البحوث العربية، ٢١١٦.
- ٨ - السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٦ هـ.



- ٩ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٩ م.
- ١٠ - علي بن أبي طالبؑ إمام الدين والدولة، محسن علي المعلم، مركز كربلاء للبحوث والدراسات، لندن، ٢٠٠٠ م.
- ١١ - الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالبؑ، د. محمد عمارة وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٤ م.
- ١٢ - فلسفة الصلاة، علي الكوراني، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ١٣ - المعجم القانوني، حارث سليمان الفاروقي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١ م.
- ١٤ - النمط النبوي - الخلفي في القيادة السياسية والديمقراطي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- ١٥ - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ١٦ - الوسائل، الحر العاملي (١١٠٥ هـ)، تحقيق مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، ط ٢، قم، ١٤١٤ هـ.

التعايش السلمي وحقوق الإنسان عند أمير المؤمنين عليه السلام

دراسة تطبيقية وميدانية في محافظة دهوك

أ.د. مصطفى محمد أمين الأتروشي

المستشار العلمي لمركز جيايي مه تين / جامعة دهوك

آسيا عبد الله أحمد / باحثة اجتماعية مستقلة

الملخص:

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو وارث علم النبي صلى الله عليه وآله بلا خلاف بين جميع المسلمين، وإنّ لكلماته وأفعاله تأثيراً في قلوب المؤمنين، لا تقلّ تأثيراً عن أقوال الأنبياء، ونحن من محافظة دهوك، ولكوننا أكاديميين نرى ذلك ظاهراً وجلياً في نفوس الناس في محافظتنا، ومن المعروف أنّه ليس كلّ الناس في محافظتنا مسلمين، فهناك ديانات أخرى، لكنّ ممّا أجمع عليه الناس في محافظتنا تقديرهم واحترامهم لأمر المؤمنين عليهم السلام، بل لدينا طائفة وهم الكاكايتية وصل بهم تقديسهم لأقوال أمير المؤمنين عليهم السلام وأحواله إلى عبادته والعياذ بالله، وقد كتبنا بحثنا هذا فقط لننال شرف المشاركة في هذا المؤتمر الذي يحاول أن يبيّن بعض أقوال أمير المؤمنين وأفعاله في مجال حقوق الإنسان، وقد تطرّقنا في البحث إلى أقوال أمير المؤمنين وأفعاله الخاصة بحقوق الإنسان وحرّيته في الدين والأمن، ومدى تأثير ذلك على محافظتنا وهي محافظة دهوك .

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي، حقوق الإنسان، أمير المؤمنين عليهم السلام،

محافظة دهوك.



Abstract:

Smile Allah and pray and pray for Mohamed and the pure God and His companions who are good and good and after:

The Commander of the Faithful peace be upon him is the heir of the knowledge of the Prophet may Allah God bless him and grant him peace without disagreement among all Muslims and that his words and actions have an impact on the hearts of the believers no less influential than the words of the prophets and we are from the province of Duhok and because we are academics we see this manifest and clear in the hearts of people in our governorate and we said people because we mean this word not all people in our province are Muslims there are other religions but from what people have unanimously agreed upon. In our province their appreciation is one We have written our research this only to gain the honor of participating in this conference which tries to show some of the words and actions of the Commander of the Faithful in the field of human rights and we have touched in the research to the words and actions of the Commander of the Faithful on human rights and his freedom in religion security and economy and the extent of its impact on our province which is the province of Dohuk.

Keywords: Peaceful Coexistence, Human Rights, the Commander of the Faithful (PBUH), Duhok Governorate.



المقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على محمد وآله الأطهار وصحابته المجتبيين الأخيار، وبعد، فإن أمير المؤمنين ﷺ هو وارث علم النبي ﷺ بلا خلاف بين جميع المسلمين، وإن لكلماته وأفعاله تأثيراً في قلوب المؤمنين، لا يقل تأثيراً عن أقوال الأنبياء، ونحن من محافظة دهوك، ولكوننا أكاديميين نرى ذلك ظاهراً وجلياً في نفوس الناس في محافظتنا، ومن المعروف أنه ليس كل الناس في محافظتنا مسلمين، فهناك ديانات أخرى، لكن مما أجمع عليه الناس في محافظتنا تقديرهم واحترامهم لأمر المؤمنين ﷺ، بل لدينا طائفة وهم الكاكائية وصل بهم تقديسهم لأقوال أمير المؤمنين ﷺ وأحواله إلى عبادته والعياذ بالله، وقد كتبنا بحثنا هذا فقط لننال شرف المشاركة في هذا المؤتمر المبارك .



الهدف من البحث:

الهدف الرئيس الذي دعانا إلى الاشتراك في المؤتمر شرف المشاركة فقط، ليكون ذلك في ميزان حسناتنا يوم القيامة .

مشكلة البحث: مدى تأثر أهالي محافظة دهوك بأمر المؤمنين عليهم السلام، وتعايشهم السلمي من أين أخذوه بحيث صار يُضرب بهم المثل في العراق لقلة الجرائم والمشاكل في محافظتهم؟

حدود البحث: الحقوق الدينية والفكرية والتعايش السلمي في محافظة دهوك، وأهم الديانات في المحافظة، وأثر الإمام علي عليه السلام على أهالي المحافظة، والقوانين الصادرة من حكومة إقليم كردستان.

صعوبات البحث: هو أننا علمنا بالمؤتمر متأخراً، لذلك تم الاستعجال بكتابة البحث، فلم نستطع أن نجري كثيراً من الدراسات الميدانية لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام أو أفعاله في محافظتنا .

خطة البحث : اقتصرت خطة بحثنا على أربعة مباحث وكالاتي :

المبحث الأول: الحقوق الدينية والفكرية في ظلّ حكم الإمام عليه السلام

المبحث الثاني: الحقوق الدينية والفكرية في محافظة دهوك

المبحث الثالث: الديانات في محافظة دهوك

المبحث الرابع: أثر الإمام عليه السلام في محافظة دهوك

ثم ختمنا بأهم النتائج التي توصلنا إليها .

المبحث الأول: الحقوق الدينية والفكرية في ظل حكم الإمام ﷺ

إن أمير المؤمنين بوصفه الوصي على الإسلام، ووراث الأنبياء، ورث علم القرآن، وقد صرح هو بذلك، فقال: ((سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل))^(١)، وقال ﷺ: ((والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت، وأين أنزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلقاً))^(٢)، وروى عبد الله ابن مسعود، قال: ((إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب ﷺ عنده علم الظاهر والباطن))^(٣).

واخترنا من علوم الإمام علي ﷺ أقواله وأفعاله التي تخصّ التعايش السلمي والديني بين أفراد المجتمع؛ لحاجتنا لذلك خصوصاً بعد ظهور الفرق التكفيرية وأهمها داعش الذين شوّهوا سمعة الإسلام، فنقول: لقد ضرب الإمام ﷺ أروع الأمثلة للبشرية في التعايش السلمي والديني بين الناس، وعدم التفرقة بين الناس، وكان تركيزه الأساسي على حقوق غير المسلمين لكي لا يروا أو يشعروا أنهم مواطنون من الدرجة الثانية أو أقل، فلهذا كانت أكثر وصاياه بالإحسان إلى أهل الذمة وهم المعاهدون من أهل الذمة، فهؤلاء هم من رعايا الدولة الإسلامية، وهم سواسية لا يختلفون عن المسلمين في الحقوق الاقتصادية والحقوق الشخصية، لكنهم يختلفون معهم في بعض الحقوق السياسية.

إن الإمام علي ﷺ ضرب لنا أروع الأمثلة في التعامل بسواسية مع جميع أفراد الشعب خصوصاً غير المسلمين، وسنخصّهم بالذكر، فنقول: إن هؤلاء هم من

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٣.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٢٠.

(٣) م: ١/ ٢٠.



رعايا الدولة الإسلامية، وهم سواسية لا يختلفون عن المسلمين في جميع الحقوق، وكان أهل الذمة يحظون برعاية أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكمه، ولم ينس أمير المؤمنين عليه السلام أن يوصي عامله على الخراج، فيقول له: ((ولا تمسّن مال أحدٍ من الناس، مُصَلِّ ولا معاهدٍ، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الإسلام))^(١)، فالمعاهد الملتزم بقوانين الدولة الإسلامية هو بحكم المسلم في ضمان حقوقه وممتلكاته وصيانتها.

أما حقهم الديني في ممارسة طقوسهم، فكانوا يجرونها على وفق تعاليمهم الدينية، فقد ورد ((أنّ علياً عليه السلام كان يستحلف النصارى واليهود في بيعهم وكنائسهم، والمجوس في بيوت نيرانهم))^(٢)، وذكر أنّ علياً عليه السلام استحلف يهودياً بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، فحقوق أهل الذمة مُصانة طالما ظلّوا ملتزمين بالقوانين الإسلامية، أمّا إذا أخلّوا بها فإنّ عقابهم سيكون أشدّ من عقاب المسلمين، ولا سيّما في الأمور التي تمسّ الجانب الأخلاقيّ من المجتمع الإسلاميّ، وذلك لأنّ الدولة الإسلامية أحسنت إليهم ومنحتهم حقّ الرعاية وهم في الأصل غير مستحقين لكلّ هذه الرعاية؛ لعدم انتمائهم لعقيدة الدولة، فإذا أذنبوا ذنباً فإنّهم خانوا خيانتين؛ الأولى: خيانتهم للمسلمين بارتكابهم الذنب، وخانوا الأمانة والإحسان الذي أولته لهم الدولة الإسلامية.

وهنا لأبّد من التنويه إلى أنّ الحقوق الدينية لا تعني الحرية الدينية، فالمسلم الذي اعتنق الإسلام كعقيدة ونظام لا يحقّ له تغيير دينه إلى دين آخر، فإذا فعل ذلك فيحاسب حساب المُرتدّ ويعاقب عقاباً شديداً، وعقاب المُرتدّ عقابٌ صارم؛ لأنّه

(١) باب الرسائل: رقم ٥١ .

(٢) وسائل الشيعة: ٢١٩/١٨ .

تجاوز حقوق المجتمع، وظلم نفسه عندما غير عقيدته بعد الاقتناع؛ لذا كان عقاب المرتد عند أمير المؤمنين أنه: يُعزل عن امرأته، ولا تؤكل ذبيحته، ويُستتاب ثلاثة أيام؛ فإن تاب، وإلا قُتل في اليوم الرابع^(١)، قال أمير المؤمنين ﷺ لمُسلم تنصرت ثم رجعت، ((قد قبلت منك رجوعك هذه المرة، فلا تعد، فإنك إن رجعت لم أقبل عنك رجوعاً بعد))^(٢)؛ لأنه سيُحاسب حساب المرتد، فالإنسان حرّ في اختيار عقيدته قبل أن يصبح مسلماً، فإذا أسلم فسيكون مُقيداً بالإسلام.

إن الحكم الإسلامي خصوصاً في زمان الإمام علي ﷺ قد نظم الحكم الإسلامي - على طول التاريخ الإسلامي - بعلاقة إيجابية بين المجتمع الإسلامي وبين أهل الذمة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً في التسامح الديني، وهذا بشهادة أهل الكتاب أنفسهم، وكان أهل الذمة يحظون برعاية أمير المؤمنين ﷺ في مدة حكمه، والروايات في ذلك كثيرة لا مجال لذكرها خشية التطويل، فالإمام علي ﷺ كذلك كان يتعامل مع المسلمين المبتدعين والمخالفين للمنهج العقدي الصحيح بالحلم والصفح عملاً بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والرواية عن الإمام ﷺ ثابتة، بل إن أمير المؤمنين كان يتعامل حتى مع المنافقين أو المبتدعة والضالين من المسلمين معاملة حسنة، مع النصح والإرشاد لكي يرجعوا عن بدعتهم وضلالتهم، وقد ظهرت في عهد الإمام أمير المؤمنين ﷺ تشكيلات مختلفة؛ منها المنحرفة سياسياً بمعارضتها للسلطة الحقّة المتمثلة بالإمام ﷺ كونه خليفة المسلمين، ومنها

(١) ينظر: كتاب القضاء: ٨٥ .

(٢) الوسائل، الباب ٣: حدّ المرتد، الحديث ٥ .



المنحرفة عقيدياً كالمرجئة والفرق الباطنية، وكان الإمام يعاملها كما يُعامل رعاياه من دون أن يستثنيهم بشيء طالما ظلَّت هذه التجمّعات سلمية ومعارضتهم سلمية لا تهدد كيان الدولة، فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال للخوارج: ((لن منعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولم نمنعكم الفيء مادامت أيديكم مع أيدينا، ولن نقاتلكم حتى تقاتلونا))^(١)، ومنعه لهم لأنهم كانوا يريدون السيطرة على المساجد من أجل إثارة الفتن، وليس منعهم من الصلاة في المساجد حالهم حال باقي المسلمين، وسياسته إزاء المعارضين سياسة واضحة أكّدها رسائله إلى ولاته، ومنها كتابه إلى عبد الله بن عباس؛ وهو عامله على البصرة التي كانت موطن المعارضة، جاء في الرسالة: ((إعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم))^(٢)، وسأذكر مثلاً لتعامله معهم، فقد روى أبو مخنف عن القاسم بن الوليد، أن حكيم بن عبد الرحمن بن سعيد البكائي كان يرى رأي الخوارج، فأتى علياً ذات يوم وهو يخطب، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فقال علي عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]^(٣).

وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام مطبّقاً لأحكام الشريعة في احترام حرية العقيدة، سواء أكان المختلف معه تجري عليه أحكام الإسلام أم كان من الذين يدينون بغير الإسلام، وهذا الحق هو ما يُنادى به اليوم، إذ يُعدُّ من أرقى ما وصلت له الإنسانية في تحضُّرها المعاصر، فهذا الخارجي المنافق اتهم الإمام عليه السلام بالشرك والخسران،

(١) تفسير البغوي: ٤ / ٥١٣ .

(٢) باب الرسائل، رقم ١٨ .

(٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): ٥ / ٧٣ .



لكن الامام - وهو أعلم الناس بالقران - كان جوابه قرآنيًا و شافيًا فقرأ عليه آية أخرى ليقول إن الخسران لك ولأمثالك؛ لأنكم لستم مؤمنين موقنين .

و روى الطبرسي في الاحتجاج أن بعض الزنادقة جاءوا إلى أمير المؤمنين علي ﷺ وقالوا له: لو لا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلنا في دينكم، فقال له ﷺ: وما هو؟ قالوا: إحداها: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، كيف تكون طاعة المخلوق كطاعة الخالق؟ والثانية: قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فأبي شأن ذلك؟ والثالثة قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣]، وهذا من صفة النائحة والمسخرة. فقال الإمام علي ﷺ: أما قوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ فكأنه يقول: إن لم تبلغ تمامًا إلى طاعتي فلا تُقَصِّر في طاعة الرسول؛ لكي أهب تقصيرك في طاعتي بحرمة طاعة الرسول، وأما قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فمن شأنه ثلاثة أشياء: أولها ينقل قومًا من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وقومًا ينقلهم من أرحام الأمهات إلى الدنيا، وقومًا يخرجهم من الدنيا إلى الآخرة، فهو ينقل هذه العساكر الثلاثة آناء الليل وآناء النهار، وأما قوله: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ فمعناه أضحك الأرض بالأشجار والأشجار بالأنوار، وأبكى السماء بالأمطار (١) .

فالمعاهد الملتزم بقوانين الدولة الإسلامية هو بحكم المسلم في ضمان حقوقه وممتلكاته وصيانتها،

أما حقهم الديني في ممارسة طقوسهم، فكانوا يؤدونها على وفق تعاليمهم الدينية، وحتى عندما حدثت معارك مع بعض أهل الكتاب المحاربين وليس المعاهدين فنجد أن أمير المؤمنين ﷺ لم ينس أن يوصي عامله على الخراج بقوله:

(١) ينظر: العسل المصنفي من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى، أحمد العاصمي: ٢٥٩ .



((ولا تمسّن مال أحدٍ من الناس، مُصَلِّ ولا معاهدٍ، إلّا أن تجدوا فرسًا أو سلاحًا يُعدى به على أهل الإسلام))^(١).

المبحث الثاني: الحقوق الدينية والفكرية في محافظة دهوك

تقع محافظة دهوك في العراق وبالتحديد في إقليم كردستان العراق، الذي تم تشكيله في نهاية حرب الخليج الثانية، ومنذ سنة ١٩٧٢ كان يتمتع بحكم ذاتي، لكن ليس كإقليم، وإنّما إدارة ذاتية، وبعد حرب الخليج والنزوح المليونّي الذي حصل بعد سيطرة القوّات الكرديّة على المحافظات الثلاث وهجوم الجيش العراقي عليهم بعد انتهاء حرب الخليج الأولى، تمّ تدخّل دوليٍّ من قبل قوّات التحالف وتشكيل منطقة آمنه ومنع قوّات صدام المقبور من الهجوم والتوغّل في كردستان، وتمّ حظر الطيران فيها من قبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة والمملكة المتّحدة خصوصًا .

سكن محافظة دهوك العديد من القوميات كالعرب والتركمان والأكراد، ويوجد فيها العديد من الديانات، أهمّها الديانة الإسلاميّة، ويشكلون أكثر من ٩٠٪ من أهالي المحافظة، والمسيحيّة التي تضمّ الكاثوليك وهم الأغلبية، ثمّ الأرثوذكس، والديانة الإيزيديّة . وفي إقليم كردستان توجد قوميات متنوّعة، وأكثرها، وأكبرها الكوردية، ثمّ التتركمانية، والعربيّة، والكلدانيّة، والسريانيّة، والآشوريّة، والأرمنيّة .

وتوجد أديان ومعتقدات دينية معترفة بها في إقليم كردستان، وجميعها مُرخصّة، ومُنظمة بموجب قانون رقم ٥ لسنة ٢٠١٥ قانون حماية المكونات في كردستان-العراق/ في إطار وزارة الأوقاف والشؤون الدّينية بحكومة إقليم كردستان، وتدير نشاطاتها ضمن مديرية واحدة تعرف بـ (التعايش الدّيني).

ويوجد أيضًا في إقليم كردستان ٦٢٠٠ مسجد وحسينية، و ١٤٥ كنيسة،

(١) باب الرسائل: رقم ٥٥ .

و ٤٠٠ معبد ديني لجميع الأديان والمعتقدات، وقد وضعت الحكومات في الإقليم خُططاً هندسيّة لترميم هذه الأماكن، وآخرها ومن أبرزها ترميم مرقد السلطان مظفر الدين في أربيل، وجامعا كاك أحمد الشيخ، والسليمانية الكبير، ومركز لالش الإيزيدي، والعديد من المواقع الأخرى في محافظة دهوك التي تمّ ترميمها من ضمن خطط ترميم مراكز العبادة.

وقد صدرَ في الإقليم قانون خاصّ من قبل برلمان الإقليم اسمه (قانون حماية المكوّنات)، وقد تمّ استشارة علماء الدين في كردستان، ولكون أحد الباحثين في هذا البحث وهو الأستاذ الدكتور مصطفى عضواً في اللجنة العليا للإفتاء، فقد كانت مداورات علماء الدين مع اللجنة القانونيّة أساسها الأوّل تعاليم أمير المؤمنين ﷺ، وأنّ الناس متساوون في الحقوق الدينيّة. وللتعرّف على أهمّ الفقرات من هذا القانون التي تمّ أخذها من أمير المؤمنين نذكر بعض موادّه:

المادة (٣) ضمن قانون حماية المكوّنات، تضمنت سلطات إقليم كردستان - العراق، المساواة، الفعّالة للمكوّنات:

أولاً: تضمنت الحكومة للفرد الذي ينتمي إلى مكوّن حقّ المساواة، وتكافؤ الفرص في الحياة السّياسية، والثّقافية، والاجتماعية، والاقتصادية من خلال تشريعات، وسياسات فعّالة، كذلك تضمنت لهم حقّ المشاركة في اتّخاذ القرارات التي تخصّهم.

ثانياً: يحظر جميع أشكال التمييز ضدّ أيّ مكوّن من مكوّنات كردستان - العراق، والمخالف يعاقب وفق القوانين النّافذة.

ثالثاً: حظر أيّة دعوة دينيّة، أو سياسيّة، أو إعلاميّة بصورة فرديّة، أو جماعيّة مباشرة، أو غير مباشرة إلى الكراهية، أو العنف، أو التّرهيب، أو الإقصاء، والتّهيميش المبنية على أساس قوميّ، أو إثنيّ، أو دينيّ، أو لغويّ.



رابعاً: منع أيّ تصرّف، أو سياسات سلبية من شأنها تغيير الأوضاع الأصلية للمناطق التي يسكنها مكوّن معين، ومنع كلّ تملك يهدف، أو يؤدّي إلى التّغيير الديموغرافي للطّابع التّاريخي، والحضاريّ لمنطقة معيّنة لأيّ سبب كان، وتحت آية ذريعة كانت.

فضلاً عن المادة ٥ / أولاً، وثانياً، وثالثاً، ورابعاً، وخامساً المتعلقة بحقّ الكشف عن دين كلّ مكوّن، وقوميّته، والتّعبير عن ثقافته، واختيار أسمائهم، والتّمتع بالعطّل الرّسمية الخاصّة بهم.

ونلخص ماتم تطبيقه لهذا القانون في محافظة دهوك بما يلي :

أولاً: القانون صدر برقم رقم (٥) لسنة ٢٠١٥ وباسم (قانون حماية حقوق المكوّنات في إقليم كردستان العراق)، والغاية من القانون هو صون حقوق المكوّنات القوميّة التركمان، الكلداني، السرياني، الآشور، والأرمن، والمجموعات الدينية والطائفة المسيحية، الإيزيدية، الصابئة، المندائية، الكاكائية، الشبك، الفيليين، الزرادشتية وغيرها من مواطني الإقليم، فالقانون لم يهدف منه حماية الطقوس الدينية فقط .

ثانياً: يهدف القانون والغاية الرئيّسة منه إلى تعميق العلاقة بين جميع المكوّنات الدينيّة والقوميّة في كردستان ضمن سياسة التعايش والمساواة بين جميع المكوّنات التي انتهجتها حكومة الإقليم، واستناداً إلى الأمر الوزاري المرقم (١٩١٠) الصادر بتاريخ ٢٠١٧/٧/٩، قامت وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة في حكومة إقليم كردستان باستحداث مديريّة (التعايش بين الأديان)، وقامت هذه المديرية بزيارة جميع المقرّات والمعابد الدينيّة وإلقاء السيمينارات وعمل الندوات وإقامة المؤتمرات بالتنسيق مع الجامعات والمنظمات الحكوميّة وغير الحكوميّة .



ثالثاً: يوجد في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية مديريات عامة و ممثلات للأقليات الدينية، منها (المسيحية، اليهودية، الأيزيدية، الكاكائية، الزرادشتية، الصابئة المندائية، البهائية)، بهدف توطيد العلاقة بين هذه المكونات، والغاية من هذه المديریات تسهيل مراجعة أهل تلك الديانات لمديرياتهم فيما يتعلق بأمور دينهم ومعابدهم .

رابعاً: تقديم الدعم المادي للعديد من المراكز الثقافية والفرق الفنية التركمانية، الكلدانية، الآشورية، الأيزيدية، الكاكائية والمكونات الأخرى عن طريق وزارة الثقافة والإعلام، وإيلاء الاهتمام بالعادات والثقافة، خصوصاً التراثية منها، حتى قامت مديرية الثقافة في دهوك بعمل مهرجانات في المحافظة لغير المسلمين لبيان تراثهم وعاداتهم .

خامساً: اعتبار يوم ميلاد السيد المسيح ﷺ عطلة رسمية في جميع دوائر حكومة الإقليم.

سادساً: اعتبار الأيام التي تصادف الأعياد الدينية للأيزيديين عطلة رسمية في جميع دوائر حكومة الإقليم بالنسبة للأيزيديين وتخصيص يوم وهو (عيد الأربعاء) الأول من شهر الرابع عطلة لجميع أهالي الإقليم .

سابعاً: منع طبع وإصدار وعرض كثير من الكتب والكتيبات التي لا تتلائم مع التعايش السلمي وتبث روح التطرف ونشر ثقافة العنف والكراهية بين المكونات الدينية والقومية والمذهبية في الإقليم.

ثامناً: منع في سنة ٢٠٢٣ فقط (١٨) الخطباء من إلقاء خطب الجمعة في محافظة دهوك فقط، التي لا تراعي مبادئ روح التسامح و التعايش بين المكونات الدينية في المحافظة .



تاسعاً: تكريم (٢٥٠) خطيب وإمام ورجل دين في المحافظة، بوصفهم داعين إلى التسامح وتوطيد العلاقات بين المكوّنات والاخوة والتعايش المشترك بين أهالي المحافظة.

عاشراً: افتتاح العشرات من المراكز الثقافية والمدارس الدينية الخاصّة للمكوّنات في مناطقهم، وتدرّس فيها الدروس الدينيّة الخاصّة بهم المعترف بها، إضافة إلى المواد العلميّة المشتركة في جميع المدارس في وزارة التربيّة.

لقد تأسى أهالي المحافظة بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فالزائر للمحافظة يلاحظ أنّ ثقافة التعايش في محافظة دهوك تبدأ من حيث تعامل الجار مع جاره في كلّ منطقة، وقرية، ومجمّع سكنيّ، وعدم التقليل من شأنهم، واحترام قومياتهم، ودياناتهم، فلا ترى تقريباً قرية في المناطق التي يسكنها غير المسلمين إلّا وفيها مسجد، وتغلّغت هذه الثقافة في بيئة العمل، والحرفيين، وفي المدارس، والمؤسّسات الأكاديميّة كالجامعات، والمعاهد الحكوميّة، والمؤسّسات غير الحكوميّة، فالأساتذة والطلبة يحترمون القوميات، والديانات في دهوك، ولكوننا من منتسبي محافظة دهوك نلاحظ ذلك بوضوح في الجامعة وبين الطلبة؛ ولهذا نجد أنّ استقرار المجتمع الدهوكي واضح نتيجة ثقافة التعايش السائدة.

وقد كانت محافظة دهوك قد احتضنت مجموعة من مؤتمرات للتعايش السلمي خصوصاً لساكني محافظة نينوى، وتمّت دعوة رؤساء العشائر ورجال الدين بغية القضاء على الآثار التي خلفها داعش بعد هجمته على محافظة نينوى، وقتل غير المسلمين وتشريدهم بحجّة أنّهم كفرة لا يحقّ لهم العيش، فيخيّر ونهم بين الإسلام أو القتل، ممّا أدّى ذلك إلى هجمة شرسة على الإسلام بحجّة أنّ الإسلام يأمر بما تفعله عصابات داعش الإجرامية .

المبحث الثالث: الديانات في محافظة دهوك

للتعرف على أهم الديانات في دهوك باختصار:

المسلمون:

معظم الأكراد مسلمون سنة، وهناك من يقلد مذهب أهل البيت، وأكثرهم متواجدون في السليمانية، في كل عام يذهب الآلاف منهم إلى الحج سنوياً بالتنسيق مع الحكومة المركزية، وهيأة الحج العراقية، والملاحظ أن أكثر قادة الثورات الكردية، وأستطيع أن أقول ٩٠٪ منهم، هم من علماء الدين الإسلامي، فلهذا كان الشعب يؤيدهم، فهم تأسوا بالإمام الحسين ﷺ الذي لم يرض بالذلة، وقال كلمته المشهورة (هيهات منا الذلة)، فلهذا كان علماء الدين يقاتلون الأنظمة البعثية وأمثالها التي تجعل الناس درجات وتضطهدهم .

المسيحيون:

وتعيش في دهوك أيضاً أقليات مسيحية ومذهبهم الديني إما كاثوليك أو أرثوذكس، وقلة من أتباع المذهب البروتستان، لكنهم حالياً من طوائف مختلفة يعيشون في المحافظة، وبعضهم نزح من محافظات العراق الأخرى، وهي تتألف حالياً في الأساس من ثلاث طوائف، لكل منها كنيسة الخاصة وهي الأرمن ومجموعتان أخريان تتكلم لهجات أرامية، والسريان الغربيون وينتمون إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، بينما السريان الشرقيون يعرفون باسم الآشوريين، وهناك سريان كاثوليك وأرمن كاثوليك وكلدانيون آشوريون كاثوليك، وحتى تشكيلة واسعة من أتباع الكنائس البروتستانتية، ويمثلون الديانة الثانية في محافظة دهوك .



اليهود:

هناك أقلية يهودية في الكثير من المدن والقرى الكردية، ولكنها اختفت عملياً، فقد هاجر الكثير منهم بعد حرب ١٩٤٨، وكذلك حرب ١٩٦٧، وكانت الأنظمة تعاملهم معاملة غير جيدة، وفي زمن البعث أسقط عن ٩٩٪ منهم الجنسية العراقية وقام بترحيلهم إلى إسرائيل، والآن حيث اليهود في إسرائيل يشكّلون جالية مميّزة خصوصاً أهالي دهوك منهم، وقد جاء بعض منهم إلى دهوك خصوصاً كبار السن منهم، يزورون أقرباءهم ومناطقهم التي وُلدوا فيها .

اليزيديون:

هم أيضاً يعدّون أقلية بالنسبة لمحافظة دهوك ويعتبرون الديانة الثالثة، وهي ديانة ليست سماوية فلا يوجد لهم كتاب سماوي ولا نبي، والعنصر الرئيس في الدين اليزيدي في الإيمان بستة أو سبعة ملائكة خلقها الله وأسند إليها شؤون الدنيا وتسيير أمور الناس، الأوّل وأهمّهم من بين هؤلاء ويعتبر رئيسهم وهو تقريباً له مكانة إلهية، هو ملك طاووس، وهو حسب ديانتهم واعتقادهم الملاك الذي رفض طاعة الله في السجود لآدم؛ لأنّه كان اختباراً للملائكة، فطرد الله جميع الملائكة وأبقى فقط طاووس ملكاً ورفعته درجة أعلى من درجة النبوة، والمعرف أنّ هذه العقيدة مرفوضة من قبل المسلمين والنصارى واليهود؛ لأننا نعتبره مجسّداً للشّر، وهذا كما قلنا عند المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء من أهالي محافظة دهوك، لهذا تجد المسلمين والمسيحيين لا يذكرون الشيطان بسوء عند وجود اليزيديين .

ومن هناك جاء الاتّهام من كون اليزيديين عبدة للشيطان، ولكن بالنسبة ليزيديين ملك طاووس ينظرون إليه على أنّه ليس ملكاً للشّر ولا هو معارض لله بأيّ معنى، وفي عقيدتهم أنّ ملك طاووس والملائكة الآخر نزلوا إلى الدنيا كبشر على



شكل قديسين، وقد تجسّد طاووس ملكًا في الشيخ عدي بن مسافر الذي يجعله اليزيديون كأعظم قديس في دينهم، إذ يشكّل الحجّ إلى ضريحه في لالش واحدة من الطقوس الرئيسيّة لديانتهم، فزيارة الضريح مقدّسة عندهم .

والمجتمع اليزيديّ مؤلّف من طبقات، أعلى مكانة تحتلّها العائلة الأميريّة التي تتلقّى الخراج من كلّ اليزيديين، وجميع الزكوات والصدقات تذهب إلى بيت الأمير حصراً، فهم يمثلون القيادة الدينيّة، وتُناط بعدد من العائلات من قبيلة الأمراء، بينما الأدوار الدينيّة الأخرى تُناط بشكل هرميّ بعدد من أسر (البير) والقوال، وهناك وظائف دينيّة متخصصة أخرى ولكنها ليست هرميّة، وأهمّ اعتقاداتهم هي الاعتقاد بتناسخ الأرواح، والقديسون والأشخاص العاديّون تمرّ بسلسلة من تناسخ الأرواح ليس فقط لدى البشر بل أيضًا على شكل حيوانات، فيقدّس عندهم الأغنياء؛ لأنّ فيهم أرواح القديسون، وعائلة الأمير فيها أرواح أمراء سابقين وهكذا .

المبحث الرابع: أثر الإمام ﷺ في محافظة دهوك .

إنّ أهالي محافظة دهوك معروفون بحبهم لآل البيت ﷺ وخصوصًا الإمام عليّ ﷺ، فلهذا نجد أقوال الإمام ﷺ وتطبيقاتها ظاهرة على أهالي المحافظة، فالقوانين الموجودة في المحافظة والتزام أهلها بالقانون نابع من ثقتهم بأنّ أيّ قانون يُشرّع الغاية منه هي العدالة، والمساواة لجميع الناس أمام القانون، فعند تشريع قانون معيّن يجب أن يذكر أنّ جميع من يحمل جنسية البلاد الفلانية، هم مشمولون بهذا القانون، فالمساواة التي جاء بها الإسلام وصدق بها القرآن الكريم في أكثر من آية قرآنيّة قضية مهمّة في تطبيق القوانين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالقرآن حارب الطبقيّة والعبوديّة التي كانت سائدة في ذلك



الوقت، وعندما تولى أمير المؤمنين عليه السلام قيادة الأمة عمل بهذا المبدأ، فكان يساوي بين نفسه وخادمه قنبر رضي الله عنه، بل كان يؤثره في بعض الأحيان حتى على نفسه في اللباس الجديد والطعام المفضل .

وساوى أمير المؤمنين عليه السلام في العطاء بين أفراد المجتمع فلا فرق عنده بين الشريف وغيره، وبين الغنيّ والمسكين الفقير، وأكثر من حاربه بسبب عدالته في توزيع الثروات فكانت حرب الجمل، وتمرد عليه معاوية؛ لأنه أراد إقصاءه عن الولاية لأنه لا يستحقها، فوقعت واقعة صفين، وعلى الرغم من كل هذه المتاعب التي واجهته فقد ظلّ مصرّاً على مبدأ المساواة بين الناس جميعاً، فكان يقول: ((أقنع من نفسي بأن يُقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش))^(١).

وكذلك الجميع متساوون أمام تطبيق القانون وما يسمى بالحقوق القضائية؛ لأنّ كلّ قانون يحتاج إلى قضاء لتطبيقه، ويتضمّن ما يجب على القاضي توفيره للمدّعي والمدّعى عليه حتى يسير القضاء وفق العدالة التي يتوخّاها الجميع، وإذا أخلّت الجهة التي تتولّى القضاء بأحد هذه الحقوق، فإنّ الحُكم الصادر بحقّ المتهم أو المقصّر يكون حكماً غير صحيح وظالم يمكن الطعن به . وأفضل صورة واقعية عن الحقوق القضائية هو ما ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام في ممارساته القضائية. فيجب أن يتساوى المدّعي والمدّعى عليه حتى لا يشعر أحد الطرفين بالظلم، فيضعف عن الدفاع عن نفسه، وقد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام الأمثلة رائعة في المساواة .

فقد ساوى بين شخصه ويهوديّ نازعه في درعه الذي ضاع منه في قصة مشهورة، وكان يأمر قضاة بأن يساوا بين الخصمين مع ذكر العلة لذلك، فيقول

(١) باب الرسائل: رقم ٤٥.



لأحدهم: ((وأس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية؛ حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا يياس الضعفاء من عدلك))^(١)، وكتب إلى شريح قاضيه: ((ثم واسي بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك؛ حتى لا يطمع قريبك في حيفك، ولا يياس عدوك من عدلك))^(٢).

ومبدأ أمير المؤمنين ﷺ المساواة بين أفراد المجتمع في العقوبات، فعندما عاتب خازن بيت المال علي بن أبي رافع لما أعطى إحدى بناته عقد لؤلؤ كعارية مضمونة، فقال له: ((لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة لكانت إذا أول هاشمية قطعت يدها في سرقة))^(٣).

ويجب على القاضي أن يعطي مجالاً للمدعى عليه بالدفاع عن نفسه، فقد روي أن امرأة شهد عليها الشهود أنهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطؤها ليس ببعل لها، فأمر الخليفة عمر برجمها وكانت ذات بعل، فقالت: اللهم إنك تعلم أنني بريئة، فغضب الخليفة وقال: وتجرح الشهود أيضاً؟ فقال أمير المؤمنين ﷺ ردوها واسألوها فلعل لها عذراً، فردت وسئلت عن حالها، فقالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي وحملت معي ماءً، ولم يكن في إبل أهلي لبن، وخرج معي خليطاً وكان في إبله لبن، فنقد مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي، فأبيت، فلما كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرهاً، فقال أمير المؤمنين ﷺ الله أكبر ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فلما سمع ذلك الخليفة خلى سبيلها^(٤).

(١) باب الرسائل: رقم ٤٦.

(٢) القضاء والشهادات: ١١٣.

(٣) م.ن.

(٤) ينظر: الإرشاد: ٩٩.



وهنا نرى مبدأ أسسه أمير المؤمنين (ع) وهو عدم الاعتماد على رأي الشهود مع وجود الدلائل، وإنما يجب سؤال المتهم عن سبب فعله ذلك، فالمؤثرات توحى بأن المرأة كانت قد زنت، وجاء الشهود ليشهدوا بذلك، وقد أخذ الخليفة عمر بالعرف السائد في ذلك الوقت و في مثل هذه القضايا، فحكم عليها بالحدّ ورفض أن يسمع طعنها في الشهود، لكن مع تطبيق رأي أمير المؤمنين في مبدأ حرّية المتهم في الدفاع عن نفسه تغيّر مسار الدعوة؛ إذ ثبت من دفاع المرأة المتهمة بالزنا أنّها كانت مُكرهه، ولا حدّ على المضطرّ.

وإذا أردنا أن نتكلّم على تطبيق هذه الأمور التي ذكرناها في محافظة دهوك، لاحتجنا إلى بحث كامل خاصّ فقط بالتطبيقات في محافظة دهوك، لكنّ كثيرًا من الناس جاؤوا إلى محافظة دهوك سواء للسياحة أو للتجارة ويعرف يقينا أنّ القانون فوق الجميع ولن يظلم إذا اشتكى عليه شخص، ولا فرق بين الناس أمام القضاء مهما كانت قوميّته أو دينه أو طائفته .

الخاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة تبين لنا ما يأتي :

- ١- أن الإمام علي عليه السلام باعتباره امتداداً للنبوّة كان كلامه كلّ حجة على الناس ولو التزم به الناس لما حدث بالأمة ما حدث سابقاً .
- ٢- أن الفتن التي حصلت في زمانه أحد أسبابها هو التمرد على عدالته، وعدم الموافقة على العدالة والمساواة بين جميع أفراد المجتمع .
- ٣- أن الحرية والأمن الديني والاقتصادي والفكري والسياسي في زمن أمير المؤمنين لم يكن موجوداً في زمن غيره، فلهذا حاربه المتضررين .
- ٤- أن محافظة دهورك تعدّ المحافظة الأولى بالالتزام بتعاليم وأخلاق أمير المؤمنين عليه السلام .
- ٥- أن حكومة الإقليم عند استشارتها لاتّحاد علماء الدين في بعض القوانين، أخذت الرأي الذي كان موافقاً لأمر المؤمنين عليه السلام لما فيه من خير للعباد والبلاد .
- ٦- أن قوانين حكومة الإقليم التي لم تأخذ برأي أمير المؤمنين، كانت قوانين خاطئة ولم يستفد منها الشعب في كردستان .
- ٧- أن قانون حماية المكوّنات من أهمّ القوانين التي تمسّ حياة الناس .

التوصيات:

- نوصي الحكومة العراقية وحكومة الإقليم بأن تراجع جميع قوانينها، وجعل أقوال أمير المؤمنين وأفعاله هي الحدّ الفاصل بين الأقوال الصحيحة المفيدة للناس أو التي فيها ضرر على الناس .
- وكذلك نوصي بإدخال شخصية أمير المؤمنين عليه السلام وأفعاله، في مناهج الدراسة سواء في وزارة التربية أم في التعليم العالي .



المصادر

القرآن الكريم.

١. الإرشاد، الشيخ المفيد تحقيق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث.
٢. باب الرسائل، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي.
٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٤. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ هـ.
٥. تأريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تح: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٥ م.
٦. تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ١٩٩١ م.
٧. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، دار الكتاب، قم، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
٨. العسل المصنفي من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى، أحمد بن محمد بن علي العاصمي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٩. القضاء والشهادات، مرتضى الأنصاري، إعداد: لجنة تراث الشيخ الأعظم، قم، ط ١، ١٤١٥ هـ.
١٠. كتاب القضاء فقاھتي، عبد الرحيم فقاھتي زنجاني،
١١. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تح: عثمان جمعة و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٩٧ م.
١٢. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، المكتبة الإسلامية، قم، ٢٠٠٠ م.

المشيرات القرآنية في الخطب العلوية

(قراءة معرفية جديدة في الدراسات اللسانية التداولية)

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي

جامعة الكوفة / قسم اللغة العربية / كلية التربية الأساسية

الملخص:

تماشياً مع أهداف مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الخامس القائم على أساس التركيز على الأثر القرآني لأمر المؤمنين عليهم السلام تفسيراً وعلومًا، ومقاربتة على وفق المناهج الحديثة في البحث العلمي إخرنا المحور الثاني، والمتضمن الأثر القرآني لأمر المؤمنين عليهم السلام في العلوم الإنسانية، ونظرًا لما يشكّله القرآن الكريم من أهمية في الخطب العلوية من جهة، وما تشغله مساحة المشيرات القرآنية في الخطاب العلوي، وما تؤدّيه من دلالات عميقة في أذهان مخاطبين من جهة أخرى جاء عنوان بحثنا: ((المشيرات القرآنية في الخطب العلوية - قراءة معرفية جديدة في الدراسات اللسانية التداولية))، ومصطلح المشيرات مصطلح غربي له أبعاده المعرفية في الدرس اللساني الحديث، ومقايسته الواسعة في الدرس اللغوي العربي المعاصر، فظهر في كثير من الدراسات الأكاديمية، وعلى مستويات اللغة المتنوعة، فقسّمت تلك المشيرات إلى شخصية، وزمانية، ومكانية، واجتماعية ...

الكلمات المفتاحية: أمر المؤمنين عليهم السلام، الخطب العلوية، المشيرات القرآنية،

قراءة معرفية، اللسانيات التداولية.



Abstract:

In alignment with the objectives of the Fifth International Imam Hussain (PBUH) Conference, which focuses on the Quranic influence of the Commander of the Faithful (PBUH) in exegesis and sciences through modern research methodologies, this study addresses the second theme: "The Quranic Influence of the Commander of the Faithful in the Humanities."

Given the paramount importance of the Holy Quran in the Alawite sermons and the extensive space occupied by Quranic Indexicals (Deictics) in his discourse—which convey profound semantic dimensions to the recipients—this research is titled: "Quranic Indexicals in the Alawite Sermons: A New Cognitive Reading in Pragmatic Linguistic Studies."

The term "Indexicals" (or Deictics) is a Western linguistic concept with significant cognitive dimensions in modern linguistic theory and has been widely adapted in contemporary Arabic linguistic studies across various academic levels. These indexicals are categorized into person, temporal, spatial, and social deictics, all of which are explored within the context of the Imam's (PBUH) rhetoric.

Keywords: Quranic Indexicals (Deictics), Alawite Sermons, Pragmatics, Cognitive Reading, The Commander of the Faithful (PBUH).



المقدمة:

الحَمْدُ لله الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَّ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مِيْدَانَ أَرْضِهِ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى نَبِينَا الصَّادِقِ الْأَمِينِ وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَبَعْدَ.

تماشياً مع أهداف مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الخامس القائم على أساس التركيز على الأثر القرآنيّ لأمر المؤمنين عليهم السلام تفسيراً وعلومًا، ومقاربتة على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ اخترنا المحور الثاني، والمتضمن الأثر القرآنيّ لأمر المؤمنين عليهم السلام في العلوم الإنسانيَّة، ونظرًا لما يشكّله القرآن الكريم من أهميَّة في الحُطْبِ العلويَّة من جهة، وما تشغله مساحة المُشيرَاتِ القرآنيَّة في الخطاب العلويّ، وما تؤدِّيهِ من دلالات عميقة في أذهان المُخاطَبِينَ من جهة أُخرى جاء عنوان بحثنا : ((المُشيرَاتِ القرآنيَّة في الحُطْبِ العلويَّة - قراءة معرفيَّة جديدة في الدِّراسات اللسانيَّة التداوليَّة))، ومُصطلح المُشيرَاتِ مُصطلحٌ غربيٌّ لهُ أبعاده المعرفيَّة في الدِّرس اللسانيّ الحديث، ومقايسته الواسعة في الدِّرس اللغويّ العربيّ المُعاصر، فظهر في كثير من الدِّراسات الأكاديميَّة، وعلى مستويات اللغة المتنوّعة، فقسّمت تلك المُشيرَاتِ إلى شخصيَّة، وزمانيَّة، ومكانيَّة، واجتماعيَّة ...

وفي تصوّرنا المُتواضع يمكننا إضافة المُشيرَاتِ القرآنيَّة في الخطاب الإسلاميّ العربيّ؛ لوفرّتها فيه، وفي جميع مستوياته الفنيَّة من الخطب، والرّسائل، والحكم، والوصايا، فيستمد المتكلّم رؤيته من القرآن الكريم بوصفه دستورًا حياتيًا ثابتًا في معطياته الفكريَّة، فيشير إلى تلك الآيات المُتساوقة مع الفكرة المعروضة؛ لإثباتها في



ذهن المُخاطب، وتأتي جدّة هذا العنوان بأنّ هذا النوع من المُشيرَات لا يوجد في الخطاب اللغويّ الغربيّ، فهو يتناسب تمامًا مع الحضارة الإسلاميّة، وأهمّ ما يُميز تلك المُشيرَات أنّها عابرة لحدود الزّمان، والمكان، والشخصنة المألوفة في الخطاب اللسانيّ الغربيّ، فهي خارجة عن التّحديد الزّمنيّ، والمكانيّ، فزمن المُشير القرآنيّ مفتوح على التّقلبات الزمانيّة والمكانيّة وحتىّ الشخصنة، ولكننا سنركز على إثبات مُشيرِي الزّمان والمكان في الخطاب القرآنيّ، وكيف وُظّفت في الخطب العلويّة وعلى وفق الآتي :

- التمهيد: المُشيرَات بين تداوليّة الغرب والدرس اللغويّ العربيّ / المفهوم والمقارنة

- المبحث الأول: المُشير القرآنيّ للزمان المفتوح.

- المبحث الثاني: المُشير القرآنيّ للمكان المفتوح.

وعلى أساس هذه الخطة سنرصد التطبيقات الفعلية للمُشيرَات القرآنيّة في الخطب العلويّة، وبعدها سنوثق النتائج في خاتمة البحث، ونلحقها بقائمة المصادر والمراجع ومن الله التّوفيق.

التمهيد: المُشيرَاتُ بين تداوليَّة الغُرب والدرِّس اللغويِّ العُربيِّ (المفهُوم والمُقارنَة)

ترتكز العمليَّة التواصليَّة في الخطاب الأدبيِّ وغير الأدبيِّ على مجموعة من العناصر المنسجمة، والبيئة بين المتحاورين، ومن دون هذه العناصر يصبح الخطاب عائماً غير موجّه، فيفقد فعاليَّته التواصليَّة مع الآخر، تتمثَّل هذه العناصر بالمتكلِّم والمتلقِّي وزمان ومكان العمليَّة الكلاميَّة، ويطلق عليها بالإشاريَّات أو المشيرات أو المعينات، وكلُّ هذه المصطلحات يُقصد بها، وحدات معجميَّة ذات طبيعة دلاليَّة مفهومة عند المتكلِّم والمتلقِّي تقترن بذات أو موقع أو زمن يحيل إليه السياق الجاري بين المتكلمين^(١).

وعلى أيَّة حال فإنَّ المشيرات عبارة عن علامات دالَّة بدلالة السياق الخطابيِّ، فمن دونه لا تشكِّل أيَّ معنى تواصليِّ، وتتضمَّن في أقلِّ تقدير على ثلاثة مشيرات هي: ((الأنا، الهنا، الآن))^(٢)، وهذه المُشيرَات لا يتمُّ تحديد خصوصيَّتها من دون قرائن مقاميَّة يدركها كلُّ من المتكلِّم والمتلقِّي، وقرائن سياقيَّة حاضرة في ثنايا الكلام.

تراحم الباحثون قديماً وحديثاً على دراسة هذه الظاهرة إلا أنَّ ما قدَّمه علماء الفلسفة، والنفس الاجتماعيِّ في الدرس الغربيِّ الحديث يُعدُّ خدمة كبيرة لتطوُّر الدراسات اللغويَّة الغربيَّة بصورة مباشرة، واللغويَّة العربيَّة بصورة غير مباشرة، ففعلوا ما لم يستطع فعله كثير من باحثي اللغة، فعمل الباحثون في هذين العلمين على إخضاع دراساتهم لواقعيَّة التطبيق في الدرس اللغويِّ وشموليَّته، محاولين إيجاد

(١) ينظر: نسيح النص: ١١٥، دراسات ومقالات في التداوليَّة: ١٠.

(٢) إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداوليَّة: ٨١.



تبريرات منطقيّة للأقوال الكلاميّة، وجذور تلك الخدمة عميقة، وأوجها عند جون أوستن (John Austin) الذي على يديه بزغ فجر التداوليّة، وتحديدًا عام ١٩٥٥م، وفيها إشارة تاريخيّة جديدة للعلوم المعرفيّة، فهي من أعطت لتلك الأرواح الجامدة الحركيّة والفاعليّة في التعامل مع النصوص الخطابيّة؛ لأنّ فيها ((يكاد تاريخ العلوم المعرفيّة يتطابق وتاريخ ميلاد التداوليّة))^(١)، فكانت البدايّة الجديدة في محاولة التفريق بين الجمل الوصفيّة، وهي الجمل التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والجمل الإنشائيّة التي لا تحتل الوصف، وإنما هي دعوة لفعل شيء ما، ومن ذلك نشأة الأفعال الكلاميّة، والمشيرات فيما بعد، وتحوّلت حينها من الجانب الفلسفيّ إلى الاستعمال اللغويّ في أبعاده التواصليّة المنتجة، فأصبحت تهتمّ بقضايا التلاؤم في سياقات الخطاب التعبيريّة، وسياقاتها المقاميّة، وعلاقتها المنطقيّة، فشغلت ميادين جديدة لم تشغلها المناهج السابقة، فمنحت نفسها الحقّ في دخول عوالم المتكلّم، والمتلقّي، والظروف المحيطة بهما بشكل مفصّل، وأشركت علم النفس، والاجتماع لتشريح الخطاب والتعمّق في تفاصيله المعرفيّة.

هذه الشموليّة العارمة صعّبت وضع تعريف شامل وقار يرسم جميع حدودها المفتوحة مع العوالم المختلفة في رحلتها للبحث عن المعنى، فعُرّفت على أنّها مجموعة من البحوث التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتمّ بقضيّة التلاؤم بين التعبيرات الرمزيّة والسياقات المرجعيّة والمقاميّة والحديثيّة^(٢)، وقيل إنّ: ((أوجز تعريف للتداوليّة وأقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئًا متأصّلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلّم، ولا

(١) التواصليّة اليوم علم جديد للتواصل: ٥١.

(٢) ينظر: التداوليّة من أوستن إلى غوفمان: ١٨.



السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلِّم والسامع في سياق محدّد (ماديّ، واجتماعيّ، ولغويّ) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما^(١)، ولو سُمح لنا بتعرفها تعريفاً واضحاً لقلنا بأنّها: البحث عن المعنى الناتج من استعمال اللغة بين المتكلِّم والمتلقّي في محيط سياقاتها المقاميَّة . فما يميّزها عن غيرها في المجال اللغويّ حرصها على بحث المعنى المتولّد من استعمال اللغة، وتحاول مشاركة علوم أخرى في رحلة بحثها من دون أدنى تحفّظ، وهذا ما يجعل مساحتها الشاغلة كبيرة في علم اللغة الحديث، ويمكننا القول إنّ التداوليَّة كمنهج نجحت بنسب عاليَّة في الربط بين النصوص للبحث عن المعنى مقارنة مع بقيَّة المناهج السابقة، والمحاولات مستمرة للوصول إلى نسب أعلى .

المضيّ في الحديث عن التداوليَّة، وتحولاتها المعرفيَّة يحتاج الوقوف عند مواضع تاريخيَّة كثيرة وأبعاد، وعلوم متنوّعة، ونحن ملزمون في بحثنا هذا تقصّي بُعد من أبعادها المعرفيَّة ألا وهو: (المُشيرَات وعلاقتها مع الدرس البلاغيّ العربيّ) .

لعلّ قراءة الموروث العربيّ القديم يُسهّل على القاريّ رصد العلاقة بين مصطلح المُشيرَات في توجّهها التداوليّ الغربيّ الحديث، وبين الدرس البلاغيّ القديم. فأما في الدرس الغربيّ فأصبح الأمر واضحاً، وأما في الدرس اللغويّ العربيّ فيظهر جليّاً في المباحث النحويَّة، والصرفيَّة لتتاجتهم اللغويَّة هنا وهناك، لا سيما في دراستهم لأسماء الإشارة الخاصّة بالضمائر الشخصية (المتكلِّم - المُخاطب)، والأسماء الموصولة، والضمائر، والظروف الزمانيَّة، والمكانيَّة، والتي لا تكاد تخلو دراسة لغويَّة عربيَّة قديمة أو حديثة من تلك المُسمّيات التي وإن اختلفت، ولكنها تحمل الوظيفة ذاتها، وعلينا التأكيد من أنّ المُشيرَات كمصطلح هي مصطلح غربيّ

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤ .



خالص، حتى وإن ظهر مفهومه في الدرس اللغويّ العربيّ القديم، فعلينا أن نُبَدِّع تلك المصطلحات، ونؤسِّس لها، ولا نعمل على مقياسيتها حال رصدها في الموروث العربيّ القديم .

فنقول: بأن تلك المصطلحات هي موجودة في التراث البلاغيّ العربيّ، ومن ثمّ إظهار شواهد تلك المفاهيم في الدرس القديم، وبهذه الطريقة لا يمكن أن نعد هذا العمل إبداعاً معرفياً بقدر ما هو عمليّة نقل أو ترجمة، ومقايسة من دون ابتكار مصطلح عربيّ جديد لا يُشابهه، ويسبق المصطلح الغربيّ؛ لذلك ندعو إلى صَرُورَة الكشف والرّبط الواعي بين تراثنا العربيّ والتّاج العربيّ، وخلق معرفة جديدة منبثقة من الدّرس العربيّ قادرة على مدّ تجلّياتها المعرفيّة إلى آفاقٍ أخرى، وجعل البيئة العربيّة بيئة منتجة لا بيئة مستهلكة للفكر، والأدب والعلوم بشكل عام^(١) .

ومن يعمّق البحث في الدّرس البلاغيّ القديم يجد فكرة المُشيرَات من أقرب الأفكار الحاضرة في كتب علماء اللغة، ولكنّها لم تُحدّد بمصطلح قارّ كما هي عليه في الدرس اللسانيّ الغربيّ، وفي دراستنا هذه سنرصد (المُشيرَات القرآنيّة) كمصطلح قارّ ظهر في الموروث الإسلاميّ بشكل عام، وتراث الإمام عليّ عليه السلام بشكل خاصّ، وفي تصوّرنّا يحمل هذا المشير بعداً تداولياً مهمّاً في الخطّاب الإنسانيّ العربيّ، وغير العربيّ يفوق لما للمكان والزّمان، والشخصيّات من حدود . وهذا ما سيتمّ إثباته في تطبيقات المبحّثين القادمين إن شاء الله.

(١) ينظر: اللسانيّات العربيّة والغربيّة بين إشكاليّة المصطلح وتسمية المُختصين.

المَبْحَثُ الأوَّلُ: المُشيرُ القرآنيُّ للزمان المفتوح

وقفَ علماءُ العربيَّةِ كثيرًا عند مفهوم الزَّمن، فقالوا إنَّه: ((كلمةٌ تدلُّ على معنى في نفسها مقترنةٌ بزمان))^(١)، ووقفوا أيضًا عند تقسيماته، فقسموه على ثلاثة أزمان: الماضي، والحاضر، والمستقبل^(٢)، ويرون لكلِّ حدثٍ ارتباطَ زمنيٍّ ((مبثَّتٌ بالعقل والمنطق من خلال الجمل أنَّه يرتبط دائمًا بزمن؛ لأنَّ الكون الذي نعيش فيه مودع في زمن يرسم كلَّ أحواله وأحداثه، فكلُّ حدثٍ فيه يرتبط بزمن، وبما أنَّ اللغة انعكاسٌ لأحداث الواقع، وتعبيرٌ عمَّا يدور في هذا الكون، فلا بدَّ من زمان يرسم الأحداث))^(٣)، هذه التقسيمات الزمنية تحضر في الخطاب القرآني، ولكنها تخرج في معظمها من التَّحديد الزمانيِّ المغلق بالثَّواني والدَّقائِق والسَّاعات والأيام والأشهر والسنين...، والذي يمكن أن يرتبط ببعض الوقائع التَّاريخيَّة الثابتة في القصِّ القرآنيِّ إلى صفة الزَّمن الفلسفيِّ المفتوح.

أمَّا مصطلح المُشيرَاتِ الزَّمنيَّةِ فهو مصطلح غربيٌّ قارَّ في الدِّرس اللسانيِّ التداوليِّ، ويُقصد به: ((صيغة لفظيَّة تشير إلى زمن معين يحدِّده السياق قياسًا على زمن التَّكلم الذي يشكِّله مركز الإشارة الزمانيَّة في الكلام))^(٤)، وفي جميع الأحوال المُشير الزَّمانيُّ في الدِّرس اللسانيِّ يعني: ((كلماتٌ تدلُّ على زمانٍ يحدِّده السِّياق بالقياس إلى زمان التَّكلم، فزمان التَّكلم هو مركز الإشارة الزمانيَّة في الكلام، فإذا لم يُعرف زمان التَّكلم إلا مركز الإشارة الزمانيَّة، التبس الأمر على السامع أو القارئ))^(٥)، ولكننا في

(١) شرح المفصل: ٧/٢.

(٢) ينظر: الإيضاح في علل النَّحو: ٨٥، شرح المفصل: ٧/٤، شرح جمل الزجاجي: ١/١٢٧-١٢٨.

(٣) مقولة الزَّمن القرينية والدلالة - دراسة لسانيَّة: ١٨٩.

(٤) التداولية: ٢٧.

(٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٩.



المُشير القرآنيّ الزّمنيّ لا نشترط معرفة الزّمن الحقيقيّ، فهو غالباً ما يكون خارج هذه المحدّدات التي وضعتها اللسانيّات التداوليّة في الدّرس الغربيّ، وبذلك يكون للمشير القرآنيّ الزمانيّ خصوصيّة متفرّدة نجد تمثّلاتها في الخطّاب القرآنيّ، ففي مجمله خطّاب مفتوح لا يقف عند زمان أو مكان، أو موقف لشخص ما، فعندما يقترن بصيغة زمنيّة أو مكانيّة أو موقف لشخصيّة ما يحولّها من صفة الخُصوص إلى صفة العموم بصورة تفوق الخطّابات المعرفيّة الأخرى؛ لذلك وظّف العلماء المسلمون جلّ خطاباتهم بتلك المشيرات القرآنيّة بغية تحقيق أهدافهم، وغاياتهم المقاصديّة في الإصلاح وبناء المُجتمع .

ويحمل تراث الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام هذه السّمة بكلّ تفاصيله المعرفيّة في الخطب والحكم والوصايا، وستكون خطب نهج البلاغة محطّ رحال بحثنا، لما حظيّ به هذا الكتاب من توثيق محكم عند الباحثين السابقين، ولا حاجة لنا بالتعريف بهذا الكتاب وصاحبه، فهو أكبر من أن يعرف لما يحمله من نظرة عميقة وواقعيّة في ((ديمومة الحياة فيه فكلّما زاد الباحث قراءة ازداد منه انتفاعاً وجدّة فهو أثر لغويّ لا تملّه الأسماع مهما تردّد ذكره. وسرّ هذه الديمومة ونبض الحياة في نهج البلاغة هو القرآن الكريم، فثمة ثوب شفيف يغطّي كلمات نهج البلاغة وصياغاته ومعانيه، نسيجه بلحمته وسداه من كلمات ومعاني الكتاب العزيز))^(١).

فشكّلت الخُطب التي فيها أداة تواصلية ذات طبيعة تبليغيّة، كُرسّت لتؤدّي وظيفة نفعيّة تأثريّة لإيصال مجموعة من المقاصد الإصلاحيّة في حياة الإنسان رُبطت تلك الخطب بمشيرات قرآنيّة تعمّق تلك المقاصد في أذهان المخاطبين؛ لما يمتاز به الخطّاب القرآنيّ من تأثير في قناعات المتلقّي وسلوكيّاته بما يحمله من قيم

(١) الأثر القرآني في نهج البلاغة- دراسة في الشكل والمضمون: ٦.



دينيَّة وأخلاقيَّة واجتماعيَّة وعلميَّة تجذب المخاطب إلى مسارات فكريَّة يؤمن بها ويتأثر، فوظف الإمام علي عليه السلام تلك النصوص المؤثرة بطريقة المشيرات الزمانيَّة، وهذا ما يظهر في قوله: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَدَاً السَّبَاقَ، وَالسَّبَقَةَ الْجَنَّةَ، وَالْغَايَةَ النَّارَ؛ أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خُطْبَيْتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ! أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ! أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ؛ وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ، وَضُرَّهُ أَجَلُهُ، أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ...))^(١).

في الخُطبة نُصح دقيق، وفهْم عميق لما يجري في الدُّنيا والآخرة من أحداث سابقة ولاحقة، ففيها رؤية متكاملة تحمل إشارات الماضي، ومعطيات الحاضر، ونتائج المستقبل، فحملت صورة الأزمنة (الماضي - الحاضر - المستقبل)، في التمثيلات الزمانيَّة المتمثلة في الخطاب العلوي، ومنها كلمة (يوم وأيام)، فوردت على قصر هذا النص المُختار من الخُطبة (٥) مرَّات، وعلى الرغم من أنَّها مفردة ذات دلالة زمانيَّة محدَّدة بالمنظور الشائع (٢٤) ساعة كاملة من دون زيادة أو نقصان إلا أنَّها خرجت من هذا التَّحديد الزماني المُغلق، ودخلت في المُشير الزماني المُفتوح، وفوق كلِّ هذا تنوعت دلالتها السياقيَّة من معنى إلى آخر، فيوم الأمل غير يوم البؤس. وهذا التَّحليل ينطبق على المُشير الزماني (غداً)، فهي مفردة محدَّدة بالمنظور اليوم الذي يلي اليوم السابق، وتتمثَّل في (٤٨) ساعة أو أقلَّ إلا أنَّها خرجت من هذا التَّحديد الزماني المُغلق، ودخلت في المُشير الزماني المُفتوح؛ لتشمل المُستقبل بكلِّ معطياته الموعودة في الخطاب، وهذا ما ينطبق على المُشيرَات الزمانيَّة الأخرى

(١) نهج البلاغة: ١٤٣-١٤٤.



الواردة في الخطاب من مثل: ((قبل، وأجل)، فكل ما جاء في الخطاب العلوي من مشيرات زمانية خرجت بدلاتها السياقية من الحدود الزمانية المقيّدة إلى الأزمنة المفتوحة عبر الأجيال، فلن تختصر هذه الفكرة بجيل من دون جيل آخر، فتشارك بها الأجيال، والأزمان عبر منظومة البداية (الولادة)، والنهاية (الموت) في الحياة الإنسانية، هذه الرؤية الزمانية الواثقة في حقيقتها استمدّها الإمام علي (ع) من المشيرات الزمانية القرآنية التي يطول الحديث عنها، وسنوجزها في الجدول الآتي:

المشير الزماني المُستمد في الخطاب العلوي	المشير الزماني في الخطاب القرآني	تغيراته المستقبلية
((.. فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ، وَأَذَنْتَ بَوْدَاعَ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعَ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ...))	﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ^(٢)	رؤية زمانية متجددة
((...وَعَدَا السَّبَاقَ، وَالسَّبْقَةُ الْجَنَّةُ، وَالغَايَةُ النَّارُ...))	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ ^(٣)	رؤية زمانية متجددة

(١) يس: ٥٤.

(٢) غافر: ١٦-١٧، وغيرها من الآيات القرآنية المباركة التي تشير إلى تلك الفكرة عن طريق المشير الزماني القرآني (اليوم)، من مثل ماورد في: البقرة: ٢٦، ١٦٢، ١٧٧، النساء: ١٦٢، التوبة: ١٨-١٩، وغيرها.

(٣) لقمان: ٣٤.



رؤية زمنيَّة متجدِّدة	﴿وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَّرُونَ﴾ ^(١)	((...أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ! أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ...))
رؤية زمنيَّة متجدِّدة	﴿وَأِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ...﴾ ^(٢) وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ^(٣)	((...أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ...))
رؤية زمنيَّة متجدِّدة	﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضَنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ ^(٤)	((...وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ، وَضُرَّهُ أَجَلُهُ...))

ولم تختلف فاعليَّة المشير ودلالته الزمانيَّة في خطب الإمام عليٍّ عليه السلام المستنبط من الخطاب القرآني، فلو عدنا لقراءة الأفعال ذات الدلالة الزمانيَّة المُسندة إلى الله سبحانه وتعالى في الخطاب القرآني، وتوظيفها في الخطب العلويَّة نجد جُلَّها تحملُ

(١) الزمر: ٥٤، وهناك كثير من الآيات المباركة تشير إلى هذه الفكرة عن طريق المشير الزماني (قبل)، من مثل ماورد في: الروم: ٤٣، الزمر: ٥٥، الشورى: ٤٧، المنافقون: ١٠، البقرة: ٢٥٤، إبراهيم: ٣١، وغيرها.

(٢) هود: ٣.

(٣) العنكبوت: ٥، وغيرها من الآيات القرآنية المباركة التي تشير إلى تلك الفكرة عن طريق المشير الزماني القرآني (أجل)، من مثل ماورد في: يونس: ٤٩، هود: ١٠٤، الرعد: ٣٨، وغيرها.

(٤) الأنعام: ١٢٨، وغيرها من الآيات القرآنية المباركة التي تشير إلى تلك الفكرة عن طريق المشير الزماني القرآني (أجل)، من مثل ماورد في: الأعراف: ١٨٥، يونس: ١١، إبراهيم: ٤٤، الاسراء: ١٨، ٩٩، القصص: ٢٧-٢٨، العنكبوت: ٥٣، القيامة: ٢٠، وغيرها.



صفة العموم لا الخصوص، فتخرج من مؤشرها الزماني المُقَيَّد إلى الزمن المفتوح، وهو سمة شائعة، وملازمة للخطاب القرآني تأثر بها الإمام علي (ع)، فوظفها بجمل خُطبه فيقول في إحدى خطبه: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلَا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يُجَبِّهْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْبِهُونَ بِهِ وَالْجَا حِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا))^(١).

ف عند تقصي دلالة الأفعال المسندة للفظ الجلالة في قوله (ع): ((الْحَمْدُ - بَطَنَ - دَلَّتْ - امْتَنَعَ - سَبَقَ...))، نجد هذه الأفعال تمثل مشيرات زمانية خارجة عن تقييدات الزمن، فلا يمكننا القول بأن: ((حمد لله، ومعرفة الله، ودلالة الله...))، وغيرها من الأفعال الواردة في الخطاب العلوي تكون للزمن الماضي؛ لأن جميع هذه المشيرات الزمانية مقترنة بالله سبحانه وتعالى، فتخرج من تلك المقييدات البشرية، وهذا ما نجد تمثلاته في وصف الإمام علي (ع) بأدق تفاصيلها بقوله: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يَدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطْنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَشَرَّ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ))^(٢).

(١) نهج البلاغة: ١٧١ - ١٧١.

(٢) م: ٨٥.



فعلی وفق هذا الفهم القرآني يُخرج الإمام عليّ ﷺ الخالق من محدّدات الزّمان والمكان، وهذه المُشيرَات الزمانيَّة الواردة في الخطبة استمدّها الإمام عليّ ﷺ من الخطاب القرآنيّ، ولعلّ الجدول أدناه يبيّن التّأثير والتّأثير في الخطابين:

تغيراته المستقبلية	المشير الزماني في الخطاب القرآني	المشير الزماني المُستمد في الخطاب العلوي
رؤية زمنيّة متجدّدة	﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ﴾ ^(١)	((الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ...))
رؤية زمنيّة متجدّدة	﴿وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّٰهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٢)	((... وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ...))
رؤية زمنيّة متجدّدة	﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ ^(٣)	((سَبِّحْ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَىٰ مِنْهُ،...))
رؤية زمنيّة متجدّدة	﴿... وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ^(٤)	((... وَفَرَّبْ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ...))

فإخراج هذه المُشيرَات الزمانيَّة الممثلة لرؤية معرفيَّة راسخة في الخطاب القرآنيّ ما هي إلاّ محصلة نهائيَّة وثابتة في مخرجات الخطاب العلويّ، إذ تشغل تلك المُشيرَات الزمانيَّة حيزًا كبيرًا في تراث الإمام عليّ ﷺ عامّة، وخطبه خاصّة، فيصعب

(١) النحل: ١٩، وهناك كثير من الآيات القرآنية الدالة على هذا المشير الزماني، ينظر: هود: ٥، الأنعام: ٥٨-٦٠، الأنعام: ٣، المائدة: ٩٩.

(٢) النور: ٤٥.

(٣) الأعلى: ١.

(٤) ق: ١٦.



الوقوف عندها جميعاً في هذا البحث، وهي صالحة لدراسة ماجستير.

ومن بين أقواله الراسخة في أذهان المخاطبين، مخاطبته من حضر حوله قبيل استشهاده، قال: ((أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم))^(١)، فالمشيرات الزمانية (الأمس - اليوم - غداً) تحمل وعياً راسخاً لأحكام الهيئة حاضرة في المشيرات القرآنية الزمانية التي رسخت في عقيدة الإنسان المؤمن على مرّ العصور، ولعلنا نستغني عن الجدول في هذا المقام؛ نتيجة التكثيف الدلالي الذي أحدثه الإمام عليه السلام في هذه العبارة وعلى وفق الآتي:

قوله عليه السلام: ((أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم)):

تحمل هذه المقولة مشيراً زمانياً مكثفاً لفكرة ما قبل الموت في القرآن الكريم، والنعم التي وهبها الله سبحانه وتعالى لعباده، والتي قد لا يستشعرون أهميتها في حياتهم إلا بعد فقدانها، وقد أشار إليها في الخطاب القرآني بقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٣-٥٥]، فحمل المتكلم خطابه بعداً تسلسلياً منطقياً لتلك الحياة (الأمس - الماضي)، (اليوم - الحاضر)، (غداً - المستقبل)، هذه المشيرات الزمانية إرتبطت بفكرة دورة الحياة للمخلوقات، وما يجب فعله من قبل المخاطبين، فعليهم أن ينتفعوا من تلك النعم، وكأني أرى في النص إشارة إلى أن الإمام عليه السلام نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى للبشرية، فجعل فيه مستودع علمه، وترجمان كتابه، فهو باب مدينة علم الله، ولا غرابة في ذلك.

(١) نهج البلاغة: ٣٥٩.



قوله ﷺ: ((...وَعَدَا مُفَارِقُكُمْ)):

الفرح والحزن في هذه الحياة لا يقدّم ولا يؤخّر في معطيات الآخرة، فالمفارقة حاصلّة لا محالة، وهي إشارة واضحة لحقيقة الموت الراسخة في الخطاب القرآنيّ، فهي حاصلّة لا محالة بغضّ النظر عن زمن حدوثه، والخطاب القرآنيّ يزخر بتلك الإشارات الزمانيّة المؤكّدة لفكرة المفارقة، والموت الذي ورد في (٥٣) مرّة في الخطاب القرآنيّ من بينها قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، وفي هذه العبارة تكثيف دلاليّ زمنيّ مستمرّ لا يختصر على المخاطب في زمانه فقط، بل هو تحذير لجميع الناس في اليوم، وفي الغد بضرورة التّحضير لحياتهم الحقيقيّة .

نستنتج ممّا تقدّم بأنّ المُشيرَاتُ الزمانيّة الواردة في الخطاب العلويّ تستمدّ قوّة فكرتها، وثبات حقيقتها الزمانيّة من الخطاب القرآنيّ الراسخ في عقيدة المسلم، فيمكننا القول إنّ جُلّ هذه المُشيرَاتُ الزمانيّة تحملُ صفة العموم لا الخصوص، فتخرجُ من مُشيرها الزمانيّ المُقيّد إلى الزّمن المفتوح، وهو سمةٌ شائعةٌ، وملازمةٌ للخطاب القرآنيّ تأثر بها الإمام عليّ ﷺ، فوظّفها بجُلّ حُطْبِهِ.



المَبْحَثُ الثَّانِي: المُشِيرُ الْقُرْآنِيَّ لِلْمَكَانِ الْمَفْتُوحِ

الحَدِيثُ عَنِ الْمَكَانِ فِي الْخُطَابِ الْإِنْسَانِيَّ عِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ يَخْتَلِفُ عَنِ حَدِيثِ الْمَكَانِ فِي الْخُطَابِ الْقُرْآنِيِّ، فَيُخْرَجُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنِ الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ الْمَحْدَدِ بِسِمَاتٍ جُغْرَافِيَّةٍ ذَاتِ مَسَاحَاتٍ مَحْدَدَةٍ فِي أَغْلَبِ حَالَاتِهِ، فَيَكُونُ مَكَانًا مَفْتُوحًا فِي مَخِيلَةٍ الْمُتَلَقِّي خِلَافَ الْمَكَانِ الْخَارِجِيِّ الْمُتَمَوِّضِ عَلَى خَارِطَةِ الْعَالَمِ لَهُ مَقُومَاتِهِ الْخَاصَّةُ وَأَبْعَادُهُ الْمُتَمَيِّزَةُ^(١)، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يُخْرَجُ الْمَكَانُ فِي الْخُطَابِ الْقُرْآنِيِّ مِنَ الْمُغْلَقِ إِلَى الْمَفْتُوحِ فِي نَظَرْتِهِ لِلْعَالَمِ، وَهَذَا مَا تَأَثَّرَ بِهِ الْخُطَابُ الْعُلُويُّ فِي تَوْظِيْفِهِ لِلْمَشِيرِ الْمَكَانِيِّ فُورِدَ فِي إِحْدَى خُطَبِ الْإِمَامِ عليه السلام، وَهُوَ يَصِفُ فِيهَا بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ فَيَقُولُ: ((ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَاهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُتَجِّعِ أَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُلْتَمِي رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجِ عَمِيقَةٍ))^(٢).

فِي النَّصِّ الْخُطَابِيِّ عَلَى وَفْقِ رُؤْيَا اللِّسَانِيَّاتِ التَّدَاوُلِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ مُشِيرٍ، وَلَكِنَّا سَنُرَكِّزُ عَلَى الْمَشِيرِ الْمَكَانِيِّ، وَعِلَاقَتِهِ بِالْخُطَابِ الْقُرْآنِيِّ الْمَفْتُوحِ، فَبِالنَّصِّ الْمَشِيرِ مَكَانِي يَصِفُ مَكَانَ (بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ)، الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام أَعَادَ صِيَاغَةَ مَعْطِيَاتِ هَذَا الْمَكَانِ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَفْتُوحَةِ الَّتِي لَنْ وَلَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى مَكَانٍ الْوَصْفِ وَسَتَعَقَّبُ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَذَا الْمَكَانِ فِي الْخُطَابِيِّينَ:

(١) ينظر: بناء الرواية: ٧٤.

(٢) نهج البلاغة: ٤٦٢.



المشير المكانيّ المستمدّ في الخطاب العلويّ	المشير المكانيّ في الخطاب القرآنيّ	تغيراته المستقبلية
(... مثابَةٌ لمنتجع أسفارهم...)	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾ ^(١)	رؤية المكان متجددة
(... تهوي إليه ثمار الأفتدة...)	﴿... فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ...﴾ ^(٢)	رؤية المكان متجددة
(... من مفاوز قفارٍ سحيقة، ومهاوي فجاج عميقة...)	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ...﴾ ^(٣)	رؤية المكان متجددة

عندما نعمق النظر في هذا الجدول، وما تضمّن من مشير مكاني (بيت الله الحرام) في الخطاب القرآنيّ، والخطاب العلويّ نجد مجموعة من الثوابت المتجددة، تأثر بها الخطاب العلويّ، فتُظهر المقايسة بين الخطابين الهضم العميق لجميع ما جاء به الخطاب القرآنيّ من جهة، والقدرة الفنيّة العالية في استحضار تلك النصوص؛ لتؤدّي وظيفتها الخطابيّة في النصّ الجديد الذي يؤكّد تلك الصفات في الخطابين برؤية متجددة عبر الأزمان، وعلى وفق الآتي:

- * سيبقى هذا المكان قبلة لجميع الناس على مرّ العصور والأزمنة.
- * سيبقى هذا المكان تهوي إليه قلوب الناس على مرّ العصور والأزمنة.
- * سيبقى هذا المكان أمنا لجميع الناس على مرّ العصور والأزمنة.

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) الحج: ٢٧.



فيتضح لنا من المقارنة بين الخطابين الأثر القرآني في الخطاب العلوي، ولاسيما في الصورة المكانية لبيت الله الحرام، والتي اصطبغت برؤية مكانية متجددة لم تفقد رسمها في عصر أو مكان ما، فبقيت راسخة كمشير قرآني مكاني إلى يومنا هذا.

والحق أن مواطن البحث عن المشير المكاني القرآني في الخطب العلوية كثيرة، وغزيرة فلن تجد خطبة إلا ولها من المشيرات المكانية والزمانية نصيباً وافراً في الخطاب، وإن كان لا بد من تطبيقات توّضح هذه المواضع، فالدنيا من المشيرات المكانية الفلسفية الحاضرة وبقوة في الخطب العلوية، وفي مواضع كثيرة، منها قوله عليه السلام: ((وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَكَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بَعْرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلُوهَا بِمُرِّهَا. لَمْ يُصِفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ...))^(١).

وفي موضع آخر يصفها فيقول: ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخَذُوا مِنْ مَمْرَكٍ لِمَقْرَكٍ، وَلَا تَهْتَكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتَبَرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خَلَقْتُمْ...))^(٢).

ولا تختلف تلك الرؤية العميقة لهذا المشير المستمد من الرؤية القرآنية في خطبة أخرى له يحذر فيها الناس من بلاء هذه الدنيا، فيقول: ((دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نَزْلُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، تَارَاتُ مُتَصَرِّفَةٌ،

(١) نهج البلاغة: ٢٩٩.

(٢) م: ن: ٤٩٠.



العيش فيها مذمومٌ، والأمان منها معدومٌ...»^(١).

ولعلَّ المتلقِّي لا يجد صعوبة في تلمس الأثر القرآني لهذا المشير في النصوص السابقة فتجليات هذه الفكرة مبثوثة في الخطاب القرآني بأكثر من موضع^(٢)، ومن بينها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قوله تعالى: ﴿زِينٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾ [البقرة: ٢١٢].

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَنْتَ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

(١) نهج البلاغة: ٥٢٠-٥٢١.

(٢) ورت لفظه (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة بلفظها الصريح، وهذا ما يثبت أثر هذا الحضور في الخطاب العلوي المستمد من الخطاب القرآني.



ولعلَّ سائل يسأل ما هذه الميزة التي أضافها الإمام علي عليه السلام على هذا المشير المكانيِّ القرآنيِّ إن كان هو بالأساس فكرة قرآنيَّة؟

بداية لابد من التأكيد على إعجازيَّة النَّصِّ القرآنيِّ مهما بلغت فصاحة المتكلم وبلاغته، وهذا ثابت بدلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فهو نصُّ ربانيٌّ معجز، وفي الوقت نفسه نوّكّد الفهم الحقيقي لهذا النَّصِّ والإيمان به، وما يمتلكه الفرد من قدرات لغويَّة تمكّنه من بناء مسارات جديدة للفهم في أذهان المخاطبين، والإمام علي عليه السلام تنطبق عليه تلك الرؤية فكان: ((يخلط القرآن بذاته ويحوّله في نفسه وفي حياته إلى منهج واقعيٍّ وإلى ثقافة متحرّكة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف، إنّما تتحوّل آثارا وأحداثا تحوّل خطّ سير الحياة، فالقرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل...))^(١)

والحقّ أنّ هذه المعرفة من جهة، والبلاغة العالِيَّة من جهة أخرى جعلت كلام الإمام علي عليه السلام يوظّف هذا الفهم بنسج جديد يحافظ على جوهر الفكرة، ويلبسها ثوبًا جديدًا في أذهان المخاطبين، فيتأثّروا بها، وهم بدورهم يعيدوا نسج تلك الفكرة بنسج جديد في نتاجهم الفنيِّ، ولعلَّ فكرة (تقلب الدنيا وزوالها) كمشير مكانيِّ في الخطاب العلويِّ وظّفها الشاعر أبو البقاء الرنديّ الأندلسيِّ (ت ٦٨٤هـ) في قوله من بحر البسيط:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ
فَلَا يُغَرِّبُ طَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوْلُ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنُ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ^(٢)

(١) الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة: ٣٧.

(٢) الديوان: ٥٠٠ <https://www.aldiwan.net/quote.html>



والحقُّ أنَّ حديث المُشيرَاتِ المكانيةِ القرآنيَّةِ، وحضورها الواضح في الخطابِ العلويِّ يطول، فلا تكاد تجد خطبة من خطبه تخلو من هذه المُشيرَاتِ، وهي تؤكِّد استنتاج دراستنا التي تقدِّم في المُشيرَاتِ الزمانيَّةِ بأنَّ المُشيرَاتِ الزمانيَّةِ والمكانيةِ الواردة في الخطابِ العلويِّ تستمدُّ قوَّةَ فكرتها، وثبات حقيقتها الزمانيَّةِ من الخطابِ القرآنيِّ الراسخ في عقيدة المسلم، فيمكننا القول إنَّ جلَّ هذه المُشيرَاتِ تحملُ صفة العموم لا الخصوص، فتخرجُ من مُشيرها الزماني أو المكانيِّ المُقيَّد إلى الزَّمن والمكان المفتوح، وهو سمةٌ شائعةٌ وملازمةٌ للخطابِ القرآنيِّ تأثر بها الإمام عليٌّ عليه السلام فوظفها بجلِّ خطبه.

التنائج والتوصيات:

١- في تصوُّرنا أنَّ دراستنا تحمل مصطلحاً معرفياً جديداً في تحديده، ومعطياته التطبيقية فيدولي أن في الدراسة كشف لمصطلح (المشيرَاتِ القرآنيَّةِ)، فهو مصطلح عربيٌّ ذات طبعية فلسفية إسلامية له خصوصيته المستقلة عن المُشيرَاتِ في اللسانيات التداوليَّةِ الغربيَّةِ، فيكتسب فرادته بأنَّ مشيره الزماني لا يمكن تحديده بوقت، ومشيره المكاني لا يمكن تحديده بمكان، وشخصياته ومواقفه تخرج من حدود التشخيص أو التجسيد إلى الزمن الفلسفيِّ الخارج عن تحديدات الزمان والمكان.

٢- أثبتت التطبيقات الواردة في البحث، والخطابِ القرآنيِّ وأثره في الخطابِ العلويِّ بأنَّ عنوان (المُشيرَاتِ القرآنيَّةِ في الخطبِ العلويَّةِ) موضوع خصب يصلح لدراسة دكتوراه تتضمن جميع المُشيرَاتِ الخاصَّة بالدراسات اللسانيَّةِ التداوليَّةِ، وعدم الاختصار على المشير المكانيِّ والزمانيِّ؛ لوفرة تطبيقاته في الخطابِ العلويِّ الشريف.



٣- كشفت الدراسة أنّ المُشيرَاتِ الزَّمَانِيَّةَ، وَالْمَكَائِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي الْخَطَابِ الْعُلُويِّ تَسْتَمِدُّ قُوَّةَ فِكْرَتِهَا، وَثَبَاتَ حَقِيقَتِهَا الزَّمَانِيَّةَ مِنْ الْخَطَابِ الْقِرَائِيِّ الرَّاسِخِ فِي عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِ، فِيمَكْنُنَا الْقَوْلَ: إِنَّ جَلَّ هَذِهِ الْمَشِيرَاتِ تَحْمِلُ صِفَةَ الْعُمُومِ لَا الْخُصُوصِ، فَتَخْرُجُ مِنْ مُشِيرَتِهَا الزَّمَانِيَّةِ أَوْ الْمَكَائِيَّةِ الْمُقَيَّدِ إِلَى الزَّمَنِ وَالْمَكَانِ الْمَفْتُوحِ، وَهُوَ سَمَةٌ شَائِعَةٌ، وَمَلَاذِمَةٌ لِلْخَطَابِ الْقِرَائِيِّ تَأْتُرُ بِهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَام)، فَوَظَّفَهَا بِجَلِّ خُطْبِهِ.

٤- كَشَفَ بَحْثُ الْمَشِيرَاتِ عَظْمِ التَّعَالُقِ وَالْإِنْسِجَامِ بَيْنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَام)، وَلَا أَبَالِغُ إِذَا قُلْتُ إِنَّ الْإِمَامَ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْبَشَرِيَّةِ، فَجَعَلَ فِيهِ مَسْتَوْدِعَ عِلْمِهِ، وَتَرْجَمَانَ كِتَابِهِ، فَهُوَ بَابُ مَدِينَةِ عِلْمِ اللَّهِ، وَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ أَلْفَ بَابٍ مِنْ الْعِلْمِ يَنْفَتِحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ طَلَّبَ مِنَ النَّاسِ سَوْأَلَهُ قَبْلَ فَقْدِهِ.



المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

- ١- آفاق جديدة في البحث اللغويِّ المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعيَّة، ٢٠٠٢م.
- ٢- الأثر القرآنيُّ في نهج البلاغة- دراسة في الشكل والمضمون-، د. عباس علي حسين الفحام، العتبة العلويَّة المقدَّسة، النجف الأشرف، ٢٠١١م.
- ٣- إستراتيجيَّات الخطاب مقارنة لغوية تداوليَّة، عبد الهادي ظافر الشهريِّ، دار الكتب الجديدة، بنغازي، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ٤- الإيضاح في علل النَّحو، أبو القاسم الزجاجيِّ (ت ٣٣٧هـ)، تح: مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، ط ٦، ١٩٩٦م.
- ٥- بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٦- التواصليَّة اليوم علم جديد للتواصل، روبول، آن موشلار، جاك: تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط ١، المنظمة العربيَّة للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٧- التداوليَّة، جورج يول، تر: قصي العتايي، الدار العربيَّة ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.
- ٨- التداوليَّة من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ٩- شرح جمل الزجاجي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن عصفور، تح: صاحب أبو جناح، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
- ١٠- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، مكتبة المتنبِّي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).



- ١١- الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة، قاسم حبيب جابر، المؤسسة العالمية للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- ١٢- نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ١٣- نهج البلاغة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب   (٣٦هـ)، جمع الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، شرح الإمام محمد عبده، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

البحوث والمقالات العلمية:

- ١- دراسات ومقالات في التداوليَّة، جميل حمداوي، المنظمة العربيَّة للترجمة، بيروت، ٩٤، ٢٠١٢م.
- ٢- اللسانيات العربيَّة والغربيَّة بين إشكاليَّة المصطلح وتسمية المُختصين، د. هادي سعدون هنون، بحث شاركنا به في الملتقى الدولي الثاني حول: قضايا الكتابة اللسانيَّة العربيَّة الحديثة- دراسة في جهود اللسانيين المحدثين- الذي ينظمه مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر منشور عبر الرابط:
-<https://www.facebook.com/share/p/a8thLaDiFz1AmthB/?mibextid=qi2Omg>
- ٣- مقولة الرّمن: القرينة والدلالة- دراسة لسانيَّة، هاني البطاط، بحث منشور في مجلة جامعة الخليل، مج ٤، ع ٢، ٢٠٠٩م.

الروابط الإلكترونيَّة:

- <https://www.aldiwan.net/quote500.html>

عالمية الخطاب العلوي

من منطق القيم القرآنية إلى منطق نشر القيم

أ. د. آمال خلف علي آل حيدر

كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة

الملخص:

تصنّف الخطابات، ولاسيما الخطابات المنطقية ذات البعد القيمي الإرشادي، التي يشكّل مساحة اشتغالها (الإنسان) بالخطابات القرآنية العالمية، والخطاب العلوي شكّل بحسب حمولاته القيمة خطابا عالميا أّسم بالشمولية والعمق والتطبيق العملي، فهو يخاطب العالم في كلّ زمان ومكان، فالخطاب العلوي تجلّت فيه العقلية العظيمة؛ لذا كان أمير المؤمنين عليه السلام راعيا للإنسانية داعيا إليها في أغلب خطابه، وما تصنيفه للناس: ((إمّا أخّ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق))، إلا ترسيخ للفكر الإنساني في الأذهان ضمن الدستور العلوي العالمي، وقيمة هذا التصنيف تمثّل الامتداد الطولي للنظرية الإنسانية التي يمثلها منطق القيم القرآنية، عرضها الخطاب العلوي عن طريق منطق نشر تلك القيم التي حثّ عليها الله جلّ جلاله وجاءت في النصوص القرآنية المباركة، فانقسمت على:

قيم أخلاقية مثل، حبّ الخير، والتعاون، والنصيحة، والتضحية.

قيم معرفية مثل، العلم والمعرفة والتفكير، الذي يحقّق للإنسان إنسانيته التي



من دونها يخرج من دائرة الإنسانيّة .

ويسعى البحث لكشف هذه القيم التي تشكّل الإنسان في مفهوم الخطاب العلويّ، وهذه القراءة تشكّل الخطّ البيانيّ في الكشف عن خطّين متوازيين بين الرقيّ والانحطاط، والمعيار الفاصل بين القيم الأخلاقيّة والمعرفيّة .

وقد توصلّ البحث إلى الكشف عن عالميّة الخطاب العلويّ التي تمثّلت بنشر القيم القرآنيّة مثل (التعاون و الإيثار و حبّ الخير) .

الكلمات المفتاحية: الخطاب العلوي؛ العالمية؛ القيم القرآنية؛ منطق القيم.



Research Summary

The discourse is characterized by comprehensiveness, depth and practical application. It is a speech that addresses humanity at all times and places. The lofty discourse in which the great mentality is manifested; Therefore, the Commander of the Faithful (PBUH) was a patron of humanity, calling for it in most of his speeches and what he categorized for people: “Either you are a brother in religion, or you are equal in creation,” but the establishment of human thought in the mind of the Supreme Constitution. The extension of the longitudinal to the human theory represented by the heavenly discourse values presented by the upper speech is the Quranic values urged by God Almighty, divided into:

Ethical values such as love, goodness, cooperation, advice, and sacrifice Knowledge values such as science, knowledge and thinking, which bring to man his humanity without which comes out of the circle of humanity

The research seeks to uncover these values that constitute man in the concept of the upper discourse. This reading constitutes the graph in the discovery of two parallel lines between sophistication and degeneration, and the criterion between ethical and cognitive values

The research revealed the humanity of the upper discourse of “cooperation”, “altruism” and “love of good

Keywords: The Discourse of Imam Ali, Universality, Quranic Values, The Logic of Values.



توطئة

نظر الإمام علي عليه السلام بدقّة وعمق وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقته مع خالقه، ونفسه ومجتمعه وحكومته وغير ذلك، فوضع له منطلقاً خاصاً لهذه الحقوق والواجبات، وجعله مسؤولاً عن رعايتها وصيانتها؛ لِيُنشئ مجتمعا إسلامياً عالمياً تسوده العدالة الاجتماعيّة، والعلاقات الوثيقة بين أبنائه القائمة على أساس الثقة والتعاون والمحبة، وغير ذلك ممّا يسهم في تنظيم العلاقات الإنسانيّة بين أفراد المجتمع، وكان للإمام علي عليه السلام الأثر الكبير في وضع المناهج التربويّة الحيّة لتنظيم سلوك الإنسان، فضلا عن تطوير حياته وبناء حضارته على أسس رصينة تضمن له الاستقرار النفسيّ من خلال تمثّل القيم القرآنيّة لبيان معنى الإسلام الحقيقيّ للناس، وأنّه دين الأخلاق والصفح والحلم، ودين التسامح الذي يُظهر الإنسان فيه مدى حبه للآخرين وسعيه للارتباط معهم بروابط قيمية إنسانيّة قائمة على أسس الخير والمحبة، ودعا أيضا إلى نبذ التعاليم الجاهليّة والالتزام بالتعاليم الإسلاميّة العالميّة التي أنقذت الإنسان من الجهل والظلم والضلال، و يبدو ما ذكرناه أنفا واضحا جلياً في ثنايا الخطاب العلويّ، سواء كان خطبا أم رسائل تهدف إلى بثّ روح الإخاء والمحبة بين المسلمين، فضلا عن حرصه على وحدة الصفّ والكلمة .



المطلب الأوَّل: منطق فهم الخطاب العلويِّ

من الكمالاتِ القيمية إلى المصاديق السلوكية

أسس الإمام عليّ عليه السلام دعائم العلاقة السليمة المرتكزة على الكمالات القيمية التي ينبغي أن تقوم بين الإنسان وخالقه، كالتسليم المطلق لإرادته تعالى شأنه، والعبودية الخالصة له والخشية والخوف منه، وطاعته والتوجه إليه وحده دون غيره، فضلا عن علاقة الأفراد فيما بينهم، عن طريق عنايته عليه السلام بتربية المجتمع الإسلاميِّ الإنسانيِّ، إذ جاءت محاولاته لمعالجة الانحراف الأخلاقيِّ وكسب الكمالات القيمية في المجتمع فضلا عنه في الإنسان نفسه من خلال ترجمة تلك الكمالات إلى مصاديق سلوكية واقعية، بالتعرّف على جذور الانحرافات العميقة، إذ عزا السبب الرئيس في انحراف المجتمع إلى حبّ الدنيا والتعلق بحبالها الواهمة كما ورد في الحديث النبويِّ الشريف ((حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة))، إذ يترتب على هذا الحبّ فقدان بصيرة الإنسان، فضلا عن تعطيل العقل وإعمال الشهوات والهوى التي تصبوا إليها النفس الخاسرة^(١).

يشخص المنطق العلويِّ مجموعة من العقاقير الكاملة لمعالجة الانحراف الإنسانيِّ في المجتمع عن طريق الحركة الديناميكية للمصاديق القيمية التي تشكل السلوك الإنسانيِّ العالميِّ ومنها:

أوّلا: - التقوى

تضمّنت إحدى خطب الإمام عليه السلام وصفا دقيقا للمتّقين وضحت السرّ الكامن وراء وصولهم إلى هذه المرتبة من الكمال القيميِّ المتمثل بالتقوى والذي ظهرت مصاديقه في سلوك المتّقين، إذ يصفهم بقوله ((فالمتمتقون فيها هم أهل الفضائل،

(١) ينظر: أعلام الهداية: ٢ / ٢٩٠ .



منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشئهم التواضع، غَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِلَتْ فِي الرِّخَاءِ، وَلَوْ لَا الْأَجَلَ الَّذِي كُتِبَ لَهُمْ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ))^(١)، يُبَيِّنُ الْإِمَامُ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ: (فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ) أَيِ إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَصْحَابُ الْفَضَائِلِ بَلْ أَهْلُهَا أَيِ أَصْلُ الْفَضَائِلِ، فَهِيَ تَتَّبَعُ مِنْهُمْ، ثُمَّ يُوَالِي الْإِمَامَ عليه السلام وَصَفَهُمْ فِيَقُولُ: (مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ) فَلَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ إِلَّا الصَّوَابَ وَالْحَقَّ وَالصِّدْقَ، أَمَّا مَلْبَسُهُمْ فَهُوَ الْبَسَاطَةُ وَالتَّوَاضُعُ فَضْلًا عَنْ عَدَمِ التَّكَلُّفِ لِلْمَلْبَسِ، فَهُمْ لَمْ يَشْغَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَمْرِ غَيْرِ ذِي أَهْمِيَّةٍ عِنْدَهُمْ، أَمَّا مَشْيُهُمْ فَيَنْمَازُ بِالتَّوَاضُعِ وَعَدَمِ الْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ، فَهُمْ بِذَلِكَ مُصَدِّقٌ لِلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ (مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ) تَوَاضَعُوا لِلَّهِ فَرَفَعَ شَأْنَهُمْ فَضْلًا عَنْ مَرَاتِبِهِمْ، وَاسْتَعْرَقَ الْإِمَامُ فِي وَصْفِهِمْ فَأَضَافَ (غَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ) انْتَهَجَ الْمُتَّقُونَ خَطًّا مُسْتَقِيمًا لِأَنْفُسِهِمْ، فَأَشَاحُوا بِأَبْصَارِهِمْ عَمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَصَمَّوْا أَسْمَاعَهُمْ عَنْ غَيْرِ الْعِلْمِ النَّافِعِ فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، فَالتَّقْوَى تَعْنِي الْاِتِّزَامَ بِأَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ وَهِيَ فِي ((عَرَفَ الشَّرْعَ وَالْقُرْآنَ عِبَارَةً عَمَّا يَتَّقَى بِهِ مِنَ النَّارِ))^(٢)، إِنَّ لِلتَّقْوَى مَضْمُونًا قُرْآنِيًّا مُحَضًّا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ فَكِرًا مَجَسَّدًا بِسُلُوكٍ عَمَلِيٍّ؛ لِأَنَّهَا تَعْنِي امْتِزَاجَ النَّظَرِيَّةِ بِالتَّطْبِيقِ^(٣) فَكَانُوا مُصَدِّقًا سُلُوكِيًّا فَعَلِيًّا لِالتَّقْوَى، كَذَلِكَ تَابِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَفَهُ لِلْمُتَّقِينَ فَقَالَ: (نُزِلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِلَتْ فِي الرِّخَاءِ،

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣ / ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٢) البحر المحيط: ١٠١ / ٢ .

(٣) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٤١٨ - ٤١٩ .



ولولا الأجل الذي كُتِبَ لهم، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب)، يتبين من هذا الوصف حال المتقين الذين لا يبهون بالبلاء النازل أو الذي ينزل تباعاً في ساحتهم، فقد وطّنا أنفسهم على التسليم المطلق لمشيئة الخالق فلا يستشعرون الألم الظاهري بل على العكس من ذلك فإنهم يتذوّقون حلاوة الإيمان من خلال مرارة البلاء؛ لأنه يقربهم لله زلفى، فضلاً عن الرغبة الكبرى لملاقاة العليّ القدير؛ تشوّفاً للفوز بثوابه وخوفاً من عقابه إن طالت بهم الآجال، أمّا قوله ﷺ (عَظَّمَ الخالق في أنفسهم، فصَغَرَ ما دونه في أعينهم) أي صاروا لا يُعَظِّمون شيئاً سوى الله سبحانه وتعالى، وهذا مصداق لقول أمير المؤمنين: (إنما عبدتك لأنك أهلاً للعبادة) فتصاغر كل ما هو دون مرتبة الإله تعالى شأنه في أعينهم، كذلك ما ورد في وصية الإمام عليّ ﷺ للحسين (عما) إذ قال: ((أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وأن بغتكما، ولا تأسفا على شيءٍ منها زوي عنكما، وقولا بالحق، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصما، وللمظلوم عوناً، وأوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدكما يقول: ((صلاح ذات البين أفضل من عمّة الصلاة والصيام)، الله الله في الأيتام فلا تُغَبِّوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم))^(١)، يوصي الإمام ولديه بوصايا خاصّة وأخرى عامّة وثالثة مشتركة ترتبط جميعها بمصداق التقوى الذي ترجمه السلوكيات القيمية المنطقية، فالخاصة منها هي ألا تبغيا الدنيا وأن بغتكما، أي لا تُجهدا أنفسكما بطلب الدنيا حتى وإن طلبتكما؛ لأن طالب الدنيا لا يلقي إلا العناء والتعب، حتى وإن تذرّع بضرورة الكسب فهذا الكسب سيترك ورائه كما قال تعالى: ﴿وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

(١) نهج البلاغة: (الكتب والرسائل) رقم ٤٧/٤٥٢، من وصية له ﷺ.



فَتَرَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ [الضحى: ٤-٥]، كذلك عدم الضجر والتأسف على ما تأخر أو مُنِعَ عنكما لعلَّ فيه خيرٌ لكما لقوله (ولا تأسفا على شيء زوي عنكما)، وقول الحقِّ في أصعب الأحوال (وقولا بالحقِّ)، وأن تبغيا من عملكما الأجر من الخالق لا من المخلوق (واعملا للأجر)، وأن تكونا خصماء للظالم وللمظلوم عوناً وابتغياً في ذلك القربة لله تعالى (وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً)، أمّا الوصايا العامّة (ونظم أمركم) أي تعمدوا إلى تنظيم أموركم بالشكل الذي يضمن سير العمل بالوجه الأمثل، كذلك ذكر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ (صلاح ذات بينكم) أي لا تتركوا أمراً فاسداً بينكم واعمدوا إلى إصلاحه فإنّه أنفع للمجتمع فضلاً عن أفرادهِ وكما يصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صلاح ذات البين أفضل من عمّة الصلاة والصيام) مع ما للصلاة والصيام من الأجر والفضل عند الله، أفاض الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصاياهِ العامّة فذكر الأيتام وأعطاهم مساحة في المجتمع، إذ شدّد على رعايتهم في المجالات التربويّة والاجتماعيّة كافّة فضلاً عن الاقتصاديّة فقال: (الله في الأيتام فلا تُغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتك)، أمّا وصيته المشتركة فهي تقوى الله، ويهدف إلى دعوة الناس للتعاون فيما بينهم والتطوُّع لخدمة بعضهم بعضاً، فضلاً عن الاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع من خلال الحثّ على إصلاح هذا الضعف الحاصل في مختلف جوانبه الدينيّة والدينيّة.

ثانياً: - حُسن الخُلُق

إنّ منطق الأخلاق الحسنة ينبغي أن يكون حاضراً في حياة المجتمعات سواء كانت إسلامية أم غيرها، والمجتمع الذي لا يتعامل أفرادهِ بالأخلاق الحسنة لا يمكن له بلوغ الأهداف السامية التي جاءت بها الكمالات القيميّة في بعثة الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فالأخلاق هي مَنْ تُوصِلُ الإنسان إلى المقامات الإنسانيّة العالية ولا



ينبغي أن يقتصر التمسك بالمصداق الأخلاقي على إظهاره عند التعامل مع الآخرين فقط من دون أن يترك أثرا على تنمية الشعور الأخلاقي الإنساني المتمثل بالروح، ومن ثم ترجمتها على مستوى السلوك والعمل الظاهري، لقد تجلّت القيم الأخلاقية بمضامينها الإنسانية العالية، كالتحلي بروح الصفح والعتف والتعايش والتسامح، فضلا عن ترك التحاسد في وصية الإمام عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام عند انصرافه من صفين، إذ قال: ((وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالتك، فإن الكف عن حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال، وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وعود نفسك التصبر على المكروه، ونعم الخلق التصبر، يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك))^(١)، يُعنى هذا النص باستنهاض الإنسان ليمارس دوره الفاعل في الحياة، ويستظهر طاقاته الكامنة من خلال تسلحه بعلو الهمة والطموح المشروع، يوضح الإمام عليه السلام مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يعمل الإنسان جاهدا لكسبها فيقول: (فأحب لغيرك ما تحب أن تظلم) من خصال حسن الخلق أن تحب لغيرك ما تحبه لنفسك من الخير وعدم الظلم، (وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك) وكما يُحب الإنسان أن يُحسن إليه بالقول والفعل فعليه أن يُحسن للآخرين قولا وفعلا، (واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك) وأن تكره ما يصدر منك من أفعال أو أقوال لا تؤسم بالصحة، وأن لا تجمل قبيح أفعالك قبالة أفعال غيرك، (وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك) وأن تقبل ما يصدر من الناس كما تريد أن يقبلوا بما يصدر منك، وهذا مصداق لنص الحديث الشريف

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ٨٩ .



(حب لأخيك كما تُحِبُّ لنفسك) وهذا يعني التخلُّص من حُبِّ الأنا، بل يُجاوز ذلك بإيثار أخيه المسلم على نفسه ومشاركته إيَّاه في السراء والضراء، وكلُّ ذلك يرجع إلى الأصل الأوَّل وهو حُسْنُ الخُلُقِ الذي لأجله اختار الله عزَّ وجلَّ النبي محمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ثالثاً: - الصبر والتصبر

انمازت القيم المتناثرة في أرجاء النهج بالأخلاقيات الرفيعة ذات الطابع الإنسانيِّ العالميِّ، التي استمدَّت جذورها الإنسانيَّة من القرآن الكريم والرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ تمثَّل الحجر الأساس لرقِيِّ المجتمعات^(١)، إذ يصف الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ الصبر والتصبر بأتهما نعم الخُلُقِ، وكما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، إذ يُعدُّ الصبر والصلاة الأداتان المفضَّلتان لتمكين الإنسان من التحرك ومواجهة التحديات الصعبة التي يواجه بها أئمة الكفر والضلال، فلا بدَّ من توافر الصبر في علاقة الإنسان بنفسه ومساحة اشتغاله، كذلك الصلاة التي توضَّح علاقة الإنسان بالله تعالى شأنه^(٢)، ويُعدُّ الصبر العنصر الحافظ والمحامي للمجتمعات من التراجع وبذل الأرواح وخوض الصعاب لأجل الوصول إلى الهدف الأسمى، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الصبر نوعان، صبرٌ محمود وهو الصبر على الطاعات والعبادات وترويض النفس على ترك الشهوات، وصبرٌ مذموم وهو الصبر على الذلِّ والهوان^(٣)، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((لا يُعَدُّ الصبور الظفر إن طال به الزمن))^(٤)، كذلك قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((مَنْ رَكِبَ مَرْكَبَ

(١) ينظر: الإنسانيَّة المثاليَّة عند الحسن بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، دراسة تحليليَّة في تراثه: ٥٥.

(٢) ينظر: في رحاب القرآن: ٨، وسنة التعميم في القرآن: ١٦٨.

(٣) ينظر: مكارم الأخلاق ورذائلها: ٤٢/٢.

(٤) نهج البلاغة: ٤٠/٤.



الصبر اهتدى إلى ميدان النصر))^(١)، فالصبر هو الطريق الموصلة إلى الصواب وإن طال به الوقت .

رابعاً: - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يُعدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوضح المصاديق السلوكية الناشئة من الكمالات القيمة والتي تظهر آثارها جليلة للمجتمع فيما إذا اعتمدها كمنهج عملي في صنع المجتمعات المتكاملة، إذ قال الإمام علي عليه السلام : ((وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين مَنْ فعله بجُهدك، وغاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود، والجهاد عماد الدين ومنهاج السعداء، ومَنْ جاهد على إقامة الحقِّ وفقِّ، والمجاهدون تفتح لهم أبواب السماء، وثواب الجهاد أعظم الثواب))^(٢)، إنَّ الأمر بالمعروف وإنكار المنكر واجب على كلِّ مسلم، فيوجه الإمام عليه السلام نظر المجتمع نحوهما فيقول (وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين مَنْ فعله بجُهدك)، يتوجَّب على الفرد المسلم أن يأمر بالمعروف ويحثَّ عليه مثل برِّ الوالدين، وحُسن الخُلُق، والعفَّة، والإنفاق في سبيل الله وغيرها كثير ممَّا أثر من المعروف، فضلاً عن الترغيب بالمعروف معللاً هذا الأمر بالمعروف؛ كينونته من أهل المعروف، أي يكون كالمعروف ممدوحاً أينما ذُكر وبأيِّ حالٍ ذُكر، أمَّا إنكار المنكر فوجب أن يكون الإنكار باليد، أي تغيير المنكر بالفعل، واستخدام الإمام عليه السلام مفردة (اليد) كناية عن الفعل، فضلاً عن إنكار المنكر باللسان، فنرى استخدام لفظة (اللسان)

(١) بحار الأنوار: ٩٦/٦٨ .

(٢) تصنيف غرر الحكم: ١٧٥ - ١٩٠ و ٣٣١ - ٣٣٥، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: ١٤٠ - ١٥٠ و ٢٣٩ - ٢١٦ .



كناية عن القول بإنكار المنكر، إذن لا بدّ من إنكار المنكر قولاً وفعلاً، فضلاً عن ترك من اعتاد فعل المنكر بكلّ الجهد، لكيلا يكون على المؤمنين من حرج في عدم القدرة على تغيير الحال.

المطلب الثاني: الخطاب العلويّ

من الكمالات العباديّة القرآنيّة إلى الحياة الإنسانيّة الكريمة

للكمالات العباديّة القرآنيّة مقاصد وآثار متعدّدة تعمل على إيصال المجتمع بأفراده إلى الحياة الإنسانيّة الكريمة، فارتباط المخلوق بالخالق جلّ وعلا يوصله إلى المقصد الأساس وهو (تزكية الإنسان)، إذ تعمل الكمالات العباديّة على تزويد الإنسان بالطاقة المحرّكة، ولكي يصل الإنسان إلى مستوى التكامل لا بدّ أن يعمل جاهدا لاكتساب القيم العباديّة فضلاً عن القيم الأخلاقيّة على أرفع المستويات، مثل العناية بالعدل في علاقته بخالقه أو بأسرته أو بأصدقائه أو بمجتمعه أو بأمواله أو بنفسه، ويذكر أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له في أركان الإسلام وفضل القرآن: ((إنّ أفضل ما توّسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه، الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله، فإنّه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص فإنّها الفطرة، وإقام الصلاة فإنّها المِلّة، وإيتاء الزكاة فإنّها فريضةٌ واجبةٌ، وصوم شهر رمضان فإنّه جُنّةٌ من العقاب، وحجّ البيت واعتماره فإنّهما ينفيان الفقرَ ويرحضان الذنّب، وصلّة الرّجَم، فإنّها مَثْرأةٌ في المال، ومنسأةٌ في الأجل، وصدقة السرّ فإنّها تُكفّر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارعَ الهوان، أفيضوا في ذكر الله فإنّه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتّقين، فإنّ وعده أصدق الوعود، واقتدوا بهدي نبيكم فإنّه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فإنّها أهدى السُنن، وتعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنّه ربيعُ القلوب، واستشفوا بنوره فإنّه شفاءٌ



الصدورِ، وأحسنوا تلاوتهُ فإنَّه أنفعُ القصصِ، فإنَّ العالمَ العامِّلَ بغيرِ علمِه كالجاهلِ الحائرِ الذي لا يستفيقُ من جهلِه، بل الحجَّةُ عليه أعظمُ، والحسرةُ له أزمُ، وهو عندَ الله ألوئمُ))^(١)، إذ بيَّن الإمامُ عليه السلام ضرورةَ التمسُّكِ بقيمِ السماءِ العباديَّةِ التي من شأنها رفعُ مستوى الإنسانِ إلى التكامُلِ الإنسانيِّ والذي يسعى الإمامُ جاهداً لإيصالِ أفرادِ المجتمعِ إليه، عن طريقِ الحثِّ المستمرِّ على لزومِ الطاعةِ لفروضِ السماءِ، من توحيدِ الله تعالى شأنه، وإيمانِ برسوله، وجهادِ في سبيله، فضلا عن إقامةِ الصلاةِ والصيامِ والزكاةِ وحجِّ البيتِ الحرامِ وتعاهدِ الصدقةِ سرا كانت أم جهرا، وقراءةِ القرآنِ والغورِ في أعماقه لاستخراجِ كنوزه الثمينةِ، فضلا عن الالتزامِ بسنةِ النبيِّ الأكرمِ صلى الله عليه وآله.

كذلك وجَّه الإمامُ عليه السلام عنايته إلى بيانِ فلسفةِ جملةِ من التشريعاتِ العباديَّةِ قائلا: ((فرض الله سبحانه الإيمانَ تطهيرا من الشركِ، والصلاةَ تنزيها عن الكبرِ، والزكاةَ تسبيبا للرزقِ، والصيامَ ابتلاءً لإخلاصِ الخلقِ، والحجَّ تقويةً للدينِ، والجهادَ عزًّا للإسلامِ، والأمرَ بالمعروفِ مصلحةً للعوامِ، والنهيَ عن المنكرِ ردعا للفسهاءِ، وصلةً الأرحامِ منماةً للعددِ، والقصاصَ حقنا للدماءِ، وإقامةَ الحدودِ إعظاما للمحارمِ، وتركُ شربِ الخمرِ تحصيना للعقلِ، ومجانبةُ السرقةِ إيجابا للعفةِ، وتركُ الزنا تحصيना للأنسَابِ، وتركُ اللواطِ تكثيرا للنسلِ، والشهادةُ استظهارا على المجاحداتِ، وتركُ الكذبِ تشريفا للصدقِ، والاسلامُ أمانا من المخاوفِ، والإمامةُ نظاما للأُمَّةِ، والطاعةُ تعظيما للإمامةِ))^(٢)، فوضَّحَ عليه السلام العُللَ التشريعيَّةَ للعباداتِ، إذ علَّلَ الإيمانَ كونه تطهيرا للنفسِ البشريَّةِ من الشركِ، والصلاةَ تنزيها

(١) نهج البلاغة: ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) أعلام الهداية: ٢ / ٢٨٩ .



عن خصلة الكِبَرِ، والزكاة سببا للرزق، والصيام اختبارا للخلق في صبرهم على الطاعات، والحجّ إظهارا لقوّة الدين، والجهاد إعازا للإسلام، والأمر بالمعروف ومصلحة للناس كافة، والنهي عن المنكر ردعا للمتجاوزين على حرّيات الله، والقصاص حماية للنفوس المحترمة، وإقامة الحدود تعظيما للحرّيات وعدم انتهاكها مجدّدا، وترك شرب الخمر صيانة للعقل البشريّ، وترك الزنا تحصيلنا لأنساب من الاختلاط المحرّم، وترك الكذب شرفا للصدق، فلا يجتمع الكذب والصدق إطلاقا؛ لعلّو مرتبة الصدق في المجتمعات، حتّى لو خفت أنواره لمُدّة من الزمن، والإسلام يضمن الأمن الإنسانيّ بمختلف صنوفه، والإمامة دستورا ينظّم حياة المسلمين في كلّ ما تحتاج إليه، والطاعة تعظيما للإمامة وهو مصداق للآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فكّل ما تطرّق إليه الإمام من قيم عباديّة هي كفيّلة بتكوين المجتمع الإنسانيّ المتكامل .

ومن خطبة له (ع) في بيان قدرة الله تعالى وتمجيده قال: ((فأمّا أهل طاعته فأثابهم بجواره، وخلّدهم في داره، حيث لا يضعن النزال، ولا تتغيّر بهم الحال، ولا تنوبهم الأفزاع، ولا تنالهم الأسقام، ولا تعرض لهم الأخطار، ولا تشخصهم الأسفار، وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ داره، وغلّ الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، وألبسهم سراويل القطران، ومقطّعات النيران في عذاب قد اشتدّ حرّه، وباب قد أطبق على أهله في نار لها كلبٌ ولجّبٌ، ولهبٌ ساطعٌ وقصيفٌ هائلٌ، لا يضعن مقيمها، ولا يفادي أسيرها ولا تُقصم كبولها، لا مدّة للدار فتفنى، ولا أجل للقوم فيقضّى)) (١).

(١) نهج البلاغة: ١٨٥/٥٣.



إنَّ الحديث عن تزكية النفوس وتطهير الطباع وتنمية دواعي العفة والطهارة ليست شعارات عاطفيَّة، أو كمالات خُلقيَّة، وإنَّما هي أصل لتماسك المجتمع وأساس بقاءه، فضلا عن بناء الشخصية الإنسانية للمجتمع المسلم وتحصينه ضدَّ محاولات الهدم والتخريب، لذلك تستدعي ضرورة العمل الجاد في الدعوة إلى الله تعالى والحثَّ على القيم العباديَّة بتمثلاتها كافَّة، والدعوة إليها، والتذكير بالله واليوم الآخر، والحساب والعقاب، من خلال العمل على تعزيز الترابط بين الناس والقرآن وعبره وحكمه وأحكامه، ولا يغفل ذو لبٍّ رشيد عن المخاطر والصعاب التي تُحَفِّب حياة المؤمنين المتمسكين بدينهم، والتي بُنيت على العبوديَّة لله تعالى، وعلى الطهر والعفاف والفضيلة، إذ يعمل الشيطان وجنوده جاهدا للإطاحة بمن يسير على جادة الصواب، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]. إنَّ القيم العباديَّة ليست رأيا بشريًّا ولا نظاما وضعيًّا، وإنَّما هي قيم ربَّانيَّة المصدر عباديَّة المقصد يُراد بها وجه الله ورضوانه، فيها الأسوة والقدوة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وفيها الاقتداء والهداية كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

المطلب الثالث: المجتمع السياسي في الخطاب العلويِّ

من أزمة القيم إلى تدهور السلوك

شهد المجتمع الاسلاميِّ متغيِّرات في المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم والنبويِّ الأكرم ﷺ، مما تطلَّب جهدا كبيرا من الإمام عليٍّ عليه السلام في إعادة الناس إلى القرآن والسنة النبويَّة، فكان لا بدَّ للإمام أن يبيِّن مجموعة ليست بالقليلة من المعطيات الفكرية التي واكبت حركة النموِّ القيميِّ والمعرفيِّ، فضلا عن المتغيِّرات السياسيَّة



بعد انتقال الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى، وقد عمد الإمام إلى صرف أنظار العقلاء للأساس الذي يقوم عليه المجتمع، فضلا عن الأساس الذي يقوم عليه الأمن الإنسانيّ ألا وهو (القيم الفكرية)، فقد ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: ((مَنْ اسْتَحَكَمَتْ لِي فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ احْتَمَلْتُهُ عَلَيْهَا، وَاغْتَفَرْتُ فَقَدْ مَا سِوَاهَا، وَلَا أَعْتَظِرُ فَقَدْ عَقِلُ وَلَا دِينَ، لِأَنَّ مَفَارِقَةَ الدِّينِ مَفَارِقَةُ الْأَمْنِ، فَلَا يَتَهَنَأُ بِحَيَاةٍ مَعَ مَخَافَةٍ، وَقَدْ عَقِلَ فَقَدْ حَيَاةً، وَلَا يُقَاسُ إِلَّا بِالْأَمْوَاتِ))^(١)، نلاحظ من محتوى الحديث بيان التلازم القيميّ بين الأمن والتوحيد لله تعالى، فكلّ مجتمع فارق الدين فلا بدّ ألاّ يهنأ بحياته، وعدم الهناء الذي أشار إليه الإمام هو انعدام الأمن في المجتمع^(٢)، تؤكّد سيرة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أفراد المجتمع في سياسة الدولة من خلال وضعها في إنجاح التنمية الإنسانية، فضلا عن توجهاته لولائه وموظّفيه في الأمصار، ومن أبرزها عهده لمالك بن الأشتر حين أوكل إليه ولاية مصر، والذي يُعدّ دستورا إنسانيا للحكام، إذ أكّد فيه على تطبيق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، فضلا عن حفظ حقوقهم الماديّة والمعنويّة، وإن اختلفت أديانهم وتوجهاتهم، قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق))^(٣)، تتجلّى أبهى صور الإنسانية في هذا العهد من خلال الوصايا التي تدعو إلى اللين وخفض الجناح في حدود المعقول والواجب، من إظهار الرحمة والمحبة، وعدم التسلّط على الرعيّة التي لا تمتلك حولا ولا قوّة قبالة الحاكم، ونرى الوصف الإنسانيّ الدقيق الذي أكّد عليه الإمام بقوله ((إمّا أخ لك في

(١) بحار الأنوار: ٥٩/٥ .

(٢) الأمن الإنسانيّ في خلافة الإمام الحسن: ٦١ .

(٣) نهج البلاغة: ١٧٠/٥٣ .



الدين، وإما نظيرُ لك في الخلق)) الذي يُراد منه إشعار الحاكم بإنسانيَّته لا بحاكميَّته على الرعيَّة، فيكون سبعا ضاريا ينتهز الفرص المناسبة لينال من فريسته، وهذا ترسيخ للفكر الإنسانيِّ في الأذهان ضمن الدستور العلويِّ، وقيمة هذا التصنيف تمثّل الامتداد الطوليِّ إلى النظريَّة الإنسانيَّة التي يمثّلها الخطاب السماويِّ، فالقيم التي عرضها الخطاب العلويِّ هي قيم قرآنيَّة حثَّ عليها الله جل جلاله.

نرى أنّ الإمام عليه السلام يلفت نظر واليه إلى ما هو أهمّ من أخذ الضرائب من الناس، وهو ما يعرف آنذاك بـ (جباية الخراج)، وإنّما عمله الرئيس هو إصلاح أمور أهل البلد في الجوانب الدينيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة كافة، قال عليه السلام: ((هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر، في عهده إليه حين ولّاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها))^(١)، يؤكّد الإمام عليه السلام على إعطاء الأولويَّة للتنمية الإنسانيَّة من خلال طرق مختلفة، منها زيادة الإنتاج مبيّنا ذلك في قوله عليه السلام ((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج))، يوجّه الإمام نظر وولاته إلى ضرورة استصلاح الأرض بجميع الطرق الممكنة لما فيه الخير والصالح للأمة؛ لأنّه مدعاة لعمارة الأرض البور فضلا عن الفائدة المتوخّاة منها، بدءًا من تشغيل الأيدي المعطلّة عن العمل إلى عمران الأرض سواء كان بالزراعة أم الصناعة أم تشييد المباني أكثر من الاهتمام بمقدار الخراج المستحصل من هذه الأرض .



الخاتمة:

تكمن فلسفة العمل الإنسانيّ بالقيم التي يؤمن بها الإنسان، والتي تُشكّل سلوكاً واقعياً في الخارج، وهذه القيم تمثل المنظومة المعرفية التي يستمد منها الإنسان محرّكته، والمنظومة المعرفية للإمام عليّ عليه السلام منظومة قرآنية؛ لذا كشف البحث عن نتائجها في :-

١. كشف البحث عن القيم الأخلاقية التي رسمت ملامح البعد الإنسانيّ في الخطاب العلويّ المتمثلة بـ (حُسن الخُلُق والتقوى والصبر والسلم والتسامح).
٢. كشف البحث عن عالميّة الخطاب العلويّ التي تمثّلت بـ حبّ الخير، والتعاون، والنصح والإرشاد ومسعى الإمام عليّ عليه السلام بإيجادها في السلوك العمليّ الإجرائيّ.
٣. أثبت البحث أنّ الخطاب العلويّ خطاب قيمي منطقيّ، لم يتعد عن دائرة الخطاب المعرفيّ، بل هو خطاب إصلاحيّ تجسّدت فيه المفاهيم السماوية، وشكّلت المنطلقات له .
٤. بين البحث أسس بناء المجتمع الإنسانيّ، من خلال قراءة الكمالات العبادية القرآنية وصولاً بالمجتمع إلى الحياة الإنسانية الكريمة على وفق المنهج القرآنيّ والعمل على تفعيلها .
٥. أثبت البحث أثر القيم العبادية في التكامل الإنسانيّ عن طريق إرساء دعائم العلاقة السليمة بين الإنسان وخالقه .
٦. أظهر البحث روعة توظيف الخطاب العلويّ في معالجة أمراض المجتمع، ولاسيما في الجوانب السياسية والأخلاقية التي تُشكّل جوهر حركة الإنسان الإيمانية .



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، د. عبّاس علي حسين الفحّام، منشورات الفجر للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠١٠ م.
٢. أعلام الهداية ٢، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لجنة التأليف في المعاونة الثقافية للمجمع العلميّ لأهل البيت عليهم السلام، ط ٦، بيروت، ٢٠٠٩ م.
٣. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٩ م.
٤. الأمن الإنسانيّ في خلافة الإمام الحسن عليه السلام - دراسة مقارنة بين مفاهيم القرآن والعترة ومفاهيم الأمم المتّحدة رؤى نظريّة أم وسائل تطبيقية، السيّد نبيل الحسيني، مؤسّسة علوم نهج البلاغة، العراق - كربلاء المقدّسة - العتبة الحسينية المقدّسة، ط ١، ٢٠١٦ م.
٥. الإنسانيّة المثاليّة عند الحسن بن علي عليهما السلام (دراسة تحليلية)، تأليف الدكتور رحيم كريم علي الشريفيّ، دار البرهان، بيروت، ط ١، ٢٠١٤ م.
٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت ١١١١)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.
٧. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسيّ محمّد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٧٨ م.
٨. تصنيف غرر الحكم، عبد الواحد الأمديّ التميمي من علماء القرن الخامس الهجريّ.
٩. في رحاب القرآن ٨ - (سنة التعميم في القرآن)، محمّد مهدي الآصفيّ، المشرق للثقافة والنشر، طهران، ط ١، ٢٠٠٣ م.



١٠. المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، أويس كريم محمد، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط ٢، ١٤٠٨ هـ .
١١. مكارم الأخلاق وورثاتها، ولي أمر المسلمين السيد علي الخامنئي، إعداد السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م .
١٢. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، مطبوعات دار الأندلس النجف الأشرف، بيروت، ط ١، ٢٠١٠ م .

رؤية الإمام عليؑ في الوسطية والاعتدال من المنظور

القرآني أداة في محاربة الاستكبار ونبذ العنف

أ.د. حيدر كريم الجمالي أ.د. صادق فوزي النجادي
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وعلى آله الطيبين وبعد.

لا يخفى على كل لبيب وصاحب فكرٍ نيرٍ أن كل مفاهيم الحياة بأصعدها المتعددة لها حدود ثلاثة: حدان متطرفان، يرجعان إلى ما يسمّى بالاستكبار والخضوع، وحدٌ يتوسط بينهما، هو الاعتدال والوسطية، وعلى أساس اختلاف هذه الحدود تنوّعت المواقف العلمية للمسلمين في جميع المفاهيم الحيائية، والتعاليم الإسلامية، وقد جاءت الإشاراتُ القرآنية جلية في مسألة الوسطية والاعتدال، وقد استمدّ رسول الله ﷺ من تلك التعاليم السمحة منهجه في السير بهذه الأمة نحو أن تكون خير أمة أُخرجت للناس، فقد أشار إليها ووكدّها ونصّ عليها، وجاء من بعده مولى الموحّدين وأمام المتقين، وقائد الغر المحجلين عليّ بن أبي طالب ؑ الذي صدحت المحاجرُ بذكر فواضله، وأخلاقه، وممارساته الدينية الحقة في الوسطية والاعتدال، فهو عنوان الوسطية القرآنية والاعتدال، فقد تربّى بحجر المولى رسول الله ﷺ، وهو مصداقها الحقّ بعد أن تغيّرت الأمة، وفارقت المنهج الحقّ الذي دعت إليه رسالة السماء.



فجاء بحثنا تجسيدا لفكرة الوسطية والاعتدال في فكر المولى أمير المؤمنين (ع) من منظور قرآني دينيا كان أم اجتماعيا أم سياسيا، من خلال تسليط الضوء على فكرة الوسطية في الأحكام، وفكرة التعايش السلمي بين المجتمعات، من خلال ما ورد من نصوص قرآنية في الكتاب العزيز.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي (ع)، الوسطية والاعتدال، الاستكبار، نبذ

العنف.

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the best of mankind, Muhammad, and upon his pure family.

It is clear to every discerning and enlightened person that all aspects of life, in their various dimensions, have three limits: two extreme limits, which are called arrogance and subservience, and a middle limit between them, which is moderation and balance. Based on the diversity of these boundaries, the scholarly positions of Muslims varied across all aspects of life and Islamic teachings. The Quranic verses clearly indicate moderation and balance, and the Prophet (peace be upon him) derived his approach to guiding this nation towards becoming the best nation brought forth for mankind from these tolerant teachings. He pointed to it, emphasized it, and stipulated it. After him came the master of the monotheists, the leader of the pious, and the leader of the radiant ones, Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), whose virtues, morals, and true religious practices of moderation and balance were praised by the eyes. He is the epitome of Qur'anic moderation and balance, for he was raised in the lap of the master, the Messenger of God (peace be upon



him). This is its true confirmation after the nation changed and departed from the true path to which the message of heaven called. Our research came as an embodiment of the idea of moderation and balance in the thought of the Commander of the Faithful (peace be upon him) from a Qur'anic perspective, whether religious, social, or political, by highlighting the idea of moderation in rulings, and the idea of peaceful coexistence between societies, through what was mentioned in Qur'anic texts in the Holy Book.

Keywords: Imam Ali (peace be upon him), moderation and centrism, arrogance, rejection of violence.



مقدمة

الاستكبار خصلة غير حميدة في البشر، وهي من الصفات الدنيوية، ويعني التَّعَظْم والاستعلاء على البشر في نواحي مختلفة؛ والكِبْرُ والتَّكَبُّرُ والاستكبار ألفاظ تتقارب من ناحية المعنى، فالكبر: الحالة التي يتخصَّص بها الانسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الانسان نفسه أكبر من غيره. وأعظم التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة؛ والاستكبار يقال على وجهين؛ أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمودٌ، والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن، وهو ما قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] وقوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، والتكبر يقال على وجهين؛ أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة، وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وُصِفَ اللهُ تعالى بالتكبر فقال: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، والآخر: أن يكون متكلفاً لذلك، متشبعاً، وذلك في وصف عامة الناس نحو قوله تعالى: ﴿فَبَسَّسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وَمَنْ وُصِفَ بِالتَّكَبَّرِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ فمحمودٌ، وَمَنْ وُصِفَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي فمذمومٌ ويدل على أنه قد يصح أن يوصف الإنسان بذلك ولا يكون مذمومًا نحو قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].



فالتكبر إذن: مرض نفسي يصاب به الشخص عندما يحسّ بتفوّقه على الآخرين في صفات معيّنة كالمال والقوّة والسلطان والعلم وغيرها من الأمور، فيصاب بالغرور ويرى نفسه أعلى منزلة من غيره وعلّة هذا الشعور وسرّه: إنّ النفس ضعيفة أمام مغريات الدنيا إنّ لم يسعفها الإيمان، ويرتفع بها عن تراب الأرض ويعرّفها بعلّة وجودها ... والنفس فيها ميل وهوى إلى الظهور والاستعلاء وهذا أمر كامن فيها؛ لذا يقول الدكتور مك برايد: إنّ تكبر أيّ شخص على آخر أو أية أمة على أخرى إنّما يعني احتقار الشخص الآخر، أو الأمة الأخرى، وإنّ أكثر الخصومات والمنازعات لهي ناشئة من عقدة الحقارة، وإنّ اتّخاذ فكرة التكبر أو التخاصم لهو نوع من محاولة سدّ الفراغ الذي يحسّه المتكبر في باطنه من عقدة الحقارة، وإلا فلا يتصوّر أيّ إنسان شريف طاهر الضمير أو أيّ أمة أو طبقة أو عنصر أو قوم أو دم أيّ ميزة أو اختلاف بينهم وبين الآخرين، على أنّ بواعث التكبر والاستكبار كثيرة منها في الشخص نفسه، ومنها بغيره، ومنها في المتكبر عليه؛ فأما التي تتعلّق بالشخص نفسه فهي العُجب، وأما ما يتعلّق بغيره فهو الرياء، وأما ما يتعلّق بالمتكبر عليه فهي الحسد والحقد، لهذا فالأسباب المؤدّية للاستكبار والتكبر هي العجب والرياء والحسد والحقد.

وفي أجواء الصراع واحتدام التحدي والتداخل بين الثقافات، فقد العديد من البشر شخصياتهم المستقلّة عندما عملوا على الجمع بين الأفكار المنبثقة عن عقيدتهم، والأفكار والمفاهيم عن الحياة المنبثقة عن عقائد أخرى، وقد كان ذلك بسبب جهلهم وعدم أخذ الأمور على أصولها، وفي ظلّ هذه الأوضاع البالغة السوء بدأت تنشأ وتنشط بعض الجماعات والحركات لتواجه هذا الركام من الأفكار الخاطئة والتوجّهات المنحرفة، وفقاً لما بيّنه القرآن الكريم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي



مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿[الأنعام: ١٥٣]، على أنَّ طريق الاستقامة ليس أمرًا هينًا فقد يصعب على البعض الالتزام به فتحدث الفرقة والتنازع؛ لذا أوعز الله عزَّ وجلَّ إلى الناس وجوب تكوين جماعة منسجمة في الهدف والطريقة تجنبًا للاختلاف بقوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، والاعتدال والوسطية مبدأ ألفتها الكائنات جميعًا قبل أن يصير موروثًا إنسانيًا، لكنه تمثّل في النوع الإنساني في أجلى مظاهره، وأعلى مراتبه، وعلى هذا جبلت فطرته الإنسانيّة السليمة، فهو يألف ويؤلف من سائر أفراد نوعه ممّا حكم ذلك بوجوب اتّخاذ المدنيّة، والتعاون الاجتماعي الذي يلزم منها استقرار المجتمع ممّا دعا ذلك كلّهُ إلى أن يكون الإنسان مدنيّ الطبع، وأن يحكم هو بالعدل الاجتماعي.

إن الإسلام يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار التعايش الهادئ العميق سواء في قضايا العقيدة أم قضايا الحساب والمسؤولية، وعلينا بناء حوار فكري وإنساني فعّال، وسلام مثمر بين التيارات والمذاهب والأديان المختلفة.

فالنصّ القرآني يرى أنّ الدخول في نقاش وجدال مثمر بين الأطراف المتعدّدة والفئات المختلفة للبشر من دون وجود قناعات مسبقة هو الذي سيؤدّي إلى نبذ الاستكبار بين الأطراف، ومن ثمّ التفاهم والإقناع، فهناك فكرٌ يحاورُ ويناقشُ فكريًا آخر.



وقد طرَحَ هذا المفهوم - التعايش ونبذ الاستكبار - في ضوء النظريتين القرآنيّة وصدام الحضارات، ولا بدّ من التمييز بينهما؛ فالأولى سوف يكون عليها مدار البحث - أعني: النظرية القرآنيّة - أمّا الثانية فقد شغلت فيها عبارة الاعتدال والتعايش بين الفئات صدّى واسعاً عند الباحثين عقب انتهاء الحرب الباردة بين المشرق والمغرب، وتخلص هذه النظرية إلى وجود صدمات حضارية على مستوى القيم والأخلاق والمفاهيم لدى شعوب معيّنة (الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية) وهذه القيم تتناقض مع القيم السائدة في عصرنا الحاضر. وكلّ منها تحاول الاستيلاء والتكبّر على الأطراف الأخرى، وقد وجد الباحث الأميركي (صموئيل هينجتون) إنّ القيم الدينيّة هي الأشدّ رسوخاً وثباتاً ومعارضة لقيم الحضارة الغربيّة.

فنظريّة (صدام الحضارات) قائمة على هيمنة القطب الواحد والحضارة الواحدة على بقيّة الحضارات واستكبارها، والحفاظ على تلك الهيمنة والنفوذ والاستكبار من خلال الترويج لثقافة الصراع والقتال فيما بين الأمم ولاسيّما الحضارة الإسلاميّة، وغرسها في المفهوم العقائدي والفكري، على أن خلق روح التصادم والتناحر لا تستقيم والواقع التاريخي للميراث الحضاري، ولا مع الواقع المعاصر، إذ إنّها قوبلت بنظريّة (حوار الحضارات والأديان) وعدم تسلّط أيّ حضارة على أخرى، وإنهاء فكرة القطب الواحد والحضارة الواحدة، ومقارعة الاستكبار الظالم.

أمّا النظرية القرآنيّة فلها فكرة أخرى لا ترقى إليها النظرية السابقة فالنصّ المقدّس قدّم رؤية كاملة للعشرة الإنسانيّة والألفة الاجتماعيّة التي لم تقم على أسس نفعيّة أو هيمنة نفوذية، يظلم من خلالها الإنسان ويصبح عبداً لغيره؛ فمسألة



الوسطية والحوار مع الغير، والسلام ومحاربة الاستكبار، أصبحت في الوقت الحاضر لها امتداد عالمي من خلال عدم رفض الآخر واستتصاله كما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فالكلمة السواء إنما هي تواصل مع الآخر من خلال مد جسور الحوار وترك الاستكبار والاعتراف به، والتسامح والمحبة تجاه الآخرين فهو إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق. والإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو المصداق الأوفى والحق لتجسيد هذه النظرية، فهو الذي تربى في بيت النبوة، ونهل من فم رسول الإسلام محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن تعاليمه الحقّة، فالقرآن الكريم يدعو إلى نبذ التكبر والابتعاد عنه، ويدعو إلى التعايش السلمي، والحوار الهادئ من دون تعصّب، والانفتاح على الآخر وتفهم قناعاته، وأفكاره بعيداً عن إلغاء الآخر.

فجاء بحثنا تجسيدياً لفكرة الوسطية والاعتدال في فكر المولى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من منظور قرآني من خلال تسليط الضوء على فكرة الوسطية في الأحكام، وفكرة التعايش السلمي بين المجتمعات من خلال ما ورد من نصوص قرآنية في الكتاب العزيز بوصفه كتاب دعوة لطريق نجاة يخاطب العقول والنفوس لتوجيه السلوك نحو التكامل والتسامي والنجاة.

وقد اهتم المسلمون بقواعد الخطاب وأخلاقياته، وأسباب التأثير في المقابل من خلال تعدد الحوار والدعوة؛ ليكون التغيير ناجحاً ومثمرًا، وفي الوقت نفسه يكون مؤثراً في الناس، ومن ثم ينطلق لإصلاح الفكر الإنساني عامّة، وفكر الأشخاص المعاندين والمستكبرين خاصّة، وبناء الإنسان حضارياً، وذلك على وفق ما جاء في القرآن الكريم من دعوة للسمو بالإنسان، وحفظ كرامته وحقوقه، وعدم التعدي عليه، وسلب رفاهيته، وحرّيته، التي أودعها الله فيه، والحوار الهادئ



من دون تعصّب، والانفتاح على الآخر وتفهم قناعاته، وأفكاره بعيداً عن إلغاء الآخر.

فالإمام عليّ عليه السلام يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجّة والبرهان في إطار نبذ العنف والاستكبار سواء في القضايا العقائدية أم بقضايا الحساب والمسؤولية، وعلينا بناء حوار قاري وإنساني فعّال وسلام مثمر بين التيارات والمذاهب والأديان المختلفة.

التمهيد: مفهوم الاعتدال والوسطية في الخطاب القرآني

الاعتدال والوسطية مصطلح اجتماعي إنساني تعددت معانيه على أسس حضارية أو أيديولوجية؛ إلا أنها تصبّ في معين واحد ألا وهو الأصل الاجتماعي. فالله عزّ وجلّ يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق وينهى عن مساوئها، وحذّر البشر من بعض الأفعال القبيحة، ودعا الناس هنا جميعاً للتعارف والتآلف ونهاهم عن التفاخر بالأنساب، فالخطاب موجه لجميع البشر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، أي: نحن بقدرتنا خلقناكم من أصل واحد، وأوجدناكم من أب وأم فلا تفاخر بالأباء والأجداد، ولا اعتداد بالحسب والنسب، كلّمكم لآدم وآدم من تراب وجعلناكم شعوباً شتى وقبائل متعدّدة ليحصل بينكم التعارف والتآلف لا التناحر والتخالف^(١)، فالآية ((كما يظهر لنا تحتوي على سلسلة من أصول الأخلاق الاجتماعية المهمة التي إن عمّل بها وعلى هداها حفظت المحبّة والصفاء والأمن والاتحاد في المجتمعات، وبخلاف ذلك لو أهملت تكون سبباً للشقاء والنفاق وعدم الأمن. والملاحظ في الآية محلّ البحث أنّها تحاطب جميع الناس وتبيّن أهمّ أصل

(١) ينظر: صفوة التفاسير: ٣ / ٢١٩.



يضمن النظم والثبات، وتمييز الميزان الواقعي للقيم الإنسانية عن القيم الكاذبة والمغريات الباطلة^(١)، فالآية في مقام نفي التفاخر بالأنساب ودليلنا على ذلك ما أشارت إليه الآية نفسها من خلال:

١- الاشتراك في الانحدار النسبي فكل ذكر أو أنثى أبيض أو أسود يعودون إلى آدم وحواء.

٢- إن جعل الشعوب والقبائل من قبيل التنوع في المجتمعات الإنسانية لا التنوع الطبقي الداعي إلى التمايز والافتخار.

على أن الآية وضعت معياراً للتمايز والتفاضل بين البشر ألا وهو التقوى، فمعيار التقوى معياراً حقيقياً؛ فنزعة التفاخر والاستكبار ثابتة في النفس الإنسانية على قول العلامة السيد الطباطبائي ((وذلك إن الإنسان مجبولٌ على طلب ما يميّز به من غيره، ويختصّ به من بين أقرانه من شرف وكرامة))^(٢)، فضلاً عن أن الناس بما هم بشر ترى المظاهر تمايزهم، ومنها الجمال والغنى وغيرها من المفاخر، وعليه اختار الله عزّ وجلّ بعلمه هذا المعيار.

ولمحاربة الاستكبار والتكبر هناك أمور وعلاجات وضعتها الوسطية والاعتدال منها على سبيل الإجمال لا الحصر:

١- الابتعاد عن التصارع ونبد الاختلاف والدعوة إلى كلمة سواء:

إنّ هذه الدعوة لا تخصّ ملة دون ملة، ولا دين دون دين؛ لأنّ كلّ اختلاف بغير وجهٍ حقّ مؤداه التنازع والاختلاف، ومن هنا كانت الدعوة إلى توحيد الكلمة والصفّ ولمّ الشمّل ومواجهة الأعداء والطامعين، وهذا ما نجده في الخطاب

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦ / ٥٠٧ - ٥٦٠.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٨ / ٣٢٧.



القرآني متمثلاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فالقرآن الكريم يكشف لنا عن نزعة أصيلة للتواصل مع الآخر، وليس نزعة إقصاء؛ لذا يؤكد الخطاب القرآني في كثير من آياته على التعايش والتسامح تجاه الآخرين على أن التسامح لا يعني التنازل عن الحقوق والمعتقدات؛ وإنما القبول بالطرف الثاني كشريك وفق أسس ومبادئ تحفظ كرامته وحقه بغض النظر عن أفكاره وقناعاته الأخرى، فالإسلام لم يصادر حق من لم يدخله أو تحويلهم بالإكراه إلى مسلمين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فقد قيل: كان ذلك في ابتداء الإسلام فإنه كان يعرض على الإنسان الإسلام فإن أجاب وإلا ترك، وعليه فالآية المتقدمة - محل البحث - تشير إلى دعوة الحوار مع أهل الكتب السماوية الأخرى فهي دعوة إلى كلمة واحدة مستوية لا التواء فيها، فلا عبادة إلا لله. ((وهذا يعلمنا الخطاب القرآني درساً مفاده أنكم ما لم توفقوا في حمل الآخرين على التعاون معكم في جميع أهدافكم، فلا ينبغي أن يقعد بكم الناس عن العمل، بل اسعوا لإقناعهم بالتعاون معكم في تحقيق الأهداف المشتركة بينكم، كقاعدة للانطلاق إلى تحقيق سائر أهدافكم المقدسة))^(١).

وعليه تعد هذه الآية نداءً للوحدة والاتحاد بين أهل الكتاب، إذ إن الاجتماع إلى كلمة سواء (الكلمة الحقة) تفيد نبذ التناحر والتنازع الناتج عن تعدد الأرباب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ويرى العلامة السيد الطباطبائي في تفسيره ((أن الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده تنسجم والفطرة الإنسانية التي تقتضي بوجوب تطبيق الأعمال الفردية الاجتماعية على



الإسلام لله، وبسط القسط والعدل، أعني: بسط التساوي في حقوق الحياة، والحرية في الأفراد الصالحة، والعمل الصالح))^(١). وهذا نراه جلياً في قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً))^(٢)؛ ولهذا كان الإمام علي عليه السلام يوصي الولاية والمدراء دوماً بتطبيق أحكام الإسلام، ومراعاة الجوانب التربوية والقيم الاجتماعية في إدارة شؤون الناس والمجتمع. وقد صدر عنه عليه السلام دعوات وإرشادات متكررة إلى الولاية والعمل يدعوهم فيها إلى اتباع الدين وتطبيق أحكام الله، قال عليه السلام: ((فَشَرُّهُوَ (الدين) وَاتَّبِعُوهُ وَادُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ))^(٣). وفي موضع آخر، حذّر من استغلال الدين لأغراض أخرى، وما ينجم عن ذلك من أضرار فادحة، قائلاً: ((فإنك (...)) قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيْبُهُ، مَهْتُوكِ سِرِّهِ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسْفَهُ الْحَلِيمَ بِخَلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْغَامِ يَلُودُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيَسْتِهِ، فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ))^(٤).

٢- اللين في الخطاب والرقّة:

الصراع بين الخير والشر من أنماط الصراع غير المنتهية إلا بنهاية الكون؛ ذلك أنه المحكّ الرئيس لتمييز الخبيث من الطيب في المعادلة الإلهية. وعليه فإن أهمّ معطيات هذا الصراع هو تهذيب النفوس في ميزان العارفين ومريدي السلوك نحو الله، وذلك من خلال تهيئة الدواعي الأخلاقية والنفسية فكلاهما مؤثر في البشر، وعليه تقوم وحدة الصف، ونلاحظ ذلك في الخطاب القرآني بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ

(١) الميزان: ٢ / ٢٥٠

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٨٣ / ١

(٣) م. ن: ١ / ٢٣١ .

(٤) نهج البلاغة: ٣٩ .



فَطَّاءٌ غَلِيظٌ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴿آل عمران: ١٥٩﴾، فالفظ: هو الغليظ الجافي، القاسي القلب. والفظاظة: خشونة الكلام. والافتظاظ: شرب ماء الكرش. والماء من كرش الإبل يكون غير مُستساغ الطعم، فالله سبحانه وتعالى يُبين أن مساهلة الرسول ﷺ إياهم، ومجاوزته عنهم من رحمته إذ جعله لئب العطف، حسن الخلق ولو كان جافياً غليظ الخلق وقاسي الفؤاد من غير ذي رحمة ولا رأفة لتفرَّق عنه أصحابه قبل أعدائه.

والملاحظ في الآية تقارب لفظتي الفظاظة والغلظة، وبهذا يكون الرسول ﷺ منفياً عنه الجفاء في اللسان، والقسوة في القلب، وفي هذه الآية إشارة صريحة إلى إحدى أهم الصفات التي يجب توفرها في أي مجتمع، ألا وهي العفو واللين تجاه الآخرين، والعفو واللين كفيلاً بالتفاف المسلمين حول النبي ﷺ؛ لأن النفس الإنسانية تقبل المحسن إليها وتنفر من السيئ، ثم لو لاحظنا نهاية الآية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فهذا دليل على احترام الناس وأفكارهم لا على تبني آراءهم، ولو كان من باب الاستئناس بها فالرسول ﷺ هو الناطق عن رب العزة^(١).

ولو رجعنا إلى كلمات أمير المؤمنين ﷺ لم نره إلا مؤكداً تلك المعاني السامية في كثير من خطبه الشريفة، فإن أسلوب الحوار مع الآخرين، لا بد أن يكون محدداً ضمن الأطر الأخلاقية الإسلامية، التي يفرضها مقتضى الحال أو المقام الحوارية، ومن هذه الأساليب المعتمدة في الحوار مع الآخر قوله ﷺ: ((لين الكلام ولطافته ومقامه؛ ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، يكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك^(٢)))، فلا أسلوب لين الكلام ولطافته تأثير كبير في نفس

(١) ينظر: مجمع البيان: ٣٧٦ / ٢، والأمثل: ٢٧ / ٢.

(٢) نهج البلاغة: ١٢٢ / ٣.



المتلقّي الذي يكون معه الحوار أو الحديث، وله تأثير عظيم في حسن المعاشرة وجذب القلوب وتحصيل الفوائد والكرم، ويطلق على سعة الخلق والخير والفضل والشرف والجود والعزة والصفح والعظمة والتّزّه عن مخالفة الخالق سبحانه، فهو من أجزاء التّواضع وعدم التّكبر على الآخر^(١). فقد رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((لين الكلام قيد القلوب))^(٢).

٣- الكلمة الحسنة والحوار البناء الهادف:

وهذا ما نلاحظه من خلال قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالله سبحانه وتعالى لا يوجه هذا الأمر بالدعوة إلى رسوله صلى الله عليه وآله إلا وهو يعلم أنّه سينفذ ما أمر به، وسيقوم بأمر الدعوة ف(ادع) بمعنى: دلّ الناس وأرشدهم طريق الحقّ، وعلمهم وضع الشيء في موضعه المناسب، وعدم التّكبر والطغيان، والحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد؛ لأنّ بمعرفة ذلك يقع المنع عن الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال. وسُمّي القرآن حكمة؛ لأنّه يتضمّن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح، وأصل الحكمة المنع^(٣). والموعظة الحسنة معناها: الوعظ الحسن، وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله، وفي ذلك تلين القلوب بما يوجب الخشوع وعدم الاستكبار على الآخرين.

(١) ينظر: شرح أصول الكافي: ١١ / ٢٦٤.

(٢) المحاضرات في اللغة والأدب: ١ / ١٣١.

(٣) ينظر: مجمع البيان: ٣ / ٣٩٢.



وقد ذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره خطوات تمّ ترتيبها وفقاً لتسلسل الآيات، فالخطوة الأولى هي الحكمة بمعنى العلم والمنطق والاستدلال، وهي في الأصل بمعنى المنع، وقد أطلقت على العلم والمنطق والاستدلال؛ لقدرتها على منع الإنسان من الفساد والانحراف. فأول خطوة على طريق الدعوة إلى الحق هي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم. والخطوة الثانية: الموعظة الحسنة في طريق الدعوة إلى الله بالاستفادة من عملية تحريك الوجدان الإنساني؛ وذلك لما للموعظة الحسنة من أثرٍ دقيقٍ وفعالٍ على عاطفة الإنسان وأحاسيسه وتوجيهه مختلف طبقات الناس نحو الحق، والخطوة الثالثة: تختص بتخلية أذهان الطرف المخالف من الشبهات العالقة فيه والأفكار المغلوطة؛ ليكون مستعداً لتلقي الحق عند المناظرة^(١). والمستنتج من هذه الآية أنّ الغرض من الدعوة هي الدعوة إلى الله وبيان الطريق إليه من خلال الحكمة والموعظة الحسنة والحوار العقلاني، والحوار مع الخصم لا يخلو من تشنيعٍ وتعريضٍ، فكان من لوازم إتيان الثمرة من الدعوة والحكمة في الجدل معهم والموعظة الحسنة^(٢). وبذلك تكون هذه الوسائل هي بعض الطرق لمكافحة الاستكبار ومقارعته.

والوسطية مأخوذة من مادة وسط وتدلّ على معانٍ متقاربة، كما يذكر ابن فارس ف((الواو والسين والطاء) يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه))^(٣)، وفي الصحاح: ((الوسط من كل شيء أعدله، قال تعالى: ﴿جَعَلْنَاكُمْ

(١) ينظر: الأمثل: ٨ / ٢٤٣.

(٢) مجلة سبيل: ٣٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٦ / ١٠٨ (وسط).



أمة وسطاً^(١)، والتوسيط: أن تجعل الشيء في الوسط^(٢)، أمّا في الاصطلاح؛ فالوسطية لم تحالف المعنى اللغوي؛ لذا نجد في قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: اعدل ولا تتحير فيه، ولا تدبّ دبيباً من القصد، وهو المشي لاعتدال ثم قال: القصد يستعمل فيما بين الاسراف والتقتير^(٣)، وقال ابن الأثير: ((ومنه الحديث: حامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، إنّما قال ذلك لأنّ من أخلاقه وأدبه التي أمر بها القصد في الأمور))^(٤).

وربّ سائل يسأل عن الضابطة للوسطية والاعتدال؟ وكيفيّة تحديدها؟ فنقول: إنّ الضابطة في الوسطية والاعتدال هي انتخاب الحد الذي يكون بين حدّي الاستكبار والخضوع من دون ميل الى جانب على حساب الجانب الآخر، وهذا هو الأصل في المقام في الأحكام والتعامل والآداب والعقائد؛ إلا إذا دلّ دليل بخلاف ذلك، فمثلاً الحد الأعلى في الحكم الكذائي هو الأفضل والأحسن من انتخاب الوسط، أو إنّ الحد الأدنى هو الأفضل من انتخاب الوسط.

وحاصل الأمر أنّ الضابطة في الوسطية هي انتخاب الحد المعقول الوسط بين حدّين آخرين لا تفريط ولا إفراط في الأمر. ومن هنا روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لولده الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ((عليك بالحسنة بين السيئتين تمحوها، قال: وكيف ذلك يا أبا؟ قال: مثل قول الله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافَتْهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، ولا تجهر بصلاتك سيئة، ولا تخافت بها سيئة، ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ حسنة. ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

(١) الصحاح: ١٦٧ / ٣ (وسط).

(٢) ينظر: لسان العرب: ٧ / ٤٢٨ (وسط).

(٣) ينظر: مجمع البحرين: ٣ / ٥٠٩ (وسط).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ / ٣٨٢.



تَبَسُّطُهَا كَلَّ البَسْطِ فَتَقَعْدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿[الإسراء: ٢٩]، ومثل قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، فأسرفوا سيئة وقترُوا سيئة، وكان بين ذلك قوامًا حسنة، فعليك بالحسنة بين السيئتين))^(١). ففي الرواية نجد أن الإمام الباقرؑ في صدد إعطاء حكم كلي عبّر عنها بالحسنة بين السيئتين المتوسطة ثم ذكر لها بعض التطبيقات.

وفي أصول الكافي: ((أنّ التوسّط بين الطرفين في الأقوال والأفعال والعقائد كالتوسّط في المشي بين الدبيب والاسراع، قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، والتوسّط في الإنفاق بين التبذير والتقتير قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾، والتوسّط في العبادة بحيث لا يلحق البدن مشقة شديدة بتغيّر الطبع عنها ولا يتركها. قال رسول الله ﷺ: يا عليّ إنّ هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك عبادة ربك، فإنّ المنبت (يعني المفرط) لا ظهرًا أبقى ولا أرضًا قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يخاف أن يموت غداً. وبالجمله التوسّط في جميع الأمور إلّا الذنوب مطلوب ممدوح، والعدوان بمعنى التجاوز عن الأوساط إلى طرف التفريط والافراط كما هو شأن الجاهل (الهارب) عن الصراط المستقيم مذموم))^(٢).

المبحث الأول: الأدلة القرآنية والنبوية ومنهج الإمام عليؑ لاعتماد الوسطية والاعتدال في محاربة الاستكبار، ونبذ العنف، والدعوة إلى السلم

إنّ الأدلة القرآنية والنبوية في التوسّط والاعتدال كثيرة، وهي وسيلة من الوسائل في مقارعة ومحاربة الاستكبار بكافة أشكاله وأنماطه سواء أكان ذلك متعلقًا

(١) وسائل الشيعة: ٨ / ٣٩٧.

(٢) شرح أصول الكافي: ١ / ٢٧١.



بالإنسان من حيث كونه فردًا واحدًا أم من خلال المجموعات الانسانية المؤلفة للمجتمعات والدول التي تحاول الاستيلاء على غيرها من الدول؛ لذا ارتأينا أن نقف على بعض النماذج القرآنية والأحاديث النبوية الراجعة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في اتِّخَاذِ الموقِفِ المعتدل، ومحاربة القوى الشريرة الداخلية لدى البشر، ومنها الاستكبار على الآخرين لا لشيء وإنما لشعور خفي بالتعالي والاستيلاء على حقوق الناس الضعفاء.

ولنبداً بالكتاب الكريم، فقد ذكر ربّ الجلالة آياتٍ كثيرة تؤيد الوسطية والاعتدال في التعامل ومنها؛ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومفاد هذه الآية كما في كثير من تفاسير الفريقين أنّ الله سبحانه وتعالى جعل الأمة الإسلامية أمةً وسطاً بين اليهود والنصارى، أي: عدلاً، وينحصر الاستدلال بها على مجموع الأمة بالنسبة إلى الأمم السابقة، وهذا الوصف مستمر إلى يوم القيامة، فالآية الكريمة جعلت المسلمين أمةً وسطاً وهذه الوسطية والعدلية ممتدة مع امتداد الأمة الإسلامية في كلِّ عصر وزمان، فالأمة الإسلامية في مراحل لاحقة هي أمة وسط في عقيدتها وتشريعاتها وتطبيقها للمنهج الإسلامي. وقد ذكر ابن زنين في تفسيره ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، ((أي: عدلاً، يعني: أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))^(١)، فهي عادلة في التعامل مع الآخرين حتى ولو لم يكونوا على نفس الدين فالإسلام يؤمن بحرية التعدد الديني ولا يرغب أحداً على الدخول في الإسلام بالإكراه ويؤمن بإعطاء الحقوق والواجبات لكافة البشر من غير استثناء وقد ورد ((في الخبر أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((خير الدين؛ النمط الأوسط)) يعني الذي ليس فيه غلو ولا تقصير، وذلك دين الإسلام؛ لأنّ النصارى غلّوا في دينهم،

(١) تفسير ابن زنين: ١ / ١٨٤.



واليهود قصرُوا، أمّا المسلمون أخذوا بالنمط الأوسط))^(١).

وعليه فالروايات وأقوال المفسرين دلّت على استفادة المعنى الكلي للوسطية ونبذ الاستكبار بكافة صنوفه عن طريق الاستدلال بنفس ألفاظ الآية المباركة، فقد رُوِيَ عن النبي الأكرم ﷺ تفسير الآية بالأعمّ، كما قال بذلك الشيخ الطوسي في تفسيره البيان إذ قال: ((﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾، أي: عدلاً، وهو قول مجاهد وقتادة والربيع وابن عباس وأكثر المفسرين))^(٢)، و((روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى السابق قال: عدلاً، ولمّا كان وسطاً مجانِباً للغو والتقصير، كان محموداً، أي: إنّ هذه الأمة لم تغلّ غلوّ النصراري في أنبيائهم، ولم تقصّر تقصير اليهود في أنبيائهم))^(٣).

والحاصل من هذه الآية أنّها تامّة الدلالة على اختيار الوسطية في جميع مجالات حياتنا العبادية، وغيرها، وعدم الركون إلى الاستكبار والمعاندة مع الآخرين. وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهذه الآية واضحة الدلالة على إرادة الله تعالى لاتباع الصراط المستقيم ونبذ ما وراءه من سبل وأنّ اتباعه هو الوجهة الإلهية؛ لأجل الوصول إلى التقوى، ((إنّ طريق الله واحد بينما طرق المنحرفين والبعدين عن الله متعدّدة ومتناثرة، وذلك لورود الصراط المستقيم بصيغة المفرد، وسبل المنحرفين بصيغة الجمع))^(٤). وبذلك يكون الصراط المستقيم هو المعاملة مع الناس بما يُرضي الله سبحانه وتعالى من معاملة الغير معاملة

(١) تفسير السمعي: ١ / ١٤٩.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٦ / ٢.

(٣) تفسير القرطبي: ٢ / ١٥٣.

(٤) الأمثل: ٢ / ٤٢٦.



حسنة تقوم على احترام الآخرين وعدم التنكّر لهم والاستكبار عليهم.

وخير دليل على ما نذهب إليه هو عهد الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر، وعلى كلّ حال، فإنّ الإمام علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ يحدّد في ذلك العهد الخطوط التي يجب أن يسير عليها الحاكم أو الوالي في عمليّة التعامل مع العدوّ الخارجي المجاهر بعدائه للمسلمين. وها هو عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في عهده مخاطباً الأشتر: ((ولا تدفنّ صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإنّ في الصلح دعةً لجنودك، وراحةً من همومك وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوك بعد صلحه، فإنّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل... وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدةً أو ألبسته منك ذمّةً فحطّ عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة))^(١).

إذن؛ السلم مطلب أساسي ومبدئي في سياسة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الأعداء طالما أنّ فيه رضى لله وحفظاً للأمة وصوناً لكرامتها، وكما أنّ السلم مطلبٌ أساسي فلكذلك الحال بالنسبة لاحترام اليهود والمواثيق المبرمة مع العدوّ أيضاً، وبالتالي فالحرب في هذه الحالة هي حربٌ على من اعتدى وبغى، وفي هذا ترجمة واضحة لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]؛ ولذا علينا ألا نستغرب من تمسك الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسلم، وببذو الواضح لكلّ مظهر من مظاهر العنف اللا مسوغ^(٢).

فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هو القرآن الناطق في قبال القرآن الذي هو الإمام الصامت. وعلى هذا الأثر فإنّ آيات الذكر الحكيم جاءت لتؤكّد بشكلٍ جليّ على مسألة السلم والسلام، فقد خاطب الله عباده المؤمنين قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقد دعا الرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجنح للسلم إذا جنح إليه

(١) نهج البلاغة: ٣ / ١٠٥ .

(٢) ينظر: النظام السياسي في الاسلام: ٨٤ . وموسوعة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ٦ / ١٣٢ - ١٣٣



المشركون، فقال عز وجل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

ومن هنا، من هذه الانطلاقة القرآنية والتعاليم السماوية، نستطيع أن نستكشف رؤية الإمام عليّ عليه السلام لمبدأ اللا عنف في تعامله مع الآخر، فمن المعروف عنه عليه السلام أنه كان دائم الاهتمام بموضوع الإعذار، والإعذار: هو إيضاح الأمر لدى الخصم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة^(١).

ومن الأمور التي لا بد من ذكرها هنا، توطيداً للبعد الاجتماعي، ويمثل صورة جلية في قاموس الإمام عليّ عليه السلام الإنساني، ففي مدة خلافته وما قبلها إنه لم يكن يبدأ الحرب أولاً إلا إذا فرضت عليه، فهو يواجه عدوه أولاً بالنصيحة والإرشاد والحجة حتى تنقضي حججهم ويبدؤا هم بالقتال.

وقد روى أحمد في مسنده عن أبي وائل عن أبي عبد الله قال: ((خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً. قال: ثم خط خطاً عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾^(٢)، وروى في موضع آخر عن جابر أنه قال: ((كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخط خطاً هكذا أمامه فقال: هذا سبيل الله عز وجل، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله، وقال: هذا سبيل الشيطان. ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾^(٣)، ومثله في سنن ابن ماجه ومجمع الزوائد وغيرها من المصان^(٤).

(١) ينظر: النظام السياسي في الاسلام: ٨٤

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ١ / ٤٦٥.

(٣) م.ن.

(٤) ينظر سنن ابن ماجه: ١ / ٦، ومجمع الزوائد: ٧ / ٢٢، والمنتخب مسند عبد بن حميد: ٣٤٥، وكتاب



وعليه فالآية تامّة الدلالة على أنّ المطلوب من الأمة الإسلامية والإنسان العاقل اتباع السبيل الأوسط وأنّ هذا الخط هو الصراط المستقيم الذي يُراد للمسلمين اتّباعه من دون غيره فمن سلك صراط الله المستقيم واتبع نوره المنير خرج من الشبهات والاختلاف والحيرة والضلالة وصار إلى مستقرّ الأمن وضياء النور ومعدن الخير وموضع الرسالة ومقرّ الرحمة والرأفة والهدى وأمان الأمة وسفينة النجاة ودار السلام والإسلام وولاية المهتدين واتباع الصادقين والتمسك بسبيل المؤمنين، وقد فسّرت السبل المنهيّ عن اتّباعها بالأديان السابقة كاليهودية والنصرانية، أو ما كان من غير ملّة الإسلام، أو أمّتها السبل التي تؤدّي إلى اتّباع غير سبيل الله عزّ وجلّ، وما يدعو إليه من عملٍ صالح يرجع نفعه على البشرية عامّة. وبما أنّ الصورة الماديّة البشريّة تقتضي الجهل بما يريد الله من عباده لا يقنع الإنسان بالتصرّف في الأمور الخارجيّة والتمتّع بها بكلّ عضوٍ من أعضائه على حساب ما تقتضيه الصورة البشريّة على الاعتدال، بل يريد الوصول إلى ما يهواه ويشتهي ويتبع شهوته، فيفسد بذلك حياته الماديّة والمعنويّة الفرديّة والاجتماعيّة فيختلّ بذلك النظام والاجتماع ومن أجل ذلك جعل الله تعالى للإنسان حجّتين؛ حجّة ظاهرة وهم الأنبياء عليهم السلام، وحجّة باطنة وهو العقل، حتّى لا يبتلي الفرد بالاستكبار والتفريط في ارضاء الغرائز ومتابعة الهوى والشهوات، فهده الله تعالى بهما إلى الصراط المستقيم وطريق الاعتدال في الأمور كلّها، فمن تابعهما نجى من ظلمة الاستكبار والضلالة إلى نور القسط والعدالة .

ومنها كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ كلمة (سبيل وسبل) قد وردت في القرآن الكريم عدّة



مرّات بلغت أكثر من ثمانين مرّة مضافة في بعضها إلى الله، ومضافة في البعض الآخر إلى الطاغوت، وثالثة للمجرمين، ورابعة للمفسدين، وأمثلتها لا على سبيل الحصر، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦]، وقوله: ﴿وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وعليه فكلّ خصلة محمودة لها طرفان مذمومان، كالسخاء مثلاً فإنّه وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة فإنّها وسط بين العجب والتهور، و((قد ذكر الماوردي أنّه سمع أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن فضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فنجد في كتاب الله (خير الأمور أوسطها) قال: نعم، في أربعة مواضع؛ قوله تعالى: ﴿لَا فَرِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وعليه فمضمون الحديث تامّ موافق لآيات القرآن التي ضربت الأمثال لحقيقة الوسطية))^(١).

وبهذا نستنتج أن الإسلام العظيم بقوانينه وتشريعاته السماوية كافة يريد من الإنسان أن يتخذ من الوسطية والاعتدال منهجاً قويمًا في حياته، ويتعد عن المناهج التي تؤدّي إلى البغضاء والعدوان، ومنها ظاهرة الاستكبار التي أنكرها القرآن في عدّة آيات كريمات، وبين مساوئها وأنها تؤدّي إلى النزاع والأحقاد بين البشر، وقد

(١) الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ٣٤٦.



كان الإمام علي عليه السلام خير مصداق لتلك الآيات الكريمة والتعاليم السماوية .

المبحث الثاني: تبني الشريعة الإسلامية والإمام علي عليه السلام مبدأ الوسطية والاعتدال لمحاربة الاستكبار

إن الاستكبار والتعالي على الآخرين هو السبب في هلاك كثير من البشر والمجتمعات من ذوي الجاه والسلطان والمال والعلم والتكنولوجيا المتقدمة التي استعملت في مضرة بني آدم ولعل السر في الهلاك يكمن بالمتكبر نفسه إذ يرى ذاته أعلى وأسمى من بقية الذوات البشرية مما يؤدي به إلى الاستكبار والطغيان.

والاستكبار يؤدي بالإنسان إلى العواقب السيئة من ظلم أخيه الإنسان والتطاول على حقوقه من غير وجه حق وغضب أملاك الغير، فالمتكبر لا يتورع عن ارتكاب أي جريمة كانت إذا ما تعارضت مع أهدافه في البروز والتعالي على أبناء جلدته.

فالمستكبر غير قادر على فهم الحقائق التي تطرح عليه؛ لأن نفسه الأمارة بالسوء قد حجبتة عن رؤية الحقيقة مهما كانت بارزة أمامه ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، والمتكبر ينظر إلى الأشياء من خلال مقياسه الذاتي لا المقياس الموضوعي لذلك لا يضع كل شيء في محله الصحيح فهو يرى الحقيقة ماثلة أمامه وينحرف عنها استكباراً وعلواً وتجاهلاً لحكم العقل والقانون والشرع؛ لذا تراه منعزلاً عن الناس؛ لأن الكبر من الصفات التي تقطع حبال الألفة بين الإنسان وأخيه، بل يبدلها إلى العدا.

إن العلاقة بين الوسط والعدل والوسطية والانصاف والقسط وعدم الضرر



والإضرار وعدم الاستكبار والخضوع وارتباطها بالمعنى المركزي من جهة، وكون الشريعة الإسلامية سهلة سمحاء من جهة أخرى وثيقة للغاية حتى أنه أصبح من الواضح بمكان التعبير أن الاعتدال هو روح الإسلام وأساسه المتين وميزانه الذي توزن به الأعمال، ويجب أن يطبق في الحياة على كافة الأمور ويؤخذ به على كافة المستويات لمقارعة الاستكبار ونبذه؛ بل إن الكثير من القواعد الفقهية أسست على أساس الوسطية والاعتدال، كقاعدة نفي الضرر، وقاعدة نفي العسر والحرج، ومن خلالها تم استنباط العديد من الفروع الفقهية التي لم يرد فيها حكم شرعي أو نص من الشارع المقدس.

((إن السياسة الإسلامية بجميع مفاهيمها وألوانها قد تبنت الوسطية في جميع مجالاتها وأمنت بها إيماناً مطلقاً ولا نحسب أن هناك أي نظام دولي عالمي قد اعتنى بالوسطية والاعتدال كما اعتنى بها الإسلام في جميع أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية))^(١)، فالعلاقة إذن وطيدة بين هذه المفاهيم ومترابطة إلى حد التفاني وهذه من نعم الله تبارك وتعالى على هذه الأمة ببركة رسولها وآل بيته ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين بكل طوائفهم فقد ذكر نبينا ﷺ: ((إن الله لم يعثني بالرهبانية، وإن خير الدين عند الله الحنيفة السمحة))^(٢)، وإذا ما أردنا أن نبين سماحة الدين الإسلامي وخلوه من العسر والحرج والاستكبار على الآخر نجد ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مِثْلَةِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالشريعة الإسلامية هي

(١) النظام السياسي في الإسلام: ٧٢، وينظر: علي صوت العدالة الإنسانية: ٢ / ٢٣١.

(٢) كنز العمال: ٤٧ / ٣.



الشرعية التي نفى الله عنها العسر والخرج حتى تكون شاهدة على الأمم التي سبقتها، وهذا ما نجده في ما عرضناه سابقاً من النصوص القرآنية فالمعلول واحد والشهادة على الناس مضموناً ولفظاً وأما العلة التي من أجلها صارت الأمة الإسلامية شاهد على الناس فهي رفع العسر والخرج والوسطية والاعتدال في الأمور ونبذ الاستكبار والتعالي على الآخرين كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالإسلام رفع الحرج عن المسلمين بما كلف غيرهم من الأمم بالتكاليف الشاقة والصعبة فرفع الأحكام الحرجية لهذه الأمة مصادق لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ))^(١)، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والأصر: هو الحمل الثقيل الذي يجبس صاحبه مكانه لثقله، فهذه الآية مع الحديث النبوي مخصوصة برفع الأحكام الشاقة؛ وصريح كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ خَالَفَ سِتِّي فَلَيْسَ مِنِّي))^(٢)، وهذا يعني أن اللازم على جميع المسلمين مراعاة سنته المتمثلة بالرفق واللين والمساهلة وتطبيق الشريعة الحقّة من دون زيادة أو نقيصة، فإنّ أحكام الله لا تحتاج إلى زيادة من المكلف فهي دواء لكل الأمراض والعلل وليس من المعقول أن يزيد المريض على وصف الحكيم معللاً ذلك بسرعة الشفاء. وبهذا يكون من أوليات الإسلام وشريعته السمحاء محاربة المستكبرين في الأرض من خلال تبيين أخطائهم والدعوة الحقّة لهم باتخاذ الوسطية معياراً لهم في التعامل وإلا كانت الضلالة طريقاً لهم فلا يتوبون إلى بارئهم ولا يجدون ناصرًا لهم.

(١) بحار الأنوار: ١٣٦/٦٤.

(٢) كنز العمال: ١٧٨/١.



ونجد هذه الحقيقة ناصعة مشرقة في قاموس الإمام عليّ عليه السلام ، ومما يقوّي هذه الحقيقة الأمثلة الآتية:

((في حرب الجمل نرى الإمام عليّ عليه السلام قد نزل بالموضع المعروف بالزاوية في البصرة، فصلّى أربع ركعات ثم رفع يديه داعياً: اللهم ربّ السموات وما أظلت، والأرضين وما أفلت، وربّ العرش العظيم... اللهم إنّ هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبعغوا عليّ، ونكثوا بيعتي، اللهم احقن دماء المسلمين، وبعد ذلك أرسل إليهم من يناشدهم الله في الدماء، فأبوا إلا الحرب، ثم عاد فأرسل إليهم رجلاً من أصحابه يقال له مسلم يدعوهم إلى الله، فرموه بسهم حتى جاء عبد الله بن بديل ورقاء بأخ له مقتول من الميمنة، وجاء قوم برجل آخر قد رُمي فقتل، وبالرغم من كلّ ذلك لم تكن هذه آخر مساعيه في طلب السلم وحقن الدماء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فأبلغ في الحجّة لكنّهم رفضوا إلا الحرب، فلم يستسلم الإمام عليّ عليه السلام لما كان، فعاد وأرسل إليهم أيضاً عمّار بن ياسر (رض) سبيلاً إلى السلام لعلّهم يتذكّرون قول الرسول صلى الله عليه وآله له: تقتلك الفئة الباغية، غير أنّه لم يفلح في مهمّته، فما كان منه إلا أن عاد إلى الإمام عليّ عليه السلام ليقول له: ليس لك عند القوم إلا الحرب))^(١).

وبعد هذه الحقائق عن هذه الحرب الضروس وانتصار الإمام عليّ عليه السلام انتصاراً باهراً تظهر لنا لمحة إنسانية هي ما عهدنا عن إمامنا عليه السلام تمثّلت تلك الصور في إعادة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله عائشة، فقد عاملها بكلّ وقار وتقدير وأعادها إلى المدينة المنورة معززة مكرّمة، وهذا يمثل منهجاً إسلامياً حقيقياً لم تألفه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فهو يرفض التعصّب نابذاً للعنف طالباً للسلم^(٢).

(١) ينظر: وقعة الجمل: ١٢٩.

(٢) ينظر: كنز العمال: ٤٧ / ٣.



وهذا المشهد العملي هو التطبيق الواقعي لنظرية الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في ضرورة طلب السلم ورفض العنف الذي تباها النفس البشرية السوية، ومن الأقوال المأثورة عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المجال، قوله: ((مَنْ عَامِلٌ بِالْعَنْفِ نَدَمٌ))^(١)، وهو القائل أيضاً: ((كُنْ لِنَبَاٍ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ، شَدِيداً مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ))^(٢). وربما هذه الأقوال النظرية وما رافقها من تطبيقات عملية هي أحد الجوانب التي حببت به الكثير من المفكرين والأدباء المسيحيين المعاصرين سواء في الشرق أم في الغرب، حتى أن العديد منهم قد شبهه بالنبي سليمان الحكيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نظراً لما يملك من علم وحكمة في التعامل مع الناس والأحداث، وقد أكد ذلك المفكر والمؤرخ المشهور (فيليب حتي) في كتابه المعروف^(٣).

أن بعضاً آخر قد رأى أن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قد لاقى نهايته المحتمومة نتيجة الإفراط في تعامله الإنساني مع الآخرين الذين استغلوا نزعة الإنسانية للقضاء عليه وعلى تلك النزعة التي لا تروق لهم ولا لمخططاتهم وهذا ما أكده المستشرق الاسكتلندي (وليم موير) في كتاباته عن تاريخ الإسلام والمسلمين^(٤).

أمّا المشهد الثاني من التطبيقات العملية لكرهه مبدأ العنف والميل إلى السلم في نهج الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيمكننا أن نراه في موقعة صفين الغنية عن التعريف^(٥).

فعلى الرغم من كل ما فعله معاوية وصاحبه عمرو بن العاص بالإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من شق عصا الطاعة وتأليب الناس عليه والتجيش الإعلامي عليه وعلى أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عموماً واضطهاد أتباعه وملاحقتهم في كل مكان، نرى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٩.

(٢) م. ن: ٣٩٣.

(٣) ينظر: تاريخ العرب المطول، فليب حتي: ٢: ٤٣.

(٤) ينظر: الإسلام في تصورات الغرب: ٩١-٩٢.

(٥) النظام السياسي في الإسلام: ٧٢-٧٨، وينظر: علي صوت العدالة الإنسانية: ٤/ ١٢١.



يخاطب أتباعه الذين استبطؤوه في الخروج إلى صفين قائلاً: ((فو الله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة، فيهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بأثامها))^(١).

فالحرب عند الإمام عليؑ هي الخيار الأخير وشر لا بد منه، أو بمثابة العمل الجراحي الذي لا مفر من القيام به بعد استنفاد كل النصائح والإرشادات وكل الطرق الوقائية؛ ولذلك فعندما استبد الطرف الآخر برأيه وطمع بكرسيه وأبى بعد مراسلات عدة إلا الخروج والقتال، لم يكن أمام أمير المؤمنينؑ إلا التعبئة العامة للجيش وملاقاة العدو^(٢).

وقد أوصى جيشه قبل اللقاء قائلاً: ((لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإن كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم))^(٣).

ولم تكن هذه الإنسانية القيادية المرحومة في شخص عليؑ لها حدٌ تتوقف عنده، بل تعدتها إلى ما هو خارج نطاق التعاليم الحربية إلى روح الرسالة النبوية السمحاء، فقد سمع (سلام الله عليه) قوماً يسبون أهل الشام بمختلف تسمياتهم، فقال: ((إني أكره لكم أن تكونوا سبّيين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرفوا

(١) نهج البلاغة: ١ / ١٠٤.

(٢) ينظر: النظام السياسي في الإسلام: ٧١، وموسوعة آل البيتؑ: ٦ / ١٣١، وعلي صوت العدالة الإنسانية: ٤ / ١٢١.

(٣) ميزان الحكمة: ١ / ٥٦٥.



الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))^(١).
 فهذا السب ممنوع محذور منه في لغة علي عليه السلام وغير مسموح به؛ لأن مبدأ السلام عنده عليه السلام يبدأ من الكلمة في الميدان وينتهي بالسيف في النزال.
 ومن الأدلة الأخرى البينة والواضحة على تجنبه عليه السلام العنف وكرهه للحرب وحل المشاكل ودعوته للسلم لا بلغة العنف والدماء، بل بالتي هي أحسن؛ أنه سُئِلَ مرّة: لم لا تحب الحرب إلا بعد فترة زوال الشمس؟ فكان جوابه عليه السلام: ((هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقلّ القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المهزوم))^(٢).
 ومن التعليقات الهامة على مبدأ السلم عند علي عليه السلام، قول الأديب والمفكر العربي الكبير (جورج جرداق) صاحب كتاب (الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية)، إذ يقول: ((ونحن لا نغالي إذا قلنا إن دعوة ابن أبي طالب للسلم كمبدأ عام، كانت منعطفاً إلى الخير في تاريخ العرب الذين كان حبُّ القتال شريعة لهم في (الجاهلية))^(٣). وبالطبع، فإن هذا الكلام من الأستاذ (جرdaq) يمثل كلام الشريحة الأوسع من رجال الدين والأدباء والمفكرين المسيحيين الذين فتحوا نوافذ عقولهم المستتيرة على ثقافات وقيم الغير، فتفاعلوا مع تلك الثقافات والقيم، فاستفادوا وأفادوا، وتأثروا وأثروا، وها هو الزعيم المصري القبطي (مكرم عبيد) يقول صراحة: ((نحن مسلمون ووطنًا، ونصارى دينًا، اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصارًا، واللهم اجعلنا نصارى لك، وللوطن مسلمين))^(٤).

(١) نهج البلاغة: ٢ / ١٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ٣٣ / ٤٥٣.

(٣) علي صوت العدالة الإنسانية ٤ / ١٢١، وموسوعة أهل البيت الحضارية: الامام علي سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي: الصغير: ٢٣٨.

(٤) مجلة صدى البلد، عدد يونيو ٢٠٢٣.



ومن المشاهد الأخرى في سفر عليّ عليه السلام الإنساني هذا البطل المحمّدي في حبه للسلم ورفضه للعنف على مختلف الأصعدة الإنسانية، هو ذلك المشهد التراجيدي المهيّب الذي يمثل آخر ساعة من ساعات الإمام عليّ عليه السلام بيننا قبيل انطلاقته ورحيله إلى الملاء الأعلى.

((فحينما ضرب الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، وإني أترفع عن سبّه امتثالاً لأوامر الإمام بعدم السبّ، أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام في المحراب عند صلاة الفجر، نقل إلى داره، وقال له بعض ممن كانوا حوله: هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكننا الله منه وقد حضر بين يديك، فما أنت أمر به؟ ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه الحزینتين ونظر إلى ابن ملجم، وقال له بصوت منكسر حزين: يا هذا لقد ارتكبت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني هذا الجزاء؟

ألم يكن يقال لي فيك كذا وكذا فخلّيت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنّك قاتلي لا محالة؟ ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك علّ أن ترجع عن غيِّك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأثقياء. فبكى ابن ملجم بين يدي الإمام عليه السلام، فالتفت الإمام عليّ عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له: أرفق يا ولدي بأسيرك وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفرعاً))^(١).

ولمّا دهش كلّ من كان حاضرًا من ردّ فعل الإمام البالغ في الإنسانية، أكمل الإمام عليه السلام كلامه طالباً من ابنه الحسن عليه السلام ألا يغلّ له يدًا وألا يقيد له قدمًا، بل أضاف قائلاً: ((نعم يا بني! نحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ كرمًا وعفوّاً،

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣ / ٤٩٠، وموسوعة آل البيت عليهم السلام: ٦ / ٣٠١، وموسوعة أهل البيت الحضارية: الإمام علي سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي: ٢٣٥.



والرحمة والشفقة من شيمتنا، بحقِّي عليك أطعمه يا بنيِّ ممَّا تأكل وأسقه ممَّا تشرب، فإنَّ أنا متَّ فاقتصَّ منه... وإنَّ عشت فأنا أولى بالعفو عنه، وأنا أعلم بما أفعل به))^(١).

هذا هو الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه هي عقيدته في السلم و اللّا عنف، هذا هو الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي علّم معلّمي البشرية أنّ الكلمة أمضى من السيف، وأنّ السلام خير من السلاح. هذا هو إمامنا ووصي رسولنا الذي علينا أن نقتدي به دائماً في الميل إلى السلم ونبذ العنف اللّا مسوّغ بكل أشكاله وصيغته، والذي يعلمنا دائماً وأبداً أنّ العنف لا يقود إلّا إلى العنف، وأنّ السلم بيننا في الأرض هو المعراج إلى السلام في السماء^(٢).

فالإسلام هو الشريعة التي رسمها الله تبارك وتعالى لعباده لتقيهم من كافّة أشكال الظلم والعدوان ومن ضمنها الاستكبار على الآخرين وأخذ حقوقهم من غير وجهة حقّ؛ فالشريعة هي أبهى صورة وأجمل بكثير ممّا نعرف أو نتصوّر فهي بعيدة عن التحلّل والتزمّت المقيت، وإنّما هي أمر بين أمرين، فإنّ من بين المسلمين من يرد حصر الأمور الشائعة بما هو موجود في عصر الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لذا يعدّ تحلّل الرفق بدعة بحجّة أنّه لم يكن في عصر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين من يرد التحلّل من كلّ قيد ديني في قبال العمل، فلا يلتزم في حياته بشيء ممّا جاء به الإسلام، فالإسلام لا هذا ولا ذاك، فهو يرفض التزمّت إذا كان العمل غير خارج من الأطر العامّة الواردة في الكتاب والسنة، كما يرفض التحلّل من كلّ قيد، فأفة الدين ليست مختصرة بالثاني، بل آفة الأوّل ليست بأقلّ منه، علماً إنّ من الأسباب التي أوجبت خلود الدين

(١) موسوعة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ٦ / ٣٠١، وموسوعة أهل البيت الحضارية: الإمام علي سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي: ٢٦٦.

(٢) ينظر: موسوعة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ٦ / ٣٠١، وعلى صوت العدالة الإنسانيّة: ٤ / ٢٤٤.



الإسلامي وأعطته الصلاحية للبقاء مع اختلاف الظروف وتعاقب الأجيال؛ كونه ديناً جامعاً بين الدعوة إلى المادّة والدعوة إلى الروح، وديناً وسطاً بين المادّة البحتة والروحية المحضّة، فقد ألّف بتعاليمه القيمة بين الطوائف والفئات المختلفة، وما أكثر الفرق الظالمة التي ألحقت الأذى بالمسلمين ممن يحرم ويحلّل، فمن حرم شيئاً أو نسبته إلى ملّة الإسلام فهو الظالم، والمعروف ما تعرفه الفطرة والعقول السليمة وأمر به الشارع والمنكر ما تنكره العقول السليمة ونهت عنه الشريعة المطهّرة^(١).

إنّ من ملامح التشريع القرآني والإسلامي مرونته وقابليته على الانطباق على جميع الحضارات الإنسانية فقد جاء بتشريعات خاصّة لها دور التحديد والرقابة على سائر تشريعاته، وهذا التشريع أعطى للدين مرونة ومنعطفاً جديداً قال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٧]، وقال رسوله ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار)) فحدّد كلّ تشريع بعدم استلزامه الضرر، فأوجب التيمّم مكان الوضوء إذا كان استعمال الماء مضراً، وهذه هي السماحة بعينها.

ولعلّ من ملامح التشريع القرآني الواضحة والجليّة ما يرجع إلى القانون والحقوق العامّة، وعدم الاعتداء على الآخرين والاستكبار عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، ومحصل الكلام ونتيجته إنّ الدين الإسلامي بكلّ تشريعاته اتّخذ الوسطية والاعتدال والمسماحة وعدم العسر والضرر شعاراً له، فصارت الوسطية هي الحقّ الذي ندب إليه؛ لذا نجد قول الرسول ﷺ: ((إنّ الدين يسر))^(٢) وقوله أيضاً: ((يسرّوا ولا تعسّروا))^(٣).

(١) ينظر: في ظلال التوحيد: ١٢١، وموسوعة أهل البيت الحضارية: الإمام عليّ سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي: ٣١٧.

(٢) صحيح البخاري: ١ / ١٥

(٣) كتاب الأم: ١ / ٦٩.



الخاتمة:

١. الاعتدال ومحاربة الاستكبار من المفاهيم الإنسانية الاجتماعية العامة التي نادى بها الأديان السماوية ودعت إليها على وفق الحكمة الإلهية وأقرته الأعراف والحقوق والقوانين الوضعية والمواثيق والعهود التي تلزم على احترام إنسانية الإنسان والدفاع عن حقوقه، وهذا هو ما نهجه المولى أمير المؤمنين عليه السلام في أقوله وأفعاله ، وهذا ما أكدته كلماته وما كُتب فيه عليه السلام .

٢. هناك عدة معاني تدل على مفهوم الوسطية والاعتدال ونبذ الاستكبار ومحاربه بين الأفراد واستطعنا أن نستنبط بعضها من تسالم وحوار اجتماعي ليشمل جميع المعاني المتعلقة بالمعنى . وقد أشار إليها الإمام علي عليه السلام .

٣. للوسطية مظاهر وأسباب وأركان ترسخ بين أفراد المجتمعات المتعددة على وفق نظرية النص القرآني المقدس لا على وفق نظرية وضعها العقل الانساني القاصر، فالنظرية القرآنية تدعو إلى توثيق أواصر الوحدة الاجتماعية وتماسك الكيان الإنساني؛ في حين أن النظريات التي يصنعها الانسان مهما كانت منسجمة وذات اهداف مترابطة فلا بد ان يكون فيها دعوة إلى التفرقة والتناحر وعدم تقدم الأمم ورفيها منطلقة من فكرة القطب الواحد وهيمنتته على الآخرين. وقد دعا إمام علي - عليه السلام إلى تلك المعاني السامية التي حفلت بها رسالة السماء المحمدية الحققة، مما جعله تمثيلاً ناطقاً لتلك التعاليم تستمد منه البشرية قوتها في السر إلى أن تكون خير أمة أخرجت للناس

٤. إن المحافظة على الأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد وبين المجتمعات الأخرى هو مصدر من مصادر قوته وديمومته وانفصال هذه الأواصر سبب من أسباب انهياره وسقوط أركانها.



٥. ينطوي الخطاب القرآني على إبداعات صياغية ونظريات دلالية غاية في الروعة والمهارة البنائية إلى الحد الذي يمكن معه أن ينتج النص دلالة تخالف وتباين ما هو متعارف في القوانين الوضعية والتشريعية.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢. الإسلام في تصوّرات الغرب، محمد حمدي زقزوق، مكتبة وهبة، مصر، ط ١، ٢٠١٥م.
٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٩م.
٤. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي الطوسي، تح: أحمد حبيب قصير العامل، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٩هـ.
٥. تفسير ابن زمنين، ابن زمنين، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
٦. تفسير السمعي، السمعي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، صحّحه: أبو إسحاق أطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
٨. دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ جميل مال الله الربيعي، د. ط، د. ت.
٩. دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسيّة، مجتبي اللّاري: مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، د. ت.



١٠. سنن ابن ماجة، ابن ماجة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.
١١. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعрани، ضبط وتصحيح: السيّد علي عاشور، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
١٢. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٧٨م.
١٣. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري، تح: د. مصطفى البغا، مطبعة دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ١٩٨٧م.
١٤. صفوة التفاسير(تفسير القرآن الكريم)، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، مكتبة التوفيقيّة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.
١٥. عليّ صوت العدالة الإنسانيّة، جورج جرداق، شبكة الفكر، ودار الأندلس، النجف، بيروت، ط ١، ٢٠١٠.
١٦. في ظلال التوحيد، الشيخ جعفر السبحاني، دار التعارف للمطبوعات، د.ت.
١٧. كتاب الأم، الشافعي، مطبعة دار التّأليف، القاهرة، مصر.
١٨. كتاب السنّة، ابن أبي عاصم، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٩. كنز العمال، المتّقّي الهندي، مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم.
٢٠. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، نسّقه وعلّق عليه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
٢١. مجلة سبيل، مؤسّسة الشهدين الصدرين، بغداد، العدد(١٥) السنة الثالثة ٢٠٠٩م.



٢٢. مجمع البحرين، الطريحي، مطبعة دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أمين الدين أبو علي فضل بن الحسن الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢٤. مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥ م.
٢٥. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٠ م.
٢٦. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٢٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، ١٩٩٠ م.
٢٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني: تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٩. منتخب الكشي، عبد بن حميد الكشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٣٠. موسوعة أهل البيت عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، مؤسّسة الإمام الحسين عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي، قم، ط ٢، ٢٠١٢ م.
٣١. موسوعة أهل البيت الحضارية: الإمام عليّ سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي، الدكتور محمد حسين الصغير، دار البلاغ، ط ١، ٢٠١٢ م.
٣٢. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، إيران، ١٣٦٢ هـ.
٣٣. النظام السياسي في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، مطبعة شريعت، إيران، ط ١، ٢٠٠٨ م.



..... وَقَائِعُ مُؤْتَمَرِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّوِّيِّ السَّنَوِيِّ السَّادِسِ / الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

٣٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الروّاي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت.

٣٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الدار الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

٣٦. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، تح: مؤسّسة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لإحياء التراث، مهر، قم.

السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة

الفقر

أ.د. برزان ميسر الحامد

كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة الموصل

الملخص:

يُسلط البحث الضوء على السياسة الاقتصادية والأثر الذي اضطلع به الإمام علي عليه السلام لانتشال المجتمع الإسلامي من حالة الفقر إلى وضع أفضل بكثير مما كان عليه بفعل ما قام به من إجراءات اقتصادية إصلاحية كبيرة، فالأوضاع الاقتصادية تؤثر تأثيراً مباشراً في حياة الفرد والأمة وفي مستوى تقدمها المادي وتطورها المدني، ولها تأثير على الأمن والاستقرار، لذلك فإن استقرار الحياة الاقتصادية يعدّ أساساً لبناء مجتمع سليم، وأن توفير الكفاية المعاشية سبب للاستعانة على انتظام أمور الحياة الدنيوية، ومن هنا ربط الإمام علي عليه السلام بين الرفاه الاقتصادي والسمو الروحي والأخلاقي.

الكلمات المفتاحية: السياسة الاقتصادية، الإمام علي عليه السلام، مواجهة الفقر.



Abstract :

The research sheds light on the economic policy and the role played by Imam Ali (peace be upon him) to rescue the Islamic society from a state of poverty to a much better situation than it was in by taking major economic reform measures .

Economic conditions have a direct impact on the life of the individual and the nation and on the level of its material progress and civil development, and have an impact on security and stability. Therefore, the stability of economic life is considered a basis for building a sound society, and providing adequate living is a reason for seeking assistance in regulating worldly life affairs. Hence, Imam Ali (peace be upon him) linked economic well-being to spiritual and moral elevation .

Keywords: Economic Policy, Imam Ali (pbuh), Combating Poverty.



المقدمة :

الحمد لله وبه نستعين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله الأطهار وبعد:

فإن من أكثر المشكلات الحياتية التي تعاني منها الإنسانية في عالمنا المعاصر هي المشكلة الاقتصادية لما لها من تأثير في حياة الإنسان المادية وأوضاعه الاجتماعية، وأحق ما يتصل به الدارسون، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون، بعد مدارس كتاب الله، ومداومة البحث فيه، الغوص والبحث عن مرويّات أهل القرآن والسيرة من آل البيت الأطهار والأصحاب الأخيار، والكشف عن أخبارهم وحقائقهم، وإظهار آثارهم ومواقفهم التربوية والشرعية والاقتصادية، وتُمثّل آثار الإمام علي عليه السلام وآرائه وإصلاحاته مرآة حقيقية باتجاهاتها المتعددة للدراسات الشرعية والتربوية، وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نُحدّد شخصية رجل من أهل البيت النبوي الشريف ونناقش آراءه الاقتصادية وإصلاحاته ومعالجته للفقر، وقد دارت حول هذا التحديد قناعة تامة وإيمان لما له من مآثر وفضائل، فمن هذه الإصلاحات والمعالجات للفقر نشكّل هذا البحث إن شاء الله.

أما هدف الدراسة فهو بيان الإجراءات الاقتصادية والإدارية التي دعا إليها وعَمِل بها الإمام علي من أجل مواجهة الفقر وإيجاد الثروة وتنميتها وإصلاح حال المجتمع . والتساؤل المهم الذي يمكن أن تثيره الدراسة هو: كيف استطاع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن يُعالج مشكلة الفقر؟ وما الإصلاحات والإجراءات التي تمّ اتّخاذها في سبيل ذلك؟ ولماذا استمرّ الفقر وتضاعف في أغلب البلدان الإسلامية؟ بالرغم من وجود أبعاد ومتغيّرات اقتصادية عديدة حدّدها الإمام، تُسهم في التخفيف والحدّ من ظاهرة الفقر .



ولا ضير في هذا المجال من ضرب مثال واحد على توجيهات الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في سياسة جباية الخراج وعمارة الأرض، فكان من توصيات الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر أن ينبّهه إلى العلاقة الماسّة بين عمارة الأرض وجباية الخراج، وأنّ عمارة الأرض أهمّ من جباية الخراج؛ لأنّ الأرض إذا لم تكن عامرة فإنّها لا تُعطي خراجًا. ومن هذا المنطلق أوصاه إذا حصل قحط أو ضائقة أن يُسامح الزّراع من دفع الخراج لذلك العام، حتّى يظلّ معهم شيء من المال يستطيعون به عمارة الأرض وزراعتها لتعطي الغلال التي يكون منها الخراج. وهذه نظريّة عبقرية سبق بها الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ من جاء بعده في علم الاقتصاد.

واقترضت طبيعة البحث أن نقسّمه على مبحثين تسبقهما مقدّمة وتعبقهما خاتمة، تناول المبحث الأوّل: سيرة الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحياته، في حين كرّس المبحث الثاني للحديث عن: اصطلاحاته وسياسته الاقتصادية في معالجة الفقر، وقد كشف المبحثان نتائج طيبة وتوصيات مهمّة سطرّت في خلاصة البحث، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ العمل سيكون انتقائيًا؛ لأنّ البحث لا يتسع لغير منهج الاختيار من المادّة الجمّة في بطون المصادر، والحمد لله بدءًا وختامًا.

المبحث الأوّل: الإمام عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ : حياته وسيرته

لقد تربى عَلَيْهِ السَّلَامُ في كنف الرسول العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحظي برعايته واهتمامه منذ نشأته الأولى، فكان له من الفضائل التي أشار إليها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحدّ الذي جعله فيه وصيه وأخاه، استنادًا إلى قوله الشريف: ((أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي))^(١)، وبما أنّ الكلام عن حياته وآثاره في هذا المبحث فالإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تضيق بها الأسفار الكبيرة؛ لذا سنتناول سيرته بإشارات لطيفة؛ لنكشف أهمّ الصور

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤/ ٩١.



في السيرة العطرة من حيث اسمه، وكنيته، ومولده، ونشأته، وإسلامه، وعلمه، وزهده، وفضائله .

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته : هو الإمام الهمام التقيّ النقيّ عليّ بن أبي طالب، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف^(١) بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشيّ الهاشمي^(٢)، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ويلتقي معه في جدّه الأوّل عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله^(٣)، أمّا قبيلة قريش فالعرب كلّهم أقروا بعلوّ نسب قريش وسيادتها وفضاحة لغتها ونصاعة بيانها وكرم أخلاقها وشجاعته وفتوتها، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشاً ولا جدالاً^(٤).

كنيته: عُرف الإمام عليّ عليه السلام واشتهر بأكثر من كنية، فهو (أبو الحسن) نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن بن عليّ عليه السلام، وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أبو السبطين الحسن والحسين عليهما السلام^(٥)، وكنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله بـ (أبو تراب)^(٦)، وقد كنى هو نفسه بـ (أبي الحسن وأبي الحسين)^(٧)، وكذلك يكنى بـ (أبو الريحانيين)،

-
- (١) أبو طالب اسمه عبد مناف، وعبد المطلب اسمه شيبه الحمد، ينظر: الاستيعاب: ٣/ ١٠٨٩ . .
 (٢) ينظر: الطبقات الكبرى: ٣/ ٩١؛ وتاريخ الرسل والملوك: ٧/ ١٥٢؛ والعقد الفريد: ٥/ ٥٧-٥٨؛
 وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤/ ٩٤ .
 (٣) ينظر: الطبقات الكبرى: ٣/ ١٩، وصفة الصفوة: ١/ ٣٠٨، والبداية والنهاية: ٧/ ٣٣٣، والإصابة: ١/ ٥٠٧)، والمنتظم: ٥/ ٦٦، والمعجم الكبير للطبراني: ١/ ٥٠ .
 (٤) ينظر: السيرة النبوية للندوي: ٧٤ .
 (٥) ينظر: أسد الغابة: ٣/ ٥٨٨ .
 (٦) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٥٠، وعمدة الطالب: ٥٩، وتاريخ الخلفاء: ١٦٢ .
 (٧) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٥٠، وعمدة الطالب: ٥٩، وتاريخ الخلفاء: ١٦٢ .



فيروى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((سلام عليك أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتني))^(١).

ولادته: تعددت الروايات و اختلفت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري الذي تربى في بيت الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة^(٢)، وذكر ابن إسحاق في السيرة أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين^(٣)، ورجح ابن حجر العسقلاني قوله^(٤)، وذكر الباقر محمد بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قولين: الأول: كالذي ذكره ابن اسحاق، ورجحه ابن حجر، وهو أنه ولد قبل البعثة بعشر سنين، وأما الثاني: فيذكر أنه ولد قبل البعثة بخمس سنين^(٥).

إسلامه: وَكَانَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ، أَنَّهُ رُبِّيَ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ^(٦)، وَعَنْ حَبَّةِ الْعُرَنِيِّ قَالَ: ((سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))^(٧)، أمّا علمه وآثاره فقد روى الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث فأكثر الرواية، وروى عنه جم من الصحابة والتابعين ومنهم بنوه الحسن والحسين، ومحمد وعمر، وعبد الله بن مسعود، وابن عمر، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وأبو سعيد الخدري، وأبو رافع، وصهيب، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة، وأبو سريحة حذيفة بن

(١) فضائل الصحابة: ٢/ ٦٢٣.

(٢) ينظر: المعجم الكبير للطبراني: ١/ ٥٤.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٢.

(٤) ينظر: الإصابة: ٢/ ٥٠١.

(٥) ينظر: المعجم الكبير للطبراني: ١/ ٥٣.

(٦) ينظر: أسد الغابة: ٣/ ٥٨٩.

(٧) أسد الغابة: ٣/ ٥٩١.



أسيد وأبو هُرَيْرَةَ، وسفينة، وأبو حنيفة السوائي، وجابر بن سمرة، وعمرو بن حُرَيْث وأبو ليلي والبراء بن عازب، وعمارة بن روية، وبشر بن سحيم، وأبو الطفيل، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير، وجريير بن عبد الله، وعبد الرحمن بن أشيم، وغيرهم من الصحابة. وروى عنه من التابعين: سعيد بن المسيب، ومسعود بن الحكم الزرقى، وقيس بن أبي حازم.

زهده وعدله: لقد كان الزهد والورع والخوف من الجليل من الصفات البارزة في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان زهده مع توافر أسباب الرخاء والثراء، وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذي يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذه^(١)، ولم يكن مع زهده وورعه وتصلبه في دينه، على شيء من الفظاظة والخشونة والعبوس والكلمح، ولم يكن ثقیل الظل، بل كان ودوداً بشوشاً فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الوجه، ضحوك السن، خفيف المشي على الأرض^(٢)، وقد عرّف الزهادة فقال: ((أيها الناس الزهادة، قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عن المحارم))^(٣)، وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسى الإنسان الآخرة، وإما قصره فيجعل جمع بين الدنيا والآخرة ابتغاء مرضاة الله، وأما الشكر عند النعم فهي صفات المسلم الرباني الذي يستشعر نعم الله عليه المادية والمعنوية، ما ظهر منها وما بطن، ويقابلها بالشكر للعزیز الوهاب، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين علي عليه السلام قد أثر في من حوله، وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة.

(١) ينظر: المرتضى للندوي: ٢١٢.

(٢) ينظر: علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا: ٣٠٤.

(٣) المرتضى للندوي: ٢١٢.



المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في مواجهة الفقر وإصلاح حال المجتمع

لقد اختار الله تعالى لرسوله الكريم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجال بررة أتقياء آمنوا بالله ورسوله الأمين، فكانوا حقاً جنوداً منقادين لأمر الملك القهار سبحانه وتعالى، والربّ سبحانه قادر على كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء حكيم في كل شيء، فوقع عليهم حماية دين الله ورسوله، وهم الذين نقلوا الإسلام إلى الناس أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها، واستحقّوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، فقد تجلّت فيهم كفايات وإسهامات متميّزة في مختلف العلوم والمجالات .

قيل للحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ : ((إنّ أبا ذر كان يقول: الفقر أحبّ إليّ من الغنى، والسقم أحبّ إليّ من الصّحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتّكل إلى حسن الاختيار من الله لم يتمنّ أنّه في غير الحال التي اختارها الله له، لعمرى يا بن آدم، الطير لا تأكل رغداً، ولا تجبّ لغداً، وأنت تأكل رغداً، وتجبّ لغداً، فالطير أحسن ظناً منك بالله عزّ وجلّ))^(١). ومن هؤلاء الرجال سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، صاحب المواقف العظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين، والباع الطويل في كثرة ملازمته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ طفولته ونعومة أظفاره، فحصل له معرفته العميقة بمقام النبوة وكيفية التعامل معه، فقد أوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان حريصاً على تعليم المسلمين، وحثّهم على الاقتداء بهدي رسول الله الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأعماله وسننه وتقريراته. فبيّن وجوب طاعته ولزوم سنّته والمحافظة عليها، وأوضح دلائل نبوته وفضله وأوصافه، وبعض حقوقه على أمّته.

وتمثّل هذا البحث في كشف النفوس عن خبايئاتها، وهي توجيهات

(١) شرح نهج البلاغة: ٣/ ١٥٦ .



واصلاحات نقتبسها من سيرة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الذاكر للقرآن الكريم العارف بحقائق النفوس، رجالاً ونساءً، أتقياء وفجّاراً، أغنياء وفقراء البعيد عن كلّ مظاهر الزينة وبهجتها، القائل: يا دنيا غرّي غيري، ويا صفراء غرّي غيري ويا بيضاء غرّي غيري؛ وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربّه وذلك هو الغنى المطلق، إذ قال صلى الله عليه وآله: ((ليس الغنى عن كثرة العرض إنّما الغنى غنى النفس))^(١)، وإذا كان ذلك بعيداً فإذن الأصلح للخلق كافة فقد المال وإن تصدّقوا به وصرّفوه في الخيرات؛ لأنّهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنسٍ بالدنيا وتمتّع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها، وكلّ ذلك يورث الأنس بهذا العالم ويقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة ويقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافي القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لا محالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بُعده من الآخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فإنّهما جهتان، فالمتردّد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر، فعين حبّ الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوبه عن الدنيا وأنسه بها. فإذن فضل الفقير والغني بحسب تعلّق قلوبهما بالمال فقط فإن تساويا فيه تساوت درجتهم إلا أن هذا مزلة قدم وموضع غرور فإنّ الغني ربّما يظنّ أنّه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً في

(١) إحياء علوم الدين: ٤/٢٠٣.



باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا فقدته فليجرب نفسه بتفريقه.

ومن خطبة له عليه السلام قال: ((إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمَلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَعِزَّتُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيُرْحِضَانِ الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، فَإِنَّهَا مِثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ، فَإِنَّهَا تَكْفُرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعِلَانِيَّةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصِنَائِعَ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مِصَارِعَ الْهُوَانِ))^(١)، وهذا حال كلِّ الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنُطْلَقِ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْفَقْرَ أَصْلَحَ لِلْخَلْقِ كَافَّةً وَأَفْضَلُ؛ لِأَنَّ عِلَاقَةَ الْفَقِيرِ وَأَنْسَهُ بِالْدُنْيَا أضعف، وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسييحاته وعباداته، فإنَّ حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأُنْسُ بِالْمَذْكُورِ وَلَا يَكُونُ تَأْثِيرُهَا فِي إِثَارَةِ الْأُنْسِ فِي قَلْبِ فَارِغٍ مِنْ غَيْرِ الْمَذْكُورِ كَتَأْثِيرِهَا فِي قَلْبِ مَشْغُولٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ مِثْلَ مَنْ تَعَبَّدَ وَهُوَ فِي طَلْبِ الدُّنْيَا مِثْلَ مَنْ يَطْفِئُ النَّارَ بِالْحَلْفَاءِ وَمِثْلَ مَنْ يَغْسِلُ يَدَهُ مِنَ الْغَمْرِ بِالسَّمَكِ.

لقد اهتَمَّ الْإِسْلَامُ بِمَشْكَلَتِي الْفَقْرِ وَالْبَطَالَةِ وَحَرَّصَ عَلَى عِلَاجِهِمَا قَبْلَ نَشْوئِهِمَا بِوَسَائِلٍ وَقَائِيَّةٍ وَإِذَا وَقَعَ الْفَقْرُ أَوْ وُجِدَتِ الْبَطَالَةُ، وَضَعَ لَهَا وَسَائِلَ لِمَعَالَجَتِهَا مِنْهَا: الْوَسَائِلُ الْوَقَائِيَّةُ (الْإِيمَانُ)، إِذْ إِنَّ الْإِيمَانَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ يَدْعُو الْفَقِيرَ إِلَى الرِّضَا بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ، وَهَذَا الْإِيمَانُ يَدْفَعُهُ إِلَى السَّعْيِ وَرَاءَ أَسْبَابِ الرِّزْقِ لِتَحْصِيلِ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَآئِيَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]. وَأَيْضًا التَّقْوَى، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ

(١) نهج البلاغة: ٧/ ٢٢١.



الخير والرزق من حيث لا يحتسب، قال الله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. والشكر، وشكر الله على نعمائه يكون سبباً في زيادة الخير والنعيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. والاستغفار، وهو سبب من أسباب البركة من السماء والأرض وزيادة في المال والبنين، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

ومما أوصى به أمير المؤمنين علي، مالك بن الحارث الأشتر حين بعثه إلى مصر في الشورى قوله: ((انظر في أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن استعمالك إيّاهم اختياراً ولا يكن محابة ولا إيثاراً، فإن الأثرة بالأعمال - أي الاستبداد بلا مشورة - والمحابة بها جماع من شعب الجور والخيانة لله، وإدخال الضرر على الناس، وليست تصلح أمور الناس، ولا أمور الولاة إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم، فاصطفِ لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم والسياسة والصق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع، فإنهم أكرم أخلاقاً وأشد لأنفسهم صوتاً وإصلاحاً وأقل في المطامع إسرافاً، وأحسن في عواقب الأمور نظراً من غيرهم، فليكونوا عمالك وأعوانك العدل والمساواة في معالجة الفقر))^(١).

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تُسهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام أمير المؤمنين علي عليه السلام بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كلّ الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التي جعلته مؤهلاً للقيام بدوره هذا على أكمل وجه.

(١) نهاية الأرب: ٦/ ٢١، والإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية: ١/ ٢٧٩.



ولذلك كان من الطبيعي أن يُقيم حكمه على العدل الشامل؛ لأنَّ به تستقيم الأمور وتظهر المودَّة بين الرعية، ولاشكَّ أنَّ العدل في فكر أمير المؤمنين عليٍّ هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل^(١).

لقد كان أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قدوة في عدله، أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو إحدى أهم ركائز الخلافة الراشدة، دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، ومن الإصلاحات في حكمه معالجة الفقر، لقد تهباً لأمر المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب مجموعة من الأسباب من سرعة البديهة، وذلاقة اللسان، ورجحان العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس وعمق الإيمان، والتضلع في الدين، والقرب من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلقَّى الوحي عنه، ما مكَّنه من فصاحة اللسان، وجودة البيان، فأصبحت كلماته درراً، وجمله حكماً أعجبت ذوى العقول، فهي لأهل البلاغة مطلب، ولأهل الهداية مغنم، ففيها حيث لهم على فضائل الأعمال، وجميل الخصال وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيمة في مجال دعوة الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم وتنوير عقولهم، وإحياء قلوبهم، لما فيها من جودة التعبير، ووضوح المعاني، وعمق التفكير، وفوق ذلك فهي تنبع من قلب تقي، وصدر نقي، كان أمير المؤمنين عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ شديد الاهتمام بأمر الصلاة، فقد كان يمرُّ في الطريق منادياً: الصلاة، الصلاة، كان يوقظ بذلك الناس لصلاة الفجر.

وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين عليًّا على أن يعيش عيشة

(١) ينظر: نظام الحكم في العهد الراشدي: ١٤١.



الفقراء وأن يتحمّل البرد القارس وهو قادر على أن يشتري أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس؟ إنّه مثال للزهد الحقيقي حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنّه تلميذ المدرسة النبويّة التي تربّى فيها على الزهد في متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة الخالد، فلقد عاش رسول الله - صلى الله عليه وآله - عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء باعني رضاي وأخذ رضاه: عن أبي مطر بن عبد الله الجهني قال: رأيت عليّاً عليه السلام متزراً بإزار، مرتدياً برداء ومعه الدرّة، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساومته أحد التجار في ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتري منه شيئاً، فأتى آخر فلما عرفه لم يشتري منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهماً ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال باعني رضاي وأخذ رضاه فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلقد كان مظهره في لباسه يوحي بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوباً اختار نوعاً متواضعاً رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسئول في العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده في الدنيا، علماً أن له حقه من الفئء ومن بيت المال وغيرهما من مصادر الدولة لشخص مفرغ، كخليفة وحاكم، لمراعاة مصالح المسلمين ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع من الشراء ممن يعرفونه حتّى لا يراعه في الثمن لمنصبه.

ويعدّ بيت المال قلب الولاية الذي يوزع الدم في شرايين الأجهزة العاملة، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((الناس كلهم عيال على الخراج وأهله))^(١)، والمقصود

(١) الولاية على البلدان: ٣٧/٢ .



بالناس عامة الموظفين والمجاهدين الذين قال عنهم أمير المؤمنين عليه السلام : ((لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله من الخراج))^(١).

ومن النفقات المهمة في الولاية إعمار الأنهار، فقد كتب أمير المؤمنين على قريظة بن كعب الأنصاري: ((أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عمالك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا واندفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم أعمار وأصلح النهر، فلعمري لأن يعمرُوا أحب إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا ويقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام))^(٢) وأمانة العمال التابعون للولاية ومتابعتهم دور مهم في معالجة الفقر وإصلاح المجتمع : قال أمير المؤمنين على: ((ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع شعب الجور واليانة، وتوخر منهم أهل التجربة والحياء، أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحنة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدود لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى الخيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة))^(٣).

(١) الولاية على البلدان : ٣٧/٢ - ٣٨.

(٢) تاريخ يعقوبي: ٢٠٣/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦١٨/٢، وينظر: الإدارة والنظام: ٢٥٨.



وهنا يتحدث عن الموظفين التابعين للولاية والمحافظين على المدن والقرى وجباة الصدقات، فعلى عاتقهم مسئولية كبيرة لأن عملهم متصل بالناس بصورة مباشرة، وتتجلى في هذا النص أهمية هؤلاء في الجهاز الإداري؛ لأنهم يمثلون السلطة التنفيذية الحقيقية، فكان لابد من إشباع حاجاتهم حتى لا يطمعوا في مال غيرهم، ولا حقوقهم.

ويشير أمير المؤمنين إلى أهمية العيون التي تقوم بأعمال الرقابة على الإدارات والوحدات وبيت المال، ويتم تعيينهم من قبل الوالي ويكون ارتباطهم معه، فهناك شروط يجب أن تتوافر فيهم، وهي: أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة، وأن يكونوا من أهل الوفاء حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة، وبعد تقديم التقارير على الوالي أن يثبت بدقة ما في هذه التقارير ولا يسرع في الحكم على الأفراد، ومن أعمال هذا الجهاز فرض الرقابة على التجار وذوي الصناعات؛ لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس، وما قاله أمير المؤمنين في رسالته للأشتر في هذه الفقرة يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها، والتماس الإحاطة بجانب الخلل في أفرادها وجماعاتها^(١).

وهذا مبدأ قرآني بينه المولى عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ لَا أَرَى الْهُدُودَ﴾ [النمل: ٢٠] يعني أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له، ثم قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ سؤال آخر ينم عن حزم في السؤال بعد الترفق، فسليمان عليه السلام أراد أن يفهم منه أنه يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط ولكن عن جدّ وشدة، إذا لم يكن الغياب بعذر فعهد الخلافة الراشدة تطبيق عملي لمفاهيم القرآن الكريم، إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة

(١) ينظر: الإدارة والنظام الإداري عند علي عليه السلام: ٢٦٦.



المسلمة التي تحرص أشدَّ الحرص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، والمثل العليا، وتقضى على بذور الفساد في الأجهزة المتعددة التي يقوم عليها نظام الولايات^(١).

أصناف وطبقات المجتمع والفقير: قال أمير المؤمنين: ((واعلم أنّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلاّ ببعض، ولا غنى لبعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كُتّاب العائمة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس، ومنها التجّار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة))^(٢).

إنّ هذا التقسيم لا يعني تمييز طبقة على حساب طبقة، فالطبقات في كلام الإمام علي بمعنى فئات اجتماعية، وإنّما هو تقسيم لغرض التعامل مع كلّ طبقة بما يناسبها ويتفق مع حاجتها للإصلاح؛ لأنّ ما يصلح لطبقة قد لا يصلح للأخرى ولم يكن ترتيب الطبقات الذي ورد في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشر (رضي الله عنه) على أساس قيمتها الاجتماعية وإنّما كان على أساس أهميّة الخدمة التي تقدمها للمجتمع.

ونلاحظ من كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّ طبقة التجّار من أهمّ شرائح المجتمع؛ ولذلك أرشد الولاية إلى الاهتمام بهم بإيجاد دائرة تتولّى رعاية هذه الطبقة والإشراف على أعمالها، حتّى لا تظهر عليها المظاهر السلبية كالشحّ والاحتكار وما شابه ذلك. وذوو الصناعات، يلمّ بهم ما يلمّ بالتجّار من أضرار ومشاكل، فكان لا بدّ من قيام جهاز لرعايتهم ومساعدتهم في إتمام أعمالهم، ومن هذه الطبقات أهل

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٧/٤٨.

(٢) تفسير الرازي: ١٨٩/٢٤.



الخراج، وهم العاملون على الأرض من زراع وحرث وحافرين لآبار، وهم يحتاجون إلى الاهتمام وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخراج لحلّ المشكلات التي تعترضهم، لأن هذا الطريق هو السبيل إلى التنمية واستثمار الأرض^(١).

ومن هذه الأصناف أهل الذمّة الذين يعيشون في الدولة الإسلاميّة، ويعملون فيها، فلا بدّ من رعاية الدولة لهم وتفقد شؤونهم، من طريق جهاز يتولّى شؤونهم الاقتصاديّة منها والاجتماعيّة، ومنها الطبقة السفلى من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمى، فإنّ في هذه الطبقة القانع، والمعتر، وتشمل هذه الطبقة أهل اليتيم وذوى الرقّة في السنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، فالدولة مسؤولة عنه رعاية كاملة، اجتماعية واقتصادية وتعليمية، وكان على الوالي أن يُجدّد وقتاً للقاء بهم ليزيل عنهم مشاعر الحرمان ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة، وعليه أن يوفر الأجواء التي يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومون من التكلم أمام الوالي .

وأخيراً معالجة الفقر بالتربية: العقاب والثواب: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزيهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلّاً منهم ما ألزم نفسه، واعلم أنه ليس بشيء أَدعى إلى حسن ظنّ راعٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤنّات عليهم، وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس قبّلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيّتك، فإنّ حسن الظنّ يقطع عنك نصباً طويلاً، وإنّ أحقّ من حسن ظنك به لمن بلاؤك عنده))^(٢)، وهذه التربية بالعقاب والثواب تحدّث عنها القرآن الكريم وتّضح معالمها جلية في قصّة ذي القرنين في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْدُ بِهِ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَا مَنْ آمَنَ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٦٢٠-٢٦٣.

(٢) أسمى المطالب في سيرة الإمام علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي: ٤٨٨ / ١.



وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٧-٨٨﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨] (١).

عوامل إيجاد الثروة في منهج الإمام علي عليه السلام وسبل مكافحة الفقر

أولاً: منح الأرض والمعادن والثروات كلها للناس

ثانياً: أن تُعطى الأولوية للإعمار والتنمية والاستثمار في البنية التحتية .

ثالثاً: ترشيد الإنفاق .

رابعاً: الضمان الاجتماعي .

خامساً: خلق التوازن بين الريف والحضر .

سادساً: التكافل الاجتماعي .

سابعاً: وضع معايير موضوعية للمسؤولين الاقتصاديين وإلزامهم بها .

ثامناً: تكريس مبدأ المساءلة والمحاسبة .

تاسعاً: تنشيط حركة الأموال .

عاشراً: تقليص ساعات العمل .

الحادي عشر: المرونة في الضرائب .

الثاني عشر: توفير الحريات

الثالث عشر: على الدولة التخطيط والإشراف لا الإنتاج.

الرابع عشر: محاربة عوامل تبديد أو تحطيم الاقتصاد كافة (٢) .

(١) ينظر: الإدارة والنظام الإداري: ٢٦٤ .

(٢) ينظر: مكافحة الفقر في منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، مرتضى الشيرازي، موقع الإمام الشيرازي



الخاتمة:

بعون من الله تعالى وتوفيقه تيسّرت دراسة معالم السياسة الاقتصادية للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة الفقر وإصلاح المجتمع، وذلك من طريق إيضاح أصالتها التاريخية وأهميتها العلمية في جوانب الدرس التربوي والشرعيّ، وبعد العرض والتفصيل لمجمل ما روي عن الإمام انتهى هذا البحث إلى نتائج متعدّدة، تحمل إشارات ودلالات تُسهّم في بناء الأسرة والمجتمع ومعالجة الفقر وقد تجلّت لنا بوضوح، ومن أهمّها ما يلي:

أثبت البحث شموليّة الإمام عليّ عليه السلام على المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة، بل إنّه قد جمع مقوّمات الفلاح والثبات في ضبط المجتمع الإسلاميّ بما لا يمكن تحقيقه البتة بشئى النظم الوضعيّة ولو كانت مجتمعة، فالأخلاق الإسلاميّة تدور مع حدود الشرع حلاً وحرمةً، بخلاف الأخلاق الوضعيّة المصلحيّة التي تتبدّل وتدور مع المصالح.

أكد الإمام على دور الرقابة في الأسواق واهتمّ بـ (المجتمع) وفي بناء الفرد و الأسرة، فقعد قوانينها وأرسى دعائمها على أسس مستقرّة ثابتة و رصينة .

لقد سلك الإمام عليّ عليه السلام أسلوب القرآن الكريم وأسلوب رسوله الأمين في مخاطبته الناس، فكان حريصاً كلّ الحرص على إيصال مفاهيمه إلى الجميع، من دون جرح العواطف، أو خدش المشاعر، أو اشمئزاز النفوس .

كذلك أثبت البحث أنّ الإيمان والعمل الصالح هما سببان يولّدان للفرد الحياة الطيِّبة والرغد في العيش، والسبب أنّ الإيمان الصحيح المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة مع صاحبه ويجعله يتلقّى جميع ما يرد عليه من أسباب السرور والابتهاج .



كشف البحث إن الزهد والورع عند الامام علي عليه السلام مصدره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقد كان ينام على الحصر حتى يؤثر في جنبه الشريف، ولم يكن في بيته من المتاع إلا اليسير ولكنهم عاشوا عيشة السعداء وتعودوا على الإنفاق والبذل والتضحية .



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. ابن الحاجب، الأمالي النحوية، تح: هادي حسن حمودي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ م.
٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير الجزري، دار ابن حزم، بيروت، د. ت .
٣. الإصابة، ابن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، تقديم: محمد عبد المنعم البري وآخرون، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤٤٧ هـ .
٤. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب... شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات العربية المتحدة، ط ٣، ٢٠٢١ م .
٥. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠ م.
٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي البيضاوي، ناصر الدين ابو سعيد الشيرازي (ت: ٦٨٥ هـ)، دار الجيل، بيروت، د. ت .
٧. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م .
٨. البداية والنهاية، الحافظ بن كثير، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ١٩٩٧ م .
٩. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د.ت).
١٠. البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٤٨ .



- ١١ . تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٩٩٥ م.
- ١٢ . تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٥٧ م.
- ١٣ . سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٤ هـ .
- ١٤ . السيرة النبوية، ابن هشام، علق عليها وخرّج احاديثها وصنع فهرسها، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٠ م.
- ١٥ . شرح نهج البلاغة، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت، ١٩٨٧ م.
- ١٦ . صفوة الصفوة، ابن الجوزي، تح: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢ م.
- ١٧ . كتاب الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، تح: محمد إبراهيم البنا، دار السلام، مصر، ط٢، ٢٠٢٢ م.
- ١٨ . المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ٢٠٠٧ م.
- ١٩ . مكافحة الفقر في منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، مرتضى الشيرازي، موقع الإمام الشيرازي الإلكتروني <https://www.alshirazi.com> .
- ٢٠ . النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- ٢١ . وفيات الأعيان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).



